مِـــــن الله التفضـــــلُ ، والعطـــــاءُ ... علـــى عبـــدٍ بضـــاعته الـــدعاءُ

لجـــأتُ لـــه ، فحقـــقَ أمنيـــاتي ... ولـــم تخِـــب الظنـــونُ ، ولا الرجـــاء

دعـــوتُ بحُرقـــةٍ ، وبـــذلتُ دمعـــي ... وبلـــلَ - مـــا جـــأرتُ بـــه - البكـــاء

ورب النـــاس قلـــدني المعـــالي ... وإن الله يفعـــلُ مـــا يشـــاء

ألان لـــيَ البيـــانَ ، فقلـــت: شـــعري ... تُشـــيّعه المـــودة والصـــفاء

ومـــا كنـــتُ ارتجلـــتُ طـــوال عمـــري ... ومِـــن أهـــل الخِـــداع أنـــا بـــراء

ومـــا أنجـــزت أمـــراً بارتجـــال ... وتمقتـــه الإجـــادة والـــذكاء

ومـــا أدليـــتُ - فـــي التلفيـــق - دلـــوي ... فلـــيس - لأي تلفيـــق - بقـــاء

ديوان السليمانيات

(مجموعة شعرية)

معارضاتي الشعرية لبعض الشعراء !

نحو شعر عربي أصيل وهادف وبناء وجاد ومحترم

شعر

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

بسم الله الرحمن الرحیم

معارضاتي الشعرية لبعض الشعراء!

(المعارضة فنٌّ من فنون الشعر العربي ضاربٌ في القِدم منذ فجر التاريخ ،
وليستْ تنمّ عن ضعف الشعراء المُعارضين كما يتوهم البعض!)

ديوان: (السليمانيات)

شعر / أحمد علي سليمان عبد الرحيم

(شاعر أهل الصعيد)

جميع الحقوق محفوظة

ابتسم

(يعرف الكل قصيدة الشاعر المهجري إيليا أبو ماضي ، التي عنون لها في ديوانه بذات العنوان: (ابتسم) داعياً صديقه المتشائم إلى التفاؤل ، ولعل له حقاً في ذلك من زاويتين: الأولى أنه يجب على الإنسان أن يتفاءل دائماً ، والثانية أنه يجب عليه أن يحسن الظن بالله. وأنا لا أخالفُ عن إحسان الظن بالله. وإن كان لا يوجد ما يبعث على التفاؤل من حولنا! يقول الأستاذ أسامة الشبانة ما نصه: (إيليا أبو ماضي الشاعر المهجري الذي أسماه بعض النقاد بشاعر التفاؤل ، نلتقي معه هنا في دراسة لقصيدته التي تبعث التفاؤل والسعادة ، وتبرز شيئا من جمال الدنيا المُشرق. فهي قد خاطبت النفس البشرية بشكل فيه من النقاء والصفاء. نجد هذه القصيدة تحمل كماً هائلاً من الروح العالية عند الشاعر ، فهو قد جعل المتلقي يعيش في بحر السعادة بشكل مقنع ورائع. إن الخطاب الشعري بشكل عام لا بد أن يحوي على مقصد ما ، فنجد إيليا أبو ماضي في هذه القصيد قد وضح مقصده وبان ، وذلك بجعل اليائس متفائلاً ، والحزين سعيداً ، بجُمل متراكبة وحوار شعري بارع. نجد الشاعر في هذه القصيدة قد جعل الخطاب لفرد واحد فكأن كل قارئ لهذه القصيدة يتصور أن الخطاب له شخصياً ، وهذا من أبلغ وأجمل المعاني التي تحملها القصيدة. أضف إلى ذلك أنه لم يغفل عن ضمير الغيبة ، فقد أتى به لينوّع في الخطاب ، لئلا تفقد القصيدة نشاطها وحيويتها. فإن التنوّع في الخطاب يجعل القارئ لا يفتر عن متابعة قراءة القصيدة ، وبيان ما فيها من معان. أيضاً نجد الشاعر استخدم أسلوب الاستفهام بشكل واضح وبين ، والإجابة الدقيقة على أي شخص في الخطاب العادي بأسلوب الاستفهام ، يجعل الآخر يستلهم مراد المجيب ويقتنع به ، وهذا ما وجدناه في هذه القصيدة ، فالشاعر يُجيب بأسلوب الاستفهام مع شيء من الحكمة. نجد إيليا أبو ماضي في قصيدته قد أجاد في سبك هذا الحوار الرائع ، فإن ما يشدّ القارئ في هذه القصيدة الحوار الجميل المشتمل على بعض الحكمة وكثير الإقناع. وقد سخر لبنائها عدة سمات أسلوبية أضفتْ على القصيدة صِبغة جمالية ، وهذه السمات تجمع بين بلاغة الشعر وبلاغة التمثيل الخطابي ، لأن غاية الشعر منها الحمل على الإقناع والجمال ، وقد حقق الشاعر هنا هذين الهدفين).هـ. ومعارضتي الشعرية هذي لقصيدة (ابتسم) للشاعر إيلياء أبو ماضي أتمثل فيها صديق الشاعر المتشائم دائماً يرد عليه دعوته متسائلاً: ما الذي يدعو للابتسام يا أبا ماضي؟ النفوس مقهورة والأراضي مسلوبة والأقوات منهوبة ووسد الأمر إلى غير أهله منذ زمن بعيد! وتكاليف المروءة والنجابة والكرامة باهظة جداً! وزاد حبات الطين بلة الأواصر المتقطعة بين الأهل والأقربين ، وافتقاد كثير من الناس إلى معاني الإنسانية من حب وعطف وحنان وتعاطف وتراحم وتواد! والإقبال الشديد على أمر الدنيا ، والإهمال والتغافل التامان عن أمر الآخرة! وتطلب مني أن أبتسم؟ وتحملني على التفاؤل والتفاعل مع الحياة على عِلاتها؟ إنه المستحيل!)

قلـــتَ: ابتســـمْ ، وعجـــزتُ أن أتبســـما وفجعـــتُ فـــي نفســـي وصـــحبي والحِمـــى

وبكيـــــتُ أحلامـــــاً ، وآمـــــالاً خبَـــــتْ وغـــدتْ دمـــوعُ العـــين - فـــي البلـــوى - دمـــا

وطفقــتُ أجْــرَعُ - فــي الــبلاء - تصــبّري ورفعــتُ كفــي ضــارعاً نحــو الســما

ورَثيــتُ نفســي ، إذ تمــرّق بأسُــها وعــذرتُ قلبــاً - فــي المصــاب - تلعثمــا

وغبطــتُ رُوحــاً - فــي الشــقاء - تجنــدلتْ وشــكوتُ لــيلاً مُــدْلهماً حُلكُمــا

ونعيــتُ - بــين الأرذلــين - كرامتــي وشــرعتُ أحقِــرُ جعظريــاً مُجرمــا

أمســى يُعاملنــا كــبعض عبيــده ويــرى تعنتــه قضــاءً مُبرَمــا

واعتــدّ - خلــف غــروره - بوظيفــةٍ سِــيقتْ إليــه ، فنــال منهــا مَغنمــا

واختــال كالطــاووس ، مــاسَ بريشــه وانقــضّ يَحســبُه المُغفــلُ ضــيغما

وأذاقنــا كــأس الجهالــة مُــرّة إذ بــات يخــبط فــي متاهــات العمــى

وطغــى علينــا مُمســكاً بوعيــده والوعــدُ - مِــن شــفتيه - أصــبح عَلقمــا

مِــن أي قــوم أنــت يــا متعجرفــاً مــن (مــازن) أو (خــزرج) أو (أســلما)؟

أو مــن (قــريش) أو (خزاعــة)؟ فلتقــلْ أو مــن (بنــي ذبيــان) أو مــن (جُرهمــا)؟

لفظتْــك أعــرافُ العروبــة كلهــا وســلومُها فــي كــل صُــقع والــدما

والــدّينُ يبــرأ مِــن فِعالــك شــابها كيــدٌ يُجــاوز - فــي المَــرار - الشــبرُما

وأبــوك آدمُ منــك يَبــرأ حِســبة والعِلــمُ يبــرأ راضــياً ، أو مُرْغمــا

أجعلــت أحــرار البســيطة أعبُــداً ونســاؤهم أصــبحن عنــدك كالإمــا؟

هـــذا (أبـــو ماضـــي) يـــذرّ تفـــاؤلاً ... مِـــن أيـــن يـــا (إيليـــاء) والكـــربُ اســـتمى؟

ونعـــيشُ نـــزدردُ العـــذابَ ، ونشـــتكي ... والـــبعضُ يبكـــي مَنصـــباً أو درهمـــا

والـــبعضُ يَجتـــرّ المصـــيبة راضـــياً ... ويـــرى التجمّـــلَ للـــدغاول بَلسـما

والـــبعضُ ينعِـــي أمّـــة مكلومـــة ... وإذا اســـتعادت مجـــدَها لـــن تُكْلمـــا

عفـــواً (أبـــا ماضـــي) اســـتمعْ مَرثيتـــي ... أمســـى الأنـــينُ علـــى القصـــيد مُخيّمـــا!

أنـــا يـــا أخـــا الأشـــعار قلـــتُ مُصـــرّحاً ... أنـــي لمـــا ألقـــاه لـــن أتبســـما

فلعـــل هـــذا الحـــزم يختصـــر المـــدى ... ويُفِيـــقُ قومـــاً فـــي الكريهـــة نوّمـــا!

ولعلنـــي بالجـــدّ أبلـــغ غـــايتي ... وألقِـــنُ الأعـــداءَ درســـاً مُؤلمـــا

أن ابتســـام المـــرء إن طفـــحَ الجـــوى ... أمـــرٌ فـــؤادي عنـــه فعـــلاً أحجمـــا!

مناظرة مع أبي ذؤيب

(إن روح المناظرة مع أهل الفن الواحد متعة لا يشعر بها إلا من ناظر أرباب صناعته وفنه ، وقد ناظرت كثيرين مناظرات كلامية ، كان الفوز حليف خصمي مرة وكان حليفي مرة والأيام هكذا دول. والمتناظران بالخيار ، إن شاءا كفا عن هذي المناظرة ، وإن شاءا أكملاها. ومناظرة الشعراء هي من أحلى المناظرات ؛ إذ تُفضي في الغالب الأعم إلى معارضة شعرية عظيمة تُثري الشعر والأدب معًا. وهناك في كلية الآداب بجامعة المنصورة كانت لي مناظرات ومحاورات مع عدد ليس بالقليل من الشعراء الذين أذكر منهم ، الشاعر / حامد سعيد الجمال ، من الطويلة (مدينة قريبة من المنصورة). وأيضًا الشربيني عاشور الشربيني ، وهذا شاعر فذ من أجواء المنصورة (مدينة الشعر والقيم).

أمِنَ المَنَون يَنهارُ الإنسان؟ بالطبع لا. وذاتَ يومٍ رثى أبو ذؤيب أولاده في قصيدةٍ طويلة بُكائية جَنَائزية ، فلمَّا طالعتُها بعد جراحتين أُجريَتَا لي في عيني ، رُحْتُ أُناظِرُ أبَا ذؤيب ، فاستَعَرْتُ مِنْهُ بيتَهُ الأولَ ونسجْتُ على مِنْواله ، وكانَ ميلادُ قصيدتِنَا هذي. ونَسْتَمِعُ لمطلعِ أبي ذؤيب أولاً ثم نطالع قصيدتنا المعارضة:

أمِـــنَ المَنـــونِ وريْبهـــا تَتَوَجَّـــعُ؟ والـدهرُ لـيس بمُعْتِـبٍ مَـنْ يَجْـزعُ
قَالَـتْ أَمَامَـةَ: مـا لجسـمك شـاحبًا مُنْـذُ ابتـذلت ، ومثـل مـا لـك يَنْفَـع
ولقـد حرصـتُ بـأنْ أدافـعَ عـنهُمُ وإذا المنيـــةَ أقبلـــتْ لا تُـــدْفَع
وإذا المنيـــةَ أنشـــبتْ أظفارَهَـــا ألفيـــتَ كـــلَّ تَميمـــةٍ لا تَنْفَـــع
فـــالعَيْنُ بَعْـــدَهُمُ كـــأنَّ جُفُونَهَـــا كُحلَـتْ بشَـوْكٍ فَهْـيَ عُـورٌ تَـدْمَع
وتَجَلُّـــدِي للشـــامتين أُرِيهِـــمُ أنِّـــي لرَيْـــبِ الـــدهرِ لا أَتَضَعْضَـــع
حتـــى كـــأنِّي للحَـــوادث مَـــرْوَةٌ نِصْـــفَ المُشَـــقَّرِ كـــل يَـــوْمٍ تَقْـــرَع

ثُمَّ يَصِلُ أبو ذؤيب الهُذلي إلى الحِكمة الشهيرة الجهيرة التي يُرددها الناس:

والـــنفسُ راغبـــةً إذا رغبْتَهـــا وإذا تُـــرِدُّ إلـــى قليـــل تَقْنَـــعُ

وهكذا عشتُ مع قصيدة أبي ذؤيب الرِّثائية وتأثرتُ بها ، ثمَّ أنشدتُ على غِرارِها مُقْتَبِسًا البيتَ الأولَ مِنَ المرثيـة. وكما قلنا لا يعيب الشاعر تأثره بشاعر آخر!)

«أمِـــنَ المَنـــونِ وريْبهـــا تَتَوَجَّـــعُ؟ والـــدهرُ لـــيس بمُعْتِـــبٍ مَـــنْ يَجْـــزعُ»
فِـــيمَ البكـــاءُ ، ولسْـــتَ أولَ مَـــنْ بَكَـــى أولـــيسَ - بَعْـدكَ - سَـوفَ يـأتِي مُوجَـعُ؟
كُـــفَّ الـــدُّمُوعَ ، فإنّهَـــا قَـــدْ أحْرَقَـــتْ خَـــدَّيْكَ ، والقلْـــبُ المُـــرَوَّع يَـــدْمَعُ
والـــمُقلَةَ البيضـــاءُ لا تحفـــلْ بَهـــا حتـــى مَتـــى فِـــي مُقلـــةٍ تَتَضَعْضَـــع
أنـــت القَـــوِيُّ ، لأمـــرِ ربِّـــك فاصـــطبرْ ولـــئنْ جَزَعْـــتَ لِكُـــلِّ مـــا يُتَوَقَّـــع

سيَضِـيعُ دربُـكَ ، ثـمَّ تسـقطَ فـي الشـقا! ونَـــرَاكَ فـــي جـــوف المَخَـــازِي تَرْتَـــع

أأَبَـــا ذؤَيْـــبٍ: مُقْلَتِـــي وحَبِيبَتِـــي وتقـــولُ لـــي: أمِـــنَ القَضَـــا تَتَوَجَّـــع؟

إنَّ الرِّضَـــا بقَضَـــا الإلـــه سَـــجِيَّتِي! عَـــدمُ الرضـــا بقضـــائه لا يَنْفَـــع

أَسَـــدٌ أنـــا فـــي مِحْنَتِـــي ، لكـــنَّ دمْـــ ـــعَ العَـــينِ يَغْلـــبُ كـــلَّ مَـــنْ يَتَشَـــجَّع

مَـــا كَـــانَ ضَـــرَّكَ لَـــوْ سَـــمِعْتَ تَـــوجُّعِي وأعـــرتَ ســـمعَكَ للـــذي يَتَقَطَّـــع

فِـــي كُـــل يـــوم مَـــرَّ أبكـــي مُقلتـــي واللهُ يُبصـــر مَـــدْمَعَيّ ، ويســـمع

لـــو كنـــت أملـــك كـــبح تســـكاب الـــدمو ع كبحتهـــا ، إذ أننـــي مُتَرَفِّـــع

لَكِنّمَـــا قَـــدَرُ المَليـــك (أبَـــا ذؤيـــ ـــبٍ) حَـــاطَنِي ، هَـــلْ أمـــرُ ربِّـــكَ يُـــدْفَع؟

أأَبَـــا ذؤَيْـــبٍ: مَـــا دهـــى أولادكـــم؟ مـــاتُوا ، وأمـــرٌ مِثْـــل هَـــذَا مُفْجِـــع؟

وكَمَـــا تَجَلّـــدَ للمَنُـــون أبُـــوهُمُ فأنَـــا بهـــا أولـــى ، لربِّـــي أضْـــرَّع

للهـــم رد العـــين هـــذي ، واهـــدها فِـــي رحمـــةِ الـــرحمنِ إنِّـــي أطمـــع

أحب الصالحين! (محاكاة للشافعي)

(من منا لا يعرف محمداً بن إدريس الشافعي إمام المذهب – رحمه الله رحمة واسعة -! كلنا يعرفه فقيهاً مناظراً مفحماً للبدعة وأهلها ، وناصراً للسنة وأهلها! فقد أغناه كتاب (الأم) في الفقه عن التعريف به كفقيه ، وأغناه كتابه (مسند الشافعي) عن التعريف به كمحدث! ولكن القليل منا يعرفه شاعراً نحريراً ، ألان الله له البيان والبديع والبلاغة والإبانة والفصاحة! فقد حظي ديوانه الموسوم بـ (الجوهر النفيس في شعر محمد بن إدريس) عن التعريف به كشاعر! قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى مشفقاً على نفسه ومتهماً إياها بالتقصير في جنب الله:

أحب الصالحين ولستُ منهم *** وأرجو أن أنال بهم شفاعة

وأكره من تجارته المعاصي *** وإن كنا سواءً في البضاعة

فقال له الإمام أحمد رحمه الله تعالى مادحاً الشافعي ومثنياً عليه ومطمئناً له ومهنئاً ومبشّراً:

تحب الصالحين وأنت منهم *** ومنكم سوف يلقون الشفاعة

وتكره من بضاعته المعاصي *** حماك الله من تلك البضاعة

ولقد قرأت شروحاً كثيرة لبيتي الشافعي الأوليين! ولكنني وجدت الأستاذة الأديبة فاطمة علي تشرح البيتين للشافعي بطريقة إبداعية - وكأنها ابنة الشافعي أو تلميذته - فتقول ما نصه: (من قول الإمام الشافعي: (أحب الصالحين ولست منهم لعلي أنال بهم شفاعة) فهو يقول عن نفسه بأنه يحب الأشخاص الصالحين الذين يفعلون الخير. ويتجنبون فعل السيئات ويسعون إلى رضا الله سبحانه وتعالى وطاعته. فيتجنبون كل فعل سيءٍ قد يُدخلهم النار ويحاولون دائمًا الإصلاح من أنفسهم. ويكمل الإمام كلامه بقوله :"لست منهم" وذلك تواضعًا وإقرارًا بتقصيره. وذلك لأنه يعلم أن المؤمن مهما فعل فسيظل مقصر. ولا يكفي فعله لشكر فضل الله ورحمته ، وكلنا كذلك نسأل الله العفو والعافية. ويقول الإمام بعد ذلك: "لعلي أنال بهم الشفاعة" ، وهو يقصد أن: لعله ينال الشفاعة بسبب حبه للصالحين. فمن يحب سوف يعمل على تقليد من يحبه في كل أفعاله الحسنه. وقد أخبرنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم أن المرء مع من يحب! فعن أنس بن مالك قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: وما أعددت للساعة؟ قال: حب الله ورسوله ، قال: فإنك مع من أحببت ، قال أنس: فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبي صلى الله عليه وسلم : فإنك مع من أحببت. قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر. فأرجو أن أكون معهم ، وإن لم أعمل بأعمالهم. وروى البخاري ومسلم عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله. كيف ترى في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المرء مع من أحب. وأما عن البيت الثاني والذي يقول فيه الإمام الشافعي: "وأكره من تجارته المعاصي ولو كنا سواء في البضاعة": فهنا يقول الإمام الشافعي أنه يكره من يتاجر بالمعاصي. أي أنه لا يحب الأشخاص الذين لا يُخفون ذنوبهم بل يُجاهرون بها. ويفعلون الذنوب دون ندم أو خجل من فعلها. ويكمل قوله: "ولو كنا سواءً في البضاعة" أي أنه يعترف أن لديه ذنوباً ومعاصي. فكلنا مخطئون ولدينا ذنوبنا ، ولكنه هنا يقول بأنه ليس معصوم. فهو أيضًا له ذنوبه! وسبب كرهه لمن يتاجرون بالمعاصي ليس أنهم

عاصون. فكلنا كذلك بل سبب الكره أنهم يتاجرون بها ولا يندمون عليها. فهذه القصيدة ليس الغرض منها أن يمدح الإمام الشافعي في نفسه ؛ والدليل على ذلك أننا لا نجد فيها أبدًا ما يدل على الشكر في الذات وتمجيدها سواء بالتعبير المباشر أو حتى باستخدام الكناية. بل إنه ليعترف بكونه بشراً يخطئ ويصيب ، ولكنه يحب الأشخاص الصالحين ، ويأمل أن يكون حبه لهم وإنكاره فعل من يتاجرون بالمعاصي أن يكون سبباً في الشفاعة له ودخوله الجنة).هـ. ومن فاطمة على إلى فاطمة عبد المقصود ، حيث تقول تحت عنوان: (أحب الصالحين ولست منهم) ما نصه بتصرفٍ زهيد: (كثيرًا ما تهفو الروحُ إلى أولئك الطيِّبين ، الذين تشعرُ حينَ تلقاهم أنهم أصحابُ قلوب رائقةٍ لا تَأْبَهُ لعوارض الدنيا ، ولا تتشوَّق لنَيْل حظوظِها ، تلقاهم فيرتاحُ القلبُ ، ويودُّ لو يرتقي فيَصِل إلى سمائهم العالية ، تَعلَمُ أن بينَك وبينهم أمدًا بعيدًا ؛ فهم على الطريق يُهرولون إلى الخيرات وإلى نبع النور ، بينما أنت تتلفَّتُ هنا وهناك مرَّات ومرات قبل أن تُكْمل على الطريق خطوةً ، لكنك تَشدُّ من عزمِك ، وتُغذِّي طموحَك كلما رأيتَ غدوَّهم ورَواحَهم. وإنك لتفقدُ صبرَك أو تجورُ على غيرك ، وإنك لتَغفُلُ عما هو حقٌّ وواجبٌ ، ويغيب عنك كثيرٌ من الخُلق الرفيع ، وتدَّعي أنك على الحقِّ والخير ، فإذا ظهروا عرفتَ أين مكانَك ، ورأيت كيفَ هدوءهم وصبرُهم وجَلَدُهم ، ورأيتَ حرصَهم على الواجبات وتغافلَهم عن المُسيئين ، ورأيتَ بَذْلَهم وأدبَهم ، فإذا بهم قد علَّموك كثيرًا دون أن تَنْطِقَ شِفاهم بحروف كثيرة. هم ذلك الطَّيْفُ الذي تراه فتشعرُ أن الهواءَ من حولك نَسمات صافيةٌ ، تَطِيبُ معها القلوب والأبدان ، هم أولئك الذين لا يَملَأون وقتَك بسفاهات الفارِغين ، بل تجدُ في كلِّ كلمة لهم مغزًى تَنتفِعُ به. إنهم كصديقتي التي لم أكن ألتقيها إلا قليلًا ؛ لأنها شَغَلتْ أوقاتها جميعًا بما يُصلِحُ أحوالَها وينفعُها ، تتركُ فيَّ ذلك الأثر الذي يدفعُ إلى الخير ، ويُحبِّب إليَّ الترقِّي. لن تَعدَم أن تجدَ أحدًا منهم بجوارك إن بحثتَ ، وقد يكونون أقربَ ما يكون إليك ؛ في أسرتك الصغيرة ، أو عائلتك الكبيرة فيمَن تعرفُ من الأصدقاء أو زملاءِ العمل ، أو حتى مَن كانوا في رفقتك يومًا ، أو من التقيتهم عرضًا في موقف من مواقف الحياة. هم الذين تحتاجُهم الروحُ وإلَّا لم تَجِدْ أنيسًا ، ويرتاحُ بهم القلب وإلا بقي مشتَّتًا حزينًا ، فلا تتردَّدْ في البقاء إلى جوارِهم إذا ظَفِرْتَ يومًا بهم ؛ لعلك تقتبسُ من خِصالهم وأخلاقهم ما ترتقي به ، وتندفع إلى سباقِ الخيرات).هـ. وإذن فالمعنى المراد أن المرء محشورٌ يوم القيامة مع من أحب! وهذا الذي نفهمه من حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم - ، ونفهمه كذلك من بيتي الشافعي – رحمة الله تعالى عليه -! وتحت عنوان: "المرء مع من أحب" يقول الأستاذ أباي محمد محمود ما نصه: (غاية الإكرام أن تحب إنساناً فتبلغ مناك في اللحاق به وإن قصر بك عملك عن درجته ، وقد وقعت هذه البشارة موقعها من قلوب المحبين المتولهين بحب النبي صلى الله عليه وسلم وحب أصحابه لما سمعوها منه فقد قال قائلهم (والكاتب هنا يعني أنس بن مالك) -: "ما فرحنا بعد الإسلام بشيء فرحنا بهذا الحديث". وكان ثوبان رضي الله عنه مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب له وكان يراوده هذا الهاجس ، يخاف ألا يلقى النبي صلى الله عليه وسلم بعد الموت بسبب تفاوت الدرجات ، وفيه نزلت آية سورة النساء ، قال القرطبي: كان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحب له قليل الصبر عنه ، فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه ، يعرف في وجهه الحزن ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "ما غير لونك؟!" ، قال: يا رسول الله.. ما بي ضر ولا وجع ، غير أنى إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ، ثم ذكرت الآخرة وأخاف أن لا أراك هناك ، لأني عرفتُ أنك تُرفع مع النبيين

– عليهم صلوات الله وتسليماته - ، وأنى إن دخلت الجنة كنت في منزلة هي أدنى من منزلتك ، وإن لم أدخل لا أراك أبداً ، فأنزل الله عز وجل قوله: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}. وعند الطبراني من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله: والله إنك لأحب إلى من نفسي ، وإنك أحب إلي من أهلي ومالي ، وأحب إلي من ولدي ، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك ، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين ، وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك. فلم يرد عليه النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – شيئاً حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} الآية. بهذه المحبة الصادقة وبهذا التعلق استحقوا هذا الإكرام "المرء مع من أحب"! فيا لها من نعمة على المحبين سابغة. يقول عبد الله بن مسعود رضي الله كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بعض أسفاره ، إذ هتف بنا أعرابي بصوت جهوري فقال: يا محمد! فقال له النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ما تشاء؟ فقال: المرء يحب القوم ولا يعمل بأعمالهم؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: المرء مع من أحب. وفي رواية البخاري: "كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم؟ ، فقال: المرء مع من أحب". فألحقه عليه السلام بحسن النية من غير زيادة عمل بأصحاب الأعمال الصالحة! كما يقول الخطابي رحمه الله. ومما ينسب إلى ابن حجر رحمه الله قوله:

وقائل هل عمل صـــــــالح ... أعددته يدفع عنك الكرب

فقلت حسبي خدمة المصطفى ... وحبـــه فالمرء من أحب

ولحاق المحبوب بمن أحب وكونه معه لا يلزم منه أن تكون منزلته وجزاؤه مثله من كل وجه! قال ابن حجر في الفتح قوله: "إنك مع من أحببت أي ملحق بهم حتى تكون في زمرتهم ... وإن تفاوتت الدرجات"اهـ. ليس الأمر هنا على إطلاق المحبة فليست كل دعوى محبةٍ نافعة لصاحبها" فلا ينتفع من ادعى محبة قوم ، وخالفهم في أخلاقهم ، وأعمالهم رغبةً عنها بمحبتهم ، ولا يلحقه ذلك بهم. وكذلك – أيضاً – لو كان مشتغلاً عن متابعتهم ، وموافقتهم بما هو فيه من شهوات النفس ، وتُرَّهَاتِ الهوى ، والعكوف على تحصيل الدنيا بأي وجهٍ تيسرت به ، بحيث غلب عليه الظلم والغش والمكر والخديعة وغير ذلك ؛ فإنَّ ما يدعيه من محبتهم لا ينفعه ، ولا يلحقه بهم ؛ لأنه مجرد تَمَنٍّ ، ومحضُ ادِّعاء لا يُجدي ، وكيف تثبت له محبتهم وقد عكف على أوصاف من سواهم ، وجاء بأعمال من عداهم ممن ليسوا منهم؟ ومن هذا القبيل محبة الظَّلَمةِ والفَسَقةِ للصالحين ، وتقربهم من المباركين بعرض أموالهم عليهم ، وإرسال الهدايا إليهم ، وهم مُكِبُّوْنَ على ظلمهم للناس ، وإسرافهم على أنفسهم ، فهؤلاء لا تنفعهم محبة الصالحين ، ولا تلحقهم بهم. واما من كانت مخالفته لهم لا على طريق الرغبة عن أخلاقهم ، ولا على سبيل الأَنَفَةِ من أحوالهم ، بل كان ذلك على سبيل العجز والتقصير عن بلوغ درجاتهم ، والانحطاط عن عُلُوِّ همتهم ، أو على وجه غلبة الهوى عليه ، وضعفه عن مصادمته ومخالفته ، فوقعت منه الزلة ، وألَمَّ تلك اللمة ، ولو تيسر له اللحاق بهم في وصفٍ لم يتأخر عن الاتصاف به ، أو في خُلقٍ لم يتوان عن التخلق به ، فهذه المخالفة والتقصير لا يُقعدانه عن اللحاق بمن يحبهم ، ولا يؤخره عن الكينونة معهم ، وعلى ذلك تحمل الأحاديث والآثار الواردة

في ذلك". كما قال الغزي رحمه الله تعالى في حسن التنبه لما ورد في التشبه. المحبة إذن تجارة رابحة ، لكنها تستلزم الموافقة والمتابعة وإلا كانت مُجرد دعوى).هـ. ومن هنا كانت مُساجلتي ومُحاكاتي الشعرية للشافعي – رحمه الله تعالى - ، في هذين البيتين الرائعين! واتبعتُ في ذلك النمط من المعارضات الشعرية منهج الإمام أحمد بن حنبل تلميذ الشافعي في الثناء على الشافعي وإبراز مكانته ، فيما يبدو لنا والله حسيبه ووكيله! ولا نزكّي على الله ربنا أحداً!)

تُحِبُ الصالحين ، وأنت فيهم ... كمثل البدر يُهديهم شُعاعَهْ

وتكرهُ مَن يُجاهر بالمعاصي ... ترى العِصيانَ مِن أخزى البضاعة

ملأت الأرض عِلماً لا يُبارى ... وظني أن يُبلغك الشفاعة

وفقهت العباقرة احتساباً! ... وفقهُ الدين والتقوى صِناعة

وعلمت الأصولَ ، وكنت فيها ... إماماً كلهم يرجو اتباعه

وناولت المناقبَ كل فذٍ ... إليها أشهرَ الفذ اندفاعه

وخضت البحرَ لم تحذرْ عُباباً ... بزورق مُبحر أعلى شِراعه

ودَرّست المبادئَ والسجايا ... كأنك كنت تزرعُها زراعة

وربّيت الأماجدَ تصطفيهم ... وكلٌ منهمُ أبدى انتفاعه

ورسخت التمسك بالمَعالي ... ولم تأخذ مِن الدنيا لعاعة

وقدمت القصائدَ كاللآلي ... تفوقُ الدُر – صِدقاً – في النصاعة

و(جوهرُك النفيسُ) دليلُ قولي ... تَزينُ نصوصُه طِرسَ الطِباعة

وفذ في (الرسالة) عبقريٌ ... وفيها يَشتهي القاري مَتاعه

وفي (الأم) التفقهُ مُستنيرٌ ... يصدُ الخَصمَ مُحتملاً نِزاعه

ومُسندُك احتوى كم مِن حديثٍ ... رواهُ البعض ، أو روتِ الجماعة

وجابهت الطواغيَ دون خوفٍ! ... وغيرُك ساقَ – في البلوى - وِجاعه

وناظرت الخصومَ بفيض علم ... وخلّفَ علمُك الجمُ القناعة

ولكنْ لابتداع البعض بأسٌ ... وبعضٌ منهمُ لفظ ابتداعه

وأفحمـــــت المُنـــــاوئ فـــــي التلاحـــــي ... فأبـــدى – فـــي المنـــاظرة ـ التياعـــه

وكـــــم ســـــافرت أســـــفاراً طِـــــوالاً! ... وكـــــم عاملـــــت تُجـــــاراً وباعـــــة!

وكـــــم أهـــديت نصـــحَك مـــن تعـــدى ... وإن يـــكُ لـــم يُناولـــك اســـتماعه

وكـــــم قابلـــــت مُـــــنفعلاً بحِلـــــم ... ولطـــــفٍ رافعـــــاً كَـــــف الضـــــراعة!

وكـــــم أحســـــنت فـــــي سِـــــر وجَهـــــر ... وشِـــــيمتُك التفضـــــلُ والوَداعـــــة!

وكـــــم أخلصـــــت ترجـــــو لَـــــمّ شَـــــمْل ... يُعـــاني النـــاسُ – فـــي الـــدنيا – انقطاعـــه!

وكـــــم أبـــــدعت فـــــي إيصـــــال رأي ... لتـــدفعَ مـــا افتـــرى أهـــل الوضـــاعة!

وأقنعـــــت (الرشـــــيدَ) بـــــلا افتئـــــاتٍ ... وقـــــد ذهبـــــتْ بحِكمتـــــه الإشـــــاعة!

فقـــــال: (الشـــــافعي) إمـــــامُ حـــــق! ... لأجلـــــك قانعـــــاً عقـــــد اجتماعـــــه

وقـــــدّرَ مـــــا تُقـــــدّم مـــــن علـــــوم ... وقـــــال: أمُـــــرْ تجـــد ســـمعاً وطاعـــة!

وفـــــكّ القيـــــد معتـــــذراً لشـــــيخ! ... ونظـــف مـــا اعتـــرى ـ أسِـــفاً ـ ذراعـــه

فقلـــــتَ: أعـــــودُ منتصـــــراً عزيـــــزاً ... فقـــــال: اذهـــــبْ ، ولكـــــنْ بعـــــد ســـــاعة

وكانـــــت عنـــــده شـــــتى القضـــــايا ... فـــــأرهفَ – فـــــي تـــــداولها ـ ســـــماعه

علـــــى أهـــــل الكـــــلام رُئيـــــت ليثـــــاً ... فكـــــلٌ مـــــنهمُ أزجـــــى خِداعـــــه

وسَـــــعّر حقـــــده حربـــــاً ضروســـــاً ... وبـــــالغ فـــــي التنطـــــع والفظاعـــــة

وأشـــــهرَ ســـــيفه حســـــداً وحِنقـــــاً ... وكـــــان كلامُـــــه أنكـــــى شـــــناعة

وجـــــاء (الشـــــافعي) فـــــردّ كيـــــداً ... وأبطـــــل بـــــاطلاً يُغـــــري سِـــــباعه

ودافـــــع عـــــن حيـــــاض الـــــدين فـــــرداً ... وجنـــــدل مُنكَـــــراً يُزجـــــي ضِـــــباعه

وأخمـــــدَ فِتنـــــة بَلغـــــتْ مَـــــداها ... كبَكـــــر عنـــــدما لقيـــــتْ (خزاعـــــة)

ألا يـــــا (شـــــافعي) لـــــك التحايـــــا ... ومَتعـــــك المُهـــــيمنُ بالشـــــفاعة

شـــــفاعة (أحمـــــدٍ) يـــــوم التنـــــادي! ... وخفـــفَ عنـــك ـ فـــي المـــأوى ـ وِجاعـــه!

أخرْتُ عمّنْ هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)

(أحبتْ هذه الزوجة زوجها حباً جماً ، وأخلصتْ في تبعلها له ولعياله! ولكنه ابتلي بالتطلع للنساء الأخريات والتعلق بهن للحد الذي بات الناس قاصيهم ودانيهم يتكلمون عنه!! واشتهرتْ حكايته في القرية! ووصل الأمر متأخراً لزوجته التي قررت ردعه ونهيه وزجره ، وأملتْ أن يعود لرشده وصوابه! فوعظته فلم يجد الوعظ! ونصحته فلم تنفع النصيحة! فدعتْ له الله رب العالمين أن يهدي قلبه! وقررت أن تقاطعه أياماً لعله يرجع ويتوب! واعتادت أن ترد عليه سلامه في سرها بينها وبين الله! فراح يسألها: ما لكِ لا تردّين سلامي؟ وإلى هنا انتهى المشهد بينهما لينفتح على قصيدة أعارض فيها الشاعر السعودي الكبير الأستاذ حمزة شحاته في قصيدته: (ما لي أراها لا ترد سلامي؟) ورأيتُ أنه مناسب للموقف الذي أردت التعبير عنه لكن من جانب المرأة لا من جانب الرجل! فتخيلتها تجيب على سؤال شاعرنا حمزة فتقول: بسبب تطلعك للنساء الأخريات وذيوع صيتك فأنا لا أرد عليك السلام لعلك ترجع إلى رشدك! ويحلو لكثيرين أن يشوهوا مفهوم الحب في ديننا! والحقيقة أن الحب في حد ذاته ليس حرامًا ، وهذا بشرط أن ينتهي بالزواج! فإذا لم يتوج الحب بالزواج كان عبثاً محرماً ، وعلى حد ما ذكرت (إسلام ويب): بمعنى ألا تترك العلاقة بين الجنسين بحجة أنهما سيتزوجان ، بل لا بد من أخذ خطوة عملية ، مع قطع جميع العلاقات السرية! ولكن الذي لا يمكن القول بحُرمته أن يجد المرء في نفسه ميلاً للآخر ، ولكن التنفيذ العملي لهذه العلاقة يكون بشكل شرعي وهو الزواج ، وتسمية العلاقة بين الجنسين بالحب العفيف لا اعتبار لها في الشرع ، على الصورة السائدة بين الشباب والفتيات ، فالحب العفيف هو ميل الرجل للمرأة دون أن تكون هناك علاقة ، قبل اتخاذ خطوا ت الزواج. ويختلقون حديثاً مكذوباً على النبي – صلى الله عليه وسلم -! يقول الدكتور رفعت فوزي: قال رسول صلى الله عليه وسلم: "مَن أحبَّ فعشِق فعفَّ فصبر ثم مات فهو شهيدٌ"! هذا الحديث أو ما يُدَّعى أنه حديث - موضوعٌ. قال العلامة ابن القيم: (ولا تغترّ بالحديث الموضوع على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم ساقه من طُرق ضعيفة ، ثم قال: فإن هذا الحديث لا يصح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا يجوز أن يكون كلامه - صلى الله عليه وسلم - فإن الشهادة درجة عالية عند الله - عزّ وجلّ - مقرونة بدرجة الصِّدّيقيّة ، ولها أعمال وأحوال هي شروط في حصولِها ، ليس العشق واحِدًا منها وكيف يكون العشقُ الذي هو شرك المحبة وفراغ عن الله ، وتمليك القلب والرُّوح والحب لغيره تُنال به درجة الشهادة هذا من المُحال ، فإن إفساد عشق الصور للقلب فوق كل إفساد ، بل هو خمْر الرُّوح الذي يُسكرها ويصدُّها عن ذكر الله وحبِّه والتلذُّذ بمُناجاته والأنس به ، ويوجب عبودية القلب لغيره ، فإن قلب العاشق متعبِّد لمعشوقه ، بل العشق لُبُّ العبودية ، فإنها كمال الذُّلِّ والحب والخضوع ، والتعظيم ، فكيف يكون تعبد القلب لغير الله مما تُنال به درجة أفاضل الموحِّدين وساداتِهم وخواصِّ الأولياء؟ ولا يحفظ عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لفظُ العِشق من حديث صحيح البتّة). هذا ونضيف إلى ما قاله ابن القيم - رحمه الله - أن هذا الحبَّ الذي يسمُّونه عفيفًا والذي ينشأ بين رجل وبين امرأة أجنبيّة عنه إنما مداخله النظر غير المباح ، أو الخلوات غير المشروعة بالمرة ، أو من كلام طرف منهما لآخر يظهر له فيها حبَّه وهيامه ؛ وما بدأ بحرام فإنه يؤدِّي إلى ما لا تُحمد عُقباه. وإذن فبطلة قصيدتنا هي زوجة ابتليت بزوج هو إلى زير النساء أقرب منه إلى الرجال الأسوياء! من أجل ذلك كانت كلماتها صعبة ولهجتها قاسية لردع زوجها عن غيه!)

أخـــــرتُ عمّـــــن هـــــانَ ردّ ســـــلامي! إذ إنـــــه لـــــم ينتصـــــتْ لكلامـــــي!

ألفيتُـــــــهُ لا يرعـــــــوي لنصـــــــيحتي مســـــــتهزئاً بمـــــــواعظي ومَلامـــــــي

مســـــتعذباً أخطـــــاءه كلِفـــــاً بهـــــا ... ومجـــــــاهراً بـــــــالهُزء والآثـــــــام

ومغـــــازلاً بعـــــضَ النســـــاء تحـــــايُلاً ... حتـــــى أصـــــيبَ مِـــــن النســـــا بســـــهام

ومُواعـــــداً هـــــذي ليلتقيـــــا معـــــاً ... مِـــــن بعـــــد أن مُنِيـــــا بطيـــــف غـــــرام

ومُعشّـــــماً أخـــــرى بلقيـــــا فـــــي المَســـــا ... لتطيـــــبَ أمســـــية مـــــع الأنغـــــام

ومُنـــــاولاً أخـــــرى أجنـــــدة لهـــــوهِ ... فيهـــــا تُبـــــاعُ الغِيـــــدُ بيـــــعَ ســـــوام

فيهـــــا المواعيـــــدُ الوضـــــيعة رُتبـــــتْ ... بتناســـــــق ورويـــــــةٍ ونظـــــــام

فيهـــــا الكـــــؤوسُ تعتقـــــتْ لمـــــن اشـــــتهى ... ليُهـــــيج قـــــيسَ الحـــــب كـــــأسُ مُـــــدام

يـــــا قـــــيسُ ويحـــــك كيـــــف بعـــــت وصـــــالنا ... أوَلا تحـــــسّ بنوبـــــة اســـــتذمام؟!

أوَلـــــيس فـــــي قلـــــب المُتـــــيّم نخـــــوة ... كـــــي لا يكـــــون ضـــــحية اللـــــوّام؟!

أوَلـــــيس يَقـــــدُرُ للأمـــــور عواقبـــــاً؟! ... مَـــــن – فـــــي الـــــذي يأتيـــــهِ – عنـــــهُ يُحـــــامي؟

يـــــا ليـــــت شِـــــعري كيـــــف شـــــط بـــــه الهـــــوى ... وكأنـــــهُ فـــــي عـــــالم الأحـــــلام؟!

أنســـــاهُ عِشـــــقُ الســـــاقطات حليلـــــة ... تـــــأوي إليـــــه برقـــــةٍ وهُيـــــام

لـــــم تَنســـــهُ أبـــــداً ، وإن هـــــو باعهـــــا ... وتـــــراه كـــــل الأهـــــل والأرحـــــام

وتـــــرى محبتـــــه الحيـــــاة بأســـــرها ... وبـــــرغم مـــــا تحـــــوي مـــــن الآلام

وتـــــرى مَطالبـــــه السِـــــماجَ أوامـــــراً ... فتقـــــومُ بـــــالمطلوب خيـــــرَ قِيـــــام

وتعـــــيش تنظـــــرُ للحيـــــاة بعينـــــه ... حتـــــى رأتْـــــه مُســـــربلاً بظـــــلام

مـــــاذا جنيـــــت ســـــوى خســـــارة حبنـــــا ... إن كنـــــت تـــــذكرُ حبنـــــا المتســـــامي؟!

وتقـــــول: مـــــا لـــــي لا أرد تحيـــــة ... ألقيتَهـــــا مشـــــفوعة بســـــلام؟!

وتقـــــول: شـــــأنُ الغيـــــد يُبـــــدين الجفـــــا! ... أنـــــا مـــــا جفـــــوتُ ، ولا بـــــدأتُ خِصـــــامي!

لا تـــــرم بـــــالظن البريئـــــة ، واعتـــــدلْ ... فـــــاللفظ يَختـــــرقُ الحشـــــا كحُســـــام

والوصـــــفُ يَصْـــــدقُ فـــــي اللـــــواتي بعتنـــــي ... مِـــــن أجلهـــــن بعقلـــــك المنضـــــام!

أنـــا والـــذي رفـــع الســـما معـــذورة ... وكفـــى الـــذي ألقـــاه مـــن إيـــلام

بـــالهزل أنـــت جعلتنـــي أضـــحوكة ... بـــين النســـاء ، ألـــوكُ مُـــر ســـقامي

وســـقطتَ فـــي الأوحـــال دون مبـــرر ... ورتعـــتَ فـــي التشـــبيب والإجـــرام

وتخـــذتَ أخـــداناً ، فصـــرتَ مُســـافحاً ... أوَلـــيس مـــا قـــد جئتَـــه بحـــرام؟!

وتقـــولُ أنـــي لـــم أكـــنْ أخلصـــتُ فـــي ... حبـــي ، فمـــا شـــرط الوفـــا بلِـــزام!

يـــا كاذبـــاً فـــي الحـــب أقصـــرْ ، واصـــدُقنْ ... فالصـــدقُ طبـــعُ المُخلـــص المِقـــدام

وفيـــتُ لكـــنْ خنتنـــي وجرحتنـــي ... وغمـــرت دربَ الحـــب بالألغـــام

وغـــدرت بـــي عمـــداً بـــدون جريـــرةٍ ... وإذا اعترضـــتُ فكنـــتَ أنـــت تُعـــامي

وحكمـــتَ حكمـــاً فـــي القضـــية ظالمـــاً ... لمّـــا حكمـــتَ علـــيّ بالإعـــدام!

وحرمتنـــي مـــن أن أبـــين حُجتـــي ... ومَطـــاعني فـــي ســـيء الأحكـــام

وكأنـــه حكـــمٌ نهـــائيٌ فـــلا اســـ ... ـــتئنافَ أو شـــيئاً مـــن الإبـــرام!

وتقـــول عنـــي: حَرّمـــتْ أو حَللـــتْ ... أو جـــاهرتْ – لمّـــا اعتـــدتْ - بحـــرام

أنـــا لـــم أحِـــلّ ، ولـــم أحـــرّمْ بـــالهوى ... أنـــا لـــم أخـــالف شِـــرعة الإســـلام

أنـــت الـــذي خالفتهـــا متبرمـــاً ... وشـــمخت عـــن وعظـــي بالاســـتعظام

وتقـــول لـــي: فلتـــذكري عهـــدي وخـــا ... فـــي ربنـــا الـــرحمنَ فـــي استســـلامي!

عجبـــاً أتقتـــل مـــن تريـــد وتختفـــي ... وتلـــي جنازتـــه بالاســـتلئام؟!

أنـــت الـــذي خنـــت العهـــودَ جميعَهـــا ... يـــا مؤمنـــاً بالواحـــد العـــلام

أوَلـــيس ميثاقـــا غليظـــاً عقـــدُنا ... باســـم الـــزواج ، وخُـــصّ بالأختـــام؟!

فمـــا تُســـمّي عَقـــدَ بائعـــة الهـــوى ... يـــا صـــاحب التنظيـــر والأفهـــام؟!

أفتـــاة ليلِـــك عَقـــدُها لـــك شـــافعٌ؟! ... أيـــن المـــروءة يـــا أخـــا الإســـلام؟!

أوِلســـت تـــذكرُ يـــوم جئـــت ديارنـــا ... وعلـــيّ كـــان العقـــدُ بـــين فئـــام؟!

أيـــن الحِفـــاظ وقـــد خرقـــت بنـــودَه ... وبـــدون إكـــراهٍ ولا إرغـــام؟!

وتقـــولُ لـــي: لـــولا رجـــاؤك فـــي الوفـــا ... لكرهـــتَ عيشَـــك فـــي ربـــوع هُيـــامي!

أيـــن الوفـــاءُ وأنـــت تقتـــلُ عِشـــقنا ... وتعـــيشُ أشـــقى خِدعـــةٍ وفِصـــام؟!

فـــي الصـــبح زوجٌ فاضـــلٌ متفضـــلٌ ... يعطـــي ويُـــنعِمُ وافـــرَ الإنعـــام

ومســـاوِه للغيـــد منـــبطحُ الإبـــا! ... مثـــلُ الخـــروف يُحـــاط بالأغنـــام

عُـــذراً إذا صـــرّحتُ دون تحفـــظٍ ... أو كـــان كالهنـــديّ بعـــضُ كلامـــي

هـــل يـــا تُـــرى زيـــرُ النســـاء مُكـــرّمٌ ... حتـــى وإنْ مِـــن ماجـــدين كِـــرام؟!

لا لســـت مـــنهم ، أنـــت فـــردٌ آخـــرٌ ... شـــتان بـــين أماجـــدٍ ولِئـــام!

فلربمـــا كـــانوا ، وأنـــت تُشـــينُهم ... والأمـــرُ لـــيس بنســـبةٍ وأســـامي

لـــو أنهـــم بُعِثـــوا وعاشـــوا بيننـــا ... خلعـــوك ، أنـــت تُصـــيبُهم بالســـام!

لا تـــذكر الأقـــوامَ كـــانوا عِليـــة ... واليـــومَ أنـــت معـــرة الأقـــوام

بـــادوا ودامـــت ســـيرة ومســـيرة ... مَـــن ذا يُبـــاري مَجـــدَهم ويُســـامي؟!

لـــك هـــل يكـــون لســـانُ صـــدق مـــثلهم؟ ... مـــا للتـــدني المَحـــض أي دوام!

وتقـــول عنـــي: لـــم أبادلـــك الهـــوى! ... وقصـــيدتي هـــذي دليـــلُ غرامـــي

إن لـــم أحبـــك لـــم ألمْـــك لحيظـــة ... واللـــومُ أشـــعلَ – فـــي الفـــؤاد - هُيـــامي

إن لـــم أغِـــرْ يومـــاً عليـــك رأيتنـــي ... لا أرعـــوي لســـعير قلبـــي الـــدامي

وتقـــول أنـــك صـــرت عبـــداً فـــي الهـــوى ... فلـــم انتهجـــت عبـــادة الأصـــنام؟!

وهـــواي مـــن هـــذي الزيـــوف مبـــروءٌ ... والكـــل يـــدرك سُـــمعتي ومَقـــامي

وتقـــول: روحُـــك فـــي الـــبلاء لـــيَ الفِـــدا ... يـــا مـــن صـــبغت خـــواطري بسُـــخام

أنـــت الـــذي لمّـــا انحرفـــت قتلتنـــي ... وطعنتنـــي فـــي مقتـــل بحُســـام

شـــتان بـــين الحـــب يُشـــرقُ نـــوره ... والحـــبِ يُـــوأدُ فـــي دجـــى الإظـــلام!

وهـــل اســـتوى عـــذبُ الشـــراب بمِلحـــه؟ ... شـــتان بـــين المُـــر والدمـــدام!

أنـــت الـــذي دمـــرت طيّـــبَ حبنـــا ... وأحلـــت ذكـــرى الحـــب بعـــضَ حُطـــام

بلهاثـــك المســـعور خلـــف دواعـــر ... متمرغـــاً فـــي التيـــه والأوهـــام

فرضـــابُ هـــذي المَـــن يَســـحَرُ مَـــن حَســـا! ... ولتلـــك فـــي الغـــادات حلـــوُ قـــوام

وحجـــابُ هاتيـــك الريـــاحُ مضـــتْ بـــه ... فـــإذا الجمـــالُ يطـــيحُ بـــالأحلام

وتكسّـــرُ الهيفـــا يُـــزيّنُ مَشـــيَها ... والمشـــيُ يـــروي كـــل صـــب ظـــامي

وخضـــوعُ فاتنـــة بســـامر قولهـــا ... يســـبيك أنـــت فتنـــت بالأنغـــام

هـــذا التبـــرجُ والســـفورُ رذيلـــة ... ذهبـــتْ بعينَـــيْ أشـــيبٍ وغـــلام

وفريســـة الغـــادات أطلـــقَ عينـــه ... فاســـتُبدلت نظراتُهـــا بســـهام

مَـــن صـــاد مَـــن بـــين الـــورى يـــا صـــاحبي؟ ... أصـــطدتها لنصـــاعة الـــدرهام؟

أم يـــا تُـــرى صـــادتك بالحُســـن الـــذي ... أغـــرى كحُســـن ســـوائم الأفـــلام!

أرســـلن للعينـــين أمضـــى أســـهُم ... والقلـــبُ مـــا عـــانى لظـــى الإيـــلام

ولـــو اتقيـــت لمَـــا أصِـــبت بطعنهـــا ... ولمَـــا اصـــطليت بـــذا اللهيـــب الحـــامي

إن التفـــاخر بالســـواقط مَطعـــنٌ ... يأتيـــه شـــرُ طوائـــفٍ وطغـــام

وأراك تفخـــرُ بالقبيلـــة والألـــى ... رحلـــوا ، فأنـــت مُزايـــدٌ وعِظـــامي

كـــم كنـــتُ أرجـــو أن تجـــوز ســـبيلهم ... وفـــق الشـــريعة مثـــلَ كـــل عِصـــامي

لا تُشْـــهرنْ ســـيفَ المَلامـــة ، وامتثـــلْ ... أدبَ الحـــوار ، وقـــلْ صـــحيحَ كـــلام

وســـل الإلـــهَ التـــوبَ ، والـــتمس التقـــى ... والهـــجْ لمولانـــا بالاســـترحام

إن تبـــتَ مِـــن ذنـــب أزفُ تحيتـــي ... وأزيـــدُ مَكرُمَتـــي وعـــذبَ كلامـــي

وأعـــودُ للـــزوج الكـــريم حبيبـــة ... وأخـــصّ لقيـــاهُ بطـــرح ســـلامي!

ارجعْ إليا! (معارضة لنزار قباني)

(أصيب ذلك الزوج اليماني في حادثٍ كانت معه فيه زوجته وأولاده! وأصيبوا جميعاً بإصابات وكدمات وجروح أمكن علاجها ولله الحمد! أما هو فكانت إصابته بالغة ، حيث بقيَ تحت العلاج عدة سنوات فاقداً للوعي تماماً! وفي العام السابع وعبر ساعات الليل ، دخل الطبيب المناوب ليجد مريضنا فاقد الوعي يسأله وقد عادت له الذاكرة: أين أنا؟ فلم يرد عليه ، بل استوثقَ من رجوع الذاكرة والتماثل للشفاء ، وفرح طاقمُ المستشفى من رئيس القسم حتى الحارس ، وتبادلوا التهاني والتبريكات! بينما اتصل الطبيب المناوب بزوجته ، وكانت تتوقع من خلال شاشة الهاتف أنه النبأ المتوقع من المستشفى من سنين بوفاة زوجها نظراً لتوقف الأجهزة وتوقف القلب معها وانعدام التنفس ، وذلك لتبدأ في إجراءات الغسل والتكفين والصلاة والدفن! ولكن الطبيب فاجأها بقوله: لقد عادت الذاكرة لفلان وأصبح يُميز كل شيء حوله وما به بأس! ولم يزد الطبيب على ذلك! ففرحت فرحاً شديداً أعجزها تماماً عن الكلام وشكر الطبيب على اتصاله ومجاملته الرقيقة! وكل الذي تذكره هو قولها في حالةٍ من البكاء المختلط بالضحك: الحمد لله! وسقط الهاتف من يدها ، وبدأت تنظر إلى الأولاد وهم نائمون ، وتخيلت فرحتهم وفرحة الدار بكامل ما فيها من جدران ونوافذٍ وصالة وحجراتٍ ومتاع وأثاثٍ وأبواب! وهنا حاولتُ وصفَ شعور هذه المرأة اليمنية شعراً ، فاخترتُ قصيدة نزار قباني: (ارجع إليا!) ورأيتُها مناسبة للموقف ، فعارضتُها حكاية على لسان اليمنية الزوجة المحترمة الوقورة ، وليست العاشقة ولا فتاة الليل ولا بائعة الهوى التي ربّت جدائل شعرها وشالات الحرير والعطور والمساحيق لعشيقها ، معاذ الله! فتخيلتُها في شعورها وإحساسها اليماني الرقيق اللطيف تقول لزوجها: ارجع إلي يا رجُلي ، أنا وأولادي مشتاقون إليك!)

متى ستُدرك كم فرحتُ يا رَجُلي ... فرْحاً تتيه به الدنيا ومن فيها

يكاد يذهبُ بي الحُبورُ مذهبه ... والنفسُ تختالُ في ساح الرضا تِيها

أنا حمدتُ إلهَ الناس مُوقنة ... نفسي برحمة ربي اليوم تُشجيها

وأسعَدتْ دارنا أحلى مُكالمةٍ ... وذِكرُ رب الورى أضحى يُحليها

ولو رأيت زواياها وصالتها ... وللسرور صَدىً يغشى مَغانيها

وللنوافذ تغريدٌ يُشوّقنا ... وللستائر ترجيعٌ يُسليها

وللحوائط ألوانٌ تُزخرفها ... برغم أن لم تكنْ أصباغَ تطليها

ولو ترى حجرات الدار باسمة ... مِن بعد أن كادت الأحزان تطويها

حتى المزاليج صدقْ ما بها صدأ ... مِن بعد أن كانت الأصداء تُرديها

وللسقوف أضاحيكُ تُسامرنا ... فتلك يُضحكُها رجوعُ بانيها

ولـــو تـــرى شُـــرُفات الـــدار ســـامرة ... تســـتقبلُ العائـــدَ الـــذي يُجافيهـــا

ولـــو رأيـــت علـــى الأبـــواب زركشـــة ... حتـــى وإن أوصـــدت علـــى أهاليهـــا

للنـــوم أخلـــدَ أولادي بـــلا بُشُـــر ... ولا أنـــوّه مـــا أقـــول تنويهـــا

ولـــيس مِـــن عـــادتي فـــي الليـــل أوقظهـــم ... لكـــنْ لفجْـــرهمُ كـــلٌ يُصَـــليها

وكـــم وددتُ بـــأن يَصـــحوا أبشـــرهم! ... هديـــة هـــذه البشـــرى ســـأهديها

وكـــم وددتُ كـــذا تبشـــير عـــائلتي! ... فســـوف تســـعد قاصـــيها ودانيهـــا

يـــا حُـــب قلبـــي أنـــا شـــكوتُ مُعضـــلتي ... وضـــيقَ نفســـي إلـــى الـــرحمن باريهـــا

أعوامُنـــا الســـبعُ ذي كأنهـــا حِقـــبٌ ... فيهـــا المصـــائبُ تتـــرى لســـتُ أحصـــيها

زرنـــاك فيهـــا زيـــاراتٍ مُقطعـــة ... عافـــاك ربـــك مِـــن أقســـى بلاويهـــا

وقـــد فقـــدنا الـــذي نظـــن مـــن أمـــل ... فـــي أن تعـــود لـــك الـــذكرى تُناغيهـــا

لكنـــه أمـــلٌ فـــي الله دام لنـــا ... والـــنفس إن يئســـتْ خابـــت أمانيهـــا

وعنـــك نســـأل ، والجـــوابُ يُحرجُنـــا ... والـــذكرياتُ يُؤذينـــا تواليهـــا

وللأطبـــاء تصـــبيرٌ يُهـــدئنا ... والـــنفسُ تنشـــدُ مَـــن عطفـــاً يُهـــدّيها

وبـــالقلوب جـــوىً ، وبـــالنفوس أســـىً ... أمـــا العيـــونُ فقـــد ســـالت مآقيهـــا

ولـــم نمـــلّ دعـــاءَ الله صُـــبحَ مَســـا ... إن المهـــيمن بـــاري الـــنفس شـــافيها

ارجـــعْ إلـــيّ أنـــا بالشـــوق والهـــة ... والـــنفسُ هاجـــت لِمـــا تلقـــى دواعيهـــا

داري أعِـــدّ لمـــن؟ شـــوقي أســـوقُ لمـــن؟ ... وقصـــتي للـــورى مَـــن ذا ســـيرويها؟

حبـــي أكِـــن لمـــن؟ لمـــن غرامـــي لمـــن؟ ... عِرضـــي وطفلـــي وداري مـــن ســـيحميها؟

عطفـــي وجـــودي لمـــن؟ عشـــقي وودي لمـــن؟ ... ومـــن ســـيكتم أســـراراً أخبيهـــا؟

هـــذي العبـــاءات فـــي بيتـــي مُتلتلـــة ... مَـــن ذا عهـــدتُ بـــلا مَـــنّ ســـيكويها؟

ومـــا لـــديّ - علـــى الرفـــوف - مـــن حُقـــن ... مـــن ذا لمـــن مرضـــوا فـــي البيـــت يعطيهـــا؟

ومـــا لـــدي مـــن الأمـــوال مودعـــة ... مـــن ذا علـــى مـــنهج التقـــوى يُنميهـــا؟

وما لديّ من الأغنام قد عدمتْ ... مَرعى وراعيَها ، فمَن يُربّيها؟

ارجعْ إليّ أنا ذقتُ العنا زمناً ... والنفسُ قد رخصتْ ، فمن سيُغليها؟

والعائداتُ دَهتْ روحي ، فذبتُ جوىً ... والروحُ إن وهنتْ ، فمَن يُقويها؟

ارجعْ فعيشي بلا وجودكم عدمٌ ... وأنت سيد داري ، بل وراعيها

ارجعْ لكي تجد الأولاد في شغفٍ ... هذي المحبة مَن بالروح يفديها؟

ارجعْ فأنت أغاريدي وكل غدي ... والعيشُ دونك آلامٌ أعانيها

ارجعْ كما أنت نوراً في دياجرنا ... يا قصة عذبة أنا سأحكيها

ارجع كما أنت شعراً نستلذ به ... أنت القصيدة شاقتنا معانيها

ارجعْ إلينا جميعاً تاج أرؤسنا ... فما معيشتنا إن لم تكن فيها؟

أسماءُ الله الحسنى (معارضة لمليجي علي غانم)

(نشرت مجلة (الضياء) هنا بالإمارات العدد 32 في سبتمبر 1993م ، ص39 قصيدة لأستاذنا الشاعر مليجي علي غانم. وهى حوالي 70 بيت من الوافر. وكان عنوانها (أسماء الله الحسنى) ، وقام كل بيت باسم من أسماء الله الحسنى. ولما كانت دون الـ 99 اسم الواردة في حديثه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، رأيت أن أنظم في مدح الله رب العالمين قصيدتي هذى. ذلك أنه ليس هناك من يحب المدحة أكثر من الله رب العالمين؟ وإن مدح الله عز وجل من صميم العبادة. وكثير من الشعراء مدحوا النبي – صلى الله عليه وسلم ـ ، وكانوا في ذلك بين المقل والمكثر ، وبين المنصف والغالي! ألا وإن الله – عز وجل – أولى بالمدحة. فوجدت ـ بعد دراسة استقرائية واسعة النطاق في القديم والحديث ـ أن قليلاً من الشعراء كانوا قد مدحوا الله – عز وجل ـ. فواعجباً: الشاعر يكتب فيبالغ في مدح النبي – صلى الله عليه وسلم – فيأثم عندما يخرجه عن بشريته ، ويخلع عليه – صلى الله عليه وسلم ـ بعض الصفات الربانية ، ولا أضرب أمثلة على ذلك ، فهي كثيرة ومعروفة! على حين إن هو أنشد فبالغ في مدح رب البرية فإنه يؤجر! ذلك أنه مهما بالغ في وصف ربه تبارك وتعالى ، فالله تعالى أعلى وأجل وأسمى من وصفه! ومن ذا الذي استطاع أن يصف الله نثراً أو شعراً؟! ويجدر بنا أن نلحق بالقصيدة هذا الفاصل الذي نقتبسه بتصرف من ابن عثيمين: (يقول الله عزَّ وجل: "وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ" ، يعلم كلُّ مسلمٍ أن الله سبحانه وتعالى جعل لنفسه أسماءً وصفات كاملةً وخاليةً من النُّقصان ، حيث إنَّ المسلم يتعبَّد الله سبحانه تعالى ويتقرَّب إليه ويدعوه بها. كما أنه لكلِّ اسمٍ من هذه الأسماء معنى متكامل ، فأسماء الله هي أعلامٌ مشتقَّةٌ من صفات وتدل على معنى ، وأما أسماء المخلوقين فهي أعلامٌ مجرَّدة لا تدل على صفةٍ بهذا المخلوق ، فهي جامدة من غير أية دلالة معنى أو صفة. أسماء الله تعالى توقيفية معنى توقيفية ، أي أنها موقوفة على ورود الشَّرع بها ، فهي التي يتوقف إثباته أو نحوه على قول الشَّرع ، إذاً لا يجوز لنا أن نسمِّي الله بما لم يُسَمِّ به نفسه ، والأدلَّة على ذلك تأتي من الأثر والنَّظر ، كالتالي: الدليل من الأثر ، قوله سبحانه وتعالى: "قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ، وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ" ، فإثبات اسمٍ لله لم يُسَمِّ به نفسه ، يعتبر من القول على الله بلا علم وهو حرام ؛ وذلك لقول الله تعالى: "وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً". الدليل من النَّظر ، من طبيعةِ الإنسان أن يستاء إن سمَّيناه بما لم يُسَمِّ به نفسه أو ما لم يُسمِّه به أبوه ، فمن باب الأولى أن نتأدَّب مع الخالق سبحانه وتعالى وأن لا نتعدَّى عليه بتسميته بما لم يُسَمِّ به نفسه ، وكما أن الله تعالى قال: "ولله الأَسْمَاءُ الحُسْنَى" أي أنها بلغت كمال الحُسْنِ ، فهي خاليةٌ من النُّقصانِ ، فمن أين لنا أن نعلم إن سمَّيْنا الله باسمٍ من عندنا أن هذا الاسم بلغ كمال الحُسْنِ ، كما يريده الله سبحانه وتعالى لنفسه؟ رأينا مما سبق أنه من الواجب علينا التَّعرُّفُ إلى أسماءِ الله وصفاته الدَّالة عليه حتى نكون أكثرَ عِلماً بخالقنا من غير مُبالغةٍ بذلك ولا تقصير ، فما ورد بالشَّرع نأخذه كما هو من غير زيادةٍ أو نُقصان ، كما أننا نأخذ هذه الأسماء والصِّفات بفهم الشَّرع ، ولا نتعدَّى بالسؤال عنها ، فما سأل عنه الصَّحابة رضوان الله عليهم نأخذه ، وما سكتوا عنه نتركه ، فلا يأتِ سائلٌ ويسأل عن أمورٍ لم يتكلم بها لا الشَّارع ولا الصَّحابة من قبل).هـ. حفظ الله ابن العثيمين ونفع بعلمه. ومن هنا آثرت أن يكون من بين أشعاري هذه المدحة الربانية التي

تستغرق أسماءه الحسنى ، تباركت أسماؤه ، وجلت صفاته ، وتقدست ذاته – عز وجل -. وأعرف جيداً أنني لم أبلغ مستوى الأستاذ الشاعر القدير مليجي على غانم ، ولكنه شرف المحاولة يحدوني في كل مرة ، وأرجو أنْ لا أحرم عند الله أجر اجتهادي ومحاولتي. كما أنني أذكر هنا أن السبق دائماً للأول مهما بلغ الذي يليه من شأن وشأو ومنزلة. وأعرض ابتداء بشيء عن قصيدة الأستاذ مليجي فإنه بدأ قصيدته بأفضل اسم فقال:

تعـــــــالى اللهُ ربُ العالمينـــــــا نُوحـــده ونســـأله اليقينـــا . الـــله

ويـــا رحمـــن بـــالأكوان هبنـــا لكـــل أمورنـــا فتحـــاً مبينـــا . الـــرحمن

رحـــيم بـــالخلائق كـــن معينـــا وثبتنـــا وكـــل المســـلمينا . الـــرحيم

واستمر الشاعر القدير المحترم في ذكره الأسماء الربانية الحسنى بنفس شرعي عذب إلى قوله:

ومقتـــــدر تولانـــــا بهـــــدي ونـــور منـــك رب العالمينـــا . المقتـــدر

وأنـــت مقـــدم قـــدّمْ شـــؤوني إلـــى الخيـــرات واهـــد الســـائرينا . المـقـــدم

وإن كنتُ آثرتُ البحرَ الذي مدح به البوصيري وشوقي نبينا:)

الحمـــد لله بـــاري الخلـــق والنســـمِ حمـــداً جهـــرتُ بـــه بـــالروح قبـــل دمـــي

حمـــداً كثيـــراً جمـــيلاً ، لا حـــدود لـــه مباركـــاً طيبـــاً فـــي غايـــة العِظَـــم

إنـــي لأحمـــده ، وأســـتعين بـــه دومـــاً ، وأســـتغفر الـــرحمن مـــن لَمَمـــي

وأســـتعيذ بـــه مـــن الشـــرور زَكَـــتْ فـــي الـــنفس ، حتـــى أتـــتْ كبـــائرَ الجُـــرمُ

وأرتجـــي عونـــه فـــي كـــل نائبـــة وأســـتجير بـــه مـــن شِـــدة الـــنَّقَم

وأطلـــب العفـــو عـــن ذنبـــي ومعصـــيتي مـــن واهـــب العفـــو والأرزاق و القِسَـــم

وأســـأل الله أن للحـــق يَهـــديَني فـــإن مَـــن يَهـــده الـــرحمنُ يَســـتقمِ

وإنّ مَـــن يُضـــلل المـــولى فلـــيس لـــه هـــادٍ يقـــود الخطـــا للمـــنهج الّلقِـــم

وبعـــدُ. أشـــهد أن الله لـــيس لـــه نِـــدٌّ ، فســـبحانه مـــن واحـــدٍ حكـــم!

فـــلا إلـــه ســـوى الـــديان خالقنـــا وخـــالق النـــاس والأكـــوان مـــن عـــدم

وأن (أحمـــد) هادينـــا ومرشـــدُنا رســـول رب الـــورى للعُـــرْب والعَجَـــم

فصَـــلِّ رب علـــى الهـــادي وعِترتـــه ... والصـــحب ، ثـــم علـــى أزواجـــه العُصُـــم

ونشـــكر (الله) مَـــن للحـــق أرشـــدنا ... تبـــــارك الله ، ذو جُـــــودٍ وذو كـــــرم

(رحمـــنُ) دنيـــا الـــورى رحمـــنُ ضـــرتها ... ورحمـــــة الله تُجلـــــي داجـــــيَ الظَلَـــــم

هـــو (الـــرحيم) تَعـــم الخلـــقَ رحمتُـــه ... ولا حـــــدود لمـــــا لله مـــــن رُحُـــــم

وربنـــا (الملـــكُ) الـــذي لـــه خضـــعتْ ... كـــل الخلائـــق ، عـــن طَـــوْع وعـــن رَغَـــم

وإن خالقنـــــا (القـــــدوس) نعمتُـــــه ... تكـــاد تَـــرجَحُ مـــا فـــي الأرض مـــن نِعَـــم

هـــو (الســـلام) ، تعـــالى أن يحـــيط بـــه ... وصـــفُ ولـــو حـــاز مـــا فـــي الأرض مـــن كَلِـــم

و(المـــؤمن) الله ، أهـــلُ الخيـــر أمَّـــنَهُم ... مـــن العـــذاب ، فمـــا عـــانَوْا مـــن الضـــرم

هـــو (المهـــيمن) كـــل الكـــون قبضـــتُه ... ولـــيس هـــذا عـــن الـــدنيا بمُنـــبهِم

هـــو (العزيـــز) فمَـــن فـــي الأرض يغلبـــهِ؟ ... ولـــو يُجَمِّـــعُ مـــا فـــي الكـــون مـــن نَسَـــم

وإن رب الـــورى (الجبـــار) (منـــتقم) ... مـــن الطغـــاة ، فـــإن الـــرب ذو نِقَـــم

وربنـــا (المتكبـــر) الـــذي قـــد ســـما ... فـــي كـــل وصـــفٍ لـــه عـــن ســـيئ الـــتُهَم

و(الخـــالق) اللهُ ، كـــل الخلـــق صـــنعتُه ... كـــل الســـماوات والأمـــلاكِ والـــنّجُمِ

والأرضُ والنـــاس والأكـــوان أجمعُهـــا ... كـــل الطيـــور شـــدتْ والشـــاءِ والـــنّعَم

و(البـــارئ) الله ، مِـــن لا شـــيءَ أوجـــدنا ... فكـــان خَلقـــاً بـــديعاً بَـــالِغَ العِظـــم

هـــو (المصـــور) فـــي الأرحـــام صـــوَّرنا ... كمـــا يشـــاء ، وأجلـــى الطفـــل عـــن رَحِـــم

وإن بارئنـــا (الغفـــار) مـــا اجترحـــتْ ... نفـــسُ يُحَطمهـــا الشـــيطانُ بـــاللّمَم

وربنـــا الخـــالق (القهـــار) مَـــن قَهـــرت ... لـــه الخلائـــق مـــن غوغـــا ومـــن أمَـــم

وربنـــا البـــارئ (الوهـــاب) أنعُمُـــهِ ... علـــى العبيـــد تُـــوافي خَيـــرَ مُغتَـــنَم

وربنـــا المـــنعم (الـــرازق) فضَّـــلنا ... بـــوافر الـــرزق والخيـــراتِ والـــديَم

وربنـــا الـــراحم (الفتـــاح) ، يفـــتح مـــا ... سُـــدَّتْ منافـــذه بالقيْـــد والخُـــذم

و(القـــابض الباســـط) الـــذي بحكمتـــه يحيـــا الأناســـيّ فـــي عطائـــه العَمَـــم

إن يفـــتح الله فـــي الـــدنيا علـــى أمـــم تفيـــأت ظَلَـــل العَطـــاءِ والكَـــرم

وإن يُضـــيقْ علـــى قـــوم ليَفتـــنهم فـــازوا إذا لـــم يكـــن شـــيءٌ مـــن السَّـــأم

و(الخـــافض الرافـــع) الـــذي بطاعتـــه يجنـــي الـــورى أشـــرف الألقـــاب والسِّـــيِم

هـــو (المعـــز) لمـــن يعـــيش متبعـــاً هُـــدى الشـــريعة فـــي حـــب وفـــي نَهَـــم

هـــو (المُـــذلُّ) لمـــن يعصـــيه دون حيـــا ذلاً يُجرِّعـــــه مـــــرارة النّـــــدم

هـــو (الســـميع) لمـــن يـــدعوه ملتجئـــاً فـــي الصـــبح يُزْجـــي الـــدعا أو فـــي دجـــى الغَسَـــم

هـــو (البصـــير) بـــلا عـــين كأعيننـــا جـــل المليـــكُ ، فمـــا لـــذا الإلـــه سَـــمِي

وربنـــا (العـــدل) ، مولانـــا الـــذي رضـــيتْ بحُكمـــه النـــاس ، إلا خـــائنو الـــذمَمِ

هـــو (اللطيـــف) الـــذي أفعالُـــه لَطَفَـــتْ بكـــل عبـــدٍ إلـــى قضـــاه مُحـــتكم

هـــو (الخبيـــر) الـــذي أحـــاط علمـــاً بمـــا فـــي الكـــون مـــن خبـــر خـــافٍ ومـــزدحم

هـــو (الحلـــيم) علـــى العصـــاة أجمعهـــم كـــالحِلم أمضـــاه آمـــاداً علـــى (إرَم)

هـــو (العظـــيم) ، ومـــا عـــداه محتقَـــرٌ وهـــل كمثـــل (العلـــيّ الواحـــدِ) الحَكَـــم؟

هـــو (الغفـــور) لمَـــن بالـــذنب مـــرتهنٌ كـــيلا يُجنـــدَل فـــي عصـــيانه الـــوَخِم

هـــو (الشـــكور) لمـــن يُقـــيم شـــرعتَه ومَـــن يـــذق شـــكرهُ بـــالحق يَعتصـــم

هـــو (الكبيـــر الحفـــيظ البَـــرُّ) مِنّتُـــه علـــى البريـــة تزجـــي وافـــر الـــرُحُم

هـــو (المُغيـــث المُقيـــت الحـــق) رحمتُـــه عمَّـــت جميـــع الـــورى كالصـــيّب العَمَـــم

هـــو (الحســـيب الجليـــل النـــور) خالقنـــا ونـــور هـــذي الـــدنا مِـــن نـــوره الـــتَّمم

هـــو (الكـــريم) ، تعـــالى عـــن مُشـــابهةٍ يومـــاً تُبـــاري مليـــكَ النـــاس فـــي الكـــرم

هـــو (الرقيـــبُ المجيـــبُ) الســـؤلَ تكرمـــةً فيَســـتجيب دُعـــا المضـــطر فـــي الإزم

وربنـــا (الواســـع الحكـــيم) ، حكمتُـــه عمَّـــتْ خلائقـــه بـــاللطف والحِكَـــم

هـــو (الـــودود المجيـــد) الحـــق رازقَنـــا ومَجـــدُه فـــي الـــذرى مِـــن طيِّـــب الشِّـــيَم

وربنـــا (الباعـــث الشـــهيد) ، يعلـــم مـــا نأتيـــه مـــن طيّـــب الأفعـــال واللّمـــم

هـــو (الوكيـــل القـــويّ) العـــدلُ ، قوتـــه تعيـــد حـــق الـــورى مـــن ظـــالم غَلِـــم

هـــو (المتـــين الـــوليّ) البـــر ناصـــرنا مـــن بـــأس مُســـتقتِل فـــي ظلمـــه غَشِـــم

هـــو (الحميـــد) هـــو (المُحْصـــي) مَقادِرَنـــا حتـــى الخُطـــا قـــد خطاهـــا العبـــدُ بالقَـــدَمِ

وربنـــا (المبـــدئ المعيـــد) مَـــن هلكـــوا يـــوم الحســـاب مـــن الأجـــداث والـــرُّجُم

وإن رب الـــورى (المُحْيـــي) بقولـــة كُـــن فـــالله أحيـــا الألـــى مـــاتوا مـــن العَـــدَم

هـــو (المميـــتُ) لكـــل النـــاس قاطبـــة والمـــوت يُصـــبح فـــي درب ومعـــتلم

و(الحـــي) خالقنـــا (القيـــوم) نعبـــده لـــولاه شـــأن الـــورى والخلـــق لـــم يَقُـــم

و(الواجـــد الماجـــد) الـــذي تُمجِّـــده كـــل الخلائـــق تمجيـــداً بـــلا ســـأم

و(الواحـــد الصـــمد) الـــذي لـــه لجـــأتْ كـــل البرايـــا لكشـــف الضُّـــر والســـقم

و(القـــادر) الله إذ لا شـــيء يُعجـــزُه والله مُـــوهِنُ مـــا بـــالنفس مـــن غَمَـــم

وربنـــا الله جبـــارُ و(مُقتـــدرٌ) علـــى الطغـــاة ذوي الأخطـــار والقُحَـــم

هـــو (المقـــدّم) أقوامـــاً لطـــاعتهم علـــى فريـــق بغـــبن الحـــق مُـــتَّهَم

هـــو (المـــؤخّر) مَـــن بالشـــرع مـــا التزمـــوا وكيـــف يُفلـــح عبـــدٌ غيـــرُ مُلتـــزم؟

و(الأول) الله ربـــي لا انتهـــاء لـــه حاشـــا المليـــك رمـــوز الشـــك والعـــدم

و(الظـــاهر) الله ، والبرهـــانُ مُتضِـــحٌ! ومُنكـــرٌ صـــفة الظهـــور ذو جُـــرُم

و(البـــاطن) الله عـــن عـــين تشـــاهده وفـــي الجنـــان تـــراه العـــين فـــي نَهَـــم

والـــرب (والٍ) تولانـــا برحمتـــه! ودبَّـــر الأمـــر قبـــل الخلـــق فـــي القِـــدَم

وربنـــا (متعـــال) عـــن نقائصـــنا جـــل المليـــك عـــن النقصـــان والـــتَّهَم

وإن ربـــي هـــو (التـــواب) يُســـعدنا بتوبـــةٍ منـــه تُقصـــي عَبـــرة النَـــدَمِ

إذ (الـــرؤوف عفَـــوٌّ) عـــن مثالبنـــا كـــم للـــرحيم مـــن الإكـــرام والـــنِّعم!

وربنـــا (مالـــك الملـــك) الـــذي اتجهـــتْ لـــــه القلـــــوبُ بـــــذكر طيِّـــــب الـــــنّغم

فـــــ (ذو الجـــلال وذو الإكـــرام) مُنقـــذنا مـــن قســـوة القلـــب إن عـــانى مـــن الصَّـــمَم

و(المقســـط) الله فـــي الأحكـــام يَشْـــرَعُها ســـبحان ربـــيَ مـــن قـــاضٍ ومِـــن حَكَـــم!

و(الجـــــامع) الله للكمـــــال أجمعِـــــه وجـــامعُ النـــاس - يـــوم الحشـــر - والأَمَـــم

هـــو (الغنـــيُّ) عـــن الـــدنيا وســـاكنها والكـــــل مفتقـــــرٌ لخيـــــره العَمـــــم

والـــرب (مغنـــي) فريقـــاً مـــن خلائقـــه مـــن كـــان محترمـــاً أو غيـــر محتـــرم

و(المـــانع) الله عـــن أحبابـــه مِحنـــاً لمَّـــا أجـــاب دعـــاء الصِّـــيد فـــي الغَسَـــم

و(النـــافع الضـــار) كـــل الأمـــر يملكُـــه كـــالنفع والضُّـــرِّ والهنـــاء والألـــم

وإن ربـــي هـــو (الهـــادي) الـــدنيا صـــناعتُه بمـــا حـــوت مـــن بـــديع الخلـــق والنســـم

وإن ربـــى هـــو (البـــاقي) إذا فنيـــتْ هـــذي الخلائـــق مـــن نـــاس ومـــن نُجُـــم

و(وارثُ) الأرض مولانـــا بمـــا حملـــتْ مـــن العـــوالم والأحبـــاب والحَشَـــم

هـــو (الرشـــيد) لفعـــل الخيـــر أرشـــدنا ومَـــن يطـــع ربـــه الـــرحمنَ يســـتقم

هـــو (الصـــبور) علـــى العاصـــين عَلّهُـــمُ يومـــاً يتوبـــون - مهمـــا كـــان - مـــن أَمَـــم

جـــلَّ المهـــيمنُ أملانـــا وأمهلنـــا يـــا رب فـــاختم لنـــا بخيـــر مُخْتَـــتَم

أصابَكَ عشقٌ أم رُميتَ بأسهمِ؟! (معارضة ليزيد بن معاوية)

(بينما كنتُ أسيرُ وأحدُ أصحابي في طريق عام ، استوقفتْ إحدى النساء صاحبي ، وكانت حشيمة لا يُرى منها إلا عيناها! وعجبتُ من جُرأتها في التحدث إلى صاحبي ، فظننتها تعرفه ويعرفها ، وقلتُ في نفسي لعلها إحدى القريبات أو الجارات ، وعندها مشكلة تلتمس حلها عنده! وبعد حوار هامس معها لم يستغرق الدقائق الثلاث ، أخرج صاحبي مبلغاً من المال هو نصفُ ما معه من الدراهم وأعطاه إياها! فدعتْ له بخير ثم انصرفت عنه! فسألتُه بفضول: من هذه المرأة؟ وما قصتها؟ فقال صاحبي: امرأة غريبة شكتْ إليّ حاجة وعوزاً وعِيالاً وزوجاً مريضاً ، فأخذتني رقة ذلك فأغدقتُ عليها من مال الله الذي آتاني حِسبة لله – عز جل -! وإلى هنا فأنا أرى بأن الأمر طبيعي ، ويُمكن أن يحدث معي ومع غيري! ولكن حال صاحبي لم يستقم بعد موقفه هذا! حيث رأيتُه شارداً أغلب الوقت يُفكر فيها! فقلتُ له كما قال معلم يزيد بن معاوية لمّا رأى خادمة الأول (حُبابة) فسقط الإبريق من يده في الطست ، فقال المعلم له: (أصابك عشقٌ أم رُميت بأسهم) وردّ عليه يزيد بقصيدة حوالي ثمانية وعشرين بيتاً من البحر الطويل! صاغ زيد قصيدته وهو ابن أحد عشر عاماً ، وكانت هذه أول قصيدةٍ كتبها يزيد! ولأن قصيدتي محاكاة لقصيدة يزيد ، رحتُ أنكر على صاحبي كل هذا الاهتمام الزائد عن الحد! ذلك الاهتمام الذي ليس في محله مطلقاً؟! حيث إنها امرأة متزوجة ، فهي في عصمة رجل مريض بعلةٍ أقعدته في الفراش! ومرضه لا يعني وفاته ولا عشق زوجته؟ فتلك دناوة وخِسة يأباها الطبع القويم فضلاً عن الدين المستقيم! فكيف يعشق امرأة في عِصمة رجل؟! وأي امرأة؟ إنها امرأة حشيمة بعباءةٍ فضفاضةٍ سميكةٍ لا تشف ، وخشنة لا تصف ، سوداء سواد الليل البهيم ، ونقاب سميك وسيع يُخفي معالم وجهها ، وقفازين يُخفيان تقاسيم ولون كفيها ورسغيها ومعصمها وأصابعها ، وحذاء أسود ملتصق بالأرض! عجيبٌ هذا العشقُ ، وأعجب منه ذلك العاشق! فأنشدتُ أنصحُ له وأحثه على الاستقامة! فطفقتُ أقول له مبكتاً وعاتبا: إن هذا لا يجوز في ديننا! وتحت عنوان: أصابَكَ عشقٌ أم رُميتَ بأسهمِ؟ - من روائع الشعر العربي ليزيد بن معاوية) يقول الكاتب الأستاذ: سالم عطير ما نصه: (تعد هذه القصيدة من روائع الشعر العربي وهي للشاعر يزيد بن معاوية ، ومن الناحية الأدبية يعد يزيد بن معاوية شاعراً فذاً له الكثير من القصائد الحاضرة حتى يومنا هذا ، وكغيرهِ من الشعراء القدامى ، تعرض شعر يزيد إلى الكثير من التحريف والتغيير ، مما أدى إلى نسب أبيات لهُ لم يقلها ، وتجمعت قصائدهُ في ثلاثة مجلدات شعرية. ومن أجمل الأقوال المأثورةِ عنهُ: (إذا مرض أحدكم مرضاً فأشفي ثم تماثل ، فلينظر إلى أفضل عمل عنده فليلزمه ، ولينظر إلى أسوأ عمل عنده فليدعه. وتعد قصيدة: (أصابكَ عشق أم رميتَ بأسهمِ؟) من روائع الشعر العربي ، وتغنى بها الكثير من المطربين كموشح للأغاني والقصائد المُغناة!).هـ. وهناك شرح لقصيدة (أصابك عشق) للأديبة الأستاذة أحلام بكري تقول فيه: (تُعدّ قصيدة (أصابك عشق) من القصائد مجهولة القائل في الشعر العربي على رأي من الآراء النقدية المنصفة ، وفيما يأتي شرح لأبياتها ، يقول الشاعر:

أصابَكَ عشقٌ أم رُميتَ بأسهمِ فما هذهِ إلا سجيّةُ مُغـــرَمِ!

أصابك سهم أم رُميتَ بنظرةٍ فما هذه إلا خطيئةُ من رُمي!

ويتابع الشاعر فيقول: إنّني أغار على جسدها من الثياب التي تلتصق به ، وأحسد الكأس التي تلامس شفتيها عندما تشرب ، ثمّ ينصرف ليصف حاله في العشق فيقول إنّ الطيور قد رثت لحاله ، ويقول إنّه ميت في عشقها وقد استحلت دمه ، فيقول: سلوا المحبوبة كيف أراقت دمه ومن جعل دمه حلالًا لها ، ويقول أخيرًا: قولوا للحبيبة إن رأيتموها إنّني قتيل حبّك).هـ. ونعرض لكم شرح قصيدة (أصابك عشق) ، ومن هو كاتبها؟ يتساءل العديد من الأشخاص عن شرح قصيدة (أصابك عشق) ، والتي ترجع إلى الشعر الأموي لدى العرب ، وقد أشار البعض أنها تعود للشاعر قيس بن الملوح (مجنون ليلى) وذلك بسبب وجود البيت الذى يقول فيه فدع عنك ذكر العامرية إنني أغار عليها من فم المتكلم! ولذا يمكننا القول بأن المقصود من كلمة العامرية هنا في هذا البيت: هي ليلى حبيبة قيس ، إلا أن هناك قصيدة مشابهة لها قد قالها يزيد بن معاوية ، ونظراً لأن الشاعرين قد عاشا في نفس العصر ، فقد تداخلت القصيدين معاً. وإذن فكاتب هذه القصيدة هو قيس بن الملوح بن مزاحم بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، العامري الهوازني ، والذي اشتهر في هذا العصر الأموي باسم مجنون ليلي. وأما قصيدة (أصابك عشق) ليزيد بن معاوية فيقول مطلعها:

أراك طروبا ذا شجا وترنم تطوف بأكتاف السجاف المخيم

أصابك عشق أم رميت بأسهم؟ وما هذه إلا سجية مغــرم

على شاطئ الوادي نظرت حمامة أطالت عليّ حسرتي والتندم

فإن كنت مشتاقاً إلى أيمن الحِمى وتهوى بسكان الخيام فأنعم

أشير إليها كالبنيان كأنما أشير إلى البيت العتيق المعظم

وختم أبياته لها بقوله:

خذوا بدمى منها ، فإني قتيلها وما مقصدي إلا تجود وتنعم

ولا تقتلوها ، إن ظفرتم بقتلها ولكن سلوها كيف حل لها دمي؟

وتحت عنوان: (قصة قصيدة أصابك عشق أم رميت بأسهم؟) تقول الأستاذة الأديبة دعاء العضيبات ما نصه: (أمَّا عن التعريف بشاعر هذه القصيدة: فهو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي ، ويُنادَى بأبي خالد ، أمه ميسون بنت بحدل الكلبية ، وهي شاعرة من أهم الشاعرات ، وكانت امرأه ذكية ولبيبة ، وأبوها من أشراف قبيلة كلب. وُلد يزيد في سنة 26هـ ، وقد أرسله أبوه لقبيلة أخواله ليعيش معهم بعد طلاق ميسون ومعاوية ، فتأثرت حياة وطريقة عيش يزيد بالبادية ، حيث تعلَّم الفصاحة والشعر والخطابة والكرم والشجاعة ، وبعد عودته لوالده تفاجأ أهل الشام من طريقة لباسه ، حيث إنّه لم يلبس عمامة أو سيفاً ، فجلب له والده معلماً ومؤدباً ليعلمه ، وهو دغفل السدوسي الشيباني ، وكان يحضر المجالس مع معاوية ليتعلم سياسة الحكم ، ولكن استمر تعلقه بالبادية وأثَّر ذلك على طريقة لباسه وعدم تكلُّفه. وأمَّا عن وفاته: فلقد توفي يزيد في سنة 64هـ ، وكان بمدينة

حوران ، وكانت مدة حكمه ثلاثة سنوات ونصف تقريباً ، وكان عمره حينها تسع وثلاثون عاماً فتولى الخلافة بعده ابنه معاوية بن يزيد وهو ثالث الخلفاء الأمويين ، حيث بويع له بالخلافة بعد موت أبيه. وأما عن قصة قصيدة (أصابك عشق أم رميت بأسهم؟) فإن هذه القصيدة من القصائد الغزلية التي نُسبت إلى الخليفة يزيد بن معاوية ، فلقد كان ذا شعر حسن وبلاغة مرموقةٍ أخذها عن الحُكماء والفقهاء ، فكتب أول قصيدةٍ ولا زالت تتردد إلى يومنا هذا ؛ لأنَّها مليئة بالصور الشعرية والمحسنات البديعية وذات كلمات مُغناه. ولهذه القصيدة أصابك عشق أم رميت بأسهم اقترنت بقصة، وهي أنّه بينما كان يزيد يصب الماء على معلمه فمرت من أمامه جارية غاية في الجمال تدعى حُبابه فلما رآها اندهش من جمالها ووقعت جرة الماء من يد يزيد فرفع معلمه رأسه وقال له:

أراك طروباً والهاً كالمتيمِ تطوف بأكناف السحاب المخيم

أصابك سهم ام بليت بنظرة فما هذه إلا سجية مغرم

فرد عليه يزيد بن معاوية بقصيدة اعتبرت من أجمل القصائد ، وكانت أول قصيدةٍ له وقال:

أراك طروباً والهـا كالمتيم تطوف بأسلاف السجاف المخيم

أصابك سهم أم بليت بنظرة فما هذه إلا سجيّ تبـــــــرم

إلى أن ختمها بقوله:-

ألا فاسقني كاساتِ خمر وغن لي بذكر سُليمى والرباب وزمزم

وآخر قولـــــي مثلما قلت أولاً أراك طروباً والهاً كالمتيـــم

وذات يوم دخلت زوجة يزيد عليه وقالت له: يا أمير المؤمنين هل بقي في نفسك من أمر الدنيا شيء؟ فقال لها: نعم حُبابة ، فبعثت زوجته واشترتها ، وألبستها وأحسنت هندامها ، وأدخلتها عليه وعندما رآها طلب أن يختلي بها في القصر لوحده من دون أن يكون عندهم أحد ، فجهزوا له القصر بأجمل الفرش وأطيب المأكولات وغادروا القصر. وبينما هما في القصر يلهوان ويمرحان رماها بحبة عنب وهي تضحك فشرقت وماتت ، وبعدما ماتت أبقاها عنده يقبلها ويحضنها حتى انثنت وجفت. فأمر بدفنها وبعد أن دفنت بقي لزيم بيته حتى مات هو الآخر).هـ. ولقد قسم العلماء المحبَّة إلى مراتب عديدة ، ومن هؤلاء العلماء ابن قيِّم الجوزية الذي أوصلها إلى عشر مراتب ، وهي كما يلي: أوَّلها: العلاقة ، وسمِّيت علاقةً لتعلُّق القلب بالمحبوب. الثَّانية: الإرادة ، وهي ميل القلب إلى محبوبه وطلبه له. الثَّالثة: الصَّبابة ، وهي انصباب القلب إليه ، بحيث لا يملكه صاحبه ، كانصباب الماء في الحدور. الرَّابعة: الغرام ، وهو الحبُّ اللَّازم للقلب ، الذي لا يفارقه ، بل يلازمه كملازمة الغريم لغريمه. الخامسة: الوداد ، وهو صفو المحبَّة. السَّادسة: الشَّغف يقال: شغف بكذا. فهو مشغوفٌ به. وقد شغفه المحبوب. أي وصل حبَّه إلى شغاف قلبه ، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنَّه الحبُّ المستولي على القلب، بحيث يحجبه عن غيره. والثاني: الحبُّ الواصل إلى داخل القلب. والثالث: أنَّه الحبُّ الواصل إلى غشاء القلب. والشِّغاف غشاء القلب إذا وصل الحبُّ إليه باشر القلب. السَّابعة: العشق ، وهو الحبُّ المفرط ، الَّذي يخاف على صاحبه منه. الثامنة: التَّتيُّم ، وهو التَّعبُّد ، والتَّذلُّل. التَّاسعة: التَّعبُّد

وهو فوق التَّتيُّم ، فإنَّ العبد هو الذي قد ملك المحبوب رقَّه ، فلم يبقَ له شيء من نفسه البتَّة ، بل كلُّه عبد لمحبوبه ظاهرًا وباطنًا ، وهذا هو حقيقة العبوديَّة. ومن كمَّل ذلك فقد كمَّل مرتبتها.
العاشرة: مرتبة الخلَّة الَّتي انفرد بها الخليلان ، إبراهيم ومحمَّد صلى اللَّه عليهما وسلم).هـ.
والذي أراه – على فرض صحة الرواية – أن يزيد بن معاوية وقع في مرتبة التتيم حقيقة!
وعلى هذا الأساس يمكن أن يكون قيس بن الملوح قد عارض يزيداً! وأنا إذ أحاكي فأحاكي الأصل أي أحاكي نص يزيد بن معاوية لا نص قيس بن الملوّح! ذلك أن نص قيس هو في ذاته ضربٌ من المحاكاة والمساجلة والمعارضة! وذلك أقوله على الراجح من أقوال النقاد المنصفين! وما كانت هذه القصيدة التي زادت على التسعين بيتاً على البحر الطويل إلا حباً في يزيد بن معاوية بن أبي سُفيان الملك البجيل والشاعر الأصيل – رحمه الله تعالى ، وغفر له ذنوبه وخطاياه ، وتجاوز عن سيئاته بما جاهد في سبيله ، ورضي الله تعالى عن أبيه معاوية بن أبي سفيان كاتب الوحي والتنزيل والصحابي المخلص الكميل ، ورضي الله تعالى عن جدّه أبي سفيان بن حرب الصحابي الجليل والمسلم النبيل ـ ، وكذلك كانت هذه المحاكاة الشعرية حُباً في نص يزيد بن معاوية ، ذلك النص الجميل الذي هو من عيون شعر العرب بشهادة النقاد في القديم والحديث! وإن احتوى عيوباً فنية وأخرى شرعية ، ولكنه صاغه وهو ابن الأحد عشر ربيعاً! وهذا كافٍ لالتماس العذر له!)

أصـــابك سَـــهمٌ يـــا جَـــريحَ التتـــيُمِ ... فأصـــبحت تشـــكو مِـــن عـــذاباتِ مُغـــرم؟!
وأودى بـــك العشـــقُ الـــذي مـــا قصـــدْتهُ ... ولمّـــا تُحـــاذرْ فـــي الهـــوى أي مَنـــدم!
أخِـــذت بـــأقوال دَهتْـــك حروفَهـــا ... فهـــل كـــان أنـــسُ الأذَن تعجيـــلَ مَغـــنم؟
وكيـــف يُثِيـــرُ الـــنفسَ ترجيـــعُ أحـــرُفٍ ... فتُفـــتنُ – بـــالترجيع – رغـــم تغمْغـــم؟!
وهِمـــت تُمَنـــي الـــنفسَ حُبـــاً ، وتشـــتهي ... بـــرغم حِـــوار هـــامس ومُهيـــنم
وصـــارعت وُداً دَثـــرَ القلـــبُ بعضَـــهُ ... وجـــاوزت – بالإشـــهار – حَـــدّ التكـــتم
شـــغفت بهـــا ، ثـــم اصـــطليت بوصـــلها ... وأمســـى وصـــالُ الســـتِ أعتـــى التـــأثم
فهـــل أنـــت صَـــبٌ يَفـــتنُ الحُـــب قلبَـــه ... فـــإن صُـــدّ أبـــدى غضـــبة المـــتجهم؟!
أتختـــرعُ الأعـــذار تُـــزري بفاضـــل؟! ... فجئنـــي بعُـــذر مُســـتبين وقـــيّم!
فمـــا اســـتويا اللفظـــان: خـــافٍ وواضـــحٌ ... وهـــل يتســـاوى يَعرُبـــي بـــأعجمي؟!
أيخـــدعُني يـــا خـــلُ تبريـــرُ عاشـــق؟! ... أتـــودي بلـــوْمي مُســـكة المُتبـــرم؟!
إذا قلـــتَ: أغرانـــي تبرجُهـــا الـــذي ... يُسَـــلي فـــؤادَ المُســـتهام المُتـــيّم
لقلـــتُ: كفـــى زوراً وإفكـــاً ومُنكـــراً ... فـــذي حُســـنُها بالصَـــون والســـتر يســـتمي

وإن قلـــت: صـــادتْني تـــرانيمُ صَـــوتها ... فشـــنفتُ سَـــمعي مُنصـــتاً للتـــرنم

لقلـــتُ: الـــذي تحكيـــهِ مِـــن أشـــنع الفِـــرى ... فمـــا فـــي حـــوار الهمـــس أدنـــى تـــنغم

وإن قلـــت: أغرتْنـــي بِطلّـــة وجههـــا ... فلـيس لهـذا الوجـه فـي الغيـد مـن سَـمي!

ففـــي الوجـــه كـــلُ الحُســـن والـــزين والحَـــلا ... ويُـــدركُ مـــا أرويـــه أهـــلُ الـــتفهم

لقلـــتُ: لقـــد أخفـــى النقـــابُ جمالـــهُ ... تســـاوى الـــذي أبصـــرَ الوجـــهَ بـــالعمي!

وإن قلـــت: كفاهـــا نظـــرتُ إليهمـــا ... وقـــد زيّنـــا – للنـــاظرين - بعَنـــدم

لقلـــتُ: هـــو القفـــاز لـــم يُبـــدِ منهمـــا ... بُعَيضـــاً ولا كـــلاً ، ولا أيَ مَعْلـــم

أطالتْهمـــا حتـــى ثُـــواريَ مـــا بـــدا! ... ومُـــدا لرُسْـــغيها مُـــروراً بمِعصـــم

وإن قلـــت: خلخـــالُ الصـــبيّة ســـاقني ... أســـيراً لرنـــاتٍ كمثـــل الـــتحمحُم

لقلـــتُ: حِـــذاءُ الســـت مـــا طـــق طقـــة ... لمـــاذا يشـــوبُ القـــولَ بعـــضُ التبـــرم؟!

وإن قلـــت: للمكيـــاج سَـــيفٌ وحَربـــة ... تُجنـــدلُ مهمـــا صـــدّها كـــل ضـــيغم

لقلـــتُ: نـــأى المكيـــاجُ عنهـــا فلـــم تـــزلْ ... بوجـــهٍ عـــن المكيـــاج فـــي الـــدرب مُحجـــم

وإن قلـــت: عيناهـــا نظـــرتُ إليهمـــا ... فهـــل زينتـــا – مثـــلَ الســـماء - بـــأنجم

وقـــد نـــال منـــي جـــاذبُ الســـحر ، فـــاكتوى ... صـــوابي ، وتقـــديري دهـــى خـــاطري الظمـــي

لقلـــتُ: لمـــاذا لـــم تغـــضّ تعبُـــداً؟! ... أمـــا فـــي كتـــاب الله أمْـــرٌ لمُســـلم؟!

أكلمتهـــا والعـــينُ فـــي العـــين جهـــرة ... وزدت كـــلام العـــين بعـــضَ التبسّـــم؟!

وإن قلـــت: شـــدّتْني إليهـــا عطورُهـــا ... صُـــرعتُ يقينـــاً بالشـــذى المُتـــبغم!

لقلـــت: وهـــل كنـــت الوحيـــد تشـــمّهُ؟! ... وهـل يـا تُـرى هـذا الشـذى عِطـرُ مَنشـم؟!

ومـــا وَضَـــعتْ عطـــراً لتلفـــت أعيُنـــاً ... ستُصـــلى بوضـــع العطـــر نـــارَ جهـــنم

وتُحْـــرَم بـــالتعطير جنـــاتِ ربهـــا ... وعنـــد البُخـــاريّ الحـــديثُ ، ومُســـلم

وإن قلـــت: أغـــوتْني ثيـــابٌ مُخِلـــة ... تُخـــالفُ عـــن شـــرع قـــويم ومُحْكـــم

وتلفظهـــــا دارٌ وأهـــــلٌ وعـــــادة ... وتُـــزري ببَكْـــر ، والظفيـــرِ ، وخُـــثَعم

لقلـــتُ: وهـــل جلبابُهـــا يُظهـــرُ الحَـــلا؟ ... فحقـــقْ ، ودَقـــقْ ، ثـــم بعـــدُ تكلـــم!

تـــورّعْ عـــن العشـــق الحـــرام ، فإنـــه ... يُصـــيبُك – يـــا مســـكينُ – منـــهُ بأســـهُم

وقـــاومْ طيـــوفَ العِشـــق أضـــناك وَخزُهـــا ... وعـــن كـــل مـــا يُزْكِـــي ســـعيرَ الهـــوى صُـــم

أأعطيتهـــــا حتـــــى تُـــــذل كِيانهـــــا؟ ... فـــأبئسْ بعـــادٍ – فـــي العطيـــة – مُجـــرم!

أأعطيتهـــــا حتـــــى تفـــــوز بعشـــــقها؟ ... فهـــل طيّـــبٌ يُعطِـــي ليَحظـــى بمَـــزعم؟!

ألا إنـــــه دَيْـــــنٌ ، ومِـــــن أهلـــــك الوفـــــا! ... فهـــل عـــودة عجلـــى لـــدرب مُقـــوّم؟!

وهـــل تســـتحلّ الحُسْـــن راعيـــه قـــد غفـــا؟ ... ألا إن هـــذا الحُســـنَ بـــالله يحتمـــي!

وهـــل تســـتغلّ الســـت جـــاءت لحاجـــةٍ؟! ... حنانيـــك كـــن ردءاً لحَيـــرى ومُعـــدَم!

وكيـــف تُحِـــب الحُرمـــة اعتـــلّ زوجُهـــا؟! ... وهـــل عاقـــلٌ فـــي عشـــق هاتيـــك يرتمـــي؟!

وهـــل مُوجعـــاتُ الـــزوج تعنـــي وفاتـــه؟ ... فأحســـنْ وأجمـــلْ! ثـــم زدْ فـــي التكـــرم!

وهـــل بـــات إحســـاناً لـــه عِشـــقُ زوجـــه؟ ... تريـــثْ وفكّـــرْ تَحـــي شـــهماً وتغـــنم!

ألا فـــاردع الـــنفسَ اللجـــوجَ ، ودَاوهـــا ... فـــإن الـــذي جاسَـــتْه دربَ التنـــدم!

ترفـــعْ بهـــذي الـــنفس عـــن وَهـــدة الخنـــا ... أطعنـــي ، وجنبهـــا ســـبيلَ التـــأثم

ألا واقبـــل الإرشـــادَ بـــالحِلم راضـــياً ... وحِلـــمُ الفتـــى يعتـــادُهُ بـــالتحلم

أتجعـــلُ ســـلطاناً عليـــك مِـــن الألـــى ... وربّـــك هـــم أشـــقى عِـــداةٍ ولـــوّم؟!

ومـــاذا يقـــولُ النـــاسُ عنـــك ألا انتبـــه ... لـــئلا تقلهـــا: لات ســـاعة منـــدم!

ألا إنـــــه عـــــارٌ عليـــــك اجتنابُـــــه ... ويُفضـــي إلـــى درب عســـير ومُظلـــم

نصـــحتُك أقصِـــرْ ، إنمـــا الغـــيّ مُهلـــكٌ ... ويَخســـرُ هيمـــانٌ بســـهم الهـــوى رُمـــي!

ألا إنهـــا اختارتْـــك شـــهماً يُعينهـــا ... وهـــذا اختيـــارٌ لـــيس قـــط بمُـــبهم

رأتْ فيـــك إنســـاناً عفيفـــاً مُكَرّمـــاً ... فهـــل تُصْـــبحنْ يـــا صـــاح غيـــرَ مُكَـــرّم؟!

رأتْ فيـــك غِطريفـــاً يُقِيـــلُ عَثارَهـــا ... ويُخمـــدُ نـــارَ العـــيش إذ وَهْجُهـــا حمـــي

وظنُّـــــك شـــــهماً لا تُشـــــينك ريبـــــة ... وتحيـــا عزيـــز الـــنفس غيـــرَ مُـــذمم

وخالتُـــك لا تحتـــالُ فـــي حَبْـــكِ كِلمـــةٍ ... ومـــاذا يُرَجّـــى مِـــن عزيـــفٍ مُنمـــنم؟!

وأدليـــت دَلـــواً لانتشـــال همومهـــا ... بهمـــة مِغـــوار وبـــأس مُصـــمم!

فكيـــف تُضـــحّي بالمناقـــب أهـــديتْ ... وكفـــك جـــادت للضـــحايا ببلســـم؟!

وكيـــف تُجيـــز الأمـــرَ مـــا جـــاز حِلـــه؟! ... وهـــل هـــذه فتـــوى خبيـــر مُعَلـــم؟!

وهـــل ترتضـــي عِشـــقاً لزوجـــك مثلمـــا ... فعلـــت ، ولـــو للـــدار والأهـــل ينتمـــي؟!

يَهـــيم بهـــا فـــي كـــل وادٍ وضـــيعة ... ويكتـــب فيهـــا شـــعرَ صـــب ومُلهـــم!

ويجعـــلُ منهـــا مُثلـــة لانحطاطـــه ... ككـــل ســـفيهٍ – فـــي المخـــاليق - أيهـــم

ويُهـــدِرُ عـــن عمـــدٍ دِماهـــا رخيصـــة ... فيـــا ضـــيعة الأخـــلاق والعِـــرض والـــدم!

فهـــل أضـــحيت مِـــن أهـــل التغـــرّب والخنـــا ... فـــ (للبـــوي فرنـــد) الحـــقُ ، لـــيس بمُجـــرم!

يُحـــب كمـــا يهـــوى ، ويـــأتي الـــذي اشـــتهى! ... فللخِـــبّ بنـــتُ النـــاس أمســـتْ كسُـــوّم!!

وهـــل ترتضـــي زوجـــاً تُحـــب عشـــيقها؟ ... فجُـــدْ بجـــواب مِـــن ســـنا الحـــق مُفحـــم!

بأنـــك لا ترضـــى ، وهـــذي حقيقـــة ... يُخالفهـــا مَـــن عـــاش غيـــرَ معظـــم

يمينـــاً عهـــدتُ الخِـــلَ فـــي البـــأس صـــامداً ... لمـــاذا أراه اليـــوم كـــالمتوهم؟!

لمـــاذا تمـــادى فـــي الخطايـــا بنظـــرةٍ ... ولـــيس علـــى فعـــل الخطايـــا بمُـــرغم!

ألا إنهـــا ســـهمٌ إليـــهِ مُصَـــوّبٌ ... أخـــارتْ قـــوى خِلـــي بســـهم مســـمم؟!

بقيـــة رُشْـــدٍ تُرجـــعُ الخِـــل ســـالماً ... ومَـــن يتْبـــعْ القـــرآنَ يرشـــدْ ويســـلم

فزايـــلْ ضـــلالاً أوردَ الـــنفسَ حتفهـــا ... بإتيـــان أمـــر – فـــي هُـــدانا مُحَـــرّم!

ونفسَـــك علمهـــا التقـــى تغـــدُ عَفـــة! ... وتعليمُهـــا هـــذا التقـــى بـــالتعلم!

وأختُـــك هـــذي أوجـــبَ الله حبهـــا ... وذي نعمـــة مِـــن واســـع الفضـــل مُـــنعم

وأعنـــي بهـــذا الحـــب حـــبَ أولـــي النهـــى ... مِـــن المـــؤمنين الشـــمّ أهـــل التكـــرّم!

نحـــب أولـــي الإيمـــان نرجـــو بحـــبهم ... رضـــا ربنـــا الـــرحمن أطيـــبَ مَغـــنم

فهـــل حُبهـــا يعنـــي اشـــتهاءَ جمالهـــا؟ ... ألا إن هـــذا الحـــبَ أحقـــرُ مَـــأثم!

تصـــدقت ، والأجـــرُ الجزيـــلُ تنالـــه ... فكـــان بـــداعي الحـــب أخيـــرُ درهـــم

فهـــل طعمـــة الـــوَجْعى مُقابـــلَ عشـــقها؟ ... فتعســـاً لمـــا تحســـو ، وتعســـاً لمَطعـــم!

فســـددْ وقـــاربْ ، لا تُضـــيّعْ مَثوبـــة ... فتضـــييعُ مـــا أنفقتـــه جَـــدّ مُـــؤلم

وســـامحْ صـــديقاً قـــدّمَ اليـــومَ نصـــحَه ... بـــنص صـــريح لـــيس يبـــدو كطلســـم

أراك أخـــي طبعـــاً ، وهـــذي أخيتـــي ... وأفـــديكما بـــالنفس والـــروح والـــدم

أغـــارُ عليهـــا مِـــن تولـــه عاشـــق! ... وأشـــفقُ مـــن عشـــق تـــراءى كمـــأزم!

وترجمـــتُ إحساســـي وغيـــرة شـــاعر ... قصـــيداً جـــرى لحنـــاً حزينـــاً علـــى فمـــي!

وحاكيـــتُ مـــا قـــال (اليزيـــدُ) تكلفـــاً ... ووصّـــفتُ صَـــباً قـــد أصـــيبَ بأســـهم

فأمســـى يُعـــاني مُوجعـــاتِ غرامـــهِ ... ويشـــكو عـــذاب الحـــب أودى بمُغـــرم

وناصـــحتُ لـــم أبخـــل بنصـــحي لعاشـــق ... ولـــم أدخـــرْ وعظـــي ، ولـــم أخْـــفِ بلســـمي

وإن كنـــتُ حاكيـــتُ (اليزيـــدَ) فلـــيس لـــي ... مُســـاواتُهُ ، فالفضـــلُ للمتقـــدم

وأجـــري علـــى ربـــي ، وربـــي مـــوفقي ... وإنـــي بعـــون الله أرقـــى وأســـتمي

بعض معاني الكلمات الصعبة

التتيم: شدة الحب والعشق. مغرم: محب عاشق. أودى بك: دهاك. مَندم: ندم. مغنم: غنيمة! يُثير: يُهيج. ترجيع: ترديد الصوت. تغمغم: هو الهمس بصوت غير واضح. وهمت: توهمت أو عشقت. مُهينم: مقول بطريقة هامسة خافتة. دثر: خبّأ. التكتم: إخفاء الأمر عن الآخرين. شغفت بها: عشقتها. اصطليت: احترقت. الست: المرأة. التأثم: الإثم. صب: عاشق. صُد: امتنع عنه محبه. المتجهم: الذي أخذته سَورة الغضب. تُزري: تعيب. مُسكة: مُسْكَةُ الشَّيْءِ: مَا يُتَمَسَّكُ بِهِ مُسْكَةُ البَابِ: مَقْبِضُهُ مُسْكَةُ الرَّجُلِ: عَقْلُهُ الوَافِرُ يَعِيشُ فِي مُسْكَةٍ: فِي بُخْلٍ مَا فِيهِ مُسْكَةٌ: لاَ خَيْرَ فِيهِ لَيْسَ لأَمْرِهِ مُسْكَةٌ: أَيْ لاَ أَصْلَ لَهُ يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِيهِ! فِيهِ مُسْكَةٌ مِنْ خَيْرٍ: أَيْ بَقِيَّةٌ مَا فِي إِنَائِهِ مُسْكَةٌ مِنْ مَاءٍ: أَيْ قَلِيلٌ مِنْهُ. المتبرم: المراوغ المتهرب. المستهام: المصاب بالسهام. المتيّم: العاشق. إفك: كذب صُراح. بالصون: بالصيانة والحماية والوقاية. يستمي: أي يتسامى

عن النقائص. الترنم: التنغم بالصوت. الفِرى: الأكاذيب والأغاليط. طلة وجهها: إشراقة وجهها. الغِيد: البنات الجميلات. الحلا: الجمال والحلاوة. العمي: الأعمى. عندم: الحناء اليمانية التي لونها بين السُمرة والحُمرة. لرسغيها: الرسغ هو مَفصِلُ ما بين السَّاعد والكفّ ، أو بين السَّاق والقدم "ينبغي-عند الوضوء- أن تغسل يديك إلى الرُّسغين" ، رُسْغ القدم: المفصل المشكَّل من ربط عظام القدم السفليَّة مع عظم الكاحل. معصم: موضع السِّوار من السَّاعد "أحاط به إحاطةَ السُّوار بالمِعْصَم". التحمحم: الصوت غير الواضح ، مأخوذة من الفعل: يتحمحم ، تحمحُمًا ، فهو مُتحمحِم ، تحمحم الفرسُ: حمحم ؛ صات صوتًا دون العالي ، صهل صهيلاً خافتًا ؛ وذلك إذا طلب العلف. ضيغم: أسد. محجم: ممتنع. تغض: أي تصرف بصرك عن المرأة عند الحديث إليها. الشذى المتبغم: أي العطر فائح الرائحة تملأ المكان. عطر منشم: عطر صَعب الدق وَكَانُوا يَقُولُونَ (دقوا بَينهم عطر منشم) اشتدت الْحَرْب بَينهم. ومسل: إشارة إلى صحيح الإمام مسلم. بكر والظفير وخثعم: قبائل عربية عُرفت بغيرتها الشديدة على نسائها. أضناك: أتعبك وأجهدك. يُزكي: يُشعل. عادٍ: أي معتدٍ. مَزعَم: مطمع. أهلك: أي أهل بيتك من زوج وبنت. عجلى: سريعة. غفا: غفل عن زوجه لمرضه. حنانيك: اسم فعل أمر بمعنى ترفق وتمهل. حَيرى: أي حيرانة. مُعدِم: فقير. الحُرمة: المرأة. مُوجعات: آلام وإحن. التكرم: التفضل. تريث: أي تمهل. اللجوج: أي التي تهوى ركوب المعاصي والأهواء. وداوها: أي عالجْها. جاسته: سارت فيه. عِداة: أعداء. لوّم: شديدو اللوم. ولات ساعة مندم: مأخوذة من قول الشاعر: (نَدِمَ البُغاة ولاتَ ساعةَ مَنْدَم) ... والبغيُ مَرْتَعُ مُبْتَغِيهِ وخيمُ ندموا ولات ساعة مندم ، والأصل: (ليست الساعة ساعة مَندمٍ) أو (لاتَ الساعة ساعة مندمٍ) ونحو: {ولات حين مناص}. اجتنابه: الابتعاد عنه. الغي: الضلال. هيمان: عاشق متوله. مبهم: غامض. غطريف: هو السيد لشريف. عثارها: عثرتها. وهجها: شدة حرارتها. لا تشينك: لا تعيبك. مذمم: مذموم معيب. وخالتْك: وظنتك. عزيف: العزيف صوت الجن وهو غير مفهوم. منمم: مزخرف مزين. المناقب: الصفات الحسنة. البلسم: الدواء. أهل التغرب: أي الغِب الذي لا يغار على بناته. الابوي فرند: في الإنجليزية هو الخِدن أو العشيق! الخِب: المخادع المراوغ. مُرغم: مُجبر. حتفها: موتها. عفة: أي عفيفة تتورع عن الحرام. أولي الإيمان: أصحاب الإيمان. الوجعى: الموجوعة المتألمة. مثوبة: ثواب وأجر. طلسم: لغز ، شيء غامض ومبهم "طلاسم غريبة ـ طِلَسْم عجيب" ، فكَّ طلاسمَ الشَّيء: وضَّحه وفسَّره وكشف أسراره خطوط وأعداد يزعم كاتبها أنه يربط بها روحانيات الكواكب العلوية بالطبائع السفليّة لجلب محبوب أو دفع أذى ، وهذا من الخرفات التي لا نؤمن بها طرفة عين أبداً. توله: أي شدة الحب والإعجاب. مأزم: أي أزمة ومعضلة. اليزيد: هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان – رحمه الله تعالى رحمة واسعة وغفر له ذنوبه وسامحه.

أغداً ألقاك؟! (معارضة لأمير شعراء السودان الهادي آدم!)

(كانت هذه الزوجة اليمنية تعيش مع زوجها آمنة مطمئنة. وفجأة قالت له: إلى متى انشغالك عنا بالأسفار والتجارة؟ أنت هكذا تتركُ عليّ حِمل الأولاد وتربيتهم وتوجيههم! وصحيحٌ أنك تكفينا الأموال التي نحتاجها ويزيد ، ولكنني مللتُ الحياة بسبب انشغالك وأسفارك! فوعظها فلم يُجد الوعظ ، ونصحها ولم ينفع النصح ، فحاول الإصلاح وقلل من السفريات والرحلات! وأناب غيره ولكن دون جدوى! فقررتْ أن تخلع نفسها منه! وهناك في المحكمة وبعد نقاش حكيم جميل مع القاضي الشرعي المحنك المحترم الفقيه ، أشار عليها القاضي باقتراح يمهد للخلع الذي تطلبه! وهو أن تجرب البعد لفترة فإن استراحت جاءت لتنفيذ الخلع! فرضيت! وقبلت بالبيت وإيجار العقارات وأكرمها زوجها في هذا الاقتراح جداً! وبعد شهور أرسلت له رسالة عبر الهاتف من كلمتين وأجاب عليها بكلمتين! فما نص رسالتها؟ قلنا كلمتان هما: (أرجو الرجوع!) فماذا كان نص رسالته؟ أيضاً كلمتان هما: (ألقاكِ غدا!) ومن هنا تخيلتُ المرأة تسأل زوجها قائلة: (أغداً ألقاك؟!) وقلتُ في نفسي: أختار قصيدة أمير شعراء السودان الهادي آدم بك لأعارضه حكاية عن هذه المرأة! وأعرف قدري وحجمي وأحفظ للشاعر الكبير الهادي آدم مكانته بين شعراء العرب المعاصرين! أقول ذلك حتى لا يحاكمنا الأزوال قائلين كيف تعارض شاعرنا؟! وكأن المعارضة رجس من عمل الشيطان! يا جماعتنا المعارضة فن من فنون الشعر العربي معروفة من عهد امرؤ القيس إلى يومنا هذا وإلى يوم القيامة! ولي شرف المحاولة دائماً! ومن هنا كانت هذه التغريدة اليمانية الأولى: أغداً ألقاك؟! وصممتُها تخميساً شعرياً! وذلك في محاولةٍ منا لتصوير الفرحة والسعادة بالأسلوب اليماني! ذلك أننا اعتدنا على معايشة الأحزان اليمنية في أغلب ما كتبنا عن اليمن وأهله!)

أغـــــداً ألقـــــاك؟! يـــــا سعـــــــــدَ فـــــؤادي بالغـــــــدِ

طابـــــتِ اللقيـــــا! وطـــــاب الـــــــملتقى العـــــذبُ النـــــدي

هـــــاج بـــــي شـــــوقي وحبـــــي! إيـــــهِ ، يـــــا دنيـــــا اشـــــهدي!

لامَنـــــي الماضـــــي علـــــى مـــــا بيننـــــا مِـــــن عُقَـــــد

حَلهـــــا لـــــولا عِنـــــادي كـــــان حقـــــاً فـــــي يـــــدي!

****

****

آهِ كـــــم أخشـــــى انفعـــــالي! يجعـــــلُ القربـــــى ســـــرابا

ويُحيـــــلُ الـــــود بُغضـــــاً فـــــي دُنـــــا مَـــــن يتغـــــابى

وأنـــــا أدركـــــتُ حجمـــــي وإلـــــيّ الرشْـــــدُ آبـــــا

وفـــــؤادي ازدادَ وعيـــــاً وإلـــــي الخيـــــر أنابـــــا

وكـــــذا عقلـــــي ارتقـــــى بـــــي ... إذ رأى الرُجْعـــــــــى صـــــــــوابا

****

أنـــــت يـــــا زوجـــــي وحبـــــي ... وحيـــــــــــاتي وفتـــــــــــوني

بـــــــك طابـــــــت ذكريـــــــاتي ... ومعاشـــــــــــي وسُـــــــــنوني

أنـــــتَ يـــــا شـــــارحَ عِلمـــــي ... أنـــــتَ يـــــا بـــــاني شـــــؤوني

أنـــــت مـــــن علمـــــت نفســـــي ... كيـــــف أجتـــــاز مَنـــــوني

أنـــــت مـــــن حفظـــــت نصـــــاً ... بالمعـــــــــاني والمُتـــــــــون

****

كـــــــم أناديـــــــك بقلبـــــــي ... فاســـــــــمع الآن النـــــــداءْ

مـــــا يئســـــتُ ، إي وربـــــي ... بـــــل ألِـــــحّ فـــــي الـــــدعاء

عُـــــدْ إلـــــى البيـــــت رجـــــاءً ... عـــــودة تُزجـــــي الهنـــــاء

وتنـــــاسَ الخلـــــعَ ، واذكـــــرْ ... نحـــــن لســـــنا غربـــــاء

نحـــــن زوجـــــان بنينـــــا ... أســـــرة تهجـــــو الشـــــقاء

****

أســـــرة لـــــولا التلاحـــــي ... لـــــم تُملهـــــا الغِيَـــــرُ

هـــــذه الـــــدنيا طوتْهـــــا ... فاحتواهـــــا الكـــــدر

حكّـــــم العقـــــلَ ، وفكّـــــرْ ... كـــــم تُفيـــــدُ الفِكَـــــر!

واعتبـــــرْ فيمـــــا دهانـــــا ... كـــــم تُفيـــــد العِبَـــــر!

أيهـــــا الـــــزوجُ كفانـــــا ... أيـــــن أيـــــن النظـــــر؟!

****

ارحـــــمَ الـــــزوجَ التـــــي تشـــــ ... ـــــكو الضـــــنا جبـــــراً إليـــــكْ

وتحـــــدثْ أهلهـــــا خـــــو ... فـــــاً وإشـــــفاقاً عليـــــك

لـــــم تُـــــردْ غيـــــرَك زوجـــــاً ... مـــــا لهـــــا حُـــــبٌ لـــــديك؟!

أذعنـــــــتْ ترجـــــــو وصـــــــالاً ... وهْـــــــي ذي بـــــــين يـــــــديك

فتفكـــــــــــــرْ ، وتأمـــــــــــلْ ... يـــــا أخـــــي فـــــي حالتيـــــك

********** **********

وغـــــــداً تبتشـــــــرُ الـــــــدا ... رُ بنـــــــا ، فـــــــالعَود أحلـــــــى

ثـــــم ينـــــأى الضـــــنكُ عنـــــا ... ونـــــرى للضـــــيق حـــــلا

وغـــــــــداً نســـــــــعد أولا ... داً وعيشـــــــــاً ومَحـــــــــلا

وغـــــــــداً نـــــــــزرعُ ورداً ... ثـــــم ريحانـــــاً وفـــــلا

وغـــــــداً نرشـــــد جـــــيلاً ... لا يـــــرى فـــــي العـــــيش جهـــــلا

أغرقت جفني الدموع (معارضة للعباس بن الأحنف)

(ألا ما أبطأ الأيام! إذ يصاب الإنسان بالمكروه وما تغير شيءٌ في الأيام. فاليوم كما هو اليوم أربع وعشرون ساعة لم تنقص دقيقة واحدة ، وإذن ، فما الذي أبطأ الأيام؟ والجواب: أنَّ شعور المرء بمرور الأيام هو الذي جعلها بطيئة ، وإلَّا ، فهي كما هي ، لم تتغير قط. وإذا تذكر الإنسان فراقه لهذه الحياة لم يبك عليها طرفة عين. إنَّ كل شيء في الحياة لينبئ أنَّ الإنسان إلى زوال ، وإلَّا فأين من سبقوه إلى هذه الأرض واستعمروها ردحًا من الزمان؟ أليسوا منذ زمن بعيد تحت أطباق الثرى نسيًا منسيًّا ، وعظامًا نخرة ، وترابًا فوق التراب وتحت التراب؟ والجواب: بلى. ولقد أغرقت الدموع عيني حزنًا وألمًا تستقرئ الغيب المخبوء ، ماذا خبَّأ لها المقدور؟ لمْ يكُن يسيرًا عَلَيَّ إظلامُ عيني ، وَسَيْري بها وهي هكذا شَائهة وسْطَ الناس ، وذلك انتظارًا مِنِّي لجراحة أخيرةٍ مصيريَّةٍ بها ، بعدها تُسْفِرُ الأيامُ عَنْ مخبوئها. وبينما كُنْتُ أنتظرُ أحدَ الفحوص ، أخذتُ أستذكر بعضَ أبياتٍ من الشعر الذي كان لي به وَلَعٌ أيامَ صِبَايَ ، وكنتُ أتغنى به كثيرًا ، كقول أبي نُواس متحدثًا عَنِ الابتلاءِ:

أيـا ربَّ وَجْـهٍ فـي التَّـرَابِ رقيـقِ ... ويـا ربَّ حُسْـنٍ فـي التَّـرَابِ عَتِيـقِ
فقُـل لقَرِيـبِ الـدارِ: إنّـكَ راحِـلٌ ... إلـى منـزلٍ نـائِي المَحَـلِ سَـحِيق
وَمَـا النّـاسُ إلا هَالِـكٌ وابـنُ هالـكٍ ... وذو نَسَـبٍ فِـي الهَـالِكِينَ عَرِيـق
إذَا امْـتَحَنَ الـدُّنْيَا لبيـبٌ تكشَّـفتْ ... لـهُ عـنْ عَـدُوٍّ فـي ثيـاب صَـدِيق

وتذكرتُ شاعرًا آخر يُعَزِّي نفسَه ، وله تقسيم بديع ، فقلتُ أنا بالعزاء أوْلى:

ثمانيـةٌ قـامَ الوجـودُ بهـا فهَـلْ ... تُرَى مِنْ مَحِيصٍ للوَرَى عَنْ ثَمَانِيَةْ
سُـرورٌ وحُـزْنٌ واجتمـاعٌ وفرقـةٌ ... وعُسْـرٌ ويُسْـرٌ ثـم سُـقْمٌ وعَافِيَـة
بَهِـنَّ انقَضَـتْ أعمـارُ أولادِ آدم ... فهَـل مـن رأى أحـوالَهُم مُتَسَـاوِيَة؟

وعشت مع الشافعي إذ يلقي باللائمة على نفسه ، فيلومها لوماً شديداً ، ويدرك أنها كم جرته إلى المعاصي ، فيتوجه إلى الله تعالى بالدعاء مُديناً نفسه فيقول:

إلهِـي لا تُعـذبنَي فـإنّي ... مُقِـرٌ بالـذي قَـدْ كَـانَ مِنِّـي
وَمَـا لِـي حِيلَـةٌ إلاّ رَجَـائِي ... وعفـوُك إنْ عفـوتَ وَحُسْـنُ ظَنِّـي
فكَـمْ مِـنْ زَلّـةٍ لِـي فِـي البرايـا! ... وأنـتَ علـيَّ ذو فَضْـلٍ ومَـنِّ
إذا فَكَّـرْتُ فِـي نَـدَمِي عَلَيْهَـا ... عَضَضْـتُ أنـامِلِي ، وقَرَعْـتُ سِـنِّي
يَظُـنُ النـاسُ بِـي خَيْـرًا ، وإنِّـي ... لشَـرُّ النّـاس ، إنْ لَـمْ تَعْـفُ عَنِّـي

وتذكرتُ ابن الأحنف الذي يفترض في الناس من يعيره عيناً ليبكي بها فيقول:

مَـنْ ذَا يُعِيـرُكَ عينَـهُ تبكـي بهـا ... أرأيـتَ عينًـا للبُكـاءِ تُعَـارُ؟

وتأثرتُ بهذا البيت جدًّا وجعلتُه مَطْلَعَ قصيدتي مع تصرف يسير لفرط إعجابي:)

(مَـنْ ذَا يُعِيـرُكَ عينَـهُ تَحْيَـا بَهـا ... أرأيـتَ عينًـا للحيـاةِ تُعَـارُ)

وإذا أُعِيـــرَتْ هَـــلْ تَـــرَى مِثْـــل الـــذي ... كانـــتْ تَـــرى الأولـــى ، ولا تَحْتَـــارُ؟
يـــا ليـــتَ شِـــعري ، كَيْـــفَ هـــذي العـــينُ بـــا ... تـــتْ تشـــتكي؟ صَـــعْبٌ عَلَيْهَـــا الثّـــار!
قَـــدَرُ المَليـــكِ ، وأيُّ شـــيءٍ بَعْـــدَهُ ... كيـــفَ القَضَـــاءُ يَـــرُدُّه الإصْـــرَار؟
لـــو كُنْـــتُ أدْرِي ، كَيْـــفَ أبتلـــعُ البُكَـــا ... أو كيـــفَ هزتْنـــي بـــهِ الأشْـــعَار
مَـا زغْـتُ ـ يومًـا ـ عـنْ قَبُـول مُصِـيبتي ... ولمَـــا تغشَّـــتْني بِهَـــا الأخْطَـــار
إنِّـــي احْتَسَـــبْتُ دماءَهـــا وجِراحَهـــا ... عنـــدَ الـــرحيمِ ، وإنّهَـــا أقْـــدَار
يَـــا سَـــائِلي عمـــن يُعِيـــرُ حَبيبـــةِ ... العـــينُ قابضُـــها هُـــوَ الجَبَّـــار
لـــوْ شَـــاءَ ربُّـــكَ أنْ تعـــودَ ، فـــأمرُهُ ... «كُـــوني» ، تَعَـــالَى ربُّنَـــا القَهَّـــار!
أنـــا لَسْـــتُ أبْحَـــثُ لحظـــةً عمَّـــن يُعيـــ ... ـــر حبيبـــةً ، والأمـــرُ فيـــهِ يَسَـــار
فِـــيمَ التَّـــأرجُحُ بـــينَ آراءِ الـــوَرَى؟ ... لا ، لـــنْ تُفيـــدَكَ هـــذهِ الأفْكَـــار
فَـــادعُ المَلِيـــكَ ، ولا تكُـــنْ مُتَخَرِّصًـــا ... إنَّ التَّخَـــرُّصَ فِـــي الأمـــورِ دَمَـــار
يَـــا صَـــاحِ ، أوقَـــاتُ الـــدُّعَاءِ كثيـــرة ... فـــاحْرصْ ، وحســـبك هَـــذِه الأَسْـــحَار

أكتب الشعر حتى يسود الحق (معارضة لضاد الخلود للشحي)

(أعارض الشاعر الإماراتي / عبد الله حسن الهدية الشحي. وذلك في قصيدته (ضاد الخلود). وعلى ذات بحره ورويه ، محتسباً الأجر عند الله رب العالمين ، غيرة على اللغة العربية الأصيلة. ذلك أنني قد أخذتُ بخِفة دم قصيدة الشحي ذات الأسلوب السهل الممتنع).

إنـــــي بضـــــاد حنيفتـــــي أتشـــــرفُ ... وبحبهـــــا فـــــي كـــــل حـــــين أشـــــغفُ

وأجُـــــلُ خاطرَهـــــا ، وأكـــــرمُ شـــــأنها ... وعلـــــى لآلئهـــــا الأصـــــيلة أعطـــــف

وعلـــــى محاســـــنها أغـــــارُ مشـــــمّراً ... عـــــن همّـــــةٍ فـــــي النقـــــد لا تتوقـــــف

وأريـــــدُها بـــــين اللغـــــات منـــــارة ... أنوارُهـــــا فـــــي العـــــالمين ترفـــــرف

لا تســـــتجيب لمُغـــــرض مـــــتعلمِن ... يُـــــردِي كرامتهـــــا ، ولا يتأســـــف

تســـــعى ، ويتبَعُهـــــا الجميـــــعُ عزيـــــزة ... فـــــي موكـــــب يَهـــــدي خطـــــاه المُصـــــحف

مازلـــــتُ أعشـــــقها ، وأعشـــــق شِـــــعرها ... والقلـــــبُ مِـــــن أرج الصـــــبابة يَشـــــغف

صـــــادتْ فـــــؤادي ، والجمـــــالُ شِـــــباكها ... فأحبهـــــا ، وهـــــو الـــــذي يســـــتعفف

فغـــــدتْ عشـــــيقته بغيـــــر مُنـــــازع ... أبـــــداً ، وعشـــــقُ القلـــــب أمـــــرٌ يعـــــرف

أواهُ (يـــــا ضـــــاد الخلـــــود) ، ترفقـــــي ... بمتـــــيّم أمســـــى بحبـــــك يهتـــــف

إنـــــي لأتخـــــذ القـــــريض وســـــيلة ... لبيـــــان حـــــق دسّـــــه مَـــــن زيّفـــــوا

(حتـــــى يســـــود الحـــــق) خفـــــاق اللـــــوا ... ونعـــــيشُ بالضـــــاد الأصـــــيلة نشـــــرف

ســـــأعيشُ أنصـــــر بـــــالقريض قضـــــيتي ... وأذودُ عـــــن لغتـــــي ، ولا أتخـــــوف

ســـــأجرّعُ العـــــادين بالفصـــــحى الـــــردى ... كـــــيلا أرى يومـــــاً جراحـــــاً تنـــــزف

حتـــــى أرى (ضَـــــاد الخلـــــود) مَهيبـــــة ... ويـــــزولُ جيـــــلٌ بالثوابـــــت يَعصـــــف

الأطـلالُ اليمنيــة 1 (معارضة لإبراهيم ناجي بك)

(أعجبَ ذلك العاشقُ اليمنيُ بفتاةٍ يمنيةٍ حَشيمةٍ أديبةٍ فقيرةٍ للغاية! تعيشُ في (صنعاء) وتعيش قبيلتها في (المُكَلا)! فأخبر أمه أن تذهب إلى أمها ، وتتفق معها على الخِطبة مَبدئياً ، وذلك ليعرفَ إن كانت الفتاة ترغبه زوجاً أم لا! وعادتِ الأم بالبشارة ، ولكنْ بشرطٍ واحدٍ ، وهو أن يتقدمَ للقبيلة بعد أن يوفر لها مَهرَها ويُجَهز بيتها حتى لا يرفضه القوم! فمكث على ذلك شهوراً يتلظى بحُبها ، ويحُولُ فقرُه دون الزواج منها! ثم أتى القبيلة يمنيٌ آخرُ لا يقلُ عن الأول في الأدب والخلق والدين! ولكنه زاد فرقاً واحداً ، وهو أنه غنيٌ ميسورُ الحال ، ويستطيعُ أن يُثقلها ذهباً إن أراد قومها ذلك! وإذنْ فهو جاهز للزواج بها من ليلته! فوَقعتِ الفتاة العاشقة في حَيرةٍ بين مُحب عاشق فقير وخاطب راغب ثري! وكلاهما على خلق ودين! فاختارتِ الثاني لتثري قومَها وتنتشلهم من الفقر والعوز مُضحية بحُبها للأول! فتخيلتُ الأول يبكي على أطلال حُبها فلقد خلفته بقايا جسد وخلفها بقايا روح! واخترتُ للأطلال اليمنية قصيدة الشاعر الفذ إبراهيم ناجي: (الأطلال) ببحرها وقوافيها ولم ألتزم عدد الأبيات لطولها!)

يـــا فـــؤادي رَحِـــمَ اللهُ الهـــوى ... هـــذه أطلالـــه تشـــكو النـــوى

بـــات حُبـــي ضـــائعاً مُسْـــتهجناً ... وإلـــى ماضـــيهِ مُلتاعـــاً أوى

****

كيـــف أنســـى غـــادة مِـــن صـــدقها ... بـــادلتْني الحُـــبَ فـــي يُســـر وضِـــيق؟

قلبُهـــا لـــم يعـــرفِ الخـــذلَ ، ولا ... تركتْنـــي فـــي مَجاهيـــل الطريـــق

عاهـــدتْني أننـــي يومـــاً لهـــا ... خيـــرُ زوج ، بيننـــا عهـــدٌ وثيـــق

****

أنسِـــيتْ مـــا بيننـــا ، يـــا للأســـى! ... وأنـــا أبكـــي فـــؤاداً جُرحـــا

وألـــوكُ الوَجـــدَ وحـــدي مُكْرَهـــاً ... فـــي مَســـائي ونهـــاري والضـــحى

عاشـــقٌ تطحنُـــه آلامُـــه ... عكْـــسَ تيـــار الأمـــاني سَـــبَحا

****

أيـــن مِـــن عينـــي غـــزالٌ شـــاردٌ ... فـــي مَغـــاني الأرض تُشـــجيه الظبـــاءْ؟

لـــيس يرضـــى لـــي معانـــاة الهـــوى ... إنمـــا يحمـــلُ عـــن قلبـــي العنـــاء

طيـــبُ القلـــب عطـــوفٌ مُشـــفقٌ ... مُخبـــتُ الـــنفس يُحليـــه النقـــاء

وظريـــــفُ الـــــروح فـــــي أحوالـــــه ... ألمعـــــيُ الفهـــــم مُحتـــــدُ الزكـــــاء

****

أيـــن مِنـــي قلـــبُ مَـــن باعـــت غـــدي ... لغـــــريم مالَـــــه أودى بنـــــا؟!

اشـــــترى الحُســـــنَ بمـــــال وافـــــر ... باســـــطاً كـــــفَ غنـــــي بالهنـــــا

لـــم أكـــنْ وحـــدي أقاســـي جُـــودَه ... إنمـــــا أنـــــتِ تجرّعـــــت العنـــــا

نحـــــن الاثنـــــان قتِلنـــــا غِيلـــــة ... وعلـــى المَـــولى جَـــزا مَـــن غالنـــا!

****

يـــــا حبيبـــــاً يمنيـــــاً حُبـــــهُ ... كـــان يجـــري فـــي شـــرايين دمـــي

لـــك قـــدمتُ أحاسيســـي التـــي ... جَمّلـــتْ ذاتـــي ، وزادتْ ألمـــي

هـــذه (صـــنعاءُ) تبكـــي مـــا جـــرى ... و(المُكَـــلا) دمعُهـــا كالـــدِيَم

إن هـــــذا الأمـــــرَ لا نشـــــهدُه! ... لـــيس فـــي العُـــرْب ، ولا فـــي العجـــم!

****

أعطنـــي يـــا حُـــبَ قلبـــي فرصـــة ... عـــلّ حظـــاً طيبـــاً يســـعى إليـــا

علنـــي آتـــي بمـــال يـــا حبيبـــي ... ربمـــا أصـــبحتُ مِـــن فقـــر غنيـــا

واعـــــذريني إن تجـــــاوزتُ المُنـــــى ... أو غـــدا حُبـــي خيـــالاً نرجســـيا

****

يـــا حبيبـــي لـــم يشـــأ رب الســـماءْ ... أن نُـــرى زوجـــين مـــن تحـــت الخِبـــاءْ

هـــذه أطـــلالُ حـــب لـــم يـــدمْ ... وعليهـــا يَغلـــبُ العـــينَ البكـــاء

فاســـعدي بـــالعيش مـــعْ زوج أتـــى ... زارعـــاً بـــين الحبيبـــين الجفـــاء

لا تقـــولي: حظنـــا اخترنـــاه ، لا! ... إنمـــا ربُ الســـما والأرض شـــاء!

الأطلالُ اليمنية 2 (معارضة لإبراهيم ناجي بك!)

(ليس للمتحابَيْن إلا الزواج! هكذا قال النبي – صلى الله عليه وسلم -. وهذا الشاب اليمني صاحب التجارة ، وهو من (عُسيلان) وتحديداً من (تمنا) ، كان قد تزوج من المرأة التي أحبها وعشقها ، وهي من (بيحان) وتحديداً من (شبوة) ، كما أخبرني راوي القصة ، وأظنه من الصادقين! ورزقه الله منها بابن سماه: (عز الدين) وبابنة سماها: (دَهماء)! وفي إحدى رحلاته التجارية عاد التجارُ المرافقون بينما لم يعد صاحبُهم! ولم تعرف امرأته (البيحانية) عنه شيئاً! والتمستِ الأخبارَ هنا وهناك دون جدوى! وأصبح هذا الزوج مجهول المصير: فلا هو حيٌ فيُزار ويعود إلى أهله! ولا هو ميت فيُترحمُ عليه! وعاشت هذه الأسرة البائسة المنكوبة أطلالَ عائل غائب ، خلّفهم أطلالَ أجسام ، وخلّفوه أطلالَ روح! على أمل اللقاء به حياً أو ميتاً!)

يـــا فـــؤادي ذبـــتُ مـــن فـــرط الهـــوى! وإلـــى المَجهـــول مَحبـــوبي أوى!

كيـــف فـــي (بيحـــانَ) قـــد عشـــنا ســـوا فـــي بُيـــتٍ كـــلَ مـــا نرجـــو حـــوى؟

لـــم تُفرّقنـــا ظـــروفٌ أو قـــوى! ولـــذا لمّـــا يُعـــذبْنا النـــوى

وإلـــى (شَـــبوةَ) أضـــناني الجـــوى أســـألُ النـــاسَ عـــن الـــزوج ثـــوى!

****

لســـتُ أنســـاهُ حَليلـــي والصـــديقْ وحبيبـــاً كـــان لـــي مِثـــلَ الشـــقيقْ

وزفيـــراً كـــان مِـــن بعـــد الشـــهيق حُبُـــه فـــي القلـــب جَبـــارٌ عَميـــق

إنْ نـــأى عنـــي فقلبـــي لا يُطيـــق وفـــؤادي دونـــه مثـــلُ الغريـــق

وأرانـــي مـــن همـــومي لا أفيـــق ويَزيـــدُ الخطـــبَ فقـــدانُ الرفيـــق

****

وسِـــني العُمْـــر دارتْ كـــالرحى كـــل يـــوم مَـــرّ أهـــدتْ تَرَحـــا

وفـــؤادي مِـــن عـــذابي جُرحـــا وإلـــى زوجـــي خيـــالي جَمحـــا

هـــل يعـــودُ مـــن غِيـــاب فرحـــا؟ عَـــوْدُه يشـــفي فـــؤاداً ذبِحـــا

إن قلبـــي للشـــكايا جَنحـــا أيُ قلـــب لشـــكاتي فتِحـــا؟

****

أيـــن مِـــن عينـــي حبيبـــي والهنـــاءْ؟ كـــم رَفعـــتُ رَاحتـــي كُلـــي رجـــاء!

ومعـــي (دَهمـــاءُ) نبكـــي فـــي الـــدعاء ... أن يـــــرد الله مَـــــن بالبُعـــد بـــاء

إن (عـــز الـــدين) أعيـــاهُ البكـــاء ... ربمـــا هـــذا البُكـــا غـــالَ القضـــاء!

فـــإذا بالغائـــب المفقـــود جـــاء ... لـــيس شـــيءٌ مُعجـــزاً ربَ الســـماء!

****

أيـــن منـــي الـــزوجُ مـــا عنـــهُ غِنـــى؟! ... هـــو للبيـــت عمـــادٌ وسَـــنا

إننـــا مـــن دونـــه ذقنـــا العنـــا ... مَسّـــنا الضـــر ، ونجتـــرّ العنـــا

ومِـــن الشـــوق التـــردي مَسّـــنا ... بنتُـــه (الـــدهماءُ) تُبكينـــي أنـــا

وابنـــه (العـــز) يهادينـــا المُنـــى ... مُشـــفقاً أن يُـــدرك اثنـــين الفنـــا

****

يـــا حبيبـــاً طيفـــه كـــالنغمِ ... إنْ يَـــزرْ يَمـــحُ عُتـــيَ الألـــمِ

تفتـــدي رؤيـــاك روحـــي ودمـــي ... يـــا لطيفـــاً ، يـــا جميـــلَ الشِـــيَم

إن ذكـــراك تُســـلي عشـــمي ... ولهـــا شـــوقي تخطـــى نهمـــي

والـــذي ســـواك جُـــدْ بـــالرُحُم ... وارحـــمِ الـــنفسَ ، وأبـــرئ قسَـــمي!

****

فـــي (عُسَـــيلانَ) أنـــاجي مُقلتيـــا ... والمُنـــى تخفِـــقُ فـــي (تمنـــا) لـــديا

وابنتـــي (الـــدهماءُ) كـــم نـــادت عليـــا ... وشـــرودي طـــال عقلـــي الألمعيـــا

صـــوتُ (عِـــز الـــدين) وافـــى مَســـمَعَيا ... وأنـــا أبكـــي ، ومَـــن يُصـــغي إليـــا؟

فـــارحمِ الأســـرة إن كنـــت حَفيـــا ... أم فـــؤادُ الحِـــب قـــد أمســـى خَلِيـــا؟

****

زارنـــا الأهلـــون ، جـــاؤوا للعَـــزا ... فشـــكرناهم ، وضـــاعفنا الجـــزا!

كـــم تأملنـــا اللقـــاءَ المـــوجزا! ... عنـــك مـــا قـــالوه أمســـى معجـــزا

كـــــل فـــــردٍ حُـــــبَ أهـــــلٍ أبـــــرزا رغـــم أن الـــبعض زوجـــي لمـــزا!

وكـــــذا بعـــــضٌ بـــــردٍ غمـــــزا هـــل هـــمُ أغنـــوْا عشـــيراً هَمَـــزا؟

****

عنـــدنا المـــالُ فهـــل هـــذا البـــدَلْ؟ نشـــتري مـــا نشـــتهي دون وجـــل!

هـــل بمـــال نشـــتري بعـــض الأمـــلْ؟ هـــل بمـــال نشـــتري أجـــدى الحِيَـــل؟

ليعـــــود الحِـــــبُ يحيـــــا بالأهَـــــل! بعـــد أن وافـــاهمُ قـــربُ الأجـــل!

لســـتُ أدري كيـــف أحيـــا؟ مـــا العمـــل؟ يـــا إلـــه النـــاس أدركْنـــا بحـــل!

****

قـــال (عـــز الـــدين) أينـــاهُ أبـــي؟ دونـــهُ العـــيشُ كمثـــل الغيهـــبَ!

صـــــارحيني بـــــالكلام الطيـــــبِ واصـــدقيني ، والطفـــي يـــا أمُ بـــي!

هـــل سنقضـــي عُمرنـــا فـــي نصَـــب؟ كـــلُ طفـــل بـــين أم وأب!

وأنـــا والأخـــتُ فـــي وهـــم غبـــي أن يعـــود الأبُ يَقضـــي مَـــأربي!

****

أيهـــا الجيـــرانُ كونـــوا أهلنـــا واعـــذرونا فـــي بـــلاءٍ هالنـــا

واذكـــروا بـــالخير مَـــن كـــان لنـــا كـــل شـــيءٍ ، كـــان يَهـــدي بالنـــا

ويُســـلي بالهنـــا أحوالنـــا وهنـــا فـــي دار قـــومي عالنـــا

وغـــدتْ أموالـــه أموالنـــا وغـــدت أقوالـــه أقوالنـــا

****

يـــا حبيبـــي نُصْـــبَ عينـــيّ الغطـــاءْ وعلـــى المِشْـــجَب يُشـــجينا الـــرداءْ

وإزارُ العُمـــرة الشـــهبا كِســـاء وعلـــى الـــرف زجاجـــاتُ الـــدواء

وعلـــى المكتـــب مِســـباحٌ مُضـــاء وأمـــام البـــاب يُبكينـــا الحِـــذاء!

كـــل آثـــارك تســـتجدي البكـــاء مـــا كرهناهـــا لأنـــا فـــي ابـــتلاء!

****

نرقـــــبُ الأثـــــوابَ زانـــــت غرفتـــــكْ ... وبقايـــــا المســـــك تغـــــزو جُؤنتـــــكْ

وإلـــــى الشـــــباك تهفـــــو طلعتـــــك ... ولـــــدى البـــــاب نواســـــي غَيبتـــــك

وعلـــــى الكُرســـــيّ تبكـــــي غترتـــــك ... وطيـــــوفُ الشـــــوق فـــــي سِـــــجادتك

وعلـــــى السُـــــلّم ترنـــــو خطوتُـــــك ... ردك المَـــــولى تُســـــلي أســـــرتك

****

إن فـــــي (بيحـــــان) أطـــــلالاً قصـــــية ... وهنـــــا فـــــي (شـــــبْوَةٍ) خلـــــفَ الثنِيـــــة

عنـــــد أخـــــوال لنـــــا أهـــــل حَمِيـــــة ... كـــــم تـــــذاكرنا الخـــــلالَ الأريحيـــــة!

بُكـــــرة كـــــان التلاقـــــي أو عَشِـــــية ... لـــــم نكـــــن نـــــدري متـــــى تـــــأتي المنيـــــة!

ولنـــــا فـــــي الصـــــبح أذكـــــارٌ زكيـــــة ... وصـــــلاة الليـــــل بـــــالتقوى نقيـــــة

****

أيهـــــا الغائـــــبُ يرعـــــاك الإلـــــهْ ... إنْ تكـــــنْ مِـــــت دعونـــــا فـــــي الصـــــلاة

أن تـــــرى الأخـــــرى بـــــديلاً للحيـــــاة ... رحمـــــة المـــــولى ثـــــوابٌ للتقـــــاة

أو تكـــــنْ حيـــــاً ليرْجعْـــــك الإلـــــه ... وحـــــدهُ العـــــالمُ بالســـــر وراه

وحـــــده القـــــادر فلننشـــــدْ رضـــــاه! ... هـــــل لنـــــا فـــــي كربنـــــا ربٌ سِـــــواه؟!

****

أيهـــــا الغائـــــبُ بتنـــــا لا نـــــراكْ ... أنـــــا والطفـــــلان لا نبكـــــي ســـــواك

وعلـــــى جمـــــر الغضـــــى دون حِـــــراك ... نســـــهرُ الليـــــلَ يُناجينـــــا هـــــواك

يـــــا إلـــــهَ النـــــاس أســـــعدْ مَـــــن دعـــــاك ... لا تُخيّـــــبْ يـــــا إلهـــــي مَـــــن رجـــــاك

إن يكـــــنْ أدرك محبـــــوبي الهـــــلاك ... ربنـــــا ارحمْـــــهُ ، وألزمْنـــــا هـــــداك

****

أيهـــــا التائـــــهُ فـــــي الأرض الخـــــرابْ عُـــدْ إلينـــا مِـــن مَجاهيـــل الســـراب

لا تُطـــــلْ بُعـــــدك ، أضـــــنانا الغيـــــاب وطيـــــوفُ البُعـــــد تُـــــدْمي كـــــالحِراب

فـــــارحمِ الأســـــرة مِـــــن هـــــذا العـــــذاب لـــــم يُعوّضْـــــنا طعـــــامٌ أو شـــــراب

ربَنـــــــــا أذنْ لحبيبـــــــــي بالإيـــــــــاب رب ذلـــــلْ مـــــا يّقاســـــي مِـــــن صِـــــعاب

نهج نهج البردة 1425هـ 1 (معارضة للبوصيري)

(قرأ معلم لغة عربية زميل قصيدتنا: نهج نهج البردة ، والتي نشرت من قبلُ في ديوان: (الأمل الفواح) سابقاً. وعلق الأستاذ الفاضل بأنها لم تكن بمستوى البيان المتصور. فوعدته بأنني سأقوم بكتابة نهج جديد للبردة في مستقبل الأيام ، وهذا إن قدر الله لي وشاء وجاءتني المَلكة الشعرية بالإيحاء والصورة. وقد كان ، فأحسست بجنين البردة يتحرك في ضميري. فأهديتُ سيدي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نهجاً جديدا للبردة: أتحدث إليه فيها لست متوسلاً به – معاذ الله – فهذا شرك لا يرضاه لنا رسول الله قط ، ولكن أكلمه من مشربية (السلام عليك أيها النبي ، ورحمة الله وبركاته). كما أنني لست أشكو له الحال ، فإن ذلك لا يكون إلا لله سبحانه. بل أقارن حال الأمة المسلمة اليوم بحالها بالأمس. وذلك في باقة عطرة من الجمال ، الذي يناسب الحديث إلى الرسول النبي الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ. وكنت قد عرضتها على الزميل الذي نقد بردة الأمس. فأخذ يمتدحها فشكرته. والحقيقة أنني غلبت فيها الواقعية ، وإنما كان الخيال في الصور والتراكيب! في مقال عنوانه: (الشعر وموقف الإسلام منه) يقول الدكتور محمد بن سعد الدبل ما نصه بتصرف يسير: (قديماً قال النقاد: "أعذب الشعر أكذبه" ؛ أي: إن الشاعر متى اعتمد في صوره الشعرية على الخيال المجنَّح الغارق في المعاني غير الحقيقية كان في إلهامه الشاعري بعيدًا عن الواقعية ، مما يفرض عليه التعمية والألغاز أحيانًا في تلمس المعنى والخروج به إلى المتلقِّي في ثوب قد يُعرى مِن الصحة ، ويَنعكِس الإبداع فيه إلى صورة مشوَّهة يمجُّها الذوق ويَنفر منها العقل وترفضها الفِطرة السليمة ، وتلك المآخذ قد عري منها الشعر المتأدب بأدب العقيدة والتوحيد ذلك لأنه في نزعته الإسلامية تقيَّد بالمعاني الحقيقية التي يمنحها الإسلام لكل فرد ولكل مجتمع ، فانطلق الشاعر في صوره ومعانيه وأخيلَته من هدي الإسلام الذي هو معانٍ حقيقيَّة لا تَحتمِل التأويل والتخييل المُفرِط. ومِن خلال دراسة بعض القصائد الإسلامية ومِن خلال دراسة نظرة الإسلام وتصوُّره الشامل للحياة يُمكننا القول عن موقف الإسلام مِن الأدب بعامة ، ومِن الشعر بخاصة: إن أول ما يَحسُن ذكره في هذا المقام أن نقف على شيء مِن النُّظُم والعادات والتقاليد والأعراف التي كانت سائدةً إبان العهد الجاهلي لتَّتضح الرؤية في تحديد موقف الإسلام مِن الأدب عامة ومِن الشِّعر خاصة. وإذا كنا بصدد الكلام على موقف الإسلام مِن الأدب بعامة وموقفه من الشعر بخاصة ، فإن هنالك عادات ونظُمًا وتقاليد وأعرافًا وأخلاقًا درَج عليها العرب في جاهليتهم ، وجاء الإسلام فأقرَّ مِن هذا كله ما هو وثيق الصلة بتشريعاته وَفق كتاب الله وسنَّة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ. فمِن العادات التي درج عليها الجاهليون: عادات في الزواج ، وعادات في المِهَن والصناعات ، إلى جانب التمرُّس بأخلاق إيجابيَّة وأخرى سلبيَّة. فمِن الأخلاق الحميدة: عزَّة النفس ، وكرْه الذلّ ، وبغْض الظلم ، والترفُّع عن أخذ الديَة ، وإكرام الضيف ، وحبُّ السلام ، وحفظ حقوق الجار. ومن الأخلاق السيئة التي تفشَّت في المجتمع الجاهلي: لهْو الشباب ، وقلخ الشواب ، وابتذال المرأة صغيرة وكبيرة ، ومُعاقَرة الخمر ، ولعب القمار ، والدعوة إلى الثأر وتأريث العداوات. وقد خالَج هذه الأخلاقَ ألوانٌ من المحامد والفضائل ؛ كصفاء النفس ، والإيمان بالله – تعالى ـ وإكرام المرأة للرجل ، وإكرام الرجل للمرأة ، والتأثر بالحِكم الصادقة وحب المشورة والحلم والأناة. وحين جاء الإسلام أقرَّ مِن هذه القيم ما يلي: حب السلام ، والشجاعة، والإيثار ، والكرم ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، ومساعدة الفقراء

وحسن المعاشرة ، والحلم ، والصدق والأمانة ، والوفاء، والرأفة بالحيوان ، والتكافل الاجتماعي ، ومقْت الظلم ، وحقوق المرأة ، والحقوق الزوجية ، وبرُّ الوالدين ، ثم ختم هذه القيم الرفيعة والمثل العليا بقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). وهذا يعني - بالضرورة - أن الأدب الإسلامي بمصدريه النثر والشعر قد اتخذ من هذه القيم مادته التي ينزع عنها في معالجة الأدواء التي يشكو منها الفرد والجماعة على حدٍّ سواء. وعلى الرغم مِن أن نُقَّاد الأدب قد نادوْا بتأثير العقل والعاطفة والخيال على العطاء الأدبي ، فإن الإسلام في نظرته إلى الأدب قد وسَّع دائرة النظرة عند النقاد فسَمَا بالعقل ، وسما بالعاطفة ، ولم يَحجب الرؤية الأدبية مِن خلال الخيال الشاعري ، ولكنه عمل على تهذيب العواطف والارتفاع بخيال الأديب عن سفاسف الأمور ؛ حتى لا يطغى جانب العاطفة على جانب العقل ، فلكلٍّ منهما أثره وجدواه في جودة الأدب ورفعته ، وقيمه الفنية. وقد تحدث الإسلام عن المَعين الأول للأدب والقيَم الإنسانية كلها ، ذلك المعين هو (العقل) ؛ فقد جعل له الإسلام مزية تَفوق أرقام الحساب ، ودلالات اللفظ اليسير ، قبل الرجوع في تأييد هذه المزية إلى المناقشات والمذاهب التي قد تَختلِف فيها الآراء. وتلك المزية هي: التنويه بالعقل والتعويل عليه في أمر العقيدة ، وأمر التبعة والتكليف. ففي كتب الأديان الكبرى إشارات صريحة أو ضمنية إلى العقل أو إلى التمييز ، ولكنها تأتي عرضًا غير مقصودة ، وقد يلمَح فيها القارئ - أحيانًا - شيئًا مِن الزراية بالعقل أو التحذير منه ؛ لأنه منزلة العقائد ، وباب مِن أبواب الدعوى والإنكار. ولكن القرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه ، ولا تأتي الإشارة إليه عارضة مقتضبة في سياق الآية ، بل تأتي في كل موضع مِن مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة وتتكرَّر في كل معرض مِن معارض الأمر والنهي التي يُحثُّ فيها المؤمن على تحكيم عقله ، أو يُلام فيها المُنكر على إهمال عقله وقَبول الحَجرِ عليه ، ولا يأتي تكرار الإشارة إلى العقل بمعنى واحد مِن معانيه التي يشرحها النفسانيون من أصحاب العلوم الحديثة ، بل هي تشمل وظائف الإنسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها. وتتعمَّد التفرقة بين هذه الوظائف والخصائص في مواطن الخطاب ومناسباته ، فلا يَنحصِر خطاب العقل في العقل الوازع ، ولا في العقل المُدرك ، ولا في العقل الذي يُناط به التأمل الصادق والحكم الصحيح ، بل يعمُّ الخطاب في الآيات القرآنية كل ما يتسع له الذهن الإنساني مِن خاصة أو وظيفة. فالعقل - في مدلول لفظه العام - ملَكة يُناط بها الوازع الأخلاقي أو المنع مِن المحظور والمنكور ، ومِن هنا كان اشتقاقه مِن مادة "العقل" التي يؤخذ منها العقال ، وتكاد شهرة العقل بهذه التسمية أن تتوارَد في اللغات الإنسانية الكبرى التي يتكلم بها مئات الملايين مِن البشر. وهذا يعني أن الأدب فنٌّ جميل قوامه العقل والعاطفة معًا ، فلا يَحسن أن يَطغى جانب أحدهما على الآخَر).هـ. وتحت عنوان: (الشوق إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم -) قال محمد المنجد: (وقد اشتاق الصحابة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - في حياته وبعد مماته ، وأحبوه حباً لم يعرف التاريخ مثله ، حتى قال أنس: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقْبِلُ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْهُ). رواه أحمد ، وإسناده صحيح. وقال علي رضي الله عنه: (كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ). الشفاء بتعريف حقوق المصطفى. "وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ" كما يقول عمرو بن العاص رضي الله عنه: لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ. رواه مسلم. وقال عدوه: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً". السيرة النبوية الصحيحة. وهكذا تغلغل حبه في قلوبهم

فوصل إلى الحشايا وتعمق في نفوسهم ، فكان أحب إليهم من أموالهم وأولادهم ووالديهم والناس أجمعين ، كما قال لهم وعلّمهم: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين). رواه البخاري. بل كل من صدقت محبته للنبي - صلى الله عليه وسلم - أحبه أكثر من نفسه ، ولذلك كان أحدهم يقول: نحري دون نحرك. وقال عمر للعباس: يا عباس والله لإسلامك يوم أسلمت أحبَّ إليّ من إسلام الخطاب - يعني أباه - لو أسلم وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب لو أسلم". الطبراني. وعمر رضي الله عنه لم تمنعه قوة شخصيته ولا غضبه في الحق أن يكون صاحب مشاعر حساسة وقلب مرهف تجاه النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فقد فرض لأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ثَلَاثَةِ آلَافٍ وَخَمْسِ مِائَةٍ ، وَفَرَضَ لابنه ثَلَاثَةِ آلَافٍ ، فسأله ابنه عن ذلك فقال: لأَنَّ زَيْدًا كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَبِيكَ ، وَأُسَامَةُ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْكَ ، فَآثَرْتُ حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ. الترمذي. وقد حكى التاريخ حبهم له ، حتى أن الملوك لا يُفعل معها كما يفعل معه ، لا من باب الذل والعبودية ، ولكن من باب التوقير ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ – يعني ما رأيت ملكاً قط - يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَمَّدًا ، وَاللَّهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ). رواه البخاري. وكانت محبته في قلوبهم أصيلة ، وكان شوقهم إليه عظيماً ، هذا ثوبان مولاه كان قليل الصبر عنه ، يشتاق إليه كل يوم ، جاءه يوماً وقد رأى في وجه تغيراً فقال: (ما غير لونك)؟ فقال: يا رسول الله ما بي من مرض ولا وجع غير أني إذا لم أرك اشْتقت إِلَيْك وَاسْتَوْحَشْت وَحْشَة شَدِيدَة حَتَّى أَلْقَاك ، ووالله إنك لأحب إلي من نفسي وأهلي وولدي ، وإني لأكون في البيت ، فأذكرك فما أصبر حتى آتيك ، فأنظر إليك ، وإذا ذكرت الآخرة عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين ، وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك! فنزل قوله تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}. الطبراني في الأوسط. وقال الألباني: صحيح بشواهده. وكان بلال يرددها قبل أن يموت ، وكان خالد بن معدان لا يأوي إلى فراشه إلا ويذكر شوقه إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم - ومن مضى من أصحابه وآله ويقول: هم أصلي وفصلي ، وإليهم يحنّ قلبي ، طال شوقي إليهم. وهكذا كانت العجائز في بيوتها إذا نفشت الصوف تتذكر محمداً - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه الأخيار ، وكيف كان بكاؤهم بالأسحار. ولما قال النبي - عليه الصلاة والسلام - لواحد من الصحابة : (أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ). قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك. رواه البخاري ومسلم. كيف لا وهو سبب منع العذاب عنهم؟ ، لأن الله قال في كتابه: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ}. كيف لا وهو مصدر الوحي ، يأتيهم عبره ، كيف لا وهو قدوتهم ، {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}. ذو البجادين تربى في حجر عمه ، فنازعته نفسه إلى الإسلام ، فقال: يا عم كنت أنتظر سلامتك بإسلامك فلا أراك تريد محمداً فأذنْ لي في الإسلام. فقال: والله لئن أسلمت لأنتزعن كل ما أعطيتك حتى ثوبيك! فصاح لسان عزيمته: نظرة من محمد عليه الصلاة والسلام أحب إلي من الدنيا وما فيها. فجرده عمُه من كل شيء حتى الثياب فناولته أمه بجادًا لها ، فقطعه نصفين ، فاتزر نصفًا وارتدى نصفًا. وأتى رسول الله ، فقال: ما اسمك؟ قال: عبد العزى. فقال: بل عبد الله ذو البجادين". اللطائف وصفة الصفوة وحلية الأولياء. وهكذا زيد

رضي الله عنه يقول للكفار: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وإني جالس في أهلي! الطبراني في الكبير).هـ. ومن هذا المنطلق أكتب النهج الثاني للبُردة النبوية تعبيراً عن مدى حبي لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – وشوقي إليه! والآن لنطالعها سوياً. وأعتذر عن الطولين المتعمدين: طول المقدمة وطول القصيدة!)

مِسْكَ القريض ، أفضْ مِن زهركَ الفغمِ ... وابعثْ أريجك عن بُعدٍ وعن أممِ

وامنحْ عبيرَك شعراً يَستنيرُ به ... واغمرْ يراعته بنورك المتمم

وهاتِ مِن جؤنة الأشعار ملحمة ... من البيان ، مَداها غيرُ مُنبهم

وضمّخ الشعر بالريْحان ، إن له ... شذىً يفوحُ ، فيفري لجة السأم

وزخرفِ اللفظ بالنسرين تهفُ له ... روحُ البديع ، فتزكو همّة الكلم

واعمدْ إلى المَندل المِعطار ، إنّ له ... في عالم الشعر نفحاً عاطر النغم

واصبغ بصَندلك الفوّاح جبهته ... لتُذهِبَ الحزَنَ المعجونَ بالألم

وبالخزامى أفضْ يا مسك في كرم ... فالجودُ بالعطر مِن بُحبُوحة الكرم

وبالبنفسج جمّرْ عذب مَبسمه ... وألقهِ بفؤادٍ فيك مُبتسم

وذوّب النرجس المحبور في ولهٍ ... فالشعرُ بالعِطر يُردي غصة الغمم

وبالقرنفل بخرْ صورة برزتْ ... تتيه فخراً بشعر نابهٍ فقِم

بالجُلّنار فخضّبْ ما أسطرهُ ... شِعراً تضلع مِن فحوى عزيز دمي

وادهنْ بعنبرك الإيحاءَ مرتقباً ... طيفَ القريض أتى مِن شيّق الحُلم

ونسّم الشعر بالكافور يَسْمُ على ... شدو البلابل في مسامع القِمم

وطيّب الحرفَ بالخطميّ في ألق ... لأن في الشعر ألواناً مِن الحِكم

وجُدْ بسوسنِك الأجواءَ عابقة ... ففي القريض يواقيتٌ مِن الشِيم

بالياسمين تعقبْ كل قافيةٍ ... حتى تزيدَ سنا الترجيع والنغم

وبالورود تناولْ ما أبوحُ بهِ ... مِن القريض بلا عِيٍّ ولا لسم

بـــالزعفران تخلـــلْ شـــعر مُرتجـــفٍ ... يغـــوصُ فـــي الـــوزر والعِصـــيان والأثـــم

وغـــطِ بالفـــل أبيـــاتٍ أســـجّلها ... والشـــعرُ بالصـــدق عـــفٌ غيـــرُ مُنهـــزم

وبـــالأراكِ فســـوكْ ثغـــر مُنشـــدِهِ ... إن الخلـــوفَ يُنـــاوي لـــذة الـــنهم

وبالزبرجـــد زيّـــنْ جيـــدَ صـــورتهِ ... وزدْ نضـــارته بلامِـــع القضـــم

وبـــالزمُرّد طـــرّز ثـــوب لهجتـــهِ ... بعقـــد نـــور - علـــى الأبيـــات - مُنـــتظم

وبـــالعقيق تتبـــعْ نـــور عزمتـــه ... حتـــى يُفارقـــه مُحلولـــكُ الظلـــم

وزركـــش الشـــعر بـــالفيروز مُحتفيـــاً ... بخيـــر مَـــن ســـار فـــي الـــدنيا علـــى قـــدم

وحـــل بالمـــاس - براقـــاً - مَقاطعـــهُ ... ومُـــجّ عِطـــرك فـــي القِرطـــاس والقلـــم

وجمّـــل الـــوزن بالمَرجـــان يُتحفـــهُ ... فكسْـــرُ وزنِـــك يُـــردي رقـــة الـــرنم

بـــاللازوَرْد فـــذهّب قـــاع مُخملـــهِ ... حتـــى يفـــوق ضـــياءً طلعـــة الـــنجم

وافـــرشْ مِـــن الســـندس اللمّـــاع نمرقـــة ... وانصـــبْ خيامـــك - فـــوق الأرض - بالـــدعم

وبـــاللآلئ لِـــجْ (بحـــر البســـيط) ، فـــلا ... تـــدعْ حُـــداه ، فهـــذا بحـــرُ ذي الهمـــم

وضـــعْ صـــداه علـــى الـــديباج ، وارق بـــه ... رُقِـــيَ مُحتســـب بـــالله مُعتصـــم

لأن كاتبـــه يُهديـــه فـــي شـــرفٍ ... لخيـــر خلـــق مليـــك النـــاس كلهـــم

(محمـــدِ) الحـــق هادينـــا ومُرشـــدِنا ... رســـول رب الـــورى للعُـــرْب والعَجَـــم

ومَـــن بـــه أنقـــذ الـــرحمنُ عالمنـــا ... مِـــن الضـــلال ، ومِـــن ظلّـــم ، ومِـــن ظلَـــم!

نبـــيٌّ سِـــلم وتوحيـــدٍ ومَعدلـــةٍ ... وصـــفوةُ الله حقـــاً ســـيدُ الأمـــم

رســـولُ مرحمـــةٍ مُثلـــى ومَلحمـــةٍ ... أحيـــا الأنـــامَ بهـــذا المـــنهج اللقـــم

حـــاز المعـــاليَ ذا فـــي كـــل مَنقبـــةٍ ... أحيـــا المليـــكُ بـــه الـــدنيا مِـــن العَـــدم

جلـــتْ عـــن الوصـــف أخـــلاقٌ بـــه اقترنـــتْ ... ولا حـــدود لمَـــا يَعـــروهُ مِـــن قِـــيم

صـــلى عليـــه مليـــكُ الكـــون مـــا طلعـــتْ ... شـــمسٌ ، وجـــنّ هزيـــعُ الليـــل بالســـخم

دعـــا إلـــى الله فـــي ســـر وفـــي علـــن! ... لـــم يخـــش بـــأس كفـــور القلـــب مُجتـــرم

وكـــم غـــزا لتُـــرى للحـــق عزتـــه ... فـــلا يـــذوقُ أذىً بســـيف ذي غشـــم!

وحربُـــه ســـطعتْ فـــي كـــل مُعتـــركٍ ... تُقـــيم شـــرعاً ، ولا تـــأوي لســـفك دم

فحـــرّر النـــاس مـــن أغـــلال مَـــن عبـــدوا ... غيـــرَ المليـــك مِـــن المَخلـــوق والصـــنم

عفـــا عـــن النـــاس لمّـــا صـــار منتصـــراً ... فقيـــل: أنـــت أخ يحنـــو علـــى الـــرحم

فقلـــت: يـــا قـــوم فـــي هـــذي الـــدنا انطلقـــوا ... ويســـلم اليـــومَ مَـــن يلـــوذ بـــالحَرم

ومَـــن إلـــى داره يـــأوي ففـــي دَعَـــةٍ ... فـــلا ســـبيل إلـــى ثـــأر ولا نِقـــم

ومَـــن لـــدار أبـــي ســـفيانَ يـــأو فـــلا ... يخـــافُ هضـــماً ولا شـــيئاً مـــن القصُـــم

ســـماحة لـــم تـــر الـــدنيا لهـــا شـــبهاً ... وعِفـــة تُوجـــتْ بـــالعِز والشـــمم

وقلـــبُ (أحمـــدَ) لا قلـــبٌ يُضـــارعُه ... خـــلا مِـــن الغِـــل والبُهتـــان والـــوَغم

ولقـــن الكفـــرَ درســـاً لا يُجـــاوزه ... علـــى شـــواظٍ مِـــن التوحيـــد مُحتـــدم

وأمســـك الســـيف فـــي (بـــدر) يـــذودُ بـــه ... كأنـــه أســـدٌ قـــد هِـــيج فـــي الأجـــم

وعَلـــم الأمـــة العصـــماء شِـــرعتها ... فزادَهـــا شـــرفاً بالمَنهـــل الشـــبم

وبـــات حاكمهـــا ، وبعـــدُ قاضـــيها ... أكـــرمْ بأحمـــدَ مِـــن قـــاض ومِـــن حكَـــم!

وعـــاش أســـوة مَـــن أخلاقـــة اتبعـــوا! ... مَـــن يتبـــع هديـــهُ الوضّـــاءَ يَســـتقم

وجـــلّ فـــي الوصـــف عـــن سُـــوآى ومَنقصـــةٍ ... وجَـــلّ عـــن منكـــر يُـــزري وعـــن كـــثم

رعـــى الجـــوار ، فلـــم يغـــدرْ وإن غـــدروا ... والغـــدرُ أخبـــثُ مـــا فـــي الأرض مـــن جُـــرُم

وبالبيـــان تحـــدّى كـــل ذي أدب ... قـــرآنُ ربـــك بـــاري الخلـــق والنســـم

والمعجـــزاتُ علـــى يديـــه قـــد بَهـــرتْ ... ألبـــابَ مَـــن عقلـــوا ورؤيـــة الـــنهم

ثـــم القـــرآن أتـــى للنـــاس معجـــزة ... يهـــدي الأنـــام إلـــى المهـــيمن الحكـــم

ثـــم النبـــي يجلـــي كـــل غامضـــةٍ ... لكـــنّ شـــانئهُ عـــن الرشـــاد عمـــي

تبـــارك اللهُ مَـــن بـــالحق أيّـــدهُ ... فـــراح يـــدعو بـــلا ضـــعفٍ ولا وهَـــم

وبـــايع الصـــحبُ فـــي عِـــز نبـــيّهمُ ... أنعـمْ بهـم فـي الـورى مـن سـادةٍ لـزم!

كـــانوا الزهـــور بـــوادٍ غيـــر ذي زهـــر ... واللهُ بـــارك فـــي أزهـــاره الفغـــم

كـــانوا النجـــوم لســـار فـــي ديـــاجره! ... والصِـــيدَ إنْ وُجـــدوا فـــي شـــدة القحَـــم

هـــمُ الصـــناديدُ إن ضـــاق العـــدوّ بهـــم ... ذرعـــاً ، وأبـــدى لهـــم أحـــوال مُنـــتقم

ويحتمـــون بخيـــر الخلـــق فـــي ثقـــةٍ ... حيـــث النجـــاة لهـــم إذا الـــوطيسُ حمـــي

والكـــل يفـــدي رســـول الله مُحتســـباً ... إن طـــاش ســـيفٌ بَغَـــى ، أو بالســـهام رُمِـــي

تقبـــل الله ، يـــا جـــيلاً نتيـــهُ بـــهِ ... يـــا رب فـــارض عـــن الرئبالـــة الكُـــرُم

تفـــرّد الجيـــلُ بـــالقرآن تربيـــة ... فـــراح يرفـــلُ فـــي الأفضـــال والـــنعم

واليـــومَ يُظلـــم فـــي تقيـــيم مَـــن جهلـــوا ... وحولـــه نســـجتْ كـــم مِـــن فِـــرىً جُسُـــم!

يُنـــال منـــه بـــلا ذنـــب جنتـــه يـــدٌ ... وعنـــه تكتـــبُ أيـــدي العِيـــر والعَجَـــم

مُجلـــداتٌ تعـــاف العـــينُ رؤيتهـــا ... وأمســـياتٌ تُصـــيبُ الأذنَ بالصـــمم

وتُرّهـــاتٌ عـــن الأصـــحاب باطلـــة ... تُغـــري العِـــدا ، وتُغـــذي النـــارَ بـــالحُمم

بـــالأمس مِـــن حَربـــة الأعـــداء مـــا ســـلموا ... فجرّعـــوهم كـــؤوس الحـــرب عـــن رغـــم

واليـــومَ يَطعـــنهم أبنـــاءُ مِلـــتهم ... بـــالغمز واللمـــز والتجـــريح والقلـــم

بحـــرٌ يمـــوجُ بتلفيـــق ومهزلـــةٍ ... ويُزهـــق الحـــق فـــي أمواجـــه الـــبُهُم

والكيـــدُ طـــال نســـاءَ المصـــطفى طربـــاً ... ومـــا تـــورّع عـــن فحـــش وعـــن لمـــم

وأمّهـــاتُ نســـاء المـــؤمنين علـــى ... أوراقهـــم مِـــزقٌ طابـــت لمُلـــتهم

مِـــن كـــل مُهتـــرئ الاخـــلاق مُـــرتكس ... يمـــجُ زيفـــاً عـــن الكـــرائم العُصُـــم

حتـــى الـــروافض مَـــن ضـــلوا ومَـــن فســـقوا ... يُؤججـــون أوارَ الـــدسّ والوَصَـــم

تنـــاولوا بمِـــداد الإفـــك (عائشـــة) ... و(ابـــن الســـلول) لهـــم نـــارٌ علـــى علـــم

تطـــاولوا ، وجميـــعُ النـــاس تعـــرفهم ... وأشـــعلوا فتنـــة تعـــجُ بالضـــرم

وكـــذبوا بصـــريح الـــنص يكبـــتهم ... وبـــئس قـــومٌ غلـــوْا مِـــن فسّـــق غشـــم!

هـــي البريئـــة ، والقـــرآن شـــاهدُنا ... جلـتْ عـن الإفـك والتخـريص والـتهم

نحبهـــا ، ونحـــب الأمـــر تشـــرعُهُ ... وشـــمسُ سُـــؤدَدِها ، واللهِ ، لـــم تغـــم

نجلّهـــا ، ونجـــلّ القـــولَ تـــذكرهُ ... عـــن النبـــي بلفـــظٍ جـــدٌّ مُحتـــرم

بنـــت التقـــي (أبـــي بكـــر) ، وذا شـــرفٌ ... أكـــرمْ بـــه مِـــن عفيـــفٍ مُنفـــق حَشِـــم!

وحَفصـــة الخيـــر لا ننســـى مواقفهـــا ... فـــإن سِـــيرتها تـــروقُ ذا فهـــم

جلـت عـن الوصـف فـي ديـن وفـي نسـب ... وجُودُهـــا فـــي المعـــالي لـــيس بـــالأمم

ويـــوم طلقهـــا (المختـــار) طلقتهـــا ... أتـــاه (جبريـــل) فـــي مهـــوىً لـــدى إضـــم

يُقـري السـلامَ علـى سـمع النبـي ضُـحىً ... مِـــن الإلـــه الـــرحيم المُقسِـــط الحَكَـــم

راجـــعْ (حُفيصـــة) ، هـــذي نعـــم مؤمنـــة! ... وإنهـــا ســـاعدٌ فـــي حالـــكِ الإزم!

صـــوّامة ، حبّـــذا الصـــيام منقبـــة ... لـــولا اتبـــاعُ الهُـــدى والحـــق لـــم تصِـــم

قوّامـــة ، خيـــرُ مـــا تأتيـــه مُســـلمة ... لـــولا مجاهـــدة الشـــيطان لـــم تقـــم

فردّهـــا ، وجـــراحُ الحفـــص مـــا انـــدملتْ ... تبكـــي دمـــاءً ، وتُبـــدي حَســـرة النـــدم

بنـــتُ المُهـــاجر - رغـــم الكيـــد - فـــي علـــن ... والجـــو يعصـــفُ بالأريـــاح والـــديم

والكفـــرُ شـــمّر عـــن ســـواعدٍ حملـــتْ ... ســـيوفها ، ورجـــالٍ فـــي الـــوغى بُهُـــم

فقـــال: أقتـــل مَـــن يـــأتي يبـــارزني ... كـــالحوت يفتـــك إمـــا شـــاء بـــالبلم

أهـــاجرُ - الآن - لا أخشـــى صـــوارمكم ... وســـيفنا - فـــي الـــدواهي - غيـــرُ مُنـــثلم

وأســـتهينُ بفرســـان تُحمِّسُـــكم! ... لـــيَ الحيـــاة ، وأنـــتم فـــي دُجـــى العـــدم!

فـــإنْ قتلـــتهمُ ضـــاعت عـــوائلهم ... لقـــد يُعـــانون وخـــز الأيْـــم واليُـــتم

خـــاض الغِمـــار فـــأجلى كـــل داهيـــةٍ ... لأنـــه بطـــلٌ فـــي الحـــرب خيـــرُ كمـــي

ثـــم اعتلـــى (عمـــرُ الفـــاروق) دولتنـــا ... فوطـــد العـــدل ، يَـــروي أنجـــعَ الـــنظم

وعـــاش ليثـــاً يَـــرى الأعـــداءُ صـــولته ... نصـــيرُ مغتصَـــب الحقـــوق مُهتضَـــم

كـــان الـــرحيم بأهـــل السِـــلم أجمعهـــم ... علـــيهمُ قلبُـــه يفـــيض بـــالرُحُم

وكـــان عـــون أبـــي بكـــر إذا انـــدلعتْ ... نـــارُ الخـــلاف بـــرأي غيـــر مُنصـــرم

للهـــمّ فـــارض عـــن (الفـــاروق) إنّ لـــه ... فضـــلاً علـــى جيلنـــا مُستشـــرق العِظـــم

يـــا رب وارض عـــن الصـــدّيق مـــا اكتحلـــتْ ... عـــينٌ بغمـــض وفـــي الأحـــداق قطـــرُ دم

قـــد آمَنـــا برســـول الله ، وامتـــثلا ... ليُـــدخل الله كـــلاً جنـــة السَـــلم

كـــذا (علـــيٌ وعثمـــانٌ) وآلهـــمُ ... أنعـــمْ بهـــم وبـــأهليهم وبالخـــدم!

يـــا رب وارض عـــن الأصـــحاب مـــا بقيـــت ... نفـــسٌ تتـــوق إلـــى شـــفاعة الهَشِـــم

علـــى العدالـــة هـــم ، رغـــم الألـــى انحرفـــوا ... ومَـــن يدسّـــون أعتـــى السُـــم فـــي الدســـم

اختـــارهم ربنـــا عونـــاً لأســـوتنا ... كـــانوا البـــدور تُجَلـــي شِـــدة العشـــم

أهـــدي إليـــك ســـلاماً يـــا نبـــيُ ، وبـــي ... شـــوقٌ إليـــك ، ولـــي شـــيء مِـــن العَشـــم

بـــأن تكـــون شـــفيعي عنـــد خالقنـــا ... فـــي يـــوم بعـــث الـــورى مِـــن رقـــدة الـــرُجُم

لـــم نتبعْـــك كمـــا تحـــبُ أنـــت لنـــا ... ولـــم نحـــافظ علـــى آل ولا ذِمَـــم

وقطعـــتْ - بيننـــا - الأرحـــامُ فـــي وضَـــح ... يـــا ويـــح فرقتنـــا مُســـودة العَـــرَم!

ولـــم تُحَكّـــم كتـــاب الله أمتنـــا ... حتـــى اســـتهانت بـــوحي الله والحُـــرُم

والشـــرعُ يَعصِـــمُ مَـــن يحيـــا يطبقـــهُ ... ومَـــن قـــلاه فمـــا للغِـــر مِـــن عِصَـــم

وفـــي الـــديار منـــاطيقٌ فلاســـفة ... وعنـــد حـــق يُصـــابُ الكـــل بـــالبكم

فـــي كـــل صُـــقع قـــوانينٌ مُحكّمـــة ... رغـــم التقـــارب فـــي البُلـــدان والـــتخم

وللزنـــا والخنـــا فـــي الـــدار قـــد بُنِيـــتْ ... شـــتى الصـــروح ، وفيهـــا أفســـقُ النســـم

أمـــا الربـــا فلـــه البنـــوك رافعـــة ... لـــواءَ حـــرب علـــى الجبـــار كـــالعلم

إنـــي لأقســـم أن الـــدار قـــد فســـقتْ ... ولســـتُ أحنـــث - إن أقســـمتُ - فـــي القســـم

أكـــادُ أقطـــع أن الأمـــة انحـــدرتْ ... إلـــى الحضـــيض ، وعانـــت جيفـــة الـــرمم

ولـــو رآهـــا رســـول الله أنكرهـــا ... ولا يـــرى أن هـــذي أمـــة السَـــلم

لأنهـــا بـــدّلت أحكـــام خالقهـــا ... حتـــى تـــداعتْ عليهـــا أكفـــرُ الأمـــم

فأرخصـــتْ عِرضـــها ، وأهـــدرتْ دمهـــا ... لـــولا تنكرهـــا للحـــق لـــم تُـــرَم

تعيـــدُ ذكـــرى ثمـــودٍ فـــي تكبّرهـــا ... وتأخـــذ البطـــر الممقـــوتَ عـــن إرم

تناســـتِ المجـــد يســـري فـــي حواضـــرها ... وبالمعاصـــي زهـــاءُ المجـــد لـــم يَـــدم

واليـــوم قســـمتِ الـــديارُ بـــين قـــوىً ... تلـــوكُ ثروتهـــا ، أبـــئسْ بـــذي القِسَـــم!

وقـــد تـــداولها الـــذؤبانُ فـــي شـــره ... كمـــا تـــداول قطعانـــاً مِـــن الغـــنم

إذ تنـــاول ليـــثٌ عـــن مكانتـــه ... لقـــد يلـــوذ بهـــا حشـــدٌ مِـــن الحَلـــم

كنـــا جهابـــذة فـــي كـــل مُعتـــركٍ ... والبـــأسُ يصـــحبُنا فـــي كـــل مُصـــطدم

يحـــدّث النـــاسَ عنـــا مـــا نمارسُـــه ... مِـــن مبـــدأ - فـــي المعـــالي - غيـــرِ مُنكـــتم

والفـــرسُ والـــرومُ خـــافوا مِـــن كتائبنـــا ... كـــم أنزلـــت بهـــمُ مِـــن أشـــرس القصُـــم!

كانـــت صـــياقلنا - فـــي الحـــرب - ماضـــية ... منهـــا يـــذوق العِـــدا مُحلولـــك السُـــدم

وفـــي العلـــوم ضـــربنا خيـــر أمثلـــةٍ ... كنـــا نـــرى الجهـــل أخـــزى مَرتـــع وخـــم

فـــي الطـــب كانـــت لنـــا أبحـــاثُ كوكبـــةٍ ... وفـــي البحـــار وفـــي الأفـــلاك والأكـــم

وفـــي الحســـاب لنـــا مباحـــثٌ حفظـــتْ ... والغـــربُ ينهـــلُ فـــي حِـــرص وفـــي نهـــم

وفـــي التـــداوي ســـبقنا مَـــن يناوئنـــا ... فـــي درب علـــم عجيـــب الســـر مُعـــتلم

وفـــي الســـلاح خبرنـــا كيـــف نصـــنعه ... والفضـــلُ يرجـــع للمنـــان ذي الـــنعم

كنـــا نطبّـــقُ شـــرع الله نحرسُـــهُ ... حبـــلُ المليـــك لنـــا مِـــن خيـــر مُعتصـــم

ننفـــى الشـــريك عـــن الـــرحمن نعبـــدُهُ ... ونخلِـــص الـــدين ، نرعـــى بيضـــة القـــيم

عفـــواً رســـولَ الهُـــدى ، فالشـــعرُ شـــجعني ... وانهـــال فـــوقي كمثـــل الوابـــل الـــرَذِم

إنـــي إلـــى الله أشـــكو حـــال أمتنـــا ... تعـــيش فـــي كُـــرَب تزجـــي الأســـى دُهُـــم

كـــالعِيس تحمـــل مـــاء المُـــزن ظامئـــة ... يـــا عِـــيسُ فلتشـــربي مـــن مائـــكِ الشـــبم

أو كالنيـــاق وفيهـــا المـــاءُ مُـــدخرٌ ... تشـــكو الظِمـــاء ، فيـــا للأنيـــق الرُسُـــم!

يـــا أمتـــي دونـــكِ القـــرآن فـــاتبعي ... ألـــمْ يقـــل غيرُنـــا هـــذا مِـــن القِـــدم؟

صـــلاحُ أمـــركِ فـــي الإســـلام لـــيس سِـــوى ... فـــيمَ التشـــاغلُ بالأغنـــام والـــنعم؟

والشـــرعُ يقصـــم غربـــاً بـــات يســـحَقنا ... كيـــف التقلـــبُ فـــي أهوائـــه القصُـــم؟

عـــذراً رســـولَ الهُـــدى ، فالأمـــة انتكســـتْ ... تـــئن خائفـــة فـــي ثـــوب مُنهـــزم

تحتـــاجُ شِـــعر فتـــىً فـــذٍ يُـــذكّرها ... أنعـــمْ بشـــعر فتـــىً فـــذٍ ومُعتـــزم!

شـــط القـــريضُ ، فصـــيغتْ منـــه ملحمـــة ... فيهـــا الجيـــادُ تحـــدتْ شِـــدة الشُـــكُم

وطـــرزتْ بـــالجَوى أجـــراسُ قافيـــةٍ ... مثـــلَ الأســـاور فـــي الأقـــدام والعُصُـــم

وكنـــتُ أنـــوى قصـــيداً فـــض جُؤنتـــه ... يكـــاد يُـــروى إذا شـــم العبيـــرَ ظمـــي

يُهـــدى إلـــى المصـــطفى فـــي بُـــردةٍ شـــرفتْ ... جهيـــرة اللفـــظ ، لا تشـــكو مـــن الـــبَكَم

رطيبـــة الجـــرْس لا إقـــواءَ يُزعجهـــا ... ولا تُبـــالغ فـــي تصـــويرها القصَـــم

ولا تُجـــرّحُ مُعْوجـــاً ، فيَحرقهـــا ... ولا تخمّـــشُ جُرحـــاً غيـــرَ مُلتـــئم

لكنهـــا خرجـــت - بـــالرغم - مُشـــهرة ... صمصـــامة النقـــد والتقيـــيم بـــالقلم

تبـــيّن الحـــق ، فالتوضـــيحُ ديـــدنها ... مـــن بعـــد نكبتـــه علـــى يـــد العِمَـــم

وأغلـــبُ النـــاس لا يـــدري معالمـــه ... ونـــورُه غـــاب عنـــد العالـــة الـــوَثم

وكنـــتُ حبّـــرتُ بـــالعطور مَطلعهـــا ... حتـــى تبـــدّد مـــا فـــي الـــنفس مـــن بَشَـــم

أردتهـــا غـــادة تطغـــى شـــبيبتها ... ولا تغالـــب أوجاعـــاً مـــن الهِـــرم

أردتهـــا غضـــة تزجـــي الحبـــور لنـــا ... لكـــي تُصـــارع مـــا فـــي القلـــب مـــن وَجـــم

أنـــا المقصّـــرُ فـــي تعتيـــق زبـــدتها ... حتـــى بـــدا شـــكلها لحمـــاً علـــى وضـــم

شَـــتان بـــين القـــريض العـــذب ينســـجُه ... مَـــن يســـتعير لـــه مِـــن فنـــه العَمـــم

وبـــين آخـــرَ لـــم تخـــدمْ مَقاطعـــه ... أمـــارة روعـــة الفحـــوى علـــى الخِـــدَم!

شـــتان بـــين الجـــواد الفحـــل تُلجمُـــه ... وآخـــرٍ يُعتلـــى قهـــراً بـــلا لجُـــم!

والشـــــعرُ إن تســـــقِه سَـــــبكاً وتجربـــــة ... يُـــذهبْ مِـــن الـــنفس فـــوراً سَـــوْرة الســـدم

إن جـــل لفـــظ علـــى الإيضـــاح فســـره ... لفـــظ تمطـــى علـــى بعيـــره الســـنم

بعـضُ القـريض غـذاءُ الـروح مِـن سـغب ... وبعضـــــه كطعـــــام غيـــــر مؤتـــــدم

طـــــوراً يُمـــــدك بالآمـــــال مُشـــــرعة ... وفجـــــأة يُـــــدخل الإنســـــان فـــــي الأدَم

وقـــــد تـــــراه لمَـــــا يُضـــــنيك منتحبـــــاً ... تبكـــــي ســـــرائرُه مِـــــن شـــــدة الجشـــــم

وقـــد تـــراه لمَـــا يُشـــجيك فـــي مـــرح ... يفـــوق فـــي شـــدوه ترجيعـــة الـــرُنم

يـــــذوب - وَجْـــــداً - إذا يلقـــــاك مُكتئبـــــاً ... يبـــدو بوجـــهٍ - مـــن الأحـــزان - مضـــطرم

يطيـــر - فـــي الجـــو - صـــداحاً بأجنحـــةٍ ... أمضـــى - إذا انطلقـــت تســـمو - مِـــن الـــرَخَم

يُغـــــرد الـــــدهرَ إن كانـــــت بُلهنيـــــة ... ويســـــتقرّ علـــــى الآفـــــاق والـــــرَكَم

ويحمـــل الســـيف فـــي الهيجـــا إذا انـــدلعتْ ... أنعـــمْ بســـيفِ قـــريض قاصـــل خـــذم!

وقـــــد يُريـــــقُ دم الأعـــــداء مُنســـــكباً ... فـــوق البطـــاح ، كنهـــر فـــاض فـــي الـــدلم

وقـــــد يحـــــن إلـــــى مـــــاض فيـــــذكره ... حنـــين طفـــل يُعـــاني لوعـــة اليُـــتم

يَهـــيمُ فـــي ذكريـــاتِ الأمـــس قاطبـــة ... حلـــتْ لديـــه ، وإن لـــم تحـــلُ لـــم يَهـــم

والـــذكرياتُ غِـــذاء الشِـــعر إن صـــدقتْ ... وإن تـــــردتْ فهـــــذي مِعـــــول الهَـــــدَم

والشـــعر يصـــفو إذا مـــا الـــذكرياتُ صـــفتْ ... وإن تكـــــدرتِ اســـــتولى علـــــى الســـــحم

تخبـــو الفنـــونُ ، وشـــعرُ العـــرب مســـتبقٌ ... نحـــو الـــذرى ، فـــوق هـــذي الأرض كـــالهرم

ديـــوانُ عُـــرْب حـــوى شـــتى وقـــائعهم ... مـــذ كـــان ســـادُنهم يحثـــو لـــدى الـــزلم

وكـــان يـــدخل فـــي أرحـــاب خندمـــةٍ ... خلـــف الـــتلال ، وعبْـــر الرمـــل والـــتلم

فـــلا يخـــاف جحـــيم المـــوت يَقطفـــه ... ولا يهـــاب ســـعير القـــيظ والـــتهم

فينقـــل الحـــرب مِـــن بـــين الســـيوف دَمـــا ... حتـــى تســـطر - فـــي القرطـــاس - بـــالقلم

شِـــعراً صـــدوقاً لـــه التـــاريخ مُنتصـــتٌ ... عنـــد الخـــلاف ، يُـــداوي كـــل مُحـــتكم

أهـــدي الســـلام إلـــى المُختـــار مُختتمـــاً والسِـــلم أفضـــلُ مَبـــدوءٍ ومُختـــتم

صـــلى المليـــكُ علـــى الحبيـــب أســـوتنا وأفضـــل الخلـــق مِـــن عُـــرْب ومِـــن عَجَـــم

والتـــابعين لهـــم فـــي الـــدين أجمعهـــم إلـــى لقـــاء المليـــك الواحـــد الحكـــم

بعض معاني المفردات غير المطروقة

أمم: قرب. القريض: الشعر. أريج: رائحة العطر. جؤنة: قنينة. المندل والصندل والبنفسج والنرجس والقرنفل والعنبر والجلنار والخطمي والسوسن والريحان والنسرين والياسمين والزعفران والفل: كل هذه الأشياء زهور أو ورود لها عطر مميز. الزبرجد والزمرد والعقيق والفيروز والماس والمرجان واللازورد واللؤلؤ: هذه الأشياء إما أحجار كريمة أو معادن نفيسة. الديباج والسندس: أي الحرير. الغمم: ج غمه أي شدة الحزن. فقم: زكي عبقري. الشيم: الخلال الكريمة. الرنم: أي النغم والترنم. النجم: ج نجمة. الدعم: هي الدعائم والقواعد ، ج دعامة اللسم: أي الصمت عيا أو عن حياء. الأثم: هو الإثم. النهم: الشغف الشديد بشيء ما. القضم: ج قضيمة وهي قطعة الفضة. الحُداء: الغناء الحزين. المنهج اللقم: أي الواضح المستقيم. المنقبة: هي المزية. السخم: شدة السواد. مجترم: شديد الإجرام والشر. معترك: مكان المعركة. العجم: أي العجماوات والسوائم. الحُمم: الأبخرة النارية المتكاثفة تسبق البركان. الحشم: الأهل ومن يمت للعائلة بصلة. الأمواج البُهُم: أي السوداء المظلمة البهيمة. اللمم: صغائر الذنوب. العُصُم: ج عصماء وهي الشريفة العفيفة الحَصان. الوَصَم: العار والشنار. غشم: أي شديدو الغشم والبطش. لم تغم الشمس: أي تغرب. الحَشِم: ذو الأخلاق والقيم الرفيعة. إضم: وادٍ بالمدينة ليس بالبعيد عنها. الإزم: ج أزمة وهي المُعْضلة. الديَم: مفردها ديمة وهي العاصفة الشديدة. رجال بُهُم: شجعان صناديد. لم ترم: أي لم تقصَد. القِسَم: جمع قسمة من تقسيم الشيء. الحُلم: جمع حلمة ، وهي دويبة معروفة تأكل الجلد. القصُم: ج قاصمة وهي الداهية الشديدة. السُدم: الظلمات. مرتع وخم: شديد السوء. الأكم: ج أكمة وهي الصخرة العظيمة ومنه قول العرب: وراء الأكمة ما وراءها! معتلم: ذو معالم. ذو النعم: صاحب العطايا والهبات. الوابل الرذم: المطر الشديد. كروب دهم: أي كروب عاتية. الماء الشبم: البارد الصافي. الأينق الرسُم: النوق الفارهة. النعم: أي الأنعام والماشية. الأهواء القسم: أي المُحمّلة بالهموم والصعاب. الشمم: الإباء. القصم: ج قاصمة وهي الداهية. الوغم: الحقد. جرُم: جرائم. شواظ محتدم: أي اللهب لا دخان فيه. الأجم: أحراش الغابة. الكثم: النقص في الخلق أو الحسب. النهم: ج نهام وهو الراهب. الوَهَم: هو الوهم. سادة لزم: أرباب الفصل في القضايا. أزهار فغم: ج فغوم ، وهي صيغة مبالغة من فغم فلانا أي ملأه به وملأ به خياشيمه منه. القحم:

هي الأمور الشاقة العظيمة. الرئبالة: ج رئبال وهو الأسد. فرىً جُسُم: أكاذيب جسيمة. البَلم: صغار السمك. اليتم: أي اليتيم. السلم: الإسلام. الرُحُم: ج رحمة أي رحمات. الهشِم. أي الهاشمي. الغسم: سواد الليل. العشم: الطمع. الرجم: القبور. العرَم: هو الشدة. الحُرُم: الحرُمات. عِصَم: ج عصمة وهي النجاة من النار. التخم: أي التخوم والحدود بين البلاد. القسم: هو اليمين. انتكست: أي هبطت إلى الحضيض. العصم: ج معصم. الشكم: ج شكيمة وهي القطعة من الحديد توضع في فم كل حصان. العمم: ج عمة. الوثم: القليل من الناس. البشم: الحزن: الوجم: الوجوم والسكوت. الخدم: ج خدمة. لجُم: ج لجام. السَدَم: الهم مع الندم. الجشم: شدة الأمر. السنِم: أي المسنم المرتفع السنام. الأدم: القبر. الرنم: المغنيات. الرَخم: طائر. الركم: السحاب المتراكم. قاصل: ماض جدا. الدلم: مفيض مصب الوادى. الهدم: الهدم. السحم: السواد. الزلم: الأزلام التي كانوا يستقسمون بها في الجاهلية الأولى. التلم: الأخدود في الأرض. التهم: شدة الحر ومنه تهامة. عَجَم: جمع عجمي. خندمة: معركة. ديوان عرب: إشارة إلى أن الشعر ديوانُ العرب ، والمعنى: فيه كل مآثرهم وأمرهم.

الحنيفية السمحة حياة العروبة (معارضة لحمد بو شهاب)

(في شهر يوليو من عام 1996م كتب الشاعر الأستاذ حمد بن خليفة أبو شهاب قصيدته المشهورة (وقفة مع صادق الشعر) ، وأعجبتني القصيدة ، فقمت بمعارضتها في ديواني الثاني: (عزيز النفس)! وعندما أهديته ديواني الثاني أثنى عليه ومدح القصيدة ، ورحّب بي بصحبة الأخ حسن عباس التيجاني في مقر عمله في: (لجنة التراث والتاريخ) في مدينة دبي ، حيث يعمل الأستاذ حمد مديراً عاماً لها ، ويعمل الأخ حسن وكيلاً له. وأذكر جيداً أنني طالعتُ في مجلة الضياء قصيدة لحمد بو شهاب عنوانها: (إن العروبة بالإسلام عزتها) ، وأعجبتني فلاح لي أن أعارضها على ذات بحرها ورويها وقافيتها! وكان أبو شهاب قد اهتم بها حيث لم يكتف بنشرها في الضياء وغيرها! بل نشرها في ديوانه: (الهزار الشادي) ، يقول المطلع:

قبل الرسالة قل لي: من همُ العربُ؟ وأي مجدٍ بنَتْ أمٌ لهم وأبُ؟

تعال فاستقرئ التاريخ أمثلة تر الحقائق فيما تحمل الكتب!

كان التفاخرُ بالأنساب رائدَهم في كل نادٍ ، فماذا حقق النسب؟

هل استطاعوا به توحيد أمتهم؟ كلا! ففاقد ملك الشيء لا يهب

واستمر الأستاذ في استعراض تاريخ العرب وسيرهم وأيامهم ومواقفهم مذ كانوا ممالك ممزقة يتقاسمها الفرس والروم ، مروراً بالبَسوس وداحس والغبراء ، ومروراً بأحوالهم قبيل بعثة النبي – صلى الله عليه وسلم -. ثم جاءت البعثة والنبوة فآمنوا فباتوا خير أمة أخرجت للناس ، وزالت عبادة الأصنام والأوثان ، واختفى وأد البنات وغيره من عادات الجاهلية وأعرافها وتقاليدها! واستمرت الأمة ما شاء الله لها أن تستمر! وينعي أبو شهاب أحوال الأمة المعاصرة وقد احتلت بعض أراضيها شراذمُ من الكفار! ويصفُ ضعفها وهوانها على أعدائها بعد أن تداعت عليها الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها! ولا يسترسل أبو شهاب في الشجون طويلاً. بل اتسمت القصيدة بالتوازن والإيجابية فوصفت الطريق لعودة الأمة إلى سابق عهدها ، وذلك باتباع الكتاب والسنة: الأصْلين اللذين صلح بهما أمر الأوائل ، ويصلح بهما أمر الأواخر! فيختم أبو شهاب فيقول باكياً على الإسلام الحنيف والأقصى السليب:

واليومَ يذبحُ (أهلُ العجل) قدسَكمُ ويستبيحون ما شاؤوا متى رغبوا

ولم يهبّ (أبو جهل) لنجدتكم ألا ترون أبا جهل هو السبب؟

يا شعرُ قفْ بعد أن طوّفت بي حِقباً قفْ حيث أنت ، فقد أضنانيَ التعب

وما وجدتُ - بغير الدين - معركة للعُرْب فيها – على أعدائها - الغلب

(إن العروبة بالإسلام عزتها) فإن تولتْ فلا عِز ولا عَرب!

ومن أراد مطالعتها كاملة فليقرأها في ديوانه ، أو في مجلة الضياء ، أو في كتاب (الهزار الشادي)! وطبعا لم أشأ أن أوردها هنا كاملة على عادة بعض الشعراء ليظل السبق للأول ولمثلي المحاولة وكفى به من شرف! ولله الفضل أن يقدرني على معارضة شاعر هو قامة في شعر العرب الحديث! وإنّ رجلا بوزن حمد بن خليفة أبو شهاب لأفخر أنني أعارضه في هذه القصيدة. أنشدت من شعري معارضاً له! والأصل أن الأمة المسلمة معنية بمواجهة التحديات دائماً! يقول الأستاذ أنور الجندي في بحثه الرائع: (تحديات في وجه المجتمع المسلم) ما نصه: (منذ كانت البشرية والشرع الرباني في صراع مع الفكر البشري. وعلى مدى التاريخ ولما جاء القرآن نسف هذا الفكر كله وصيره ركاماً وكشف زيفه وضلاله وفساده ، ودعا البشرية من جديد إلى التوحيد بوصفه المنطلق الوحيد إلى إقامة المجتمع الرباني الأمثل. فهزم الإسلامُ العبودية البشرية في حضارات اليونان والفرس والهند والفراعنة ، وأقام حرية الإنسان متطلعاً إلى الإخاء البشري ، وجعل عبوديته لربه وحده دون الخلق جميعاً. ثم هزم العبودية الوثنية لغير الله وحرر العقل البشري وأطلقه ليجد طريقه إلى معرفة سنن الله في الكون ، ومن هذه النقطة أنشأ المسلمون المنهج التجريبي الذي هو قاعدة الحضارة المعاصرة. غير أن محاولات الهدم لم تتوقف وتجددتْ مرة أخرى ، وأخذتْ تصوغ من ذلك الركام القديم مذاهب جديدة عرفت في العصور السابقة بأسماء كثيرة منها الغنوصية والتناسخ والدهرية وإخوان الصفا والسبئية والحلول والاتحاد ووحدة الوجود ، ولقد حطمت أعمال الشافعي وابن حنبل والأشعري والغزالي ثم ابن تيمية وابن القيم هذه الأعمال الزائفة التي كان لهما زخرفٌ ولمعانٌ يخطف الأبصار الساذجة. حتى جاء عصرنا عادت مرة أخرى عن طريق القوى الثلاث التي تواجه عالم الإسلام اليوم: الاستعمار والصهيونية والماركسية وتحمل لواءها دعوات: التبشير والاستشراق والتغريب والغزو الثقافي. ومنذ جاء الاستعمار وهو يعمل على هدم 3 قيم: (التعليم – الشريعة – اللغة). ومن هنا فإننا ينبغي أن نواجه هذا المخطط بقوة وعزم وتصميم).هـ.)

قبل الرسالة ماذا كانتِ العربُ؟ وأي مجدٍ لهم يُرجى ويُطلبُ؟

وأي عز لهم في كل باديةٍ؟ وأي معرفةٍ شادت بها الحقب؟

وأي خير أتوا يرجوه راغبه؟ وأي علم لهم بالنور يعتصب؟

وأي منقبةٍ تُزْكِي مآثرهم؟ وأي حق به تُستأصلُ الريَب؟

وأي مُسْكة عقل في ضمائرهم؟ وأي رُشدٍ إليه العُرْب تنتسب؟

وأي بأس لهم – في الحرب – يرفعُهم فوق الأنام إذا ما غولبوا غلبوا؟

وهل هناك لواءٌ كان يجمعُهم؟ وهل سما – في دنا أجدادهم – أدب؟

وهل توحّد صفٌ ضمّ سادتهم؟ هل وحّدتْ بينهم في المحنة النوَب؟

أم أنهم - في دجى أهوائهم - غرقوا ومِن سراب أسى أصنامهم شربوا؟

وفـــي التـــذرع بـــالإفلاس كـــان لهـــم ... بـــاعٌ طويـــلٌ – علـــى شـــاراته – طربـــوا؟

ضـــاعت ممـــالكُهم ، وزال سُـــؤدَدُهم ... ولـــيس تحـــوي الـــذي قـــد أحـــدثوا كتـــب!

فـــالرومُ والفـــرسُ عـــاثوا فـــي حواضـــرهم ... وأمـــة العُـــرْب فـــي ثاراتهـــا تجـــب

كســـرى وقيصـــر مَـــدّا كـــفّ منـــتقم! ... ونـــارُ كيـــدِهما - فـــي العُـــرب - تلتهـــب

ودارُهـــم فـــي أتـــون الصـــمت مُطبقـــة ... أجفانَهـــا بعـــد أن أودى بهـــا الرّهـــب

وخيـــرُهم زمـــرُ البـــاغين تحصُـــدُه ... وأرضُـــهم - رغـــم أنـــف الكـــل - تغتصَـــب

هـــم حرّفـــوا ديـــن إبـــراهيم ، فـــانجرفوا ... مـــع المعاتيـــه مَـــن فـــي شِـــركهم ضـــربوا

وبـــدّلوا ملـــة التوحيـــد فـــي صـــلفٍ ... وعـــن ســـنا شِـــرعة الإســـلام قـــد رغبـــوا

وأصـــبح الشـــرك دِينـــاً فـــي تصـــوّرهم ... وكعبـــة الحـــق - ممـــا ســـاد - تضـــطرب

وعَظـــم القـــومُ أصـــناماً وأنظمـــة ... فمـــا تبقـــى لهـــم عِـــز ولا نسَـــب

وســـبّحوا بعُـــرَى الأوثـــان فـــي ولـــهٍ ... وقـــدّموا النـــذرَ والقربـــانَ واحتســـبوا

وأمعنـــوا - فـــي دجـــى الغـــارات - صـــيحتهم ... وأحرقـــتْ بأســـهم - فـــي الملتقـــى - الشـــهُب

وأهـــدروا حـــق حـــواءٍ ، فمـــا اعترفـــوا ... لهـــا بعـــيش ، فمـــا ســـادوا ومـــا كســـبوا

بـــل شـــرّعوا الـــوأدَ قبـــراً كـــي يُغيّبهـــا ... فـــلا يَبـــينُ لهـــا – بـــين الـــورى - جلـــب

وأقنعـــوا الكـــل أن الـــوأد بوتقـــة ... فيهـــا يـــزولُ الأســـى والوَجْـــد والنصـــب

وحرّمـــوا الإرثَ للأنثـــى ، فمـــا أخـــذتْ ... حقـــاً يـــؤولُ لهـــا ، والإرث ذا ســـبب

حتـــى القِمـــارُ لهـــم مُـــدتْ موائـــدُهُ ... وكـــان فيـــه العطـــا والجـــود والطـــرب

والمَيســـرُ المُـــر يمكـــو فـــي مجالســـهم ... والخمـــرُ يســـكبها - فـــي كأســـه - اللهـــب

ولـــو تـــراهم – علـــى الأنصـــاب – قـــد جثمـــوا ... لقـــد يَهـــزك - ممـــا تنظـــر - العجـــب!

وعنـــد قاعـــدة الأزلام قـــد ركعـــوا ... فلـــيس عنـــدهمُ رُشـــدٌ ولا لبـــب

وقـــاتلوا دون مـــا دانـــوا ومـــا اعتقـــدوا ... وقـــد أعِـــدتْ لـــذا الهنديـــة القضـــب

وبالقبيلـــة – فـــي أنســـابها - افتخـــروا ... وإنْ تمَـــسّ إذن قـــاموا بمـــا يجـــب

وأعلنوهـــا علـــى العـــادي مُدويـــة ... خمسـين عامـاً وهـم - فـي مَكْـرهم - دأبـوا

والجاهليـــة تمحـــو كـــل صـــولتهم ... وهـــم عبيـــدٌ لهـــا مِـــن بعـــد أن نكبـــوا

فهـــل بهـــا اتحـــدوا داراً وجمهـــرة ... وصِـــينَ دمّ – علـــى البطحـــاء – ينسـكب؟

وهـــل رأيـــت ســـلاماً زار عـــالمهم؟ ... هـــل زال ذعـــرٌ بـــه قـــد كـــان يُرتكـــب؟

لا يغضـــبون إذا ضـــاعت ممـــالكهم ... وإن خبـــا عُـــرفهم أغـــراهمُ الغضـــب

وهـــم لغيـــر المليـــك الحـــق كـــم ذبحـــوا ... وبعـــدُ كانـــت لهـــم – فـــي شِـــركهم – خطـــب!

حتـــى أتـــاهم علـــى حـــين (محمـــدُنا) ... فزالـــتِ الغمَـــمُ الرّعنـــاءُ والكُـــرَب

وكـــان خيـــراً – علـــى الأعـــراب - مبعثـــه ... وعـــاد حـــقٌ ثـــوى قـــد كـــان يُنتهـــب

دعـــا الجميـــع إلـــى الإســـلام ، فانقســـموا ... طـــريقتين ، فـــذي صـــدقٌ ، وذي كـــذِب

وبلـــغ الحـــق يســـمو فـــي مدارجـــه ... وكـــان للحـــق – رغـــم الكـــافر - الغلـــب

عُروبتـــان: فـــذي ســـعدٌ ، وذي كـــدرٌ ... لا يســـتوي الشـــيحُ عنـــد الـــذوق والعِنـــب

توحّـــد العُـــرْبُ فـــي قفـــر وفـــي حضـــر ... والكـــافرون – أمـــام القـــوة - انهزمـــوا

والـــدارُ عـــادتْ ، وللإســـلام قـــد فتحـــتْ ... والخيـــرُ عـــمّ ، وولـــى القحـــط والجـــدب

وســـاد مَـــن كـــان – فـــي الأوحـــال - منجـــدلاً ... والمجرمـــون بمـــا قـــد أجرمـــوا ذهبـــوا

واستســـلم الكـــل للـــرحمن ، واتبعـــوا ... خيـــرَ الأنـــام ، وفـــي التقـــى رغِبـــوا

وأصـــبحتْ أمـــة الإســـلام مملكـــة ... تـــؤوي الجميـــع فمـــا فـــي الأرض مغتـــرب!

حُرّيـــة برجـــتْ فـــي الاعتقـــاد ، فمـــا ... للســـيف - فـــي ســـاحها - نيـــلٌ ولا أرب

تكفـــل الـــدين بالإنســـان ، كـــان لـــه ... حِصـــناً يلـــوذ بـــه إن أزه التعـــب

تحـــرّرَ النـــاسُ مِـــن فوضـــى تُمـــزقهم ... وأســـعدَ البِشْـــرُ مَـــن قـــد كـــان يكتئـــب

أكـــرم بـــدين رأيـــتُ النـــورَ منهجُـــه! ... وعيشُـــنا - فـــي ذرى التقـــوى - لـــه لقـــب

أعطـــى العروبـــة روحـــاً كـــي تعـــيش بهـــا ... هـــو الحيـــاة لهـــا ، والعـــزمُ والعصـــب

قـــد صـــاغها صِـــيغة شـــهباء ناصـــعة ... فالســـــلمُ أمٌ لهـــــا ، وبعـــــد ذاك أب!

عـــز الأعـــاربُ بالإســـلام ، فـــانطلقوا ... يـــدعون لله مـــا قـــرّوا ، ومـــا هربـــوا

وجاهـــدوا فـــي ســـبيل الله مَـــن كفـــروا ... ومَـــن إلـــى ســـالف الســـوآى قـــد انقلبـــوا

وحـــرّروا الأرض مِـــن أضـــغان شـــرذمة ... شـــادوا الهـــزائمَ ، إذ أهـــواءهم ركبـــوا

وطبقـــوا الشـــرع - للإيمـــان - ترجمـــة ... فهـــم علـــى الـــوحي فـــي هـــذي الـــدنا رُقـــب

هـــذي العروبـــة بالإســـلام نابضـــة ... هـــو النمـــاءُ لهـــا ، والعِلـــمُ والأدب

إن حققتْـــه سَـــمتْ فـــي الأرض واحتُرمـــتْ ... وإن قلتْـــه سَـــرى - فـــي قلبهـــا - العطـــب

ولا أقـــلّ علـــى مـــا قلـــتُ أمثلـــة ... مِـــن نظـــرةٍ صـــاغها بـــالحق مَـــن كتبـــوا

مِـــن الـــذين ســـنا التـــاريخ يشـــكرُهم ... إذ ســـطروهُ فمـــا غشّـــوا ولا كـــذبوا!

مـــا العُـــربُ قبـــل مجيـــئ السِـــلم يصـــنعُهم؟ ... وكيـــف هُـــم بعـــدما إلـــى الهُـــدى انتســـبوا؟

يـــا صـــاح فـــانظرْ إلـــى مـــا السِـــلمُ أحدثـــه ... فـــيهم ، وتشـــهدُه الأجيـــالُ والحِقـــب

تلـــق الحنيفـــة أحيـــتهم ، وقـــد أســـنوا ... وأنطقـــتهم ، وهـــم - لمَـــن يعـــي - خشُـــب!

وهكـــذا السِـــلمُ يُحيـــي مَـــن يـــدينُ بـــه! ... شـــرعُ المليـــك لـــدنيانا هـــو الشـــهُب

ونحمـــــدُ الله أن كنـــــا لـــــه تبعـــــاً ... وضـــمّنا بـــالنبي المصـــطفى نســـب!

الخلق والعلم معاً (معارضة لحافظ إبراهيم)

(قصدتُ إلى مدرسة (منار الإيمان) لأخذ الأبناء: صلاح الدين وحساناً وسيف الإسلام ، فإذا بأحد معلمي اللغة العربية المحترمين – الأستاذ محمد الكيلاني - يشيد بأخلاقهم وأدبهم! لكنه يعيب تدني مستواهم العلمي والتحصيل الدراسي قائلاً: (مستواهم التعليمي كل سنة وأنت طيب)! وعبّر عن ذلك للأستاذ عماد (مشرف قسم البنين) إذ كان الحديث له مباشرة! ولم يكن يدري أنني حاضر في المشهد! فقلت له: إذن لا بد من تعديل بيت شوقي القائل:

لا تحســـــبنّ العلـــــم ينفـــــعُ وحـــــده مـــــا لـــــم يتـــــوّج ربّـــــه بخـــــلاقِ

تعديلاً يتناسب مع وضع هؤلاء الأبناء فيا ترى ماذا نقول؟ وانتظرتُ ريثما يُتحفنا الأستاذ الكيلاني! ومن باب الاستفتاح عليه أعطيته صدراً للبيت الجديد المناسب لأبنائي ليكمله فقلت: (لا تحسبن الخلْق ينفع وحده! أكمل! فتحيّر الأستاذ ولم يشأ أن يحرجني وخاصة أن الأبناء الثلاثة حاضرون أمامنا! فقلت له في التكملة: (ما لم يتوّج ربه بعلومَ)! فإذا كان شوقي ينعي الأخلاق التي افتقدها التعليم في زمانه! فنحن افتقدنا العلم والتحصيل في أبنائنا الثلاثة! فأقول:

لا تحســـــبن الخلّـــــق ينفـــــع وحـــــده مـــــا لـــــم يتـــــوّج ربـــــه بعلـــــومِ

والحقيقة أن المرء بالأخلاق والقيم يسمو ذكره بين الناس. وفي الحِكَم ينكشف زيف الأخلاق وتعلم حقيقتها. والحرية الحقيقية هي روح الموقف الأخلاقي ، ودون الحرية لا أخلاق ، ولا إتقان ، ولا إبداع ، ولا واجب يقوم به أصحابه. وعلى هذا فالأخلاق ليست فقط نظاماً للتعامل بين الناس ، ولكنه أسلوب ينظّم المجتمع ويحميه من الفوضى ، والقناعة كنز لا يفنى عند من يدركون قيمة الأخلاق. والكذب داء ، والصدق دواء ، والإنسان الخلوق ليس بكذاب. والشريف إذا تقوّى تواضع ، والوضيع إذا تقوّى تكبّر ، ومن هنا تبرز قيمة الأخلاق في ترشيد القوة واستثمار التواضع. وكما يقال: أملك الناس لنفسه من كتم سره ، وهذا من حسن الخلق. وسر النجاح على الدوام هو أن تسير إلى الأمام بأخلاق سامية رفيعة. ويجب عليك أيها الإنسان الخلوق أن تعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به. واعلم أن النبي – صلى الله عليه وسلم قد أرسى قواعد الأخلاق عندما قال: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه). وقال: (من تواضع لله رفعه). وعموماً خير الناس من فرح للناس بالخير وكان عضواً فاعلاً في إيصال الخير لهم. والخلوق إنسانٌ صدوق ، والعنيف إنسان ضعيف ، والأصيل إنسان نبيل ، والحليم إنسان حكيم والشريف إنسان عفيف. وأنه في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق. ولكن هل عند اللؤماء أخلاق؟ وصدق من قال: (إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ، وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا). إنه لا مروءة لكذوب ، ولا ورع لسيئ الخلق. وقاعدة عظيمة تقول: (إذا لم تستحِ فافعل ما شئت) ، وذلك لأن الأخلاق تعصم صاحبها من الزلل. والإنسان الخلوق مَن إذا مَدحته خجل ، وإذا هجوته سكت. وعموماً قد تتغير الأخلاق بتغيّر البيئة! وإذا بيئة الإنسان يوماً تغيَّرت ، فأخلاقه طبقاً لها تتغير. ولذا فتواضعْ للناس لكن عن رفعة ، وازهد عن حكمة ، وأنصف عن قوّة ، واعفُ عن قدرة. والحقيقة أن حسن الخلق أحد مراكب النجاة. والتكبّر على المتكبر تواضع. وأدنى أخلاق الشريف كتمان سره ، وأعلى أخلاقه نسيان ما أسرّ له. والتواضع من مصائد الشرف. وإذا أردت أن تعرف أخلاق رجل فضع في يده سلطة وقوة ومكانة ، ثمّ انظر كيف يتصرف. والحِلْمُ

يا قومي سيد الأخلاق. والدال على الخير كفاعله. والصدق يُحسن للفتى والكذب يحسب من عيوبه كما يقولون. والعِتاب خير من الحقد. والعفة جيش لا يُهزم. والكريم من أكرم الأحرار. إنه ينبغي على الإنسان أن يكون رحيماً ؛ لأنّ الرحمة بطبيعتها تجمع بين البشر على اختلاف مذاهبهم ومناهجهم ، ولن يكون الإنسان كذلك إلا إذا جمع بين العلم والأدب! وينبغي أن يكون الإنسان أديباً لأنّ الأدب يوحّد القلوب المتنافرة في آرائها. وأنت أيها الإنسان إياك والرضا عن نفسك الرضا الكامل ، فإنه يضطرك إلى الخمول والكسل ، وإيّاك والعجب فإنّه يورطّك في الحمق والجهل ، وإياك والغرور فإنّه يظهر للناس نقائصك كلها ولا يخفيها إلا عليك. إنه لا يمكن للإنسان أن يصبح عالماً قبل أن يكون إنساناً. ولذا فاصحب الناس بأيّ خلق شئت أن يصحبوك. والتمس لأخيك بضعاً سبعين عذراً عندما يتجاوز في حقك. وحسن الخلق يستر كثيراً من السيّئات ، وكما أنّ سوء الخلق يغطّي كثيراً من الحسنات. وصدق أبو تمام عندما أعلنها: (إذا جاريت في خلقٍ دنيّاً ، فأنت ومن تجاريه سواء). وصدق الشاعر الحكيم الفيلسوف في قوله: (لا تنهَ عن خلقٍ وتأتي مثله ، عارٌ عليك إذا فعلت عظيم). وعموماً تنكشف الأخلاق في ساعة الشِّدة. والله عز وجل جعل مكارم الأخلاق ومحاسنها وصلاً بيننا وبينه سبحانه. وصلاح أمرك أيها الإنسان للأخلاق مرجعه ، فقوّم النفس ـ كما قال البوصيري ـ بالأخلاق تستقم. وإن كان لا بدّ من العصبية ، فليكن لمكارم الأخلاق ومحامد الأفعال. ولذا فكُن حكيماً له مبدأ حتى يحترمك الناس من أجله ، ولا تكن سفيهاً خالياً من أيّ منطق أو حكمة ، فلا يُقيم الخَلق حديثك. وبالأخلاق يفضّل المرء في الورى ويوقر. وكفى بالمرء فضلاً أن تُعَدَّ معايبه. وأطهر الناس أعراقاً أحسنهم أخلاقاً. وأفضل الجود العطاء قبل الموعد. والمؤمن كالنحلة تأكل طيباً ، وتضع طيباً. وإن الله تعالى يحب معالي الأمور ويبغض سفاسفها. وإنّ المقدرة تُذهب الحفيظة. والمرء بأصغريه: قلبه ولسانه. وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة. وتاج المروءة التواضع. وترك الذنب من البداية أيسر من الاعتذار عنه للآخرين. وصدق شاعرنا ابن الوردي عندما قال: (لستُ أختارُ تقبيل يدٍ قطعها أجمل من تلك القبلْ). وتمام الصدق الإخبار بما تحمله العقول. وحُسنُ الخلق خير قرين. وحُسن الخلق يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد. وخير الناس للناس خيرهم لنفسه. وساقي القوم آخرهم شراباً. وسيد القوم خادمهم. ولذا فعامل الناس برأي رفيق ، والقَ من تلقى بوجه طليق. ولا تكن حلواً فتؤكل ، ولا مُرّاً فترمى. ولا تمازح الشريف فيحنق عليك ، ولا الدنيء فيتجرّأ عليك. ولو كان الكذب ينجّي فالصدق أنجى. وما كل من قال قولاً وفى. والصدق دليل التقوى والخوف من الله. والقدوة الحسنة خير من النصيحة. وصدق من قال: (إذا المرء لم يدنّس من اللؤم عرضه ، فكلّ رداء يرتديه جميل). ومثل سيئ الخلق كمثل الفخارة المكسورة ، لا تُرْقَ ولا تُعاد طيناً. ومَن فاته الأدب لم ينفعه الحسَبُ. ومن فسدت بطانته كان كمن غصّ بالماء. ومن ملك غضبه احترس من عدوه. والمعرفة التي لا تنميها كل يوم ، تتضاءل يوماً بعد يوم. والعلم في الصغر كالنقش على الحجر. والعلم أكبر وأعظم من أن يحاط به ، فخذوا من كلّ شيء أحسنه. وقيمة المرء ما يعرفه. وعلمني كيف أصطاد ، ولا تعطني سمكة كلّ يوم. ولا حسب كالتواضع ، ولا شرف كالعلم. ورأس مالك علمك ، وعدوّك جهلك أيها الإنسان. ولا يُنال العِلم براحة الجسم. والجاهل يؤكّد ، والعالم يشكّ ، والعاقل يتروّى. ويتعب المر من كلّ شيء إلا العلم. والعلم يرفع بيتاً لا عماد له ، والجهل يهدم بيت العز والشرف. ومن يخش السؤال يخجل من التعلّم. وما نتعلمه في المهد يبقى حتى اللحد. وكلما كبرت السنبلة انحنت ، وكلما ازداد علم العالم تواضعَ للناس. والعلم هو الترياق المضاد للتسمم

بالجهل والخرافات. والعلم لا يصنعُ الحقيقة ، إنه يكتشفها فقط. ونحن نقرأ لنبتعد عن نقطة الجهل ، لا لنصل الى نقطة العلم. وويل لطالب العلم إن رضي عن نفسه. وصدق الشاعر إذ قال: (ومن طلب العلا من غير كدّ ، أضاع العمر في طلب المحال). والعلم ما نفع ، ليس العلم ما حُفظ. وصدق أبو العلاء إذ قال: (ولما رأيت الجهل في الناس فاشياً ، تجاهلت حتى ظُن أني جاهل). وعموماً لا تطلب العلم رياء ، ولا تتركه حياء. وبالسؤال يتعلم الإنسان. فسلح عقلك بالعلم، خير من أن تزين جسدك بالجواهر. قطرة فوق قطرة بحر ، وحكمة فوق حكمة علم. ومن لم ينفعه العلم لم يأمن ضرر الجهل. وفي الناس شرّ لو بدا ما تعاشروا ، ولكن كساه الله ثوب غطاء. وصدق من قال: (وكم علمته نظم القوافي ، فلما قال قافية هجاني). ومن لا يتق الشَّتْمَ يُشْتَم. ومن لا يُكرم نفسه لا يُكَرَّم. وهناك من الناس من يأكلون تمري وأُرمى بالنوى. والأخلاق مثل الشجرة التي تنمو كلّ يوم عندما يقوم صاحبها بريّها بالوفاء ، والإخلاص ، والمحبة. وأخلاقيّات كلّ إنسان هي رصيده لدى الناس ، وكلما أحسنت عملك وخلقك كنت أغنى الناس ، والاحترام هو الذي يزيدك بين الناس. وإن العفو يصلح الإنسان الكريم ويفسد اللئيم. والأخلاق والسعادة وجهان لعملة واحدة. فلا بدّ من أن تحترم الآخرين لكي يحترموك. وما قرن شيء إلى شيء أفضل من إخلاص إلى تقوى ، ومن حلم إلى علم ، ومن صدق إلى عمل. ومن لم يركب الأهوال لم ينل الآمال. ومَن ملك غضبه احترس من عدوه. ونفاق المرء من ذلّه. وبعض خلائق الأقوام داء كداء البطن ليس له دواء. ونصف العلم أخطر من الجهل. وأول العلم الصمت ، والثاني حسن الاستماع ، والثالث حفظه ، والرابع العمل به ، والخامس نشره. وكلّ إناء يضيق بما جعل فيه ، إلا وعاء العلم فإنّه يتسع. ولا يزال المرء عالماً خلوقاً ما دام في طلب العلم ، فإذا ظنّ أنّه قد علم وتخلق فقد بدأ جهله. ومن اتخذ من الحكمة لجاماً ، اتخذه الناس إماماً. والعباقرة شهُبٌ كتب عليها أن تحترق ؛ لإنارة عصورها. والعلم كنز وذخر لا فناء له ، ونعمَ القرين إذا ما صاحب الصحبا. والعلم مغرس كل فخر فافتخر ، فاحذر أن يفوتك فخر ذاك المغرس. ولقد صدق من قال: (رأيت العلم صاحبه كريمٌ ، ولو ولدته آباء لئامُ). وصدق من قال: (ولولا العلم ما سعدت رجالٌ ، ولا عُرف الحلال ولا الحرام). ومن لا يمكننا أن نمتلك منه سوى القليل. ولقد حثنا الدين الإسلامي كتاباً سُنة على واجب العلم والأخلاق ، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"أن تصل مَن قطعك ، وأن تعفو عمّن ظلمك ، وأن تعطي مَن حرمك" حيث إن الأخلاق هي الكنز الحقيقي لكل إنسان ، كما أن العلم والأخلاق من أهم الأمور المرتبطة ببعضها ، حيث إن الأخلاق هي المكمّل الحقيقي للعلم ، وأطهر الناس أعراقًا أحسنهم أخلاقًا ! وهو من حكمة عن العلم والأخلاق. ولا مروءة لكذوب ، ولا ورع لسيء الخلق. وحسن الخلق أحد مراكب النجاة وهو من حكمة عن العلم والاخلاق. وأدنى أخلاق الشريف كتمان سره ، وأعلى أخلاقه نسيان ما أسر له. والتكبر على المتكبر تواضع. والحلم سيد الأخلاق. والصدق يحسن بالفتى والكذب يحسب من عيوبه. والعفو إنما يكون عند المقدرة. والعفو يصلح الكريم ويفسد اللئيم. القدوة الحسنة خير من النصيحة. والقناعة كنز لا يفني. والكريم من أكرم الأحرار. والمرء بالأخلاق يسمو ذكره. والكذب داء والصدق دواء. ولذا تُعد الأخلاق من أفضل الصفات التي يمكن أن يتحلى بها أي إنسان ، والأخلاق هي التي تجعل الإنسان يسمو فوق كل شيء. والعلم دون أخلاق كالبحر دون ماء! والأخلاق هي النور الذي يضيء الإنسان. ويُعد العلم هو البحر الواسع الذي ينبع منه الكثير من الصفات الجميلة ، ولكن العلم دون أخلاق لا فائدة له ، ولذا فإنه لا بد أن يحرص كل إنسان على أنه عندما يحرص على التعلم لا بد أن يكون

متسماً بالأخلاق الحميدة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو القدوة والمثل العظيم للعلم والأخلاق الحميدة ، كما أن العلم والأخلاق مرتبطان ارتباطاً وثيقاً ، وقليل من العلم مع عمل أفضل من كثير جهل مع كثير عمل! والمعرفة كنز يتبع صاحبه أينما ذهب. والعلم هو الخير ، والجهل هو الشر ، فإذا كانت الراحة في الجهل بالشيء ، كان التعب في العلم بالشيء ، وكم علم لو بدا لنا لكان فيه شقاء عيشنا ، وكم جهل لو ارتفع عنا لكان فيه هلاكنا. والإسلام لا يعارض العلم الصحيح ، ولا الفن النافع (أعني الفنون المباحة) ولا الحضارة الخيّرة ، وإنه لدين سهل رحب مرن. والأخلاق هي رمز المحبة ، والتواضع من أهم حكمة عن العلم والأخلاق. ومن هنا فالعلم والأخلاق لا ينفصلان عن بعضهما البعض. ومن هنا يُعد العلم هو المنارة الوحيدة التي يرتكز عليها كل شيء في الحياة ، ولكن هذه المنارة لا ترتفع أو تضيء إلا بالأخلاق حيث إن الأخلاق جزء أساسي في حياة العلماء ، ولذا فإنه لا بد أن يكون العلم والأخلاق ملتصقان في كل إنسان ، والعلم هو شرفٌ لكل إنسان ، حيث إن الإنسان بالعلم يَعرف كل شيء ، ولكن لا بد من الأخلاق لأنها تساعد على الارتقاء بالعلم ، والحقيقة أنه لا حسب كالتواضع ، ولا شرف كالعلم. وهناك ثلاثة أمور تزيد المرأ إجلالاً: الأدب ، والعلم ، والخلق الحسن. وإذا رأيت العلماء على أبواب الملوك فقل: بئس الملوك وبئس العلماء ، وإذا رأيت الملوك على أبواب العلماء فقل: نعم الملوك ونعم العلماء. والعلم كالأرض ، لا يمكننا أن نمتلك منه سوى القليل القليل. وصدق من قال: (اطلبوا العلم لذات العلم لا .. لشهادات وآراب أخرْ)! والعلم والنجاح لا يكتملان إلا بالأخلاق ، حيث إن الأخلاق هي المصدر الرئيسي لحياة سعيدة بها راحة واستقرار ، وهي التي تجعل الشخص محبوباً من الجميع ، كما أن العلم والأخلاق هما من أهم المصادر الأساسية للسعادة في الحياة. ولذا فلا بد على كل شخص أن يلتزم بالإخلاص في العلم والعمل ، والإخلاص نابع من الأخلاق التي يتحلى بها الإنسان ، ولا بد في هذا كله من الصدق ، وصدق النبي – صلى الله عليه وسلم – عندما قال: (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه). وصدق من قال: القمح والعمل الصالح لا ينبتان إلا في أرض طيبة. ومن ذاق ظلمة الجهل أدرك أن العلم نور. والعلم في الصغر كالنقش على الحجر. ومن لم يتعلم في صغره لم يتقدم في كبره. وتغذية الفكر هي شمس ثانية بالنسبة للمتعلمين. ولا ينال العلم براحة الجسم. فاغدُ عالماً أو متعلماً ، ولا تغدُ إمّعة بين ذلك. ومن أمضى يوماً من عمره في غير حق قضاه أو فرض أداه أو مجد أثله أو حمد حصله أو خير أسسه أو علم اقتبسه فقد عق يومه وظلم نفسه. وهناك اثنان منهومان أخبر عنهما الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم - لا يشبعان: طالب علم وطالب مال. وكل شيء يزول إلا العمل الصالح. ولا يكفي أن تعمل خيرًا ، بل يجب أن تحسن عمل الخير. ولقد ينتهي عمل المرء يومًا ما ، لكن تعليمه لا ينتهي أبدًا! والعمل هو سر النجاح في الحياة ، ولكن العمل الذي يتحلى بالأخلاق هو أساس كل شيء في الحياة. ومن لم ينفعه العلم لم يأمن ضرر الجهل. إنّ مثل القرآن والعلم كمثل سائق سيارة يمشي بها في السهل الواسع ، يرى القمر أمامه مُطلاً عليه من فوق الجبل فيسرع ليدرك القمر والقمر مكانه. والإسلام لا يعارض العلم الصحيح كما أسلفنا ونكرر ، ولا يزال العبد بخير ما علم الذي يفسد عليه عمله. والحق لا يقاوم سلطانه ، والباطل يقذف بشهاب النظر شيطانه ، والناقل إنّما هو يملي وينقل ، والبصيرة تنقد الصحيح إذا تمقل ، والعلم يجلو لها صفحات القلوب ويصقل. وكلما اعتقد الإنسان أنه تعلم شيئاً ، اكتشف أنه جهل أضعافه. وتعليم الناس وتثقيفهم في حدّ ذاته ثروة كبيرة نعتز بها ، فالعلم ثروة ونحن نبني

المستقبل على أساس علمي. في الأسفار علم للشبان واختبار للشيوخ. غير أن العلم لم يكشف لنا بعد فيما إذا كان الجنون ذروة الذكاء أم لا. لكل شيء آفة ، وآفة العلم نسيانه. وطلب العلم شاق ، ولكن لتحصيله لذة ومتعة ، والعلم لا ينال إلّا على جسر من التعب والمشقة ، ومن لم يتحمل ذل العلم ساعة يتجرع كأس الجهل أبدا. وإذا لم نطالب بحقوق الناس في العدل والحرية فلا خير في أي علم نتعلمه. والمعلم ناسك انقطع لخدمة العلم كما انقطع الناسك لخدمة الدين. لا تطلب العلم رياء ، ولا تتركه حياء. ومن عمل بما علم ، أورثه الله علم ما لم يعلم. وكلما كبرت السنبلة انحنت ، وكلما ازداد علم العالم تواضع. ولا يمكن لأي مرب أو معلم أو داعية أن يكون ناجحاً أو فاعلاً ما لم يكن محبوباً من طلابه ومدعويه مهما حمل من علم. ولهذا يقول الله عز وجل لسيد البشرية في علاقته بالناس: (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك). ولقد يضع العلم حدودا للمعرفة ، لكنه لا يجب أن يضع حدودا للخيال. وإنّ لم تستطع أن تحقق هدفك في علم من العلوم أو منصب طمحت إليه بسبب خور عزيمة أو ظرف عارض أو قضاء مقدر ، فلا تحاول أن تثني غيرك عما عجزت أنت عن تحقيقه ، فهو نسيج مختلف ، ونفسية مختلفة ، وبظرف مختلف. والعلم هو الترياق المضاد للتسمم بالجهل والخرافات. والعلم عبارة عن طريقة للتفكير أكثر من كونه قالباً جامداً للمعرفة. ويضيع العلم بين اثنين الحياء والكبر. والناس إلى العلم أحوج منهم إلى الطعام والشراب ، لان الرجل يحتاج إلى الطعام والشراب في اليوم مرة أو مرتين ، وحاجته إلى العلم بعدد أنفاسه. وإذا لم يمنع العلم صاحبه من الانحدار كان جهل ابن البادية علماً خيراً من علمه. ونحن لسنا محتاجين إلى كثير من العلم ، ولكننا محتاجون إلى كثير من الأخلاق الفاضلة. والنجاح لا يحتاج إلى كثير من العلم ، ولكنه يحتاج إلى الحكمة. والهدف النهائي للحياة هو الفعل وليس العلم وحده ، بل يجب أن نعمل بما علمناه من الحق ، فالعلم بلا عمل لا يساوي شيئاً. ونحن نتعلم لكي نعمل. والمهم في العلم ليس أن تحصل على حقائق جديدة ، بل أن تكتشف طرق جديدة للتفكير في هذه الحقائق وتزداد في العلم الشرعي لتقوى صلتك بالله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام والإسلام. إن القلب الخرب يجعل من العلم سلاحا للفساد. (وما تفرقوا إلّا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم). فانظر إلى ضراوة العلم عندما يفقد الإخلاص لله والرفق بالعباد ، كيف يثير التفرقة ، ويقطع ما أمر الله به أن يوصل. فالعلم بدون دين أعرج ، والدين بدون علم أعمى. ولو كان العلم من دون التقى شرفاً ، لكان أشرف خلق الله إبليس. الأخلاق أولاً ثم العلم والكفاءة ، هذا هو مفتاح السعادة للأفراد والحكومات والجماهير. والعلم أكبر من أن يحاط به ، فخذوا من كل شيء أحسنه. والجامعات في أمريكا وأوربا وإسرائيل لا تبحث عن العلم من أجل العلم ، ولا تبحث عن المعرفة من أجل الارتقاء بمكانة الإنسان الاجتماعية وشبكة علاقاته بالمنشأ والحياة والمصير. وإنما هم هناك يبحثون عن المعرفة والعمل باعتبارهما عنصراً من عناصر القوة اللازمة للنجاح في عملية الصراع الدولي. أما في الأقطار العربية فإن حال العلم والمعرفة كحال الذهب عند نساء هذه الأقطار ، يبقيان مجرد حلية يباهي بهما الأفراد وحملة الشهادات بعضهم بعضاً في الداخل. والعلم وحده لا يكفي ما لم يتوج صاحبه بمكارم الأخلاق. وصدق الشاعر إذ قال: (ليس الجمال بأثواب تزيننا ، إن الجمال جمال العلم والأدب). وإذا أعطي الناس العلم ومنعوا العمل ، وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا بالأرحام ، لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم. والنبي – صلى الله عليه وسلم – أخبرنا أنه إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلّا من ثلاث: صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له. وإذن فالعلم دون فضيلة سيف

الشيطان. ومن يخش السؤال يخجل من التعلم. وبماذا ينتفع الضرير إذا علم أن الشمع يكلف غالياً. والتلميذ إنسان يتعلم ، والمجاز إنسان ينسى. وما نتعلمه في المهد يبقى حتى اللحد. والعلم ملجأ العالم ، والغابة ملجأ النمر. ولن يستطيع العلم الحديث اختراع مهدئ للأعصاب أفضل من الكلمة اللطيفة التي تقال في اللحظة المناسبة. إن التقوى المنشودة ليست مسبحة درويش ولا عمامة متمشيخ ولا زاوية متعبد ، إنّها علم وعمل ، ودين ودنيا ، وروح ومادة ، وتخطيط وتنظيم ، وتنمية وانتاج ، وعندما يكون العلم بدون أخلاق تكون المحن والإحن والعذابات والكوارث ، ولا شاهد أقوى على ذلك من نتائج الحربين العالمية الأولى والثانية! واليوم ونحن على أعتاب حرب عالمية ثالثة فعلينا أن نتذكر أن العلم بدون خلق يدمر البشرية! فعن خسائر الحرب العالمية الأولى كتبت الأستاذة عبير حجاجلة ما نصه: (لقد نتج عن الحرب العالمية الأولى عددٌ من النتائج ، ومنها ما يلي: هزيمة القوى المركزيّة (دول المحور) ، وتراجع هيبة أربع إمبراطوريات كبيرة ، وهي: ألمانيا وروسيا والمجر وتركيا. وإلحاق أضرار جسيمة ، حيث كانت الحرب مليئة بالمذابح والمجازر والدمار. وتعد الحرب العالميّة الأولى نقطة تحوّل كبيرة في التاريخ الجيوسياسي ، وتحديداً في القرن العشرين. واندلاع الثورة البلشفيّة في روسيا. وزعزعة الاستقرار في المجتمعات الأوروبيّة. والتمهيد للحرب العالمية الثانيّة. ومقتل ما يُقارب من 10.000.000 شخص ، وإصابة 20.000.000 آخرين. وكانت مقدمة لتغيير أساليب الحروب ؛ حيث نقلت نمط الحرب اليدويّ إلى نمطاً أكثر تقدماً ، وذلك من خلال إدراج الأسلحة المُستخدمة لوسائل التكنولوجيا ، وإبعاد الأفراد من القتال القريب. وتوقيع معاهدة فرساي ، وهي المعاهدة التي أنهت الحرب العالمية الأولى ، ولكنَّ عدداً من شروطها كان السبب الممهد لاندلاع الحرب العالمية الثانيّة.).هـ. وعن النتائج الكارثية للحرب العالمية الثانية كتبت الأستاذة ريهام أبو عياش ما نصه: (لقد نتج عن الحرب العالمية الثانية عدة نتائج كارثية ، فبعد اشتعال فتيل الحرب بين كفتيْ الصراع وهما: دول المحور وهي بقيادة ألمانيا واليابان وإيطاليا التي انشقت عنها بعد ذلك ، ودول الحلفاء بقيادة كل من أمريكا وبريطانيا وفرنسا ، استمرت الحرب لمدة 15عاماً ، استنزفت خلالها الكثير من البشر والدول والأموال والأسلحة ، وما ألحقته من أضرار فادحة في كل ما هو موجود على سطح الأرض. ومن ناحية أخرى ورغم عدم تكافؤ الفرص لكلٍ من الطرفين في بداية الأمر ، إلا أن ألمانيا ظلت في طليعة المواجهة تقبض زمام الأمور بقبضة من حديد ، فما سلمت منها دولة إلا لها من حزمها نصيب غير أن هذا لم يدم إلا لنهاية 1942 حيث بدأ التحول في سير الحرب لصالح الحلفاء الذين قاموا بإرسال قواتهم إلى شمال أفريقيا وما نجم عنه من معركة سميت "بمعركة العلمين" بين بريطانيا ودول المحور ، وكانت النتيجة هزيمة المحور واستسلام إيطاليا ، وما رافقه من شن للغارات الجوية المكثفة على ألمانيا ، الأمر الذي سبّب ذلك أضراراً كبيرة بها وتدمير أغلب مراكزها الحيوية ، وما تعرضت له بالمقابل اليابان من قذفها بالقنبلة الذرية على هيوشيما وناجازاكي ، فهزمت اليابان وألمانيا في نهاية عام 1945 فهزمت كل من ألمانيا واليابان وانتصرت الحلفاء ، أما نتائج الحرب العالمية الثانية فهي كما يلي: نتائجها على العالم: خرجت كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي كأكبر قوتين في العالم ، فأصبح العالم ثنائي الأقطاب ، الذي ما برح حتى عاد ليصبح أحادي القطب بعد تفكك وانهيار الاتحاد السوفييتي في أوائل الثمانينيات من القرن المنصرم. وما أسهمه الخلاف الحادّ الذي نشب بين كل من أمريكا والاتحاد السوفييتي إلى ظهور نظام الكتلتين: الكتلة الغربية الرأسمالية بزعامة

الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد تضمنت دول أوروبا الغربية وما قامت به من تشكيل لحلف شمال الأطلسي في عام 1949م ، أما الكتلة الأخرى فهي الكتلة الاشتراكية بزعامة الإتحاد السوفيتي ، والتي انضم لها بعد ذلك دول شرق أوروبا ، وتشكيل حلف وارسو في عام 1955م. وإنشاء هيئة الأمم في عام 1945م. وما نتج عنها من اكتشاف أسلحة جديدة متطورة كالنووية والذرية ، والتي أخذت كل دولة من الدول الغربية على التنافس في امتلاكها والحصول عليها. وما سبب ذلك من قضاء على الحكمين الفاشي والنازي في كل من إيطاليا وألمانيا. ونشطت الحركات التحررية في العالم الثالث التي طالبت بالاستقلال والتحرر. ولقد كانت البلاد العربية مسرحاً مهماً للمعارك الدامية بين دول المحور والحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية ، وما تسبب ذلك بما يلي: احتلال للكثير منها وفرض للأحكام العرفية الجائرة والرقابة المشددة على الصحف والمجلات والإعلام ، كذلك وما قامت به من نفي للعديد من الزعماء الوطنين خارج بلدانهم ، وأدّى ذلك كله إلى نشوء ونشاط حركات التحرر التي عمدت إلى أسلوب الكفاح المسلح والثورات في سبيل تحرير أوطانها من نير الاحتلال ، والتي انتهى أغلبها بتحرر بلدانها. بقيت فلسطين وحدها في أوج الصراع العقيم بقرار هيئة الأمم المتحدة بعد الحرب وتوصية من بريطانيا بإصدار وعد بلفور الذي تم توقيعه في 1947/11/2 ، والقاضي بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين).هـ. فكما تعلمون أصدقائي سبب هذا التدهور والانحطاط إلى من أسماهم بالقوى الخفيّة التي تدير القادة والشعوب مثل الأحجار على رقعة الشطرنج! القوى الخفيّة التي ذكرها صاحب كتاب: (أحجار على رقعة الشطرنج) ففي الكتاب كان يقصد بهم اليهود من الحاخامات واللوبيات الذين أسماهم بـ "النورانيّون" الذين أطلقوا ما يسمّى النظام العالمي الجديد! فهذا غاي كار كمسيحي متديّن وأحد المبشرّين يرى أنَّ الصراع في المعمورة هو صراع أبدي بين الخير والشرّ. بين الإيمان والإلحاد ، ويرى أنَّ الإلحاد الذي يروّج له النورانيّون بين الشباب وفساد الأخلاق كفيل بتفكيك وإضعاف هذه الأمم حتى ينفّذ النورانيّون مخططاتهم الشريرة! يبدأ وليام في كتابه بمراجعة تاريخيّة لأصل ومنشأ اليهود. وأصول الأعراق وتقسيمها في أوروبا! ثم يسترسل حول دور اليهود الخطير في الثورات العالمية منذ منتصف القرن الثامن عشر وحتى زمن إنهاء كتابه في منتصف خمسينيّات القرن الماضي. بداية من الثورة الإنجليزيّة مروراً بالفرنسية والروسيّة وأخيراً الحروب العالميّة الأولى والثانية. يذكر المؤلف في كتابه عن خبث اليهود ومخططاتهم الطويلة الأمد في نشر الشر والإلحاد وفساد الأخلاق بكل أسلحتهم الممكنة من مناصب عالية يحتلها بعض العملاء أو بالتزوير والرشوة والابتزاز لأصحاب المناصب والوزارات! بل تعدّى الأمر لافتعال الأزمات الاقتصادية مثلما حدثت في أمريكا وبريطانيا. فأرهقوا الدول بالديون وتسببوا في الفقر والجوع للشعوب المظلومة! ويرى وليام أن الشيوعية هي العدو الأول للإنسانيّة. وأن اليهود استغلوا الشيوعيّة لتنفيذ مآربهم لإفساد العالم. بل يرى أن تشرشل وروزفلت وستالين هم أحجار أخرى على رقعة الشطرنج. وذكر أن هتلر كان أكثر القادة وعياً عن خطر اليهود في العالم. فلم يبارك هذه المذابح التي أقامها هتلر على اليهود! ومن هنا كان الصدق في طلب العلم والالتزام بالأخلاق منشداً من مناشد الشريعة! قال صلى الله عليه وسلم: «إنّ الصدق يهدى إلى البر وإنّ البر يهدى إلى الجنّة وإنّ الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً» أخرجه أبو داود وصححه الألباني. ولا بد للعلم والأخلاق من المراقبة! قال صلى الله عليه وسلم: «اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق النّاس بخلق حسن». حسن رواه الترمذي.

ولا بد للعلم والأخلاق من اليقين! قال صلى الله عليه وسلم في سيد الاستغفار أن نقول: «اللّهم أنت ربي لا إله إلاّ أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنّه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت ، قال: ومن قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنّة ومن قالها من الليل وهو موقنا بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنّة» رواه البخاري ، وقال صلى الله عليه وسلم: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أنّ الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه». رواه الترمذي ، وقال صلى الله عليه وسلم: «إنّ من خياركم أحاسنكم أخلاقا». رواه مسلم. وقال صلى الله عليه وسلم: «ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق وإنّ الله ليبغض الفاحش البذيء». رواه الترمذي وصححه الألباني. ولا بد للعلم والأخلاق من التقوى! قال صلى الله عليه وسلم: «اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا أمراءكم تدخلوا جنّة ربّكم». رواه الترمذي حديث حسن صحيح. ولا بد للعلم والأخلاق من التوبة! قال صلى الله عليه وسلم: «يا أيّها النّاس توبوا إلى الله فإنّي أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة». رواه مسلم. ولا بد للعلم والأخلاق من الصبر! قال صلى الله عليه وسلم: «الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن ـ أو تملأ ـ ما بين السماء والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل النّاس يغدو فبائعٌ نفسه ، فمعتقها أو موبقها». رواه مسلم ، ولا بد للعلم والأخلاق من الحلم! قال صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس: «إنّ فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة». رواه مسلم ، ولا بد للعلم والأخلاق من التوكل! قال صلى الله عليه وسلم: «لو أنّكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتعود بطانا». حسن رواه الترمذي ، ولا بد للعلم والأخلاق من الاستقامة! عن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك، قال: «آمنت بالله ثم استقم». رواه مسلم. ولا بد للعلم والأخلاق من المبادرة والمسارعة في الخيرات! قال صلى الله عليه وسلم: «بادروا بالأعمال سبعاً ، هل تنتظرون إلاّ فقرا منسياً أو غنى مطغياً أو مرضاً مفسداً أو هرماً مفنداً أو موتاً مجهزاً أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر». رواه الترمذي وحسنه. ولا بد للعلم والأخلاق من المجاهدة! قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}. وقال صلى الله عليه وسلم: «حجبت النّار بالشبهات وحجبت الجنّة بالمكاره». متفق عليه. وعلى هذا تكون المعادلة قد اكتملت ، ويكون العنوان قد فهم من أن العلم يجب أن يكون مع الخلق! وكذلك الخلق لا بد من أن يصحبه العلم! فلا خير في علم بدون أخلاق ، كما أنه لا خير في أخلاق بدون علم! وكان ذلك النص الشعري ترجمة لما دار بيننا مع الأستاذ المحترم سيبويه اللغة العربية في مدرسة منار الإيمان بعجمان– محمد الكيلاني – ليكون شعراً نابضاً يكون عمره أطول من عمري كاتبه والمكتوب فيه!)

بـــــالخلْقِ - تُبنـــــى الـــــنفسُ - والتعلـــــيمِ وهـــــل الحيـــــاة تُقـــــامُ دون علـــــومِ؟

مَـــــن مَبلـــــغ عنـــــا الـــــذين تعلمـــــوا أن العلـــــــوم تُمـــــــدّنا بفهـــــــوم

وتزيـــــــدُنا فكـــــــراً علـــــــى أفكارنـــــــا وتُزيـــــــل بـــــــالتفهيم كـــــــل همـــــــوم

وســـــألتُ يـــــا أســـــتاذنا (الكيلانـــــي) لطفـــــاً براعـــــي أســـــرةٍ مكلـــــوم!

واقـــرأ معـــي قـــول (الأميـــر) مُرجّعـــاً ... بـــــالخلق ينتفـــعُ الفتـــى وعلـــوم

فصّـــلْ علـــى الأولاد بيتـــاً قلتُـــه ... أبكـــي علـــى ولـــدٍ حيـــا كيتـــيم

لـــم يتـــلُ شـــعر أبيـــه ينحـــو نحـــوه ... ليُصـــيبَ بـــين يديـــه بعـــض نســـيم

بـــل عَـــق شـــعر أبيـــه دون هـــوادةٍ ... فـــاحكمْ ، وإنـــك ســـيد التحكـــيم

أوَلـــم يُصِـــب أدبـــاً بصـــرح علـــومكم ... بـــ (منـــار إيمـــان) لكـــل غـــريم؟!

ووصـــيّتي لـــ (محمـــد الكيلانـــيْ) ... بقصـــيديَ المتواضِـــع المَحشـــوم

أن يبـــذل الجهـــد الجهيـــد تفضـــلاً ... وبقلـــب معطـــاءٍ ووجـــه وســـيم

وليمـــنح الأخـــلاق والتعلـــيم فـــي ... حـــرص – علـــى الأبنـــاء – جـــد عظـــيم

فـــالعلم أكســـيرُ الحيـــاة ونورُهـــا ... وذووه – فـــي دنيـــا الـــورى - كنجـــوم

مـــا قيمـــة الإنســـان دون تعلـــم؟ ... شـــتان بـــين غشمشـــم وعلـــيم!

والعلـــمُ مفتـــاحٌ لكـــل عويصـــةٍ ... عضـــلتْ بفـــذٍ – فـــي القيـــاس - حكـــيم

وانظـــر لأهـــل الأرض مـــن أخـــذوا بـــه ... لقـــد ارتقـــوا بشـــرافة التعلـــيم

شـــادوا الحضـــارة فـــي ديـــار راهنـــت ... دومـــاً علـــى التشـــييد والتصـــميم

فتربـــع العمـــران فـــوق ربـــوعهم ... آيـــات مجـــد – فـــي الـــديار - عظـــيم

صـــنعوا الغـــذاء لشـــعبهم ودواءه ... وســـلاحه ، فاســـتمتعوا بنعـــيم

بـــرزوا وتـــاجُ البـــأس فـــوق رؤوســـهم ... لـــم يُبتلـــوا – فـــي دارهـــم - بظلـــوم

لـــم يرضـــخوا لمحـــارب مســـتعمر ... متغلـــب صـــلب المِـــراس لئـــيم

لـــم يقبلـــوا ذلاً بغيـــر جريـــرةٍ ... كـــلا ، ولـــم يستســـلموا لهمـــوم

وإذا اعتـــدت زمـــرٌ علـــى أصـــقاعهم ... بـــاؤوا بشـــر هزيمـــةٍ وغمـــوم

وإذا اســـتُبيح صـــغيرُهم فـــي موقـــفٍ ... فزعـــوا لـــه كـــ (خزاعـــةٍ) و(تمـــيم)

كـــانوا علـــى الأعـــداء صـــفاً واحـــداً ... يُصْـــلونه بعـــذابهم وحمـــيم

بـــالعلم ســـادوا ، لا بجهـــل أو هـــوىً ... ولـــذا اســـتحقوا ذِروة التكـــريم

وشـــواهدي تتـــرى علـــى تمكيـــنهم ... بنهـــوض جُـــل رجـــالهم وحـــريم

صـــعدوا إلـــى العليـــاء ، وانفـــردوا بهـــا ... أكـــرمْ بعـــز – فـــي الأنـــام - مَـــروم

وتفيّـــأوا ظـــل التقـــدّم وحـــدهم ... أمـــرٌ يحيّـــرُ عقـــل كـــل حلـــيم

لكـــنْ تـــدنتْ – فـــي الـــورى - أخلاقهـــم ... وبَـــدَوْا بسِـــيطٍ مُقـــرفٍ مـــذموم

وكأنمـــا يحيـــون فـــي مســـتنقع ... بلظـــى القـــذارة والأذى موســـوم

فحيـــاتهم أســـنتْ بســـوء فِعـــالهم ... أبـــئسْ بعـــيش آســـن وســـقيم!

مـــا أتعـــس الإنســـان يُقحِـــمُ نفســـه ... فـــي الموبقـــات معانـــداً كبهـــيم!

مـــا أخيـــب الإنســـان يـــؤثر حتفـــه ... جهـــلاً علـــى عـــيش هنـــاك كـــريم!

لـــم يعرفـــوا الأخـــلاق فـــي منهـــاجهم ... والعـــيشُ دون مبـــادئ كجحـــيم

ركنـــوا إلـــى العلـــم المقـــيم حضـــارة ... كـــالنجم يســـبحُ فـــي خِضـــمّ غيـــوم

وتنكبـــوا سُـــبُل المعـــالي عُنـــوة ... فـــي عـــالم مـــن خلقـــه محـــروم

والعلـــم هـــل متفـــرّداً ســـيُغيثهم ... بعطائـــه المتنـــوع المعلـــوم؟

(لا تحســـبنّ العلـــمَ ينفـــع وحـــده) ... مـــا لـــم يُحَـــط بخليقـــةٍ وسُـــلوم!

وإذا غـــدا علـــمٌ بـــدون خليقـــةٍ ... جلـــب الـــدمار علـــى قـــرىً وتخـــوم

وأبـــاد مـــا ابتنـــتِ الحضـــارة فـــي الـــدنا ... ليصـــير عمـــرانٌ كـــبعض رَمـــيم

ولأصـــبحتْ رُقـــعُ الـــديار بلاقِعـــاً ... فـــي شـــر حـــال صـــادم وألـــيمِ

بـــالعلم والأخـــلاق يُزهـــرُ عيشـــنا ... وبـــدون كـــلٍّ عيشُـــنا كصـــريم

للهـــمّ علمنـــا وحسّـــنْ خلقنـــا ... حتـــى نفـــوز بجنـــةٍ ونعـــيم

للهـــمّ واجـــز (محمـــدَ الكيلانـــيْ) ... وأجـــرْه يـــوم قيامنـــا المحتـــوم!

الزوجة الثانية نعمة لا نقمة (معارضة للأعرابي المجهول)

(كتب الكثيرون عن تعدد الزوجات. فمن مُنصفٍ مُحِق عليم ، ومن مُبطل مُجْحفٍ ذميم. وكادت القضية أن تضيع بين عُرف موروث ، وشرع منزل لا يعمل الناس به ولا يقفون عند حدوده إلا من رحم الله. وأقول: الزوجة الثانية نعمة لا نقمة. وكثيراً ما قرأت وقرأ غيري في كتب الأدب العربي إحدى القصائد العجيبة في النصح بمنع تعدد الزوجات واعتباره كأنه والجريمة صنوان وكأن الزوجة الثانية ذئبٌ سوف يأكل الزوج والعياذ بالله ، وكأن السابقين الأولين ابتداء من الأنبياء المبجلين والرسل الأكرمين – عليهمُ الصلاة والسلام أجمعين - ومن عداهم من الأتباع والأصحاب والصالحين ممن عددوا الزوجات ، أقول: كأن هؤلاء كانوا يعيشون مع نساء من عالم الغاب لا من عالم الإنس. ولا شك أن هذا ضلال بعيد وإفك قديم. وقصتي مع قصيدة ، الزوجة الثانية نعمة لا نقمة ، بدأتْ منذ إعجابي ببعض أبياتٍ أوردها مُطيلاً بها المقدمة هذه عامداً لفائدتين: الأولى أن أثبت للقارئ الحبيب أنها كانت السبب في ميلاد قصيدتي ، والثانية لأثبت أنه لم يستطع أحد - فيما أعلم – أن يرد على الأعرابي صاحب الأبيات الآتية إما لاعتقاده بإثم تعدد الزوجات والعياذ بالله وإما لخوفه من غضب زوجه والناس والرأي العام عليه. والقضية احتاجت شاعراً فحلاً قوياً لا يخاف في الله لومة لائم. وكما استطاع الأعرابي أن يجهر بقصيدته التي لم تتجاوز الأبيات العشرة ويكون لها ذلك الصدى وردة الفعل الكبيرة ، لدرجة أنه ما من كاتب اليوم يجمع نوادر الشعراء العرب من كتب التاريخ والأدب إلا ويوردها فيما يورد هذه الأبيات في إثبات أن التعدد نقمة ، مثلما يورد الأبيات والمواقف التي يسخر بعض أصحابها من الكتاب والسنة والفقه الإسلامي والعياذ بالله! أقول: كما استطاع الأعرابي أن يجهر بأبياته العشرة في ذم هذا الأمر وهو التعدد في زمان كان السمت العام فيه هو التعدد ، وأما الاستثناء فكان الاكتفاء بالزوجة الواحدة ، فإنه يتعين الآن أن يوجد شاعر من أعراب القرن الخامس عشر الهجري والقرن العشرين الميلادي يتعين أن يوجد شاعر من الأعراب المسلمين الموحدين اليوم ، يرد الحق إلى نصابه والقوس إلى باريها مبيناً خطا الأعرابي الأول موضحاً بالدليل الواضح والحجة البالغة والبرهان القاطع والقريض المترنم الحادي أن التعدد هذا ، هو شعيرة من شعائر الحنيفية السمحة ، شاء الجاهليون الحمقى والعلمانيون الملاحدة والمنافقون الزنادقة والحداثيون أذناب الاستشراق والشيوعيون والرأسماليون وعبيد النساء المعاصرون ، أم أبوْا جميعاً. يتعين أن يوجد شاعر يرد الحق إلى نصابه في زمان صار فيه الزواج من الثانية جريمة شنعاء وداهية دهياء وإثماً عظيماً: (ومن أظلم مما افترى على الله كذباً أو كذب بآياته). ولقد جعل الله القول عليه بغير علم مرادفاً للشرك به ، يقول الله من سورة الأعراف (.....وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون). وأعرف ابتداء أن هذه المقدمة طويلة وتفصيلية ، ولازلت مصرّاً على إيضاح هذه القضية نثراً قبل تناولها شعراً ، وإن أريد الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله. أورد أبو علي القالي ج2 صـ 38 في كتابه الأمالي ، وابن عبد البر في بهجة المجالس ج3 ص42 حدثنا أبو بكر قال: أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال: قيل لأعرابي: من لم يتزوج امرأتين لم يذق حلاوة العيش ، فتزوج امرأتين ثم ندم وتاب وأناب ، وأدرك ما يعانيه من يتزوج امرأتين ، فقال حاكياً عن نفسه وناصحاً غيره:

تزوجـــت اثنتـــين لفـــرط جهلـــي بمـــا يشـــقى بـــه زوجُ اثنتـــينِ

فقلـــتُ أصـــير بينهمـــا خروفـــاً أنعّـــم بـــين أكـــرم نعجتـــين

فصـــرتُ كنعجـــةٍ تُضـــحِي وتُمســـي تـــداوَل بـــين أخبـــث ذئبتـــين

رضـــا هـــذي يُهـــيّج سُـــخط هـــذي فمـــا أعـــرى مـــن احـــدى الســـخطتين

وألقـــى فـــي المعيشـــة كـــل ضـــر كـــذاك الضـــر بـــين الضـــرتين

لهـــذي ليلـــة ، ولتلـــك أخـــرى عتـــابٌ دائـــمٌ فـــي الليلتـــين

فـــإن أحببـــتَ أن تحيـــا كريمـــاً مِـــن الخيـــرات مملـــوء اليـــدين

وتـــدرك مُلـــك ذي يـــزن وعمْـــرو وذي جـــدنٍ ومُلـــك الحـــارثيْن

ومُلـــك المنـــذريْن وذي نـــوَاس وتبّـــع القـــديم وذي رُعَـــين

فعـــش عزبـــاً ، فـــإن لـــم تســـتطعْهُ فضـــرباً فـــي عِـــراض الجحفلـــين

ولأمانة النقل أقول بكل موضوعيةٍ وحَيدةٍ: لقد عثرت على رواية أخرى لبيته الأخير ، ألا وهي:

فعـــش عزبـــاً ، فـــإن لـــم تســـتطعْهُ فواحـــدة تكفّـــي عســـكرين!

وها نحن أولاء نردّ على الأعرابي نثراً وشعراً ، بما نعتقد أنه الحق ، وندين الله به ، وأجرنا وحسابنا على الله. يقول الله: (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ، ذلك أدنى ألا تعولوا). ويقول: (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ، وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيماً). ومن خلال هاتين الآيتين نستطيع أن ندرك أن العدل في الآية 3 من النساء التي ذكرناها أولا يختلف عن العدل في الآية 129 من السورة ذاتها والتي ذكرناها أيضاً. فالعدل في الآية 3 هو القسمة الدنيوية في أمور العيش وتدبير أمور الحياة والنفقة واللباس والطعام والشراب وتقسيم الوقت! وهذا فيه مؤاخذة وحساب لأنه مستطاع ومقدور عليه ، فإن الله لا يكلف إلا بما هو مستطاع: (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) ، (لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها). وأما العدل في الآية 129 فهو ميلُ القلب وغلبة العاطفة واتجاه الشعور ، وهذا غير مستطاع ، كما أنه لا مؤاخذة فيه ولا حساب عليه إذ لم يستطعه رسول الله – صلى الله عليه وسلم - فكيف بمن هم دونه في الأفضلية والحق والقيام بأمر الله تعالى؟ روى أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اللهم إن هذا قسْمي فيما أملك فلا تلمني فيما تلك ولا أملك). فلقد كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم - يميل إلى السيدة عائشة أم المؤمنين – رضى الله عنها - أكثر من غيرها من نسائه. وإذن فالعدل بمعنى ميل القلب والعاطفة لا يؤاخذ الله فيه ، لأنه إذا كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يُعذر إلى الله تعالى بهذا الابتهال الذي رواه أبو داود في سُننه. فما بالنا بمن هم دونه: (وما جعل

عليكم في الدين من حرج) ، (والله يريد أن يخفف عنكم) ، (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) ، فلا يدَّعين مدع اليوم أنه وقد عدّد زوجاته ، قد استطاع العدل الذي هو ميل العاطفة والقلب والوجدان والخاطر والروح بين زوجيه! لأنه إن قال ذلك ، فيكون قد حقق ما لم يستطعه النبي. وهذا زعم مجرد زعم ، وافتراء مجرد افتراء. فما عبد أحدٌ رب العالمين من الناس أجمعين عبادة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم -! هذا ولقد عدّد كثير من الأنبياء والرسل نساءهم. ونبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – تزوج من اثنتي عشر امرأة. وأصحابه الكرام عددوا نساءهم ، ولا تزال كتب التراجم والسير والتاريخ تذكر عن كثير من الذين ذكرت تراجمهم وسيرهم ، أن فلاناً كان تحته أربع نسوة ، وفلان ثنتان ، وفلان ثلاث ، إلى غير ذلك. وقضية التعدد فيها كتاب جميل بديع رحم الله صاحبه هو (تعدد الزوجات) للعلامة / عبد الله ناصح علوان. وإذن فالأمر مأخوذ على أصل الإباحة شرعاً وتاريخاً ومنطقاً ، ومن هنا أدركنا جُرم مَن ينظرون إلى الموضوع في زماننا. فالتعدد في زماننا سُمي خيانة زوجية عظمى ، وظلماً للمرأة وجوراً على حقوقها وحيفاً على إنسانيتها وكرامتها. وكثير من النساء الجاهليات في زماننا يُرحّبن بأن يكون لزوج الواحدة منهن عشيقاتٌ وخليلاتٌ والعياذ بالله على منهج أهل الفن والتمثيل والغواية والعهر والرذيلة ، ولا يكون له زوجة ثانية على كتاب الله وسنة رسوله ودين الحق الذي يزعمن أنهن من أتباعه! وكثير من النساء يُتوفى عنهن الأزواج ، وتعتبر الواحدة منهن أن من الإخلاص للزوج الميت هذا أن لا تتزوج بعده أبد الدهر! وهذا تنطعٌ كبير ولا شك. ويُستثنى من هذا الباب من تأيمت لتربي أولادها إن هي استطاعت ذلك. والحقيقة أن هذا الموضوع بحاجة لدراسة في كتب مثل: تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في اليهودية والنصرانية والإسلام ، للأستاذ / أحمد عبد الوهاب. وكتاب: تعدد الزوجات في الإسلام ، للأستاذ أحمد محمد القاسمي. ولا يجب الحكم فيه فقط بالأهواء. وأيضاً كثير من الناس يرى أنه لا يعدد على زوجته إلا رجل ابتلى بامرأة عاقر أو أخرى لا تطيعه أو ثالثة بها من العيوب ما الله به عليم ، أو يكون التعدد عنده من باب العقوبة للزوجة الأولى على ذنب ارتكبته في حق الزوج الفارس الهمام. والبعض يجعلون من تجارب التعدد الفاشلة قياساً على فشل التعدد كشعيرة من شعائر الإسلام! وإنه لمن باب السلامة الاكتفاء بواحدة فإنه أفضل. أقول: لو كان ذلك صواباً منهم لحكموا أيضاً على الزواج من الواحدة إنْ فشل كذلك على أن العُزبة أفضل منه (وإن هي إلا ألأهواء). وبعض المعدّدين يساعد أهل الجاهلية على هذا الاعتقاد من حيث لا يدري ، وكذلك بميله إلى الثانية وإهمال الأولى أو العكس. روى الإمام أحمد وأهل السنن عن أبي هريرة - رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم – قال (من كان له امرأتان ، فمال إلى أحداهما ، جاء يوم القيامة وأحد شقيه ساقط). وبعضهم يتعلل بالآية خطأ فيقول: (وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) ، فنقول له: إن المعنى المراد والله أعلم وبعد مطالعة جمهرة من كتب التفسير: أي من خاف منكم ألا يحقق العدل الدنيوي الذي هو مستطاع من العدل والتسوية بين الزوجات في النفقة وكذا الطعام والشراب والغطاء والدواء والكساء والأيام فالأفضل لهذا النوع الاكتفاء بواحدة ، ولهذا الموضوع بسط مسهب طويل عريض متفرد في الصفحات العشر من 576: 586 من كتاب الظلال ، ذلك الكتاب الذى لا يعجب أهل التنطع والأهواء والزيغ لبعض الأخطاء والمزالق التي به والتي لا يسلم منها كتاب في الأرض اليوم مادام كتاباً في التفسير ، ورحم الله صاحب الظلال ، وتجاوز الله عن أخطائه ومزالقه وعثراته في الظلال وفي سائر كتبه ، ونفع الله بما قاله من الحق. وهناك أيضاً محاضرة في حكمة التعدد للأستاذ العلامة / محمد بن حسن الدريعي – حفظه الله –. وهناك تحليل للتعدد للأستاذ فوزي السعيد في تقديمه لتفسير سورة الحجرات المباركة. ويقطع كثير من المتنطعين بمنع التعدد لواقعة حدثت بين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وفاطمة ابنته وعلي زوج فاطمة - رضي الله عنهما - ، عندما أعلن علي عن خطبته جويرية بنت أبي جهل بن

هشام فعلمتْ فاطمة فغضبتْ وأخبرت أباها – صلى الله عليه وسلم - وقالت فيما قالت: (يزعم الناس أنك لا تغضب لبناتك)! وهذا أبو الحسن قد خطب ابنة أبي جهل وأعد للنكاح. فقام رسول الله خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: (إنما فاطمة بضعة مني ، وإني لأخشى أن تفتنوها. ولا والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله تحت رجل واحدٍ أبداً) ، فعدل علي بن أبي طالب – رضي الله عنه - عن هذا الزواج وقال: لا آتي شيئاً تكرهه. ويكاد ابن حجر في الفتح أن يقطع بأن هذه كانت خصوصية لفاطمة فقط ، وليست تشريعاً يعمل بمقتضاه المسلمون. ونورد رواية حديث البخاري أولاً ، ثم نورد تعليق ابن حجر عليها: يروي البخاري في كتاب النكاح من الصحيح ، عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول وهو على المنبر -: إن بني هشام بن المغيرة استأذنوا في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبى طالب ، فلا آذن ثم لا آذن ، إلا أن يريد ابن أبى طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم ، فإنما هي بضعة مني ، يريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها. ثم يعلق ابن حجر في الفتح قائلاً: (والذي يظهر لي أنه لا يبعد أن يعد هذا في خصائص النبي - صلى الله عليه وسلم – خاصاً بفاطمة – رضى الله عنها -. وأيضاً أن فاطمة كانت قد أصيبت بأمها ثم بأخواتها واحدة بعد واحدة ، فلم يبق لها أن تستأنس به ممن يخفف عليها الأمر ممن تفضى إليه بسرها إذ حصلت لها الغيرة).هـ. أقول: وعلى هذا فحديث فاطمة هذا فيه خصوصية لها ولأبيها - صلى الله عليه وسلم – وهو حديث له مناسبته ومبرراته ولا يصح الاستشهاد به مطلقاً في منع التعدد ، لأن التعدد شرع الله لا ينسخ ولا يبطل العمل به إلا بدليل من كتاب أو سُنة ، والتعدّد هِبة الله لعباده من أهل الإيمان والتوحيد ولا يعود العبد الكريم في هبته فكيف إذن بالله – عز وجل – ولله المثل الأعلى في السماوات والأرض. ولا يجوز شرعاً ولا منطقاً أن تشترط زوجٌ تؤمن بالله واليوم الآخر على زوجها الذي تزوج من أخرى أن يطلق الثانية أو الأولى. روى البخاري وأحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والطبراني عن أسماء بنت أبي بكر – رضى الله عنهما – أن امرأة قالت: يا رسول الله ، لي جارة - أي ضرة – فكرهتْ أن تقول ضرة أفعليّ جناح أن أتشبّع من زوجي بما لا يعطيني؟ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور). وروى أبو داود في السنن وأخرجه النسائي عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (ليس منا من خبب امراة على زوجها أو عبداً على سيده) ، وأخرج البخاري والنسائي ومسلم والترمذي أن أبا هريرة - رضي الله عنه – قال – قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم - (لا تسأل المرأة طلاق أختها ، لتستفرغ صحفتها ولتنكح ، فإنما لها ما قدر لها). وبعض الهارفين بما لا يعرفون والناعقين بما لا يعقلون يقولون: وهل طبق الناس ما في القرآن والسنة من أحكام ولم يعد غير التعدد أمامهم؟ وهذه كلمة حق أريد بها باطل. إذ لو سار الناس عليها في كل شرائع الدين ومتطلبات العقيدة ولوازم التوحيد ومقتضيات الإيمان لما آمن بالله أحد وما اتبع دينه أحد. وبعض النسوة يُفضلن الطلاق على زوج تعيش معه إحداهن معدداً. وبعضهن تعتبر الزوجة الثانية عدواً ، وأن زوجها ما عدد إلا لأنه يكره الأولى وينشد اللذة والمتعة ، بعد أن كبرتْ وشاخت أم الأولاد ، ولم تعد قادرة بعدُ على عطاء اللذة الذي هو مطمحٌ من مطامح النكاح وغاية من غاياته وفق الشريعة الغراء. أقول: لا مانع من الغيرة المعقولة المنضبطة بضوابط الشرع والمعتصمة بعواصم الكتاب والسنة ، ولكن أن تقود الغيرة المرأة إلى أن تكره ما أنزل الله من التشريع فهذه ردة صريحة عن الإسلام ، عندنا من الله فيها دليل وبرهان (طبعاً بعد قيام الحجة الرسالية التي يكفر تاركها! يعني المسألة مسألة توافر شروط وانتفاء موانع). فأمهات المؤمنين كن يغرن وما قادتهن الغيرة يوماً (وحاشاهن) إلى كراهية الدين ، يقول الله: (ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر). وصارت عقيدة عند كثير من النسوة اليوم أن الزوجة الثانية خيانة وافتراء وشهوانية وجريمة ،

كما صار مثالياً من لم يعدّد ، وإنما حافظ على زوجته الواحدة وأولاده وبيته وأسرته! وصار زوجاً خائناً من عدّد فتزوج من الثانية ، ولم يعد مقياس الحكم على الزوج المثالي الناجح الذي هو مطمح كل فتاة ، أنه الذي يحافظ على دينه وعقيدته ويحافظ على أهل التوحيد والإيمان ، ويأخذ أسرته بأوامر الكتاب والسنة ، ويتعهدها بالنصيحة والوعظ والإرشاد. يقول الأستاذ حمدي شفيق عن تعدد الزوجات في كتابه: (شبهات حول المسلمات) ما نصه: (من أكثر الانتقادات شيوعًا على ألسنة المُغْرِضين أن الإسلام جاء بتعدد الزوجات لمصلحة الرجال على حساب النساء ، وهو بذلك يلبي شهوات الرجل بينما ينتقص من حق المرأة في المعاملة بالمثل ، ويهدر كرامة الزوجة التي يقترن زوجها بأخرى أو أخريات ، ولا يعبأ بمشاعرها ، إلى آخر تلك الادعاءات. وليس أيسر من تفنيد تلك الأقاويل الباطلة بحقائق التاريخ والعلم والواقع المشهود أيضًا. فمن الناحية التاريخية: نلاحظ أولًا أن تعدد الزوجات نظام عرفته البشرية منذ فجر التاريخ وقبل مجيء الإسلام بآلاف السنين. ولم تكن هناك أية ضوابط من أي نوع بالنسبة للرجل الذى يهوى إقامة علاقات نسائية ، لا من حيث العدد ، ولا معاملة الزوجات أو الأولاد ، ولا حتى التزام أي معيار من معايير العدالة بين نسائه. فقد عرف الفراعنة تعدد الزوجات والمحظيات بلا حدود. وعلى سبيل المثال كان للفرعون الشهير رمسيس الثاني 8 زوجات وعشرات المحظيات ، وأنجب منهن أكثر من مائة وخمسين ولدًا وبنتًا ، وأسماء الجميع منقوشة على جدران المعابد ، وأجساد بعضهن موجودة حتى الآن بالمتاحف. وكانت لفرعون موسى عِدَّة زوجات منهن السيدة آسية - رضي الله عنها - التي ربّت موسى - عليه السلام - وكانت قد احتضنته رضيعًا ومنعت فرعون من قتله لتتخذه ولدًا. وكذلك كان تعدد الزوجات شائعًا على أوسع نطاق لدى الفرس والرومان والشعوب ذات الأصل السلافي مثل: الروس ، والصرب ، والسلوفاك ، والشعوب الجرمانية والسكسونية مثل: الألمان وسكان النمسا ، وسويسرا ، وبلجيكا ، وهولندا وإنجلترا ، والنرويج. وكان التعدد - وما يزال - منتشرًا عند طائفة المورمون بأمريكا وشعوب وقبائل غير مسلمة مثل: الوثنيين في أفريقيا ، والهندوس ، والصينيين ، واليابانيين (يمكن معرفة المزيد عن تعدد الزوجات والجواري فى الشعوب والممالك القديمة بالرجوع إلى الموسوعات التاريخية ومنها: "قصة الحضارة" ؛ وول ديورانت - طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ترجمة زكى نجيب محمود ومحمد بدران وآخرين - مكتبة الأسرة). وفي كل شرائع الأنبياء قبل نزول القرآن الكريم على محمد - صلى الله عليه وسلم - كان التعدد مشروعًا وبلا حد أقصى لعدد الزوجات أو الجواري. فقد تزوَّج أبو الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - سارة وهاجر ، ثم اثنتين أخريين هما قطور ابنة يقطان الكنعانية وحجون بنت أهيب وهي عربية أيضًا. وتقول مصادر أهل الكتاب أن يعقوب - عليه السلام - تزوج ابنتي خاله لابان وهما "ليا" و"راحيل" معًا ، ثم عاشر أيضًا جاريتين لهما وأنجب من النساء الأربعة الأسباط وعددهم اثنا عشر ولدًا. ولا يمكن لأحد إنكار ما أورده العهد القديم عن داود وسليمان - عليهما السلام - إذ تقول مصادرهم أن داود تزوج مائة امرأة ، بينما تزوج ولده سليمان ثلاثمائة امرأة وكانت له سبعمائة جارية بالإضافة إلى زوجاته (انظر التفاصيل في: "قصص الأنبياء" ؛ للإمام ابن كثير وقصص الأنبياء المسمى "عرائس المجالس" ؛ للثعلبي و"تاريخ الرسل والملوك"؛ للطبري). وهذه الأرقام الهائلة لا يجدون فيها أية غرابة ، بينما يتصايحون لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - تزوج 11 سيدة معظمهن أرامل ومطلقات وبعضهن كن أكبر منه سنًّا! لماذا تقبل عقولهم أن يتزوج نبي ثلاثمائة زوجة وسبعمائة جارية – أي ألف حليلة – بينما يستنكرون زواج أخيه محمد بإحدى عشر؟! إنه الحقد على نبي الإسلام فقط لا غير! كما ذكروا أيضًا أن رحبعام بن سليمان تزوج 18 وكانت له ستون جارية أي كانت له 78 حليلة! وكذلك كان تعدد الزوجات منتشرًا في جزيرة العرب قبل الإسلام. وعلى سبيل المثال أسلم غيلان الثقفي وعنده عشر زوجات

فأمره النبي ـ عليه السلام ـ باستبقاء 4 وتطليق الباقيات ، والحديث رواه البخاري. وروى أبو داود أن عميرة الأسدي أسلم وعنده 8 زوجات ، فذكر ذلك للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال له: "اختر منهن أربعاً". وفي مسند الشافعي أن نوفل بن معاوية الديلمي كانت له خمس زوجات قبل الإسلام ، فلما أسلم قال له النبي ـ عليه السلام ـ: "اختر أربعًا أيتهن شئت وفارق الأخرى". ولا يوجد نص في الإنجيل على تحريم التعدد ، وكل مَن يزعم ذلك من النصارى فإنه يكذب ، بل يكفر بدينه الذي يوجب عليه الإيمان بأنبياء العهد القديم ، وكلهم كما رأينا أباحوا التعدد وطَبَّقُوه بأنفسهم عليهم السلام أجمعين. وقد أجازت الكنيسة للملك شارلمان الزواج بعدة نساء في وقت واحد وأنجب منهن. وحتى الآن تمارس طائفة المورمون المسيحية في أمريكا ـ كما قلنا – تعدد الزوجات بلا حصر ولا عدد ولا ضوابط من أي نوع كان. ومن الناحية العلمية فقد أكد علماء النفس والاجتماع في الغرب أن الرجل بطبعه وتكوينه مفطور على حب التعدد. ولذلك أكَّدوا عدم صلاحية نظام الزوجة الواحدة للبقاء والاستمرار. والواقع يثبت أن كثيرًا من الرجال لا يكتفي بامرأة واحدة. والدليل القاطع هو ما نراه في الغرب من فوضى جنسية عارمة. فإذا كانت القوانين هناك تمنع تعدد الزوجات ، فإنها تبيح تعدد العشيقات والشذوذ الجنسي بشتى صوره وأشكاله وأنواعه! وتكفي نظرة عابرة على ما تنشره وسائل الإعلام في أوروبا وأمريكا عن فضائح الزعماء هناك وعشيقاتهم. وعلى سبيل المثال أحصى الصحفيون الأمريكان مائة عشيقة للرئيس الأسبق بيل كلينتون طوال مراحل حياته المختلفة. واضطر الرئيس الفرنسي ساركوزي إلى تطليق زوجته بعد انتخابه رئيساً لفرنسا والزواج من عشيقته حرصًا على منصبه ، بعد أن فجَّرت الصحف الأوروبية فضائحه معها! وكذلك كان الحال مع معظم قادة أوروبا وأمريكا والصين. (وللمزيد من التفاصيل عن عشيقات زعماء الغرب في كتاب "زوجات لا عشيقات التعدد الشرعي ضرورة العصر" طبعة القاهرة 1995م. ويمكن تنزيله مجانًا من شبكة الإنترنت من عدة مواقع إسلامية على رأسها الموقع الممتاز صيد الفوائد وموقع المكتبة الإسلامية ، وموقع المنشاوي للبحوث وموقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنَّة وموقع ابن مريم وموقع مكتبة النبع الصافي وغيرها). فأين هذا الدنس والانحلال من طهارة ونقاء الإسلام الذي يضبط التعدد بعدم جواز الزيادة على أربع زوجات؟ وبشروط مشدّدة هي: القدرة على إعالتهن والعدل بينهن في كل شيء وإلا كان عليه الاكتفاء بواحدة فقط. وتثبت كل الإحصائيات في العالم الآن عظمة التشريع الإسلامي في إباحة التعدد بشرط العدل. ففي معظم دول العالم هناك زيادة خطيرة في أعداد النساء بالمقارنة بأعداد الرجال. والفجوة تزداد بين أعداد الجنسين عامًا بعد الآخر بسبب الحروب المجنونة التي تفتك بملايين الرجال سنويًّا في مختلف أنحاء العالم. ففي الولايات المتحدة الأمريكية يزيد عدد النساء على عدد الرجال بأكثر من 10 ملايين امرأة. وفي بريطانيا 5 مليون امرأة زيادة على أعداد الرجال. وفي ألمانيا بلغت النسبة 3 نساء لكل رجل بعد الحرب العالمية الثانية. وفي لبنان الآن نسبة عدد النساء إلى عدد الرجال هي 5 إلى 1 بسبب الحروب الطاحنة ، وهجرة الذكور للعمل والاستقرار بالخارج وغالبًا ما يتزوج الشاب في البلد الذي يهاجر إليه ويستقر به. ويزيد عدد النساء على عدد رجال الهند بأكثر من 50 مليون امرأة. وفى روسيا يزيد عدد النساء على عدد الرجال بعشرين مليون امرأة مما دعا رئيس الحزب الشيوعي الروسي المتطرِّف إلى المطالبة باستحداث تشريع هناك يسمح بتعدد الزوجات لعلاج الخلل الاجتماعي الخطير. لاحظ أن هذا الرجل مُلحد ، ولكنه لم يجد حلا آخر أفضل مما جاء به الإسلام! وأصدر رئيس الشيشان قرارًا جمهوريًّا يسمح بالتعدد للتغلب على مشاكل النقص الحاد في أعداد الرجال. وهو ما فعله أيضًا برلمان جمهورية أنجوشيا – إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق – إذ أقرَّ قانونًا منذ بضع سنوات أباح تعدد الزوجات هناك ، للتغلب على الخلل الخطير في العدد بين الجنسين الذي بلغت نسبته 3

نساء لكل رجل. وذات الخلل موجود أيضًا في الفلبين وأفغانستان والبوسنة والهرسك التي كان الصرب يذبحون الرجال فيها ويتركون النساء لاغتصابهن. وفي العراق أظهرت آخر الإحصائيات الرسمية أن النسبة هي رجل واحد لكل ستة نساء ، وبلغ عدد الأرامل هناك أكثر من 3 مليون أرملة بسبب الحروب الطاحنة المستمرَّة منذ ما يقرب من 30 سنة ، فضلاً عن 5 ملايين من الأيتام. وفى هونج كونج النسبة هي رجلان لكل خمس نساء طبقًا للإحصائيات الرسمية. ونسأل كل مَن يعارض التعدد: كيف يمكن حل هذه الكارثة الاجتماعية في العراق مثلاً بدون التعدد؟! ثلاثة ملايين أرملة معظمهن في سن الزهور ، وبحاجة إلى رجل بأسلوب مشروع نظيف ، كما يحتاج أطفالهن إلى رجل صالح يلعب دور الأب الشهيد ويعوضهم ما فقدوه من حنان ورعاية ودفء الأبوَّة التي لا غنى عنها مطلقاً من كل النواحي النفسية والاجتماعية والاقتصادية أيضًا لأي طفل. وتشير الإحصائيات كذلك إلى ارتفاع خطير في معدلات العنوسة المتزايدة في الدول العربية والأسيوية والإفريقية. وتتراوح النسبة بين 35% إلى 50% في دول الخليج وشمال إفريقيا. كما تتزايد معدلات الطلاق بصورة خطيرة. وكل هذا من شأنه ارتفاع أعداد النساء الوحيدات اللاتي بحاجة إلى الزواج. وقد نُشرت مؤخرًا أبحاث عملية متواترة في الغرب أجمعت على أن كروموسوم يتسبب فى إنجاب الذكور في تناقص حادٍّ مستمر جيلاً بعد الآخر. وهذا يتسبب - كما هو مُشاهد الآن – فى تزايد أعداد المواليد من الإناث ، وتناقص أعداد المواليد من الذكور. وهو دليل جديد على عظمة تشريع الإسلام في إباحة التعدد للتغلب على مشكلة تناقص الذكور. وهو ما يثبت أيضًا صدق ونبوة خاتم المرسلين محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي أخبرنا منذ 14 قرنًا بهذه الظاهرة في حديث صحيح عن علامات الساعة ، ذكر منها تناقص أعداد الرجال وتزايد أعداد النساء ، حتى يكون للرجل الواحد خمسين امرأة (رواه البخاري ومسلم) وهو ما تؤكد كل الشواهد والحقائق العلمية والواقعية أننا في الطريق إليه بالفعل! ولو سألنا أية امرأة شريفة عاقلة: هل تفضّلين الحياة كزوجة ثانية أو ثالثة مع العدل وكفالة حقوق متساوية لك ولأولادك مع الأخريات وأولادهن أم كعشيقة في الظلام لا حقوق لك ولا لأولادك؟! أعتقد أن الجواب بالقطع هو تفضيل الزواج ولو مع أخريات. بل أكدت نساء كثيرات في إحصائيات واستطلاعات جرت في مصر ودول عربية أخرى أنهن يفضلن الاقتران برجل متزوج بشروط العدل ، على حياة العزوبة الموحشة البائسة. وهناك ملايين من الزوجات العاقرات غير القادرات على الإنجاب وكذلك المريضات والطاعنات في السن. وليس من المروءة في مثل هذه الأحوال أن يطلِّقها الزوج بعد سنوات طوال من العشرة. والأكرم والأنبل أن تظل هذه العاقر أو المريضة أو العجوز زوجة مُعزَّزة مُكرَّمة ، وأن تأتى إلى جانبها أخرى للإنجاب وتلبية رغبات الزوج المشروعة وخدمة الأسرة مع حصولها على حقوق مساوية للأولى. ويقرر كبار علماء الاجتماع والمؤرخون من غير المسلمين – مثل وسترمارك وهوبهوس وهيلير وجنربرج – أن التعدد ينتشر فقط بين الشعوب التي بلغت قدرًا كبيرًا من الرقي والحضارة وليست الشعوب البدائية. فقد عرفت تعدد الزوجات كل الشعوب التي استقرَّت في وديان الأنهار ومناطق الأمطار الغزيرة ، وتحولت إلى الزراعة المنتظمة بدلاً من صيد الحيوانات وجمع ثمار الغابة. ويؤكد هؤلاء العلماء أن نظام تعدد الزوجات آخذ في الاستمرار ويتسع نطاقه كلما تقدمت البشرية خطوات إلى مزيد من التحضر والتطور والتقدم العلمي ، خلافًا لما يظنه بعض الحاقدين على الإسلام الذين يزعمون أن التعدد ظاهرة متخلفة انقضى زمانها وفات أوانها. ويرى المفكر الفرنسي الكبير جوستاف لوبون أن نظام التعدد الذي أقَرَّه الإسلام هو أفضلُ حلٍّ ممكن لضبط العلاقات بين الجنسين. وذكر لوبون في كتابه "حضارة العرب": أن التعدد كان موجودًا قبل الإسلام ، وأن أحوال المسلمات أفضل كثيرًا من أحوال الأوروبيات". وقال المفكر الإنجليزي لايتنر: أن التعدد يقلل قطعًا من أعداد البغايا والمواليد غير الشرعيين وتندر معه الأمراض

الجنسية المنتشرة في الغرب. وأشاد المفكر الفرنسي رينيه بتعدد الزوجات الإسلامي لذات الأسباب! ونظن أن شهادات هؤلاء العلماء والمفكرين - وهم من غير المسلمين – هي أكبر دليل على بُطلان دعاوى المغرضين. لقد جاء الإسلام ليضبط العلاقات بين الجنسين ، ويقضي على الفوضى الجنسية والاجتماعية ، فمنع الزيادة على 4 زوجات في وقت واحد. وتظهر عظمة الإسلام في وضع حدٍّ أقصى على ضوء ما نراه عند الآخرين مثل طائفة المورمون المسيحية الأمريكية التي لا تضع أي ضوابط على تعدد الزوجات. ويكفى أن نشير إلى ما نشرته وسائل الإعلام الأمريكية والعالمية مؤخرًا من ضبط رجل أمريكي من المورمون لديه تسعون امرأة ، ولم يكتفِ بمعاشرة نسائه التسعين بل اغتصب ابنته أيضًا! ولولا ارتكابه جريمة اغتصاب ابنته ما قبضت عليه الشرطة! (والقصة منشورة في موقع شبكة سي إن إن على الإنترنت باللغة العربية. وقصص المسلمين والمسلمات الجدد يوجد آلاف منها في عدد من المواقع الإسلامية الجيدة عبر الإنترنت) وموقع (www.islamway.com) - وهذا مكفول للكل! مثل موقع القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي نص على موقع(www.todayislam.com حظر التعدد في حالة "مجرد الخوف" من عدم تحقيق العدالة بين الزوجتين. قال – تعالى -: {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً} ، والأمر الإلهي في الآية الكريمة صريح في وجوب الاكتفاء بزوجة واحدة إذا خاف من عدم العدل. وأكدت كل الإحصائيات في أوروبا وأمريكا أن الإسلام هو أسرع الأديان انتشارًا في العالم. ويعتنق الملايين من الناس الدين الإسلامي كل عام عن اقتناع تام بعد دراسات عميقة متأنية. والطريف الذي ذكرته وسائل الإعلام الغربية أن أكثر من 80% من هؤلاء الذين يعتنقون الإسلام هم من النساء. ويعني هذا بوضوح أنه مقابل كل رجل يعتنق الإسلام هناك أربع من النساء المسلمات الجدد. ومن المعلوم من الإسلام بالضرورة أنه لا يجوز للمسلمة أن تتزوج بشخص غير مسلم. فإذا كانت المسلمة الجديدة لا تستطيع الهجرة أو الانتقال للحياة في بلد إسلامي ، فإنها تكون أمام عدة خيارات أحلاها مرير شديدة المرارة. فإما أن تظل وحيدة وتدفن شبابها وأحاسيسها ، وتعاني كل أنواع الأمراض النفسية والعصبية والبدنية الناجمة عن العنوسة والكَبْت والحرمان طوال حياتها ، أو تقع في الحرام بمعاشرة جنسية خارج إطار الزواج ، وهو ما يحظره الإسلام تمامًا ، أو تسقط فريسة للشذوذ وهو محظور كذلك. وهكذا فإنه لا يوجد حل نظيف طاهر أمام ملايين من المسلمات الجدد في الغرب أفضل من قبول تعدد الزوجات مع العدل وكفالة كل الحقوق المتساوية لهن ولأطفالهن. والله وحده أعلم بما يُصْلِح حال خلقه أجمعين. ولقد بدأت الكثيرات من المسلمات في الغرب يدركن أهمية التعدد الإسلامي ونُبْل مقاصده وضرورته المتزايدة ، وهناك حالات كثيرة قبلت فيها مسلمات جدد الاقتران بمسلم متزوج بالفعل ، بعد أن أدركن أنَ هذا هو أفضل وأكرم الحلول لهن(5). ويحاول المشكِّكون النيل من نظام التعدد بإدعاء أن تحقيق العدل بين الزوجات مستحيل ، ويقتطعون جزءًا من الآية 129 من سورة النساء ، ويتجاهلون الباقي على طريقة {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ} ، دون ذكر باقي الآية: {وَأَنْتُمْ سُكَارَى} فتكون النتيجة قلب المعنى تمامًا وتفسير الآية على خلاف ما أراد الله - تعالى – بها ، والله أعلم بمراده. يقولون: لقد قال القرآن صراحة: {وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ} ، ويتجاهلون بقية الآية: {فَلاَ تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} (انظر تفسير الآية 129من سورة النساء عند ابن كثير، والطبري، والظلال ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، والجصّاص ، والنسفي ، والبيضاوي، والشوكاني ، والسعدي ، وغيرهم). والمعنى كما قال المفسّرون: أن العدل المطلق بين الزوجات في الميل القلبي مستحيل ، فالقلوب بيد الله يُصرِّفها كما يشاء ، فيكفي الزوج أن يبذل قصارى جهده في العدل بينهن في كل الأمور المادية بما فيها النفقة والمبيت وحتى القُبْلة والابتسامة. أما الميل القلبي فيمكنه أن يحاول التحكُّم فيه حتى

لا يؤدي به إلى ظلم إحداهن وهجرها تمامًا ، فتكون كالمُعَلَّقة لا هي بُمطَلَّقة يمكنها الزواج من آخر ولا هي بزوجة تحصل على حقوقها. هذا الميل الكامل بشكل ظالم لإحداهن هو المنهي عنه ، وليس معنى الآية أن التعدد ممنوع ؛ لأن العدل التام مستحيل ، فكما قال صاحب الظلال ـ رحمه الله ـ في الظلال: "شريعة الله ليست هازلة لتأخذ بالشمال ما أعطته باليمين". ونضيف إلى ما قاله: أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يقسم بين زوجاته فيعدل في كل الأمور المادية ، وكان الجميع يعلمون أنه يحب عائشة أكثر لكنه لم يظلم الأخريات ، وكان يسأل ربه العفو وعدم المؤاخذة بالميل القلبي ، لأنه ليس بيد الإنسان. ألا تلاحظ أن الإنسان يميل قلبه إلى بعض أولاده أكثر من بعض رغم أن الكل فَلَذَات كبده ، فهل نادى أحد بمنع الإنجاب خشية عدم تحقيق العدل بين الأولاد؟! وباقي الآية الكريمة يثبت ذلك ، فقد نهى الله ـ تعالى ـ عن "الميل" بشكل كامل إلى إحداهن ، وأرشد الزوج إلى مقاومة هذا الميل إلى إحداهن ، وكبح جماحه حتى لا يتسبب في تحويل المرغوب عنها إلى مسجونة أو مهجورة ، لا هي تحصل على حقوق الزوجة، ولا هي مُطَلَّقة فيمكنها الزواج بآخر يعطيها ما حرمها منه الأول المشغول عنها دائمًا بأخرى. ولو كانت الآية تحظر التعدُّد لعدم إمكان تحقيق العدل المطلق حتى في المشاعر ، لما وعد الله ـ سبحانه ـ في آخر الآية من يصلح ويتقي بالمغفرة والعفو عن بعض الميل القلبي الذي لا يملكه الإنسان: "وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورًا رحيمًا". ونلمس في هذه الآية العظيمة تهدئة لروع الرجل وإخبارا له أنه لا سبيل أمامه إلى تحقيق العدل بين زوجاته بشكل كامل. والمعنى هو: لا تخف وابذل ما في استطاعتك لإسعاد زوجاتك والعدل بينهن بقدر ما تستطيع ، وسوف يتجاوز الله بكرمه وإحسانه عن القدر الذي ليس في وسعك ويغفره لك. ومن الثابت أن العدالة المطلقة هي الإلهية ، أما العدالة البشرية فهي دائماً ناقصة ، لأن الناقص لا يمكنه الإتيان بالكمال ، والله أعلى وأعلم.

وعلى كل حال تملك الزوجة الحق في طلب التطليق لعدم العدل ، وعلى القاضي أن يحكم لها بالتطليق إذا ثبت وقوع ضرر عليها خاصة في حالة ثبوت ظلم الزوج لها بعدم المساواة بينها وبين زوجته الأخرى. كما يحكم لها بالخُلع ـ وهو طلقة بائنة ـ طالما رَدَّت إلى زوجها ما دفعه لها من مهر ، لأنه ليس من العدل أن تحتفظ هي بالمهر رغم إقدامها على هدم الزوجية بالخُلْع. والفرض هنا أن الزوج لم يرتكب خطأ ما بل هي التي تريد الفراق وتسعى إليه كما سيأتي عند الكلام عن الخلع. ونرد على من يستنكرون عدم السماح للمرأة بتعدد الأزواج أيضًا بسؤال: من سيكون الأب لأطفال تلك المرأة التي تضاجع عدة أزواج في وقت واحد؟! وما هو الحل إذا كان كل واحد من أزواجها يريدها لفراشه في ذات اللحظة؟! ومَن هو الذي سيدير دفة الأمور في مثل هذا المنزل الذي لا يُعرف له قائد أو مدبِّر لشؤونه؟! ثم يأتي العلم الحديث ليثبت دومًا عظمة الإسلام ، وصواب منهجه الإلهي المحكم. فقد أثبتت أحدث الأبحاث الطبية في الغرب أن المرأة التي يعاشرها أكثر من رجل في وقت واحد تُصاب غالبًا بسرطان المهبل أو سرطان الرحم بسبب اختلاف الحيوانات المنوية وتنافرها. ولا نظن أننا بحاجة إلى الكلام بعد هذه الأبحاث المُوثَّقة التي أجراها علماء من غير المسلمين. وقد رفض علماء النصارى تعدد الأزواج للمرأة الواحدة. وعلل القديس أوجستين ذلك بأنه "لا يكون للمرأة سيدان". وليس صحيحًا أن التعدد يتم ضد إرادة المرأة ولا ضد مصلحتها. فإن الزوجة الأولى إذا لم تضع شرطًا في عقد الزواج يمنعه من الزواج بأخري ، فإن هذا يعنى ضمنًا قبولها ما هو معلوم بالضرورة من إباحة الزواج من أخرى مع العدل ، فيجب عليها احترام ذلك بموجب العقد الذي وافقت عليه. ولو كانت حريصة على رفض التعدد لوضعت شرطًا يمنعه من ذلك ، ويكون عليه احترام هذا الشرط إن وُجد. وأما الزوجة الثانية ـ أو الثالثة أو الرابعة ـ فمن الواضح تمامًا أنها تقبل الزواج من رجل تعلم أنه متزوج بالفعل ، والزواج الثاني ـ أو الثالث أو الرابع ـ يكون باطلاً إذا تم بدون رضاها وموافقتها كما ذكرنا في فصل "مودة ورحمة".

فلماذا يلومون الرجل ولا يلومون المرأة التي وافقت على الزواج منه مع علمها بأنه متزوج بالفعل؟! ثم إن هذه الزيجة الثانية أو الثالثة أو الرابعة إن كانت تضرّ - بعض الضرر- بالزوجة الأولى ، فإنها بالقطع تحقق فوائد مؤكدة للمرأة التي تقبل الزواج من رجل متزوج ، فهي تضمن عائلاً لها ولأطفالها إن كانت أرملة أو مُطلَّقة ، وتضمن زوجًا يحقق لها المقصود من الزواج بالسكون النفسي والعاطفي والجنسي ، ويُعفُّها الله به عن العلاقات المُحَرَّمة. والقاعدة المعلومة هي ارتكاب أخف الضررين. ولا شك أن شعور الزوجة الأولى ببعض الغيرة والألم النفسي يظل أخف بكثير من ضياع أرملة أو مُطلَّقة أو عانس فاتها قطار الزواج ، ومُهَدَّدَة بالحرمان من الحلال إلى نهاية العمر. وعلى ضوء ذلك نسأل الخصوم: ألا يحقق التعدد مصالح مؤكدة للزوجات الجدد وهن نساء أيضاً؟! وقد أدركت بعض النساء الصالحات الذكيّات هذه المصالح العظمى التي يحققها نظام التعدد الشرعي للملايين من بنات جنسهن الوحيدات في كل مكان ، فقمن بتبني الدعوة إلى تطبيق تعدد الزوجات على نطاق واسع. ومثال ذلك جمعية أسستها في مصر الإعلامية المصرية السيدة هيام دربك - وهي متزوجة - واختارت لها شعارًا طريفًا يقول: "امرأة واحدة لا تكفى!". لاحظ أن الجمعية أسستها امرأة وليست رجلاً ، وأن معظم أعضائها من النساء! وأكَّدت السيدة هيام ضرورة تطبيق نظام تعدد الزوجات كما جاء به الإسلام للقضاء على مشكلة العنوسة في المجتمعات العربية التي تهدد عشرات الملايين من الفتيات بفقدان الفرصة في تكوين أسرة والحرمان من الأمومة إلى الأبد. وتأسست في الأردن جمعية نسائية مماثلة تناشد الرجال ممارسة تعدد الزوجات رحمة بملايين العوانس والأرامل والمُطلَّقات. وفي الكويت أرسلت مئات الفتيات اللاتي تجاوزن سن الـ30و35 بدون زواج خطابات بريدية إلى مئات الزوجات يناشدنهن فيها التكرُّم بقبول زواج رجالهن من أخريات مع العدل للقضاء على مشكلة العنوسة التي استفحلت لدرجة خطيرة في الكويت. والطريف أن نساء أمريكيات أسلمن مؤخرا قمن بتأسيس جمعية مماثلة تدعو إلى تطبيق ونشر ثقافة تعدد الزوجات في أمريكا ، وبلغ عدد عضوات الجمعية حتى الآن أكثر من 900 امرأة! وبناء على هذا نقول لخصوم التعدد: ها كم شاهدات من النساء على عظمة الإسلام في تشريع التعدد رحمة بهن وحلاً لمشاكلهن ، ومَن لا يعجبه ما نقول فليتوجه إليهن وليجادلهن ما شاء ، وأظن أنه لن يكسب المعركة بأي حال! (تفاصيل أخرى عن تعدد الزوجات في الإسلام في كتاب: "زوجات لا عشيقات ، التعدد الشرعي ضرورة العصر"). وليس صحيحًا ما زعمه البعض من أن الأصل في الكون هو وحدة الزوجة لأن آدم - عليه السلام - لم يتزوج سوى حواء. ونرد عليهم بأن الأصل - بهذا المنطق غير الدقيق - ليس الزواج بواحدة بل العزوبة. لأن آدم - عليه السلام - خلقه الله أولاً ، وظل فترة من الزمن وحيدًا. فهل نقول بناء على ذلك أن الأصل هو عدم الزواج؟! وقد أباح الله لآدم أن يزوّج أولاده من بناته ، فكان ابن آدم يتزوّج أخته التي ولدت في بطن آخر وليست معه في ذات البطن. فهل نقول أيضًا استنادًا إلى ذلك أن الأصل هو إباحة زواج الأخ من أخته الشقيقة؟ أم أن هذه كانت حالة ضرورة فقط لعدم وجود بشر غيرهم ، ثم حَرَّم الله - تعالى - زواج الأخت بعد أن تكاثر البشر؟! بل إن الاستدلال هنا لمصلحة أنصار التعدد وليس خصومه. لأن هذا يؤكد أن تعدد الزوجات جاء في سياق التطور الطبيعي للبشرية وكلما تقدمت الحضارة الإنسانية وازدهرت وتكاثر البشر سوف تزداد الحاجة إلى التعدد ويتسع نطاق تطبيقه بمرور الزمن. وأخيرًا فإن الأصل عندنا هو ما كانت عليه الأغلبية الساحقة من الأنبياء والمرسلين وهو تعدد الزوجات. ومَن لا يعجبه أسلوب حياة سادة البشر فلا فائدة من الكلام أو الحوار معه أصلاً! أم يظن أولئك أن الرسل - وهم خير خلق الله - قد فعلوا خلاف الأصل أو خلاف الأولى).هـ. وأخيراً أهدي القصيدة برُمتها: مقدمتها ونصها الشعري للأستاذ والداعية الفاضل والمربي الكبير ومن أصحاب الفضل علينا بعد الله الأخ / أبي إسحاق الحويني السلفي الأثري حفظه

الله ، إذ أكاد أقطع أنه من الأساتذة المعدودين الذين عالجوا قضية التعدد من الناحية التبليغية والوعظية ومن الناحية الواقعية العلمية ، وكنتُ قد تأثرتُ به في أكثر من موقف وهو يعالج مسألة تعدد الزوجات ، وكان مما أثلج صدري وأظن صدور من سمعوا مثلي حديثه عن تجربته الشخصية الناجحة في التعدد! ومن هنا جعلتُ من النص الشعري حكاية تدور على لسانه ، إلا ما كنت أخاطبه به مما تتطلب ضرورة التأليف الشعري والحبكة الموضوعية التي هي حتمية في أي قصيدة. فكما دارت قصيدة الأعرابي على لسانه وكأنه يحكي لنا حاله مع التعدد الفاشل! كان أبو إسحاق الحويني يحكي تجربته مع التعدد الناجح شارحاً لنا موقفه من الزواج الثاني يُرجع معنا الحق إلى نصابه والقوس إلى باريها ، في مسألة زلت فيها أقدام وضلت فيها أفهام! وأعتذر عن طول المقدمة ، وكل قارئ منصف الآن أظنه أدرك لماذا هذا الطول المتعمد. إنه لتفصيل المسألة وتأصيلها علمياً! ولئلا يقول قائل بأنني أخوض في دين الله بغير علم ولا هدىً ، حتى إذا ما طالعنا النص فهمناه!)

تزوجـــتُ اثنتـــين لفـــرط علمـــي ... بمـــا يهنـــا بـــه زوجُ اثنتـــينِ

فقلـــتُ: أعـــيش بينهمـــا أميـــراً ... يُكـــرّم بـــين أســـخى حُـــرّتين

لـــهُ فـــي كـــل مملكـــةٍ رعايـــا ... وشـــمسُ العـــز بـــين الخـــافقين

مَهيـــبَ الجـــاه ، محبـــورَ الســـجايا ... لـــه ثغـــرٌ تـــلألأ كـــاللجين

بهـــيَ العـــزم ، وضـــاءَ المُحَيـــا ... ســـعيدَ الحـــال بـــين الـــزوجتين

شـــباباً عُـــدتُ بعـــد الشـــيب صـــدقاً ... وودعـــتُ الكهولـــة مـــرتين

وزار الحـــبُ بعـــد الهجـــر قلبـــي ... وزغـــرد للأمـــاني ضـــوءُ عينـــي

وأحببـــتُ الحيـــاة لمـــا ألاقـــي ... وزايلـــتُ النـــوى ، ووأدتُ بينـــي

وأدركـــتُ المقاصـــد بعـــد حِـــين ... وجاهـــدتُ الأســـى ، وطعنـــتُ حَيْنـــي

وأعطيـــتُ الأنـــام لبـــابَ نصـــحي ... أوَفـــي بالوصـــايا بعـــضَ دينـــي

وبيّنـــتُ الحقيقـــة للبرايـــا ... وأمســـى مُســـتبيناً كـــل زيـــن

إذا مـــا كنـــتُ ضـــيفاً عنـــد هـــذي ... فلســـتُ أرى مليّـــا أي شـــين

تُســـائل عـــن رفيقتهـــا فـــؤادي ... ومـــا فـــي قلبهـــا مِـــن ظـــل رَيـــن

ومقـــرونٌ رضـــاها بابتســـامي ... وروحـــي عُلقـــتْ بـــالمُهجتين

ثلاثتنـــا تحابينـــا جميعـــاً ... وزادُ الكـــل بعـــضُ الأســـودين

وألـــــفَ بيننـــــا قـــــرآنُ ربـــــي ... فقـــد أزكـــى زهـــاء الـــوردتين

وكنـــــتُ مشـــرّداً فـــالتمَّ شـــمْلي ... ورب النـــاس أصـــلح ذات بينـــي

تســـاميْنا عـــن الـــدنيا فقـــالوا: ... مَكـــينٌ ذاك فـــوق القمّتـــين

فقلـــتُ: ألا صـــدقتم ، ذاك أمـــري ... وأحمـــل للشـــقا الـــرمحَ الرُدينـــي

كـــأني نحلـــة تُضْـــحِي وتُمْسِـــي ... تَـــداوَلُ بـــين أحلـــى زهـــرتين

فتمـــتصُ الرحيـــق بـــلا عنـــاءٍ ... وتشـــرب سلســـبيل الجـــدولين

وتغـــدو غضـــة ، وتعـــود نشـــوى ... نمـــاءٌ دائـــمٌ فـــي الـــرحلتين

وتبـــدأ رحلـــة المســـعى مِـــراراً ... وإن ملـــتْ تعيـــد الكـــرتين

وتُخـــرجُ للـــورى أحلـــى شـــفاءٍ ... وتُفعـــم بـــالحُبور الضـــرتين

لهـــذي ليلـــة ، ولتلـــك أخـــرى ... نعـــيمٌ زاخـــرٌ فـــي الليلتـــين

وللأولـــى مقـــامٌ لا يبـــارى ... رفيـــعُ القـــدر ، عنـــد الفرقـــدين

وللأخـــرى حقـــوقٌ وفـــق شـــرع ... أوْديهـــا علـــى رأســـي وعينـــي

لهـــذي حُلـــة ، ولتلـــك أخـــرى ... يُحِيـــرُ العقـــلَ حســـنُ الحُلتـــين

لهـــذي قلـــة ، ولتلـــك أخـــرى ... لأشـــرب مِـــن طهـــور القلتـــين

لهـــذي أكلـــة ، ولتلـــك أخـــرى ... وأصـــحبُ للقـــاء شـــهيتين

فلـــي بـــين الأنـــام رطيـــبُ عـــيش ... ولـــي بيتـــان مثـــلُ الجنتـــين

ففـــي البيتـــين جُبـــتُ العلـــم حتـــى ... بلغـــتُ اليـــوم آفـــاق (الجـــويني)

ولكـــنْ جيمُـــه طمســـتْ ليرقـــى ... خطيبـــاً فـــي الـــورى لقـــبُ (الحـــويني)

فمِـــن بلـــدٍ إلـــى بلـــدٍ فقيهـــاً ... بـــأرض العُـــرب والأمـــريكتين

ومِـــن صُـــقع إلـــى صُـــقع رحيـــلٌ ... يُعيـــد علـــى الـــدنا ذكـــرى (الردينـــي)

ومِـــن مِصـــرٍ إلـــى بـــاريسَ يبغـــي ... هُـــدى الـــدنيا ، أو احـــدى الحُسْـــنيين

ومِـــن (عمّـــان) للصـــومال يـــدعو ... ومِـــن (نيقوســـيا) حتـــى (البـــوين)

ومـــن (طنطـــا) إلـــى الحـــرمين ســـعياً (أبـــو إســـحاق) فـــذَ كـــ (بُنـــين)

وأحسِـــــبه كـــــذلك ، لا أزكـــــي وسِـــيرته كســـيرة (ذي البطـــين)

يقـــود الجـــيش ، لا يخشـــى المَنايـــا وســـيفُ العلـــم يبـــرق كـــاللجين

لـــــه تقـــوى (علـــي والمُثنـــى) وحِلـــم (أبـــي عبيـــدة والحُســـين)

يُـــذكّر بالحنيفـــة كـــل حـــي ولا يخشـــى أذى صِـــلٍّ وعَـــين

فـــإن أحببـــت أن تحيـــا ســـعيداً مِـــن الخيـــرات مملـــوء اليـــدين

وتُـــدرك مُلـــك ذي القـــرنين شـــهماً شـــجاعاً ، ثـــم مُلـــك الحـــارثين

ومُلـــك الفـــرس والـــروم عزيـــزاً وملـــك المنـــذرين وذي رعـــين

فعـــش زوجـــاً لواحـــدةٍ ، فـــإن لـــم تُعِـــزّك فاتخـــذ لـــك زوجتـــين

وحقـــقْ فـــي المعيشـــة كـــل عـــدل لتملـــك فـــي ديـــارك جحفلـــين

فمِـــن هـــذي لـــك الأولادُ تتـــرى ومِـــن هـــذي رزقـــت بـــإبنتين

لـــك الأولادُ فـــي الهَـــدي ليوثـــاً وأمســـت إبنتـــاك كـــدُرتين

فـــإن لـــم تســـتطع صـــمْ ، لا تعربـــدْ تنـــلْ يـــا عـــف أجـــر السُـــنتين

وإنْ أغنـــاك ربُـــك لا تســـوفْ ولا تـــكُ كـــرهين المَحبســـين

فتعشـــقُ عُزبـــة ، وتعـــيش فـــرداً وأقـــبحْ بهمـــا مِـــن خصـــلتين!

تســـاوى عنـــده ظـــلٌ وزوجٌ وهيهـــات التِقـــا المتناقِضـــين!

فعـــاش (أبـــو العـــلاء) لـــذا وحيـــداً بفتيـــا لا تســـاوي درهمـــين

وقـــرآن المليـــك بـــدا بمَثنـــى لمـــاذا الخـــوف مِـــن جمـــع اثنتـــين؟

وآيـــاتُ (النســـا) لـــك شـــاهداتٌ تُطالعهـــا كثيـــراً كـــل عـــين

وأقـــوال النبـــي ومـــا أتـــاه تُكـــذب مـــا افتـــرى المستشـــرقين

وعـــدّد أنبيـــاءُ الله ، فـــاقرأ وبعـــض الصـــحب ، فـــوق المـــرأتين

أئـــنْ زل اختيـــارك فـــي الولايـــا تقـــولُ: أذل ربـــي النعجتـــين؟

تعيـــب الـــدين؟ بـــل أنـــت مَعيـــبٌ فأقصـــر يـــا عشـــيق الـــذئبتين

ولـــيس العيـــبُ فـــي الإســـلام قطعـــاً ولكـــنْ عيـــب زوج الحيتـــين

ألســـتَ تـــرى بقـــولي بعـــض حـــق بمـــدح العـــيش وســـط الضـــرتين؟

أجبنـــي الآن عـــن ســـؤلي ، أجبنـــي وصـــارحني ، وبينـــك ذا وبينـــي!

بعض المعاني لبعض الكلمات غير المطروقة

البوين: اسم بعيد متناء. ذو البطين: هو أسامة بن زيد – رضي الله تعالى عنه –. بنين: هو بنين بن إبراهيم القرشي المحدث المعروف. الدريني: هو ثقة الدولة علي بن محمد الدريني أحد المحدثين الرواة كذلك. الرديني: هو ابن مجلز المحدث ، روى عن يحي بن يعمر. الجويني: هو إمام الحرمين أبو المعالي الجويني صاحب غياث الأمم في التياث الظلم ، وبالطبع الأستاذ أبو اسحاق أعلم بمثل هؤلاء من علماء الحديث منا فليُعرّف بهم من بعدي من سأل. السجايا: الخلال والصفات الكريمة. رعايا: جمع رعية. ثغر: فم ، والمعنى المراد من لفظ ثغر في البيت الرابع هو نصاعة الكلمة والبسمة. المُحَيا: الطلعة. مرتين: مرة بالزواج من الأولى والأخرى بالزوج من الثانية. النوى: البعد والفراق. البين: هو الفراق. الحين في البيت التاسع: هو الاكتئاب والجزع. لباب: جوهر وأصل ومعين. بعض ديْني: أي بعض الأمانة الملقاة على عاتقي كأحد طلبة العلم بالبنان ، وهذا نقوله تحدثا بنعمة الله على أبي إسحق ، لا من باب تزكيته وإن كان لها أهلاً ، بل نقول نحسبه ولا نزكى على الله أحداً. زين: ضد شين. الرين: مرادف الران وهو قيح يجسم على قلب العبد العاصي ، وهو مستمد من قول الله تعالى: (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون). المهجة: الروح. ثلاثتنا: أي الزوج وزوجاه. الزاد: الطعام. الأسودان: كناية هنا التمر والماء. الوردتين: أي الزوجين وأعني ما يتركه القرآن من أثر على العامل به الملتزم بأحكامه أمراً ونهياً. زاخر: أي وافر لا توصف كثرته. حلة: أي ثوب. قلة: وعاء عندنا فى مصر يشرب فيه الماء. المستشرقيْن: هما ماسينون وروجرز حيث حاربا التعدد واعتبراه ظلماً للزوجة! وحديثي عن أب إسحق ليس من باب فتنته بل جعله الله خيراً مما نظن وغفر له ما لا نعلم عنه من الخطايا والذنوب. كما وأسأل الله أن لا يكون حديثي عنه من باب إخراج سر الأستاذ ، إذ هو الذي قال جانباً كبيراً من ذلك عن نفسه للناس وكنت واحداً منهم ، كما وأنه قد حكى عن الشيء ذاته لحضور كنت بينهم ، والله من وراء القصد.

الطبع يغلب التطبع (معارضة بقرت شُويهتي)

(من شب على شيء شاب عليه ، ومن شاب على شيء مات عليه! ولله در من قال: إنَّ كُلَّ إنسان يعيش ويحيا إما لله تعالى ، أو للشيطان! إما أن يحيا على الحق أو على الباطل ، إما أن يعيش في طاعة الله أو على معصيته! فمن داومَ على الطَّاعات ، كان من أعظم الأسباب لتحقيق حُسْن الخاتمة ، وقد جرَتْ سُنَّة الله في خلقه أنَّ من داوم على شيءٍ مات عليه ، ومن مات على شيءٍ بُعِث عليه ، كما في الحديث الذي أخرجه مسلمٌ من حديث جابر - رضي الله عنه -: "يُبعث كلُّ عبد على مات عليه". فمنهم من يبعث وهو يلبي: لبيك اللهم لبيك ، لأنه مات في الحج والعمرة بملابس الإحرام! لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: "فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً". ومنهم من يبعث ينبعث منه دم ، اللون لون الدم ، والريح ريح المسك ، من هؤلاء؟ هؤلاء الشهداء في سبيل الله. ومنهم من يبعث وهو لا يقوى على القيام ، إذا وقف وقع على الأرض سقط لا يستطيع قياماً ولا جلوساً ، فمن هذا؟ هذا آكل الربا ، كان لا يشبع من حلال. (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا). ومنهم من يبعث ، ومجموعة من الأطفال يجرّونه جرّاً ويدفعونه دفعاً ، ليقدموه في أرض المحشر ليوقفوه بين يدي الله عز وجل فمن هذا؟ ومن هؤلاء؟ هذا آكل أموال اليتامى ، وهؤلاء هم اليتامى يدفعونه دفعاً ليوقفوه بين يدي الله: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً). ومنهم من يبعث مخموراً مات وكأس الخمر في يده فيبعث وهو سكران ، ومنهم من يبعث وقد سرق في الدنيا تراه يمشي في أرض المحشر ، وهو يحمل بيضة سرقها ، أو يحمل دجاجة ، أو يحمل شاة أو ناقة ، يبعث وهو يحمل ما سرق ، إن لم يتب إلى الله ويرد ما سلب وسرق وغصب قال - جل وعلا: (وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ). ومنهم من يحشر أعمي لا يبصر لأنه لم ينظر للقرآن في الدنيا ولم يعمل به! (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى}. وأورد الأستاذ / عبد مهنا في كتابه (معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام) صـ 314 وكذلك أورد ذات الخبر الأبشيهي في المستطرف ص 452: أن امرأة في البادية قالت تخاطب رجلاً إذ دخل عليها وبين يديها شاة مقتولة ، وإلى جانبها جرو وذئب! فقالت: أتدري ما هذا؟ فقال: لا. قالت: هذا جرو ذئب أخذناه صغيراً ، وأدخلناه بيتنا وربيناه فلما كبر فعل بشاتي ما ترى ، ثم أنشدَتْ تلوم ذلك الجرو الذي لم يُحْسِنْ إليها كما أحسنت إليه:)

بقــرتَ شُــويهتي ، وفجعــت قلبــي ... وأنـــت لشـــاتنا إبـــنٌ ربيـــبُ

غـــذِيت بـــدَرِّها ، ونشـــأت فينـــا ... فمـــنْ أنبـــاك أن أبـــاك ذيـــب؟

إذا كـــان الطبـــاعُ طبـــاعَ سُـــوءٍ ... فـــلا أدبٌ يفيـــدُ ، ولا أديـــب

فأنشدتُ أخاطبها إذ حدث معي ذات الشيء ، ولكن مع مجموعة من الذئاب الآدميين ، زعمتُ يوماً أن أشتري حبهم بالبذل والسخاء والعطاء ، ففعل كل الذي أستطيع ، ولكنهم قابلوا إحساني إليهم بالإساءة إليّ. وراحت أنفسهم القميئة تصوّر لهم أن الذي فعلوه هو عين الصواب. فصبرتُ عليهم ، ولم أكن لأقابل الإساءة بالإساءة ، بل عمدتُ إلى الصبر والتصبر

والمصابرة حتى يأتي الله بأمره. وتذكرتُ أنها طبائع في النفس الإنسانية. فهؤلاء شبّوا على الخذلان والتشفي والغدر والغش والخداع ، وبئستِ الصفاتُ المرذولة ، وشابوا عليها وتأصلت فيهم. فأنشدتُ أخاطبُ المرأة العجوز التي كانت في البادية وأقول لها وقد عشتُ ما عاشت وعانيتُ ما عانت!)

أراكِ عرفـــــتِ أن الـــــذئب ذيـــــبُ ... وجاهلـــــة - إذن - مَـــــن تســـــتريبُ

يمـــــينَ الله أنـــــتِ نكـــــأتِ جُرحـــــاً ... أليمـــــاً ، منـــــه مَـــــن يحبـــــو يشـــــيب

وقلبـــــتِ الفواجـــــعَ فـــــي الحنايـــــا ... فأدمتْهـــــا الـــــدغاولُ واللهيـــــب

وهيّجـــــتِ المـــــدامعَ باكيـــــاتٍ ... ودمـــــعُ عيونِهـــــا غيـــــث سَـــــكوب

وأحزنـــــتِ المشـــــاعرَ والطوايـــــا ... فأوجعَهـــــا – علـــــى التـــــو - النحيـــــب

وأبكـــــيتِ الـــــفـــــؤادَ بـــكـــــاء ثكلـــى ... نـــــأى عـــنـــــها إلـــى الـــقـــبـــر الحبيـــب

وأدميـــــتِ الضـــــميرَ علـــــى المعـــــالي ... كمـــــا يـــــدمي - علـــــى الطفـــــل - الرقـــــوب

ومزقـــــتِ الخـــــواطرَ فـــــي زمـــــان ... تعكّـــــره المصـــــائبُ والخطـــــوب

وســـــربلتِ العواطـــــفَ دون رفـــــق ... فآلمهـــــا التوجّـــــعُ والوجيـــــب

وصـــــادفَ مـــــا طرحـــــتِ مِـــــن المآســـــي ... جراحـــــاً كـــــم يَحـــــارُ بهـــــا الطبيـــــب!

وكـــــم أمعنـــــتُ فـــــي أخـــــلاق صـــــحبي ... فـــــآذتني المســـــاوئُ والعيـــــوب

فمِـــــن مســـــتهتر يهـــــوى التـــــدني ... ويَحتقـــــرُ الإخـــــاءَ ، ويســـــتغيب

ومِـــــن متبـــــذل يحيـــــا ذلـــــيلاً ... ولا ألقـــــاه عـــــن غـــــي يتـــــوب

ومِـــــن مُتكلـــــفٍ لا يحتفـــــي بـــــي ... وأنصـــــحُ ، والفتـــــى لا يســـــتجيب

ومِـــــن مُتصـــــنع عنـــــد التلاقـــــي ... وفـــــي بسَـــــمَاته شـــــكٌّ مُريـــــب

ومـــــا قصّـــــرتُ حتـــــى يخـــــدعوني ... وتنـــــدلعَ القلاقـــــلُ والحُـــــروب

فكـــــم أكرمـــــتُ حُبـــــاً واحتســـــاباً! ... وغايـــــة مـــــا أجـــــودُ بـــــه القلـــــوب

وكـــــم أحســـــنتُ يســـــبقني وصـــــالي! ... ورب النـــــاس مُطلـــــعٌ رقيـــــب

وكـــــم جاملـــــتُ لا أرجـــــو مـــــديحاً! ... تســـــاوى المـــــدحُ عنـــــدي والنســـــيب

فكـــان الشـــكرُ مِـــن صـــحبي التجنـــي ... وخُـــــذلاني ، وإن الخـــــذل حُـــــوب

كـــــأني اختـــــرتُ خلانـــــي ذئابـــــاً ... مَخـــــالبُهم دهتنـــــي والنيـــــوب!

علـــــيَّ تجمّعـــــوا ينـــــوون قتلـــــي ... وكـــــل فتـــــىً لـــــه ســـــيفٌ قشـــــيب

ولـــــم يتـــــذكروا - يومـــــاً - جميلـــــي ... ومـــــا مُتـــــذكرٌ إلا اللبيـــــب

وكـــــالوا الانتقـــــامَ بـــــلا اكتـــــراثٍ ... وكـــــفُ كبيـــــرهم بـــــدمي خضـــــيب!

ومـــا احترمـــوا المَشـــيبَ غرقـــتُ فيـــه ... وكـــم يـــؤذي الغطـــاريفَ المشـــيب!

ومـــا رحمـــوا اغترابـــيَ فـــي البـــوادي ... وكـــم يشـــقى برفقتـــه غريـــب!

ومـــا احتفلـــوا بمـــوعظتي ونصـــحي ... ومتبـــعُ المـــواعظِ لا يخيـــب

ومـــا اعتبـــروا بـــذؤبان ســـواهم ... طـــوتهم فـــي ضـــراوتها الـــذنوب

فهـــل طبـــعٌ عليـــه البُلـــهُ شـــبّوا ... وأوغـــل - فيـــه - شُـــبانٌ وشِـــيب؟

إذا مـــا اســـتهوتِ المـــرءَ المعاصـــي ... رأيـــتُ القلـــبَ تدمغـــه الشَّـــعوب

وتنتحـــرُ الفضـــائلُ فـــي الحنايـــا ... وتخفـــي حـــالَ صـــاحبها الغيـــوب

ولا يبقـــى لـــه شـــأنُ النشـــامى ... ولكـــنْ ثعلـــبٌ ضـــارٍ وذِيـــب!

إذا مـــا غـــاص قلـــبٌ فـــي التـــدني ... فهـــل يُنجيـــه - مِـــن هـــذا - أديـــب؟

ويحيـــا - بالهُـــدى والبـــر - فـــذ ... حســـيبٌ فـــي قبيلتـــه نســـيب

كمثـــل الشـــمس تنفـــعُ كـــل حـــي ... إذا طلعـــتْ ، وإن حـــان الغـــروب

وإنّ الشـــمس يَـــذْهمُها مَغيـــبٌ! ... وذا الأخـــلاق لـــيس لـــه مَغيـــب!

العيد يجيب على السؤال

(كم في حياة الواحد منا من أعياد. ويوم عيد المرء الحقيقي يوم تتحقق أمانيه التي يصبو إليها ، ويعمل من أجلها ويحيا لها. وليس للمسلم قط من أعياد إلا يوم الفطر السعيد ويوم الأضحى المجيد ، كما أخبر بذلك الرسول العظيم محمد - ﷺ -. وكثيراً ما ردد الناس بيت أبي الطيب المتنبي الذي لا يعرفون حقيقته ولا مناسبة إنشاده كتابته إذ يقول:

عيـــدٌ بأيّـــة حـــال عُـــدت يـــا عيـــدُ؟ بمـــا مضـــى؟ أم بـــأمر فيـــك تجديـــدُ؟

ومراد الناس متابعة العيد أو محاسبته ، أما العتاب فلا بأس. ولكن لا للحساب ولا للعقاب. إذ العيد ما هو إلا ظرف للزمان ولا شأن له بالأحداث على الإطلاق. وعموماً نخطئ كثيراً عندما نحاسب العيد ، ونلقي عليه باللائمة ونحمّله أخطاءنا وعثراتنا. وكنتُ أتحدث إلى أم أولادي وحبيبة فؤادي أم عبد الله يوم عَرفة وأقول: ماذا يختلف هذا العيد عندما يُطالعنا يوم غدٍ عن العيد الذي سبقه في العام المنصرم؟ فركزت أم عبد الله على المناسبة الغالية الفارقة ، وهي أن الله عز وجل منَّ علينا بالزهراء الغالية ابنتنا فاطمة. هذا ، ولقد طالعتُ شروحاً كثيرة لقصيدة المتنبي منها المادح لها ومنها القادح فيها! غير أني تأثرتُ أكثر بكلام الدكتور بكري شيخ أمين! لقد أقام أبو الطيب بعد أن أنشد أثناء إقامته في مصر قصيدته البائية سنة ، لا يلقى الأسود إلا أن يركب فيسير معه في الطريق لئلا يوحشه وقد عمل على مراغمته والرحيل عنه ، فأعد الإبل وخفف الرحل. وقال أبو الطيب هذه القصيدة في يوم عرفة من سنة خمسين وثلاثمائة وذلك قبل مسيره من مصر بيوم واحد. وتحت عنوان: (المتنبي يهجو كافوراً الإخشيدي) بقلم الدكتور: بكري شيخ أمين ، نضمّن كلامنا هذه المقتطفات من شرحه الماتع للقصيدة: يقول بالنص مع تصرف تتطلبه ضرورة التأليف: (كان أبو الطيب قد وصل إلى مرحلة اليأس والقنوط والإحباط في مصر ، ودخل في مرحلة نفسية معتمةٍ ، فلا هو في العير ولا هو في النفير. أهمل مجالسَ كافور ، فما عاد يتردد عليها ، وحين كان يطلب منه قصيدة مادحة ، كان الشاعر الحزين يرفض القول والنشيد فلا ينقاد للطلب. وهجَر عِشرةَ الناس ، ولقاءَهم ، وصار ينفرد بذاته ، ويخلو بنفسه ، ويجترّ آلامه ، ويرسم الخطط التي تنقذه من هذا الشَّرَك الذي أوقعه به كافور. وبدأ المرجل النفسي يغلي شيئاً فشيئاً ، ويضطرب ويزداد اضطراباً ، ثم راح يقذف بالزبد ، ويتعالى صوت جَيَشانه. وقبل أن يطفح الكيل ، جاء إلى كافور وسأله صراحة عن وعده بحكم ضيعة أو ولاية أو أي مكان. وبَيَّن له أنه ما قدِم إلى مصر إلا بعد أن اطمأنّ إلى وعوده البراقة. فأجابه كافور: "أنت في حال الفقر وسوء الحال وعدم المُعين سَمَتْ نفسك إلى النبوة ، فإن أصبتَ ولاية صار لك أتباع ، فمن يطيقك؟". وسواء أكان رد كافور عنيفاً أم لا ، فهذا لا أهمية له ، فلن يخدع الشاعر بعد الآن ، لقد كانت نقمته على الرجل الملوّن المخادع ، وخيبة أمله في انهيار مشاريعه عظيمتين. ولم يخطئ كافور في تعرّف نوايا أبي الطيب ، فقد أدرك حقيقة مشاعره نحوه ، وكان يعلم أنه سيفرُّ من الفسطاط عند سنوح أول فرصة ، وأنه سيعقب فراره بشعر هجائي وسخرية لاذعة ، فنشر الجواسيس يراقبون أبا الطيب ؛ وعرف المتنبي كل هذا فكظم غيظه وأخفى عواطفه وخططه. ويبدو أنه أتخذ لنفسه حُراساً انتقاهم من عبيده الأشداء لمقاومة كل هجوم محتمل ، وكانت خطته زيادة في إمكانية نجاحها أن يغتنم فرصة احتفالات الناس بعيد الأضحى للخروج من الفسطاط ، وكان

التاسع من شهر ذي الحجة ، وهو مناسبة تجري فيها مراسم واستعراضات ، تجلب جمهوراً كبيراً من الناس ، وهي خير فرصة للهرب والتخفي. وفي اليوم التاسع من الشهر المذكور ، خرج المتنبي سراً من الفسطاط ، تتقدمُه الإبل المحملة بالسلاح والأمتعة والزاد لعدة أيام ، وأغذَّ السير ، فاجتاز برزخ السويس ، ثمّ أوغل في صحراء التيه شمالي سيناء. وتنبّه القومُ بسرعة إلى فراره ، فلم يستطيعوا اللحاق به ؛ وكان غيظ كافور شديداً جداً ، وأراد المتنبي بعد أن أصبح بعيداً وآمناً أن يشهَد الناس مرة واحدة – على الأقل ـ على الازدراء الذي يكنّه لسيده القديم ، وتولت أيدٍ أمينةٌ إيصالَ قصيدة هجائية مقذعة إلى الخصيِّ كافور! ولكن العملية لم تنجح ، لأن كافوراً شكّ في محتواها ، فأمر بإحراقها ، ولم يقف على ما فيها. وفي رأيي لو أنَّ كافوراً أعطى أبا الطيب حُكْم مصر كلها لكان خيراً له من أن تقال فيه هذه القصيدة الرائعة الخالدة ، فحكمُ مصر ينتهي بانتهاء حياة المتنبي أو كافور ، ثمّ يأتي بعدهما حاكم آخر ؛ أما القصيدة فلا ينتهي أثرها بانتهاء حياة هذا أو ذاك ، وإنما هي باقية خالدة ، ترددها الأجيال بعد الأجيال ، ويدرسها الطلبة في مدارسهم على اختلاف درجاتها ومستوياتها ، يحفظونها عن ظهر قلب ، ويستشهدون ببعض أبياتها في مناسبات شتى وفي مختلف أقطار الوطن العربي. لقد أخطأ كافور في عدم تولية المتنبي حكم صيدا ، أو أيّ ضيعة أو ولاية ، وكان بإمكانه أن يتفادى النقمة الكبرى ، بل الفضيحة الخالدة على مر العصور وكرّ الدهور. فالقصيدة لا تشبه هجاء حسان بن ثابت لقريش ، ولا هجاء جرير للفرزدق أو الأخطل ، ولا الكُميت لبني أمية ، ولا هجاء جميع الشعراء لخُكامهم أو لخصومهم ، وإنما هي نسيج وَحْدِه ؛ خالدة على مر الزمن لم تنقص الأيام والسنون حرارتها ، لم تطفئ لهبها ولم تخمد سعيرها. ولا شكَّ أنّ سر نجاحها وروعتها في المقام الأول: صدق عاطفة صاحبها ، وشِدة ثورته ، بل غليان مرجله النفسي إلى درجة الانفجار ؛ وحقاً كان ذلك الانفجار. ولو تخيّلنا صورة الشاعر وتعبيرات وجهه ، وهو ينظم القصيدة هالنا المنظر ، وروّعتنا تلك التعبيرات ، وأخافتنا تلك الزمجرات ، واصطكاك أسنانه من شدّة الانفعالات).هـ. وأشكر من أعماق الفؤاد هذا التأصيل التاريخي والأدبي للدكتور بكري شيخ أمين! فلقد أفادني جداً. فرحتُ أصححُ القصيدة السيئة المسيئة للمتنبي في ذم كافور قبل رحيل المتنبي من مصر. وأنا هنا لا أدافع عن كافور فهذا أحد الطواغيت الذين منيت مصر وأهلها بهم على مر الدهور وتعاقب السنين! وإنما أردتُ أن أثبت للناس وللتاريخ أن طبيعة المتنبي لا تختلف عن طبيعة أغلب الشعراء! تلك الطبيعة التي تنشد الشعر حسب العطاء ، وتهجو حسب الحرمان والمنع! (إن أعطيَ رضي ، وإن لم يعط لم يرض). ولم أقل أن قصيدة المتنبي ضعيفة معاذ الله ، ولم أذهب إلى أن قصيدتي أفضل من قصيدة المتنبي! بل الحكم متروكٌ للتاريخ وللجمهور من أهل فن الشعر! وأتذكر مع زوجتي مِنن الله علي ، فوجدتها كثيرة جداً ، فلله الفضل والحمد والمنة على ما أعطى ومنح. وأعود إلى المتنبي الذي أنشد داليته في النيل من كافور ، لأنه لم يوف له بما وعده من قبل. وكان ذلك من المتنبي يوم عَرفة. فتذكرتُ الناس تستغفر وتتوب إلي الله وترجو رحمته وتخشى عذابه يوم عرفة ، والمتنبي مشغولٌ بهجاء كافور وسِبابه والنيل منه. ذلك الحاكم الذي كم تفضل على المتنبي وأعطاه من قبل ، فكانت معلقات المتنبي تتوالى في المدح والثناء على كافور ، حتى لكأن الأرض لم تعرف حاكماً سواه! وهكذا الكثير من الشعراء إنْ أعطوا مدحوا ، وإن حُرموا ذموا. فقلتُ: لا بد من تصحيح يبين براءة العيد. وتخيلتُ العيد يُصحح معي مجال الفكر والنظر ، ويقول لي: تذكرْ نعم الله عليك ولا تلمني. وآثرتُ البحر البسيط وقافية الدال كما آثرهما المتنبي لقصيدته ، ورأيتُ أن أنفع

البشرية بهذا الطرح الشعري. ولكنْ ليس على منهج أبي الطيب في التشفي ، إلى أن قال مستهزئاً بكافور ، وبالغا في هجائه الذروة ، ومبينا طبيعة العبيد والأرقاء العاتية الجافية:

لا تشـــتر العبـــدَ إلا والعصـــا معـــه إن العبيـــــد لأنجـــــاسٌ مناكيـــــدُ!

فإذا كان أبو الطيب قد انهال على العيد لوماً وعتاباً ، فإنني أعطي الفرصة للعيد للدفاع عن نفسه. وإذن فإنني قد أنشدت هذه القصيدة على لسان العيد ، وتخيلتُ العيدَ يقول لي مدافعاً عن نفسه:)

إليـــك عـــدتُ ، وتحـــدوني الأغاريـــدُ والنصـــرُ - فـــوق جبـــين الحـــال - مَعقـــودُ

ألا تـــرى الخيـــرَ قـــد دفـــتْ بـــوادرُه وللحُبـــور - إلـــى عينيـــكَ - تمهيـــد؟

وللصـــفاء تـــرانيمٌ لهـــا عبَـــقٌ مِـــن بعـــد أن زال تنغـــيصٌ وتنهيـــد

وللتـــراحم - فـــي الآفـــاق - ألويـــة مِـــن بعـــد أن ودع الأكبـــادَ تنكيـــد

وللتهـــاني عبـــاراتٌ مُزركشـــة قِوامُهـــا الحـــبُ والإخـــلاصُ والجُـــود

واســـألْ إذا شـــئت مَـــن جـــاؤوك يســـبقهم شـــوقٌ إليـــك وإطـــراءٌ وتمجيـــد

أمـــا رزقـــت بفضـــل الله (فاطمـــة) تغـــار مِـــن حُســـنها الغيـــدُ الأماليـــد؟

أمـــا اكتشـــفت خفايـــا كنـــت تجهلهـــا فـــي صـــحبةٍ قلـــتَ: هـــم رئبالـــة صِـــيد؟

ألـــم تعـــدِّلْ مســـاراً ذقـــت شِـــقوته وســـربلتك ببلـــواه الأخاديـــد؟

ألـــم تفنـــد أبـــاطيلاً خـــدِعت بهـــا حتـــى أفـــادك تحقيـــقٌ وتفنيـــد؟

ألـــم تعـــدْ لريـــاض الأهـــل مُعتـــذراً عـــن التجـــاوز أمـــلاه المناكيـــد؟

أشـــمت فيهـــا عـــدواً عِشـــت تحســـبُه مُهـــذباً ، صِـــيته - بـــالبر - معهـــود

يـــا صـــاح دَقـــقْ تـــرَ التوفيـــق موعـــدَنا أم أن قلبـــك خانتـــه المواعيـــد؟

ألـــم تقصِّـــدْ - مِـــن الأشـــعار - أصـــدقها؟ وكـــم يســـرّك تـــأليفٌ وتقصـــيد!

ألـــم تعلـــمْ تلاميـــذاً تتيـــهُ بهـــم؟ والنـــاسُ تشـــهدُ ، والأمصـــارُ والبيـــد!

ألـــم تطـــالعْ كتـــاب الله مُغتنمـــاً بُحبوحـــة العُمـــر؟ إن العمـــر معـــدود!

ألـــم يـــزدْك ارتيـــادُ العلـــم تبصـــرة؟ والعلـــمُ - عنـــد أولـــي الألبـــاب - منشـــود

ألـــم تتـــبْ لمليـــك الخلـــق معتزمـــاً ... أنْ لا تعـــود؟ وفـــي الأيمـــان توكيـــد!

ألـــم تراجـــعْ مِـــن الأســـفار فـــي شـــغفٍ ... مـــا تشـــتهيه؟ وإن الفقـــه محمـــود

ألـــم يمُـــنّ عليـــك اللهُ مِنتـــه؟ ... ومَـــن يُخَـــصُّ بأفضـــال فمحســـود!

ألـــم تعـــشْ مســـتريحاً فـــي بُلهينـــة ... كأنمـــا أنـــت - بـــين النـــاس - صِـــنديد؟

ألســـت ترفـــلُ - فـــي النعـــيم - مُرتـــدياً ... ثـــوبَ الهنـــاء عليـــه الـــدر منضـــود؟

ألـــم تحقـــقْ - مِـــن الآمـــال - أعـــذبها؟ ... وكـــم أتـــاك - مِـــن الأحبـــاب - تأييـــد!

ألـــم تفاصـــلْ علـــى الإســـلام مَـــن هزلـــوا؟ ... وهـــل يَجـــدّ - ولـــو فـــي الحُلـــم – مفســـود؟!

ألـــم تقـــاطعْ - لأجـــل الـــدين - شِـــرذمة ... إذ لـــــيس عنـــــدهمُ لله توحيـــــد؟

فـــيم التجنـــي علـــى الأضـــحى أتـــى غـــرداً؟ ... وكـــل عيـــدٍ لـــه جَـــرْسٌ وتغريـــد

لا يملـــك العيـــدُ أقـــداراً مقـــدرة! ... قـــد خطهـــا ملـــكٌ ربٌ ومَعبـــود

وانظـــر لعيـــدٍ مضـــى ، واســـأله مجتهـــداً ... أكـــان فيـــه لجـــرح القلـــب تضـــميد؟

هـــل كـــان فيـــه - مـــن الإنجـــاز - خردلـــة؟ ... هـــل كـــان فيـــه - علـــى التحقيـــق – تجديـــد؟

أراك تســـألني عـــن حالـــةٍ ســـلفتْ ... وفـــي الأقاويـــل يســـتهويك تجريـــد

وكيـــف تهـــزأ بـــي بـــنظم سُـــخريةٍ ... كـــلٌ يُردّدُهـــا ، وبـــئس ترديـــد!

يقـــول مطلعهـــا - والنـــاس تنشـــده -: ... (عيـــدٌ بأيّـــة حـــال جئـــت يـــا عيـــد؟)

والكـــل يجهـــلُ مـــا أراد شـــاعرُها ... مِـــن النكايـــة يأباهـــا الصـــناديد

ينـــالُ مِـــن رجـــل أســـدى جمائلـــه ... عليـــهِ يـــوم نـــأتْ عنـــه العبابيـــد

(كـــافورُ) جـــاد ، ولـــم يبخـــلْ بعارفـــةٍ ... والشـــعرُ يشـــهدُ أن الجـــودَ مَرصـــود

وأســـأل (أبـــا الطيّـــب) الـــذي قصـــائدُه ... مـــا شـــابهن - غـــداة الـــرَوْع - تنديـــد

بـــل كـــال مـــدحاً وإطـــراءً تتيـــهُ بـــه ... فرائـــدُ الشـــعر ، فيـــه الفخـــرُ مَشـــهود!

وللمغـــالاة - فـــي الأمـــداح - طابعُهـــا ... وكـــم بمـــدح فتـــىً راجـــت مَواجيـــد!

وعنـــدما ضـــن (كـــافورٌ) تعقبـــه ... وقـــال: بـــئس الملـــوكُ الأعبُـــدُ الســـود!

لـم يغـن عنـه عطـاءُ الأمـس جـاد بـه! إذ الجميـلُ - لـدى الخسـيس – مـوؤود!

بضـاعة سـاقها انتفـاعُ صـاحبها وكـم يثـور - لأجـل المـال - رعديـد!

وكـم تبـاعُ - لحـب المـال - مِـن ذمـمٍ! وهـل ينـال بمِلـك الأرض تخليـد؟

واسـأل عـن الشـعر أهـل الشـعر مـذ وأدوا ضـميرَه ، فمحـا سـيماه تبديـد

ففرقـة سـجدتْ - للمـال - راضـية وكـل بـذل - لأجـل المـال - تعبيـد

وفرقـة شِـعرُها يُـزري بقارئـه إذ غـاب رُشـدٌ وإرشـادٌ وترشـيد

وفرقـة شِـعرها وقـودُ مهزلـةٍ يُزْكِـي السـعيرَ بهـا - فـي العـالم - الهـود

وفرقـة تغتـذي دومـاً بباطلهـا كمـا يعـيش - علـى أعفانـهِ - الـدود!

وفرقـة بنشـاز الشِـعر كـم صـدحت! فهـل تـرنمَ – بالضـجيج - غِريـد؟!

لكـنّ أهـل الهُـدى أشـعارُهم شـمختْ فلـم يشُـبْها - لـدحض الخيـر - توطيـد

وجـرّدتْ قولهـا مِـن كـل لاغيـةٍ وكـم يُوصّـل - للعليـاء - تجريـد!

إنـي أنـا العيـد ، والأشـعارُ تغمرنـي تِيهـاً ، إذا صـاغها الشـمّ الأجاويـد

لا ذنـب لـي فـي الـذي تلقـون مِـن مِحـن والقـولُ فصـلٌ ، ولـي عليـه تأكيـد!

ولا أزهّـد فـي الآمـال مَـن يئسـوا إذ لـيس يُـذهبُ يـأسَ الـنفس تزهيـد

فـأطفئ اللـوم ، لا تنكـأ مؤاخـذتي إنـي - مِـن اللـوم - بـالأغلال مصـفود

القصيدة الزينبية 2 (معارضة لزينبية صالح بن عبد القدوس)

(كان لهذا الأشيب اليمني تجربة مغايرة للشاعر صالح بن عبد القدوس العباسي ، حيث إن كليهما كان قد تزوج بصبية في عمر بُنياته! ومع تباين الزمانين ، كان هناك تباين كبير في التجربتين! فلقد كانت تجربة الأول العباسي مريرة ومرة وعاتية ومثبطة! بينما كانت تجربة الثاني اليمني المعاصر عذبة وشائقة وماتعة ومشجعة! ودَوري هنا كشاعر هو تصوير شعور وحال وتجربة الأشيب المعاصر شعراً! وقبل أن أفعل معارضاً شاعرنا العباسي صالحاً بن عبد القدوس مُعرّضاً بتجربته القاسية! أسأل وأتساءل وأجيب: ما الجدل الدائر حول قصيدته الزينبية ونسبتها؟ هل هي له؟ أم لعلي بن أبي طالب كما يتخرص المتخرصون ويتساهل المتساهلون؟ واحتاج الأمر إلى تحقيق مطول في ضوء كلام أهل الخبرة والفن من النقاد والأدباء والمحققين وأهل التدقيق! ذلك أن هذا الجدل أثير منذ زمن بعيد! والناس فيه بين متساهل عديم الخبرة ومدقق حصيف له باع في الخبرة! ولسوف أبدأ بالمصادر الشيعية أولاً لأثبت صحة ما ذهب إليه جمهرة أهل النقد والبحث والتحري ، من أن القصيدة لصالح بن عبد القدوس ، ولا علاقة لها بعلي ولا علاقة لعلي رضي الله عنه بها من قريب ولا من بعيد! وهذا لا يعني النيل من علي ولا تنقصه! معاذ الله! إن علياً بن أبي طالب أشعر من صالح بن عبد القدوس بمئات المرات! وديوان علي والشعر الثابت المسند له يدل دلالة كبيرة على ذلك! لكن كلامنا اليوم منصب على القصيدة الزينبية تحديداً! فما صحّةُ سندِ القصيدةِ الزينبيّة؟ وما صحّة نسبتِها حقاً للإمامِ عليٍّ (رضي الله عنه)؟ والجواب: القصيدةُ الزينبيّةُ هيَ قصيدةٌ مشهورةٌ في المواعظِ والمدائحِ على قافيةِ الباء ، تزيدُ أبياتُها على الستّينَ بيتاً ، ومطلعُها: (صَرَمَتِ حِبَالَكِ بعدَ وَصلِكِ زينبُ * والدَّهرُ فيهِ تصرُّمٌ وتقلُّبُ) ، ولذكرِ زينبَ في مطلعِها عُرفَت بالقصيدةِ الزينبيّة. وكتبَ غيرُ واحدٍ شرحاً عليها: (منها): شرحُ الميرزا جعفرِ بنِ الشيخِ محمّد النوچة دهي التبريزي. (ومنها): البهجةُ السنيّةُ في شرحِ القصيدةِ الزينبيّةِ للأديبِ عبدِ المُعطي بنِ سالمٍ الشبليّ السملاويّ المصريّ. وقد نُسبَت هذه القصيدةُ لأميرِ المؤمنينَ (رضي الله عنه) ، وأُدرجَت في بعضِ الطبعاتِ مِن ديوانِ الإمامِ (علي) رضي الله عنه ، كما في [ديوانِ الإمامِ علي ص26] جمعُ وترتيبِ عبدِ العزيزِ الكرم ، وقد ذكرَ السيّدُ محمّد حُسين الجلاليّ في [فهرسِ التراث ص74] عندَ ذكرِ طبعاتِ الديوان: «ومنها: جمعُ وترتيبُ عبدِ العزيزِ الكرم ، طبعةُ دمشقَ سنةَ 1374هـ = 1955م ، وفيها زياداتٌ لا أصلَ لها ، وقد قابلتُ هذهِ الطبعةَ مع نُسخةٍ مؤرّخةٍ سنةَ 818هـ في مكتبةِ كوهرشاد تحتَ رقم 104 ، فوجدتُهما يختلفانِ في ترتيبِ الأبياتِ والعناوين ، وفي المخطوطةِ بعضُ المصادرِ والأسانيدِ التي حُذفَت منَ المطبوعة ، كما أنّ في المطبوعةِ زيادةُ القصيدةِ الزينبيّةِ بقافيةِ الباء » ، وهذا واضحٌ بأنّ هذهِ القصيدةَ مزيدةٌ في الديوانِ وليسَت منها. وقالَ السيّدُ محسنٌ الأمين في [أعيانِ الشيعةِ ج2 ص113] عندَ ذكرِه تخميسَ الشيخِ إبراهيم البعلبكيّ لقصيدةٍ في الحِكمِ والآدابِ لأميرِ المؤمنينَ (علي): «والظاهرُ أنّ القصيدةَ المذكورةَ هي المنسوبةَ إلى أميرِ المؤمنينَ ، ولم تصحَّ نسبتُها ، وأوّلها: (صرمَتِ حبالكِ بعدَ وصلِكِ زينبُ * والدهرُ فيه تغيُّر وتقلّبُ) » ، وكلامُ هذا العلّامةِ الأديبِ الألمعيّ واضحٌ في عدمِ صحّةِ النسبة. نعم ، جاءَ في آخرِ القصيدةِ أبياتٌ ـ كما في [ديوانِ الإمامِ علي ص28] المُتقدّمِ ـ تدلّ على أنَّ مُنشيها أميرُ المؤمنينَ ، وهيَ:

(فاصغِ لوعظِ قصيدةٍ أولاكها * طودُ العلومِ الشامخاتِ الأهيب)

(أعني عليّاً وابنَ عمّ محمّدٍ * مَن نالَه الشرفُ الرفيعُ الأنسب)

(يا ربِّ صلِّ على النبيّ وآله * عددَ الخلائقِ حصرُها لا يُحسب)

لكنَّ الأقربَ أنّ هذهِ الأبياتَ مزيدةٌ على القصيدةِ ؛ إذ وردَت القصيدةُ بالمصادرِ مِن غيرِ هذهِ الأبياتِ، فهيَ مُضافةٌ عليها. والظاهرُ أنّ هذهِ القصيدةَ للشاعرِ صالحِ بنِ عبدِ القدّوسِ الأزديّ الذي قُتِلَ على الزندقةِ [ينظر: الأماليّ للسيّدِ المُرتضى ج1 ص100] ، كما ذكرَ ذلكَ غيرُ واحدٍ منَ الأدباءِ والمُحقّقينَ والباحثين ، قالَ ياقوتُ الحمويّ في [مُعجمِ الأدباء ج12 ص8] في ترجمتِه أي ترجمة صالح بن عبد القدوس: « وأشهرُ شعرِه قصيدتُه البائيّةُ التي مطلعُها: (صرمَتِ حبالكِ بعدَ وصلِك زينبُ * والدهرُ فيه تصرّمٌ وتقلّبُ!) » ، وقد أوردَه عبّاس الترجمان في [ديوانِ صالحِ بنِ عبدِ القدّوس ص107]. وقد يشهدُ لصحّةِ نسبتِها لابنِ عبدِ القدّوس: أنّه جاءَ في وسطِ القَصيدةِ قولُه: (وإذا طمعتَ كُسيتَ ثوبَ مذلّة * فقد كُسيَ ثوبَ المذلّةِ أشعبُ) ، وأشعبُ هذا صاحبُ النوادرِ والظرائف ، يُضربُ به المثلُ في الطمع ، يقالُ له: «أشعبُ الطامع» وهو المُتوفّى سنةَ (154هـ) ، وهوَ معاصرٌ لصالحِ بنِ عبدِ القدّوس ، فتأمّل أيها القارئ المنصف المتبصر المتبحر الباحث عن الحق والحقيقة. ورغم الحكمة التي حوتها القصيدة إلا أن فيها بعض الأبيات حوت الركاكة والرخص العروضية والأخطاء النحوية يترفع عنها العبقري الشاعر والصحابي الجليل علي بن أبي طالب – رضي الله عنه -! وهناك دراسة تحليلية بلاغية للقصيدة الزينبية للشاعر (صالح بن عبدالقدوس البصري (167هـ -783م) وموازنتها بقصيدة على بن أبي طالب) وهذه الدراسة نشرت في حولية كلية اللغة العربية بجرجا ، وحققتها ونشرتها الباحثة الدكتورة منى عبد الله على فراج المدرس بقسم البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ببنى سويف جامعة الأزهر ، وكانت قد أعطتها العنوان ذاته: (دراسة تحليلية بلاغية للقصيدة الزينبية وموازنتها بقصيدة على بن أبي طالب)! وهذه الدراسة عبارة عن بحث دقيق يرد الحق إلى نصابه والقوس إلى باريها! فهذا البحث تحليل بلاغي لقصيدة من قصائد الشاعر "صالح بن عبد القدوس البصري(167هـ - 783م) ، والشاعر هو: أبو الفضل صالح بن عبد القدوس البصرى ، ويرجح أنه فارسي الأصل ممن ولد ونشأ بالبصرة ، وتسمى قصيدته بالقصيدة الزينبية ، وهي قصيدة حكمية وزهدية ذات نصائح ومواعظ أخلاقية ، فلا يكاد حديث ناصح أو مرب فاضل يخلو من الاستشهاد ببعض أبياتها ، وإن جهل قائلها أو نسب جهلاً إلى غيره مما يدل على عظم هذه القصيدة ، وقد تميزت القصيدة بسلاسة الأسلوب ووضوح المعاني مع المحافظة على الجزالة والفصاحة ، وعلى هذا فهي تعتبر من أروع الشعر العربي لجزالة عباراتها ، ونفاسة حِكمها ، وفوائد نصائحها ، وقد صيغت بأسلوب أدبي بليغ. بدأت بمقدمة غزلية جميلة تطرق بعدها الشاعر إلى المواضيع الأخلاقية والحكمية ، فرغم أنها بدأت بالمقدمة الغزلية إلا أنها ليست من نوع القصائد الغزلية ، بل أبياتها كلها في الحِكمة والزهد ومحاسبة النفس. وقد اختلف المؤرخون في قائل هذه القصيدة ، ولمن تُنسب! فمنهم من قال أنها تنسب لعلى بن أبى طالب رضي الله عنه ، وقد وردت في ديوانه (وتلك حجة هذا الفريق من الباحثين والنقاد) أنها فقط وردت في ديوان لي بن أبي طالب! ونسأل: هل جمع ابن أبي طالب شعره في ديوان تحددت بدايته كما تحددت نهايته وعلمت قصائده؟ بالطبع لا! بل جمع شعر علي غيره وفي زمان غير زمانه! فلماذا القطع؟! ونسبت أيضاً لصالح بن عبد القدوس البصري الذي عاش في العصر العباسي

الأول. وعلى رضى الله عنه سيد البلغاء والفصحاء ، ولكن هناك حقائق تُثبت أن هذه القصيدة للشاعر صالح بن عبد القدوس. وقد تهيأ للبحث في ذلك خطة مكونة من مقدمة تحدثت فيها باختصار عن الموضوع - سبب اختياري له ، والخطة الموضوعة لدراسته ، هذا أولاً. (والكلام للدكتورة منى فراج) ثانياً: التمهيد: وتحدثت فيه عن1- الشاعر: مولده ونسبه ونشأته ، وحياته ثم اتهامه بالزندقة ووفاته. 2 - ذكرت نبذة عن على بن أبي طالب. 3 - لمحة موجزة عن الموازنة. وتحدثت بإيجاز عن القصيدة الزينبية ولمن تنسب. ثم قمت بتحليل القصيدة تحليلاً بلاغياً ؛ ولأن القصيدة كلها تتحدث في موضوع واحدٍ فلم أقسمها إلى موضوعات ؛ ولكن قمت بتجزئة القصيدة وكل مجموعة من الأبيات ، ووضحت الألفاظ الغامضة وعمدتُ إل إبراز معانيها من المعاجم اللغوية ، ثم التحليل البلاغي الذي يوضح جمال الصياغة والأسرار البلاغية وراء استخدام الألفاظ والمعاني المناسبة والتراكيب التي تُضفي على الكلام حُسنا وبهاء لما لها من أثر في تثبيت المعنى وتقويته ؛ ولأن هذه القصيدة جاءت على نفس الوزن والقافية لقصيدة لـ"على بن أبي طالب" يخاطب فيها ابنه الحسين ويعظه ، بل إن قصيدة "علي بن أبي طالب" كانت هي الملهمة لـ"صالح بن عبد القدوس" لإنشاء قصيدته! فسوف أقوم بالموازنة بين القصيدتين "الزينبية وقصيدة على بن ابى طالب" التي يعظ فيها ابنه الحسين بإلقاء الضوء على الأبيات المشتركة بينهما في المعنى ، ولذا جعلت عنوان بحثي "دراسة تحليلية بلاغية للقصيدة الزينبية لصالح بن عبد القدوس وموازنتها بقصيدة على بن أبى طالب"! ولقد اتبعت في دراستي التحليلية المنهج الذوقي الممزوج بالمعرفة ، وذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها والتي تتضمن السمات التي اتسم بها الشاعر في هذه القصيدة ، ومن أهمها:- *: يحتل الأمر والنهي الصدارة من الأساليب الإنشائية التي استخدمها الشاعر في قصيدته ؛ وذلك لأن غرضها النصح ، فجاء مبناها على غرار (افعل ولا تفعل). *: مال الشاعر إلى التشخيص والتجسيد في خياله فاستخدم الاستعارة بكل أنواعها ، وكانت في غاية الدقة والأحكام ، حيث كانت وسيلة في تحويل المعنويات إلي محسوسات وكائنات حية لها ما للإنسان من صفات!).هـ. ومن أراد بحث الدكتورة منى فراج فليقصد إليه في مظانه! وإنما أنا أوردت كلامها في الجزء الذي يعنيني فقط وطبعاً بتصرفٍ اقتضته ضرورة التأليف! وأشكر من كل قلبي بلدي الدكتورة منى فراج هذه الأديبة الصعيدية بنت بلدي بنت سوهاج ، وما أخميم وجرجا إلا بقعتان معمورتان ذهبيتان من بقاع المحافظة الأم (سوهاج)! هذا وتُنسب القصيدة الزينبية للإمام علي بن أبي طالب في عدة مصادر ، بينما يرجح الكثير من رواة الشعر ومؤرخي الأدب نسبتها إلى الشاعر العباسي صالح بن عبد القدوس ، وقد وردت القصيدة في ديوانَي كل منهما ، باختلاف يسير. والقصيدة في الأصل لصالح بن عبد القدوس كما جاءت في مطلع كتاب لإعلام الناس فيما وقع للبرامكة مع بن العباس: ص3- 6.بولاق سنة 1280هـ ، والذي يدفع إلى القول بعدم صحة قول الإمام هذه القصيدة أنها بلغت سبعين بيتًا ، والصحيح أن الإمام علي لم يقل قصيدة أطول من عشرة أبيات. وتقع القصيدة الزينبية في خمسة وستين بيتًا وسميت بالزينبية نسبة لمطلعها حيث يرد اسم زينب. ويقول مطلع القصيدة:-

صَـرَمتْ حبالَـكَ بعـــدَ وصـلكِ زينـبُ والدهـــرُ فيـــه تصـــرُّمٌ وتقلـــبُ

نَـــشَرتْ ذوائِبَهـــا التـــي تَزهـــو بـــها سُـــوداً ورأسُـــك كالثَّغامَـــةِ أشـــيَبُ

واستمر صالح بن عبد القدوس الأزدي في كيل الحكمة ووصف الدربة والتجربة إلى قوله:-

فاصـــــغ لـــــوعظ قصـــــيدة أولاكهـــــا طـــــودُ العلـــــوم الشـــــامخات الأهيـــــب

أعنـــــي عليـــــاً وابـــــن عـــــم محمـــــد مـــــن نالـــــه الشـــــرفُ الرفيـــــع الأنســـــب

يـــــا رب صـــــل علـــــى النبـــــي وآلـــــه عـــــددَ الخلائـــــق حصـــــرها لا يُحســـــب

وكان هناك تحقيق عن القصيدة الزينبية قام به أستاذنا قحطان محمد صالح الهيتي قال في بعض فقراته ما نصه بتصرفٍ زهيد: (لقد نسب بعض الباحثين هذه القصيدة إلى الإمام علي ، وقد وردت القصيدة في ديوانه ، وقد قال عنها الكثيرون بأنها (منسوبة) ، وبلاغة الإمام علي كما هو معروف لا ترقى اليها أية شكوك فهو سيد البلغاء. ولكن هناك من الحقائق ما يثبت أنها للشاعر صالح عبد القدوس وهي: 1. ذكرها ياقوت الحموي في معجم الأدباء الذي يعد واحداً من المصادر المهمة في الأدب العربي ، فقال ما نصه: "صالح بن عبد القدوس بن عبد الله ، كان حكيماً أديباً فاضلاً شاعراً مجيداً كان يجلس للوعظ في مسجد البصرة ويقص عليهم ، وله أخبار يطول ذكرها ، اتهم بالزندقة فقتله المهدي بيده ، ضربه بالسيف فشطره شطرين ، وعلق جثمانه بضعة أيام للناس ثم دفن ، وأشهر شعره قصيدته البائية التي مطلعها:

صرمت حبالك بعد وصلك زينبُ والدهر فيه تصرّمٌ وتـقـلـبُ

وكذاك ذكر الغانـيات فـإنـه آل ببلـقـعةٍ وبـرقٌ خـلـب

هذا ما ورد في معجم الأدباء ، وفي مقتله اختلاف عند المؤرخين! فمنهم من يذكر أن المهدي قتله ومنهم من يذكر أن الرشيد قتله. 2 - ورد في البيت الآتي من القصيدة ذكر (أشعب) الطماع:

وإذا طمعتَ كُسيتَ ثوبَ مذلةٍ فلقد كُسيْ ثوبَ المذلةِ أشعبُ

والمعروف تاريخياً أن (أشعب) لم يظهر على عهد الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ، بل ظهر في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ، وقد قرأ الكثيرون قصته مع الخليفة المذكور وهي حسب الروايات كما مبين في أدناه - وتبقى العهدة على الراوي فيما قال ، والذنب عليه فيما ذكر من آيات لا يجوز الاستدلال بها - بهذا الأسلوب: والقصة هي: دخل أشعب على أبي جعفر المنصور فوجد أمير المؤمنين يأكل من طبق من اللوز والفستق. فألقى أبو جعفر المنصور إلى أشعب بواحدةٍ من اللوز. فقال أشعب: يا أمير المؤمنين (ثاني اثنين إذ هما في الغار) فألقى إليه أبو جعفر اللوزة الثانية. فقال أشعب: (فعززناهما بثالث) فألقى إليه الثالثة. فقال أشعب: (فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك) فألقى إليه الرابعة. فقال أشعب: (ويقولون خمسة سادسهم كلبهم) فألقى إليه الخامسة والسادسة. فقال أشعب: (ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم) فألقى إليه السابعة والثامنة. فقال أشعب: (وكان في المدينة تسعة رهط) فألقى إليه التاسعة. فقال أشعب: (فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة) فألقى إليه العاشرة. فقال أشعب: (إني وجدت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) فألقى إليه الحادية عشر. فقال أشعب: والله يا أمير المؤمنين إن لم تعطني الطبق كله لأقولن لك:

(وأرسلناه إلى مائه ألف أو يزيدون) فأعطاه الطبق كله! وعلى وفق هذه القصة سمي بـ (أشعب الطمع) من قبل من ترجموا له ، وبناءً على هذا جاء ذكره في البيت المذكور بالقصيدة ، والذي يبين لنا بأن طمع أشعب هو الذي البسه ثوب المذلة ، فنصح الشاعر بعدم الطمع. من هذا يتبين بأن القصيدة نظمت بعد هذه القصة أي: في العصر العباسي الذي عاش ومات فيه صالح عبد القدوس(ت167هـ). 3 - لقد جمع ما تفرق من ديوان صالح بن عبد القدوس ، الباحث عبد الله الخطيب ، فأحصى (317) بيتاً. (بغداد: دار البصري 1967م) وفيه القصيدة المذكورة. كما وردت القصيدة المذكورة في ديوان شعري باسم (ديوان حكيم الشعر صالح بن عبد القدوس (167هـ.) ، حياته وشعره ونثره ، وهو من جمع وترتيب ودراسة عبد الفتاح إسماعيل غراب ، وأحمد كامل عبد الرؤوف ، ومراجعة وتعليق إسماعيل عبد الفتاح غراب ، وهو من سلسلة شعراء الحكمة ؛ 1 ، دار البدر ، (المنصورة ، 2012) ، الصفحات 41 - 46. ولم يتصدَ باحث أو كاتب لنفي ما ورد في الديوان ابتداءً حول هذه القصيدة ونسبتها إلى صالح بن عبد القدوس. 4 - وردت في القصيدة هذه الأبيات بحق المرأة:

وتَـوَقَّ مـنْ غَـدْرِ النِّساءِ خيانةً فجميعُهُنَّ مكايـدٌ لكَ تُـنصَبُ

لا تـأمنِ الأنـثى حيـاتَكَ إنـها كـالأفعُـوانِ يُراغُ منهُ الأنيبُ

لا تـأمـنِ الأُنثى زمـانَكَ كُـلَّهُ يومـاً ولـوْ حَلَفتْ يميناً تكذِبُ

تُـغري بـلينِ حديثِها وكـلامِها وإذا سَطَتْ فهيَ الصَّقيلُ الأشطَبُ

فهل لنا أن نصدق بأن الإمام علياً (رضي الله عنه) يقول هذا بحق المرأة ، وهو القائل: "لا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها فإن المرأة ريحانة وليس قهرمانة ". فالإمام هنا وصف المرأة بأنها ريحانة بكل ما في هذه الكلمة من معانٍ عطرة ونقية وطيبة ، تسعد وتفرح من ينظر إليها ، أما القهرمانة فهي تلك التي تكلف بأمور الخدمة والاشتغال. 5 - لا بد من الإشارة إلى أن للإمام على قصيدة يعظ ولده الحسين (رضي الله عنهما) ، وربما كانت هي الملهمة لصالح بن عبد القدوس للكتابة على وزنها وقافيتها ، ومنها:

أَحُسَينُ إِنّي واعِظٌ وَمؤَدِّبٌ فَاِفهَم فَأَنتَ العاقِلُ المُتَأَدِّبُ

وَاِحفَظ وَصِيَّةَ وَالِدٍ مُتَحَنِّنٍ يَغذوكَ بالآدابِ كَي لا تُعطَبُ

وأقول مستدركاً على أستاذنا قحطان محمد صالح الهيتي بأن البيت الثاني الذي ينسب لعلي في وصيته لولده الحسين – رضي الله عنهما – فيه إقواء! لأن كلمة (تعطبُ) وردت مرفوعة شأنها في ذلك شأن القصيدة كلها! وحقها النصب لأنها مسبوقة بكي وهي من أدوات نصب المضارع لا رفعه! فهل يقول علي مثل هذا؟ وهل يأتي الإقواء من علي أو حتى يرد على خاطره في قرون الشعر الأولى المفضلة؟! هذا أمر يصعب على العقل تصديقه! هذا ما أردت بيانه بصدد (القصيدة الزينبية) على وفق ما ورد بالمصادر والمراجع التي توافرت لي ، وقد تكون هناك غيرها مما يؤكد أو ينفي حقيقة القصيدة ، وأتمنى أن يتقدم الينا من لديه الدليل القاطع بصحة نسبتها ، وما نحن سوى باحثين عن الحقيقة ولا غاية لنا غير الحقيقة).هـ. وأشكر للباحث هذا التفصيل الرائع وهذا التبيين الماتع! وبقلم أستاذنا الأديب فاروق مواسي كانت هذه الجولة مع

القصيدة الزينبية ، يقول ما نصه: (قيل إن القصيدة الزينبية (نسبة لمطلعها حيث تُذكر زينب) هي لعلي - رضي الله عنه - ، وقيل إنها لصالح بن عبد القدوس ، وقد وردت القصيدة في ديوانَي كل منهما ، باختلاف يسير. وانظر لذلك: ديوان علي بن أبي طالب - تحقيق عبد الرحيم المارديني - دمشق- 2005م ، ص 214- 220. وكذلك عباس الترجمان: صالح بن عبد القدوس – حياته ، بيئته وشعره ، وهو من منشورات الجمل - 2013م ، ص 107- 110. والقصيدة جميلة ، وفيها حِكم تقريرية ، وعِبر تعبّر عن تجربة حياتية ، وتقع في خمسة وستين بيتًا ،وهذه القصيدة المشهورة - كما قلت - تنسب لعلي بن أبي طالب ، ومن الطبيعي أن يُشك في نسبتها إليه لأن فيها ذكرًا لأشعب: وأشعب لم يظهر على عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقد توفي سنة 154 هـ في المدينة المنورة ؛ من هنا فقد كان معاصرًا لصالح بن عبد القدوس ، وكان مشتهرًا بالطمع. وهناك ملاحظة: هذا البيت الوارد في القصيدة عن أشعب لم أجده في ديوان عليّ الذي بين يديّ ، لكنا نراه في ديوان عليّ على المواقع ، وربما اطلع د. الترجمان على نسخة أخرى من ديوان علي وفيها هذا البيت ، ولذا كانت ملاحظته عن أشعب. (ص 111.)! *أضيف بيتان في نهاية أبيات القصيدة المنسوبة لعلي ، وفيهما موضع للتساؤل ، وهما يتحدثان عن عليّ نفسه ، وفي تقديري أن شاعرًا ما أضافهما:

أعني عليًا وابنَ عمِّ محمد من ناله الشرفُ الرفيعُ الأنسبُ

يا ربِّ صلِّ على النبي وآله عددَ الخلائق حصرها لا يُحسبُ

أثبت الإمام الدَّميري في كتابه (حياة الحيوان) بعض أبيات القصيدة وذكر قبلها: "وقال بعضهم" ج1 ، ص 43. كما وردت بعض الأبيات في معجم الأدباء لياقوت ، ج12 ، ص 9- على أنها لعبد القدوس. (مادة صالح بن عبد القدوس). ومن الغريب أنني لم أجد للقصيدة ذكرًا في الأغاني ، ولا في خزانة الأدب ولا في الشعر والشعراء وغيرها من أمهات الكتب الأدبية. ومع ذلك فهناك ترجيح ما أن القصيدة هي لصالح بن عبد القدوس ، ولكننا لا نستطيع بما نملك من مصادر قليلة أن نؤكد أن القصيدة كلها لشاعر منهما ، خاصة ونحن نشهد إمكان الإضافة والحذف في كثير من المقتبسات. أما صالح بن عبد القدوس فهو شاعر عباسي كان مولي لبني أسد. وكان حكيمًا متكلمًا يعظ الناس في البصرة ، له مع أبي الهُذيل العلاّف مناظرات ، واشتهر بشعر الحكمة والأمثال والمواعظ ، يدور كثير من شعره حول التنفير من الدنيا ومتاعها ، وذكر الموت والفناء ، والحثّ على مكارم الأخلاق ، وطاعة الله ، ويمتاز شعره بقوة الألفاظ ، والتدليل ، والتعليل ، ودقة القياس. ولقد مرت أحداث في حياة الشاعر جعلته يقارن بين الأسباب كما يقارن بين النتائج ؛ فيَصل إلى آراء مُحكمة مستخلصة من تجاربه وتجارب غيره ، وهي تختلف عما تعارف عليها الناس).هـ. وأخلص من هذا السجال النقدي والبلاغي والأدبي لأدلف إلى السجال الشرعي والمعركة الدائرة أمس واليوم وغداً ، عن زواج الصغيرات من الشواب! ولأنني من غير المتخصصين في الشريعة أحيل نفسي والقراء الأعزاء إلى أهل الاختصاص! وسئل ابن باز وأجاب: فأما السؤال: أنا فتاة أبلغ الخامسة والعشرين من عمري ، زوجني والدي على رجل يبلغ من العمر خمسة وستون عامًا ، رغم أنه لم يستشرني في ذلك ، ولكني سكتُ مرضاة لأمر والدي؟ وأما الجواب: تزويج الوالد لابنته لمن يكبرها في السن إذا رأى المصلحة في ذلك ؛ لا حرج فيه ، أما ما يشيعه الناس في هذا العصر من عدم تزويج المرأة ممن يكبرها سنًا ؛ فهذا شيء لا أصل له ، ولا وجه له ، وإنما هو من ضلال العقول ،

وفساد العقول ، وعدم البصيرة. فالرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ تزوج عائشة ، وكان عمره فوق الخمسين ـ عليه الصلاة والسلام ـ وكان عمرها حين العقد سبع سنين ، وعند الدخول تسع سنين ، وليس في هذا محظور ، والرسول ﷺ هو أكمل الناس في كل شيء ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو أنصح الناس ، فلو كان في هذا شيء من المحذور ؛ لم يفعله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولا أبانه للأمة. ولم يزل المسلمون من قديم الزمان إلى زماننا هذا يتزوج الإنسان من تكبره سنًا ، ومن تصغره سنًا ، ولا حرج في ذلك ، وقد تزوج النبي ﷺ أيضًا خديجة ، وكانت أسن منه بخمسة عشرة سنة ، عمرها أربعون ، وكان حين تزوجها عمره خمس وعشرون ـ عليه الصلاة والسلام ـ. فلا حرج في أن يتزوج الإنسان من تكبره سنًا ، ومن تكون أصغر منه سنًا ، لكن لا بد من مشاورتها ، ولا بد من أخذ رضاها ، هذا هو المهم ، فإذا رضيت بأن تتزوج وهي بنت خمسة عشرة ، بمن سنه أربعون ، أو خمسون ، أو أكثر من ذلك ، فلا حرج في ذلك إذا بين لها ، ولم تغش ، ولم تخدع ، إذا بين لها الأمر ، ورضيت بذلك ؛ فلا حرج في ذلك. ولا يجوز لأحد أن يتكلم في هذه الأمور بغير حق ، فإن معناه الاعتراض على رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ إذا قال: إنه لا ينبغي أن يتزوج من يكبرها ، فمعنى ذلك الاعتراض على رسول الله ﷺ الاعتراض على أصحابه ـ رضي الله عنهم وأرضاهم ـ والاعتراض على المسلمين جميعًا ، الذين تزوجوا من تصغرهم سنًا ، وهذا كله باطل ، وكله منكر ، لا وجه له ، وإنما الذي أبانه النبي ﷺ ودعا إليه: هو المشاورة ، وأخذ الإذن من المرأة. قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: (لا تنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن قالوا: يا رسول الله ، إنها تستحي ، قال: إذنها سكوتها)! عليه الصلاة والسلام ، فلا بد أن يبين لها ، وإذا سكتت ، وهي بكر ؛ كفى ذلك ، وإذا كانت ثيبًا ؛ فلا بد من أخذ إذنها كلامًا ، وهذه البنت الجارية السائلة لما سكتت ، استأذنها أبوها ، وسكتت ؛ كفى ذلك ، وزواجها لا بأس به ، والحمد لله على كل حال. وإذن فالزواج لا حرج فيه ، ولا بأس به ، وإن كان يكبرها بعشرين سنة ، أو أربعين سنة ، أو أكثر ، أو أقل ، إذا كانت راضية بذلك ، وعلى بصيرة ، ولم تخدع ، فلا حرج في ذلك ، والحمد لله ، وكم من شيخ كبير خير للمرأة من شاب يماثلها ، أو يصغرها سنًا ، أو يكبرها ، فهذا يرجع إلى حسن السيرة ، والعشرة ، والقيام بأمر الله ، ومراقبة الله في حق النساء).هـ. رحم الله تعالى الأمام ابن باز وأسكنه فسيح جناته! لقد أقام الحجة وبين المحجة في هذا الأمر! ولمزيد من البيان والوضوح والتأكد أكثر ، نستدرك على فتوى ابن باز بما جاء في (إسلام ويب) من سؤال وجوابه: (أما السؤال فهو: ما حكم الزواج بالصغيرة؟ وهل العقد عليها صحيح؟ وإذا كان العقد عليها صحيحاً فما حكم الاستمتاع بها؟ والإجابــة: فبداية لا بد من الاتفاق على أن الصغر في الشرع ينتهي بالبلوغ. جاء في (الموسوعة الفقهية): واصطلاحاً هو: وصف يلحق بالإنسان منذ مولده إلى بلوغه الحلم. اهـ. فلا يصح شرعاً أن تبلغ البنت البلوغ الشرعي بالحيض أو غيره ، وتوصف مع ذلك بالصغر الذي تتعلق به أحكام شرعية. ومن ذلك مسألة النكاح ، فلا خلاف بين أهل العلم في أن من بلغت فليست بصغيرة في هذا الحكم. والبلوغ قد يحصل في سن مبكرة كالعاشرة مثلاً. قال البخاري في صحيحه: باب بلوغ الصبيان وشهادتهم ، وقول الله تعالى: {وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا} وقال مغيرة: «احتلمت وأنا ابن ثنتي عشرة سنة». وبلوغ النساء في الحيض ، لقوله عز وجل: {واللائي يئسن من المحيض من نسائكم} إلى قوله: {أن يضعن حملهن} ، وقال الحسن بن صالح: «أدركت جارة لنا جدة ، بنت إحدى وعشرين سنة» اهـ. ولا يخفى أن هذه الجدة قد

تزوجت وسنها صغيرة ، وحملت وهي بنت عشر سنين ، والحمل علامة قطعية على البلوغ. ومثل هذا ينبغي أن لا يكون محل خلاف. وعليه لا يصح شرعاً استنكار بعض الناس لزواج البنت في سن مبكرة ، ما دامت قد بلغت البلوغ الشرعي وأطاقت الزواج وأعباءه! وأما الصغيرة التي لم تبلغ فالسؤال في حقها عن مسألتين: ـ الأولى: العقد عليها. ـ والثانية: الاستمتاع بها ، بالوطء أو بما دون الوطء. وجواب السؤال الأول ، أن العقد على الصغيرة صحيح عند أكثر أهل العلم ، حتى لقد حُكي الإجماع عليه ، والحقيقة أنه قد خالف في صحته قلة من أهل العلم ، وهم: ابن شبرمة ، وعثمان البتي ، وأبو بكر الأصم ، فقالوا بأنه لا يزوج الصغير ولا الصغيرة حتى يبلغا لقوله تعالى: {حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ}. وذكر السرخسي في (المبسوط) تعليلهم في ذلك فقال: فلو جاز التزويج قبل البلوغ لم يكن لهذا فائدة ، ولأن ثبوت الولاية على الصغيرة لحاجة المولى عليه ، حتى إن في ما لا تتحقق فيه الحاجة لا تثبت الولاية كالتبرعات ، ولا حاجة بهما إلى النكاح ؛ لأن مقصود النكاح طبعا هو قضاء الشهوة ، وشرعاً النسل ، والصغر ينافيهما ، ثم هذا العقد يعقد للعمر وتلزمهما أحكامه بعد البلوغ ، فلا يكون لأحد أن يلزمهما ذلك إذ لا ولاية لأحد عليهما بعد البلوغ. اهـ. واختار هذا القول بعض المعاصرين ، كالشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ فقال في (الشرح الممتع): القول الراجح أن البكر المكلفة لا بد من رضاها ، وأما غير المكلفة وهي التي تم لها تسع سنين ، فهل يشترط رضاها أو لا؟ الصحيح أيضا أنه يشترط رضاها ؛ لأن بنت تسع سنين بدأت تتحرك شهوتها وتحس بالنكاح ، فلا بد من إذنها ، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، وهو الحق. وأما من دون تسع سنين فهل يعتبر إذنها؟ يقولون: من دون تسع السنين ليس لها إذن معتبر ؛ لأنها ما تعرف عن النكاح شيئاً ، وقد تأذن وهي تدري ، أو لا تأذن ؛ لأنها لا تدري ، فليس لها إذن معتبر ، ولكن هل يجوز لأبيها أن يزوجها في هذه الحال؟ نقول: الأصل عدم الجواز ؛ لقول النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «لا تنكح البكر حتى تستأذن» ، وهذه بكر فلا نزوجها حتى تبلغ السن الذي تكون فيه أهلاً للاستئذان ، ثم تستأذن. لكن ذكر بعض العلماء الإجماع على أن له أن يزوجها ، مستدلين بحديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ، وقد ذكرنا الفرق ، وقال ابن شبرمة من الفقهاء المعروفين: لا يجوز أن يزوج الصغيرة التي لم تبلغ أبداً ؛ لأننا إن قلنا بشرط الرضا فرضاها غير معتبر ، ولا نقول بالإجبار في البالغة فهذه من باب أولى ، وهذا القول هو الصواب ، أن الأب لا يزوج بنته حتى تبلغ ، وإذا بلغت فلا يزوجها حتى ترضى. لكن لو فرضنا أن الرجل وجد أن هذا الخاطب كفء ، وهو كبير السن، ويخشى إن انتقل إلى الآخرة صارت البنت في ولاية إخوتها أن يتلاعبوا بها ، وأن يزوِّجوها حسب أهوائهم ، لا حسب مصلحتها ، فإن رأى المصلحة في أن يزوجها من هو كفء فلا بأس بذلك ، ولكن لها الخيار إذا كبرت ؛ إن شاءت قالت: لا أرضى بهذا ولا أريده. وإذا كان الأمر كذلك فالسلامة ألا يزوجها ، وأن يدعها إلى الله ـ عزّ وجل ـ فربما أنه الآن يرى هذا الرجل كفئاً ثم تتغير حال الرجل ، وربما يأتي الله لها عند بلوغها النكاح برجل خير من هذا الرجل ؛ لأن الأمور بيد الله ـ سبحانه وتعالى. اهـ. وقد فصل الشيخ في ذلك وناقش أدلة الجمهور في (شرح صحيح البخاري) باب: (إنكاح الرجل ولده الصغار). وأما اختيار شيخ الإسلام الذي ذكره الشيخ فهو في خصوص من لها تسع سنين ولم تبلغ. قال المرداوي في (الإنصاف): البكر التي لها تسع سنين فأزيد ، إلى ما قبل البلوغ: له تزويجها بغير إذنها ، على الصحيح من المذهب ، وعليه جماهير الأصحاب ... وعنه: لا يجوز تزويج ابنة تسع سنين إلا بإذنها. قال الشريف أبو جعفر: هو المنصوص عن الإمام أحمد. قال

الزركشي: وهي أظهر ... واختار أبو بكر ، والشيخ تقي الدين رحمهما الله: عدم إجبار بنت تسع سنين بكراً كانت أو ثيباً. قال في رواية عبد الله: إذا بلغت الجارية تسع سنين فلا يزوجها أبوها ولا غيره إلا بإذنها. قال بعض المتأخرين من الأصحاب: وهو الأقوى. اهـ. والمقصود أن ننبه على أن المسألة فيها شيء من الخلاف ، وليست من المسائل القطعية. مع كون الراجح عندنا هو قول الجمهور القائلين بصحة العقد ، وجمهور العلماء الذين يصححون العقد على الصغيرة ، يستحبون أن ينتظر والدها بلوغها ليستأذنها. قال النووي: اعلم أن الشافعي وأصحابه قالوا: يستحب أن لا يزوج الأب والجد البكر حتى تبلغ ، ويستأذنها لئلا يوقعها في أسر الزوج وهي كارهة. وهذا الذي قالوه لا يخالف حديث عائشة ؛ لأن مرادهم أنه لا يزوجها قبل البلوغ إذا لم تكن مصلحة ظاهرة يخاف فوتها بالتأخير كحديث عائشة ، فيستحب تحصيل ذلك الزوج ؛ لأن الأب مأمور بمصلحة ولده فلا يفوتها. اهـ. وهذا ما رجحه الدكتور عبد الكريم زيدان في موسوعته (المفصل في فقه الأسرة) فقال: نرجح على وجه الاستحباب أن لا يزوج الأب ابنته حتى تبلغ ، إلا إذا وجد المبرر المقبول لتزويجها وهي صغيرة. اهـ. وذكر لذلك عدة أسباب فراجعها هناك. وهذا ما اختارته أيضا الباحثة سها القيسي في رسالتها للماجستير: (زواج الصغار في ضوء تحديد سن الزواج) حيث رجحت صحة العقد ثم قالت: الأولى عدم تزويجها إلا إذا ظهرت مصلحة راجحة. اهـ. وذكرت لذلك أربعة أسباب. وهنا ننبه على أن إنكاح الصغيرة إنما هو مراعاة لمصلحتها ، لا لمجرد رغبة والدها ، حتى لقد نص بعض أهل العلم على بطلان الزواج إذا لم تراع فيه مصلحة الصغيرة ، وأن على القاضي حينئذ فسخه. قال الشوكاني في: (وبل الغمام على شفاء الأوام في أحاديث الأحكام): أما مع عدم المصلحة المعتبرة ، فليس للنكاح انعقاد من الأصل ، فيجوز للحاكم بل يجب عليه التفرقة بين الصغيرة ومن تزوجها ، ولها الفرار متى شاءت ، سواء بلغت التكليف أم لم تبلغ ، ما لم يقع منها الرضا بعد تكليفها. اهـ. وقال الدكتور عبد الله بن عبد العزيز الجبرين في بحثه (ولاية تزويج الصغيرة) المنشور في (مجلة البحوث الإسلامية): ومن أجل ضمان تزويج الأب ابنته الصغيرة ممن في زواجها منه مصلحة لها ، فقد ذكر بعض العلماء لصحة تزويجه إياها شروطا أهمها: 1- ألا يكون بينها وبين والدها عداوة ظاهرة. 2- ألا يكون بينها وبين الزوج عداوة. 3- ألا يزوجها بمن في زواجها منه ضرر بيِّن عليها كهرم ، ومجبوب ونحو ذلك. 4- أن يزوجها بكفء غير معسر بصداقها. اهـ. ومما يحسن ذكره في الدلالة على مراعاة الوالد لمصلحة ابنته عند قبول خطبتها بمن يكبرها في السن ، حديث بريدة قال: خطب أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فاطمة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنها صغيرة. فخطبها علي ، فزوجها منه. رواه النسائي ، وصححه الألباني. قال القاري في (المرقاة): يحتمل أنها كانت صغيرة عند خطبتها ، ثم بعد مدة حين كبرت ودخلت في خمسة عشر خطبها علي ، أو المراد أنها صغيرة بالنسبة إليهما لكبر سنهما ، وزوجها من علي لمناسبة سنه لها ، أو لوحي نزل بتزويجها له. اهـ. وقال السندي في حاشيته على النسائي: (فخطبها علي) أي عقب ذلك بلا مهلة كما تدل عليه الفاء ، فعلم أنه لاحظ الصغر بالنظر إليهما ، وما بقي ذاك بالنظر إلى علي فزوجها منه ، ففيه أن الموافقة في السن أو المقاربة مرعية لكونها أقرب إلى المؤالفة ، نعم قد يترك ذاك لما هو أعلى منه كما في تزويج عائشة. اهـ. وسن فاطمة رضي الله عنها حين تزوجت ، كما قال ابن عبد البر في (الاستيعاب): كَانَ سنها يوم تزويجها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصفًا وكانت سن عليّ إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر. اهـ. وبذلك قال أكثر المؤرخين كالمزي

وابن كثير وابن الأثير واليافعي وابن العماد والعصامي. وقال الذهبي في (تاريخ الإسلام): دخل بها علي رضي الله عنه بعد وقعة بدر ، وقد استكملت خمس عشرة سنة أو أكثر. اهـ. وقال المناوي في (إتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب والفضائل): لما شبت فاطمة وترعرعت ، وبلغت من العمر خمس عشرة سنة. وقيل: ست عشرة سنة. وقيل: ثماني عشرة سنة. وقيل: إحدى وعشرين. تزوجها علي. اهـ. وأما المسألة الثانية: وهي مسألة وطء الصغيرة أو الدخول بها، فقد نص أكثر أهل العلم على أن الصِّغَر الذي لا تطيق معه الوطء، مانع من موانع تسليمها لزوجها، ووافقهم الحنابلة في من لم تبلغ تسع سنين. قال النووي: أما وقت زفاف الصغيرة المزوجة والدخول بها ، فإن اتفق الزوج والولي على شيء لا ضرر فيه على الصغيرة عمل به. وإن اختلفا فقال أحمد وأبو عبيد: تجبر على ذلك بنت تسع سنين دون غيرها. وقال مالك والشافعي وأبو حنيفة: حد ذلك أن تطيق الجماع. ويختلف ذلك باختلافهن ولا يضبط بسن. وهذا هو الصحيح. اهـ. وجاء في (الموسوعة الفقهية): ذهب الفقهاء إلى أن من موانع التسليم الصغر ، فلا تسلم صغيرة لا تحتمل الوطء إلى زوجها حتى تكبر ويزول هذا المانع ؛ لأنه قد يحمله فرط الشهوة على الجماع فتتضرر به. وذهب المالكية والشافعية إلى زوال مانع الصغر بتحملها للوطء. قال الشافعية: ولو قال الزوج: سلموها لي ولا أطأها حتى تحتمله ، فإنه لا تسلم له وإن كان ثقة ؛ إذ لا يؤمن من هيجان الشهوة. اهـ. وأما عند الحنفية فقال ابن نجيم في (البحر الرائق): اختلفوا في وقت الدخول بالصغيرة ، فقيل: لا يدخل بها ما لم تبلغ. وقيل: يدخل بها إذا بلغت تسع سنين. وقيل: إن كانت سمينة جسيمة تطيق الجماع يدخل بها ، وإلا فلا. اهـ. وجاء في الفتاوى الهندية: أكثر المشايخ على أنه لا عبرة للسن في هذا الباب وإنما العبرة للطاقة ، إن كانت ضخمة سمينة تطيق الرجال ولا يخاف عليها المرض من ذلك ; كان للزوج أن يدخل بها وإن لم تبلغ تسع سنين , وإن كانت نحيفة مهزولة لا تطيق الجماع ، ويخاف عليها المرض لا يحل للزوج أن يدخل بها وإن كبر سنها ، وهو الصحيح. اهـ. ودخول النبي صلى الله عليه وسلم بأمنا عائشة كان بعد بلوغها هذا المبلغ ، ولذلك تأخر بعد العقد عليها بنحو ثلاث سنوات ، كما في الصحيحين عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم "تزوجها وهي بنت ست سنين ، وبنى بها وهي بنت تسع سنين. قال الداودي: كانت عائشة قد شبت شباباً حسناً. اهـ. ومما يؤكد مراعاة هذا المعنى قبل زفاف عائشة ، أنها قالت: أرادت أمي أن تسمنني لدخولي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم أُقبل عليها بشيء مما تريد حتى أطعمتني القثاء بالرطب ، فسمنت عليه كأحسن السمن. رواه أبو داود وابن ماجه ، وصححه الألباني. وهنا نؤكد على أن الصغر الذي هو مانع من التسليم ليس هو الصغر المقابل للبلوغ ، وإنما هو بمعنى عدم القدرة على الوطء. قال النووي في (روضة الطالبين): المراد بالصغيرة والصغير من لا يتأتى جماعه ، وبالكبير من يتأتى منه الجماع ، ويدخل فيه المراهق. اهـ. وبهذا يتبين أن الدخول بالصغيرة منوط بقدرتها على الوطء ، لا بمجرد العقد ، والقاعدة الكلية في ذلك هي قول النبي صلى الله عليه وسلم: لا ضرر ولا ضرار. رواه أحمد وابن ماجه ، وصححه الألباني. وهذه إحدى القواعد الكلية الخمسة التي ينبني عليها الفقه الإسلامي ، فمتى ثبت الضرر ثبوتاً شرعياً، فقد جاء الشرع الحنيف بإزالته ومنعه. ولذلك ينبغي ضبط أنواع الاستمتاع بما دون الوطء بعدم المضرة أيضاً ، وذلك بكون البنت مطيقة وأهلاً له ، فقد يبلغ بها الصغر أن يمنع الاستماع بها بالكلية ، ويعد اشتهاؤها من الأمور الشاذة الخارجة عن المعتاد ، كالطفلة غير المميزة ، ولذلك لا يحرم النظر إلى عورتها ، وهذه المسألة من المسائل التي

تحتاج إلى تحرير! نعني مسألة: الاستمتاع بما دون الوطء قبل إمكان الوطء؟ والذي نميل إليه أن تجعل إطاقة الوطء في الجملة أو مراهقة هذا الحد هو الوصف المبيح لسائر أنواع الاستمتاع ، درء للضرر المحتمل على الطفلة الصغيرة التي لا تدرك مثل هذه الأمور ، ومما يستأنس به لذلك ما قاله ابن عابدين في تعليل وجوب نفقة الزوجة الصغيرة التي تشتهى للوطء فيما دون الفرج ، حيث قال: لأن الظاهر أن من كانت كذلك ، فهي مطيقة للجماع في الجملة. اهـ. حيث قرن بين اشتهاء ما دون الوطء ، وبين إطاقة الوطء في الجملة. وقد سئل ابن حجر الهيتمي عن رجل طلق زوجته طلاقاً بائناً ، وله منها بنت سنها خمس سنين ، وزوجها والدها بشخص ، وأراد ذلك الشخص أن ينزعها من والدتها وينفق عليها ويربيها عنده في بيته مثلاً أو عند من يختار فهل له ذلك وتسقط حضانة الأم بذلك أم لا؟ فأجاب: لا تسقط حضانة الأم بذلك لأن الزوج إنما يكون أولى بالحضانة من جميع الأقارب حيث كان له بالزوجة استمتاع بأن تطيق الوطء ، وإلا لم تسلم له. اهـ. فجعل إطاقة الوطء هو سبيل الاستمتاع وموجب التسليم. وهاهنا أمر آخر ينبغي مراعاته لا سيما في أمر الزواج ، وهو العرف ، فإن اطَّرد باستهجان الاستمتاع بالزوجة الصغيرة التي لا تدرك ولا تميز ، فينبغي مراعاة ذلك ، فلا تسلم الزوجة قبل إدراكها. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في (الفتاوى الكبرى): وإذا كان موجب العقد من التقابض مرده إلى العرف ، فليس العرف أن المرأة تسلم إليه صغيرة ، ولا يستحق ذلك لعدم التمكن من الانتفاع. اهـ. وربما قال قائل: ماعلاقة الاسترسال الشرعي بالقصيدة الزينبية؟ وهو سؤال وجيه إذا كان يطلقه صاحبه بحسن نية! والرد عليه: أنني أعارض شاعراً مسلماً في قصيدة مسلمة وأخاطب قراء مسلمين في عمومهم! وإنني أردت فقط أن أثري القصيدة وأجعل القارئ لا يستهجن الزواج بالصغيرات الصبايا لأن الله أحله فهل تحرمه أنت؟! وبعد هذا الاسترسال الفقهي وقبله الاسترسال التاريخي والأدبي والنقدي فأقول: أياً كان الأمر أنا أوردت الرأي والرأي المضاد في محاولة جادة مني لبيان الحق! والنفس تميل بعد هذا التحقيق المضني أن القصيدة الزينبية أكيد للشاعر صالح بن عبد القدوس الأزدي العباسي! وأعود بعد هذا التحقيق الأدبي البلاغي التاريخي بمصدريه الشيعي والسني لأعارض ابن عبد القدوس في زينبيته الرائعة ، معرّضاً بالتجربة الدامية التي عانى منها ووصفها شعراً في الزمن القديم ، الذي يُفترض أنه أكثر خيرية من زماننا المعاصر! ولكن المناقب لا يحدها زمان معين أو مكان بعينه! وليست تُخلع على أشخاص بأعيانهم! ولكنني عندما وجدتُ أشيبنا اليمني المعاصر الذي تزوج من فتاة في عمر بُنياته ، وقد عاش معها أسعد أيام حياته حيث أعادت له شبابه على حد تعبيره ، وتصادف أن أسمتها أمها (بلقيس) على اسم ملكة سبأ ، وتسمتْ فعلاً بهذا الاسم من الناحية الرسمية! ولكن الأب كان يرغب في تسميتها زينب! ليوافق اسمها اسم كبرى بنات النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – ورضي الله عن بناته! وظل الأب يناديها (زينب) حتى بعد تسجيلها (بلقيس) ، وكنتُ من أنصار الأب عملاً بقول الله تعالى: (ادعوهم لآبائهم) واستنبط منها القرطبي في مسائلة أن التسمية للمولود من حق الأب! فأسميتها نزولاً عن رغبة أبيها (زينب) حتى إذا ما عارضت قصيدة صالح بن عبد القدوس توافقنا معاً وزناً وموضوعاً وقافية! وتوافقنا في اسم بطلة القصيدة كذلك! وإن اختلفنا في تعامل الصبيتين مع الشيبتين! فزينب العباسية أرتْ أشيبها النجوم في رابعة النهار ، وكانت مثالاً للزوجة المعاندة الناشز التي عنفت زوجها وأذاقته العلقم وجرعته الشيح! وزينب اليمنية المعاصرة التي أعادت لأشيبها شبابه بعد المشيب ، وكانت مثالاً للزوجة الصالحة المخلصة! فتخيلتُ ذلك الأشيب اليمني يحكي لنا تجربته

الزوجية وقد تزوج من فتاة في عمر بُنياته على كتاب الله تعالى وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم -! فماذا قال؟ وكيف كانت تجربته؟! وكم هو شرف كبير لي أن أعارض الشاعر العباسي الكبير صالح بن عبد القدوس في زينبيته!)

صـــانتْ ودادِيَ رغـــم شـــيبيَ (زينـــبُ) والـــدهرُ كـــم يَعِـــظ الأنـــامَ ، ويَعتـــبُ!

لزمـــتْ مَضـــاربَ قومهـــا فـــي عِـــزةٍ ولكـــم يصـــونُ حَـــلا العفيفـــة مَضـــرب!

لمّـــا تكـــنْ بـــين الكوامـــل سَـــلفعاً خرّاجـــــة ولاجـــــة تتغيـــــب

حجبـــتْ ذوائبهـــا ، فلـــم تظهـــرْ إذن لعيـــون قـــوم شـــوقها يتلهـــب

عُـــدّتْ علـــى الغِيـــد العقائـــل حُـــرة وعلـــى الجلائـــل تلـــك كانـــت تُحسـب

والجســـمَ قـــد سَـــترتْ بســـابغ ثوبهـــا مـــا الســـترُ إن أبـــدتْ جُســـوماً أثـــوَب؟!

ونِقابُهـــا غطـــى محاســـنَ وجههـــا حتـــى تُخـــزّل كـــل عـــين ترقـــب

والكـــف بالقفـــاز صِـــينَ جمالـــه لمّـــا يَعـــدْ ســـهمٌ إليـــه يُصـــوّب

لمّـــا تُصـــافحْ أجنبيـــاً مطلقـــاً هـــذا حـــرامٌ ، والحليـــلُ سيغضـــب

لـــم تـــدْعُ غيـــرَ الله طيلـــة عمرهـــا شِـــركاً تـــراهُ ، ومَزلقـــاً يُتجنـــب

لـــم تهجـــر القـــرآن ، بـــل عاشـــت بـــه إن التـــزام نصوصـــه يتوجـــب

لمّـــا تُنـــافق كـــي تعـــيشَ بـــلا أذىً ولـــذا - عليـــه وأهلـــه - تتغلـــب

لـــم تبتـــدعْ فـــي الـــدين تُرضـــي قومهـــا كـــم ذا تُضـــيّعُ بدعـــة وتُخيّـــب!

عاشـــت تُصـــلي خمسَـــها فـــي وقتهـــا إن الصـــلاة – إلـــى المليـــك - تُقـــرّب

والشـــهرَ صـــامت كـــي تكـــون تقيـــة مِـــن فجرهـــا ، حتـــى يحـــل المغـــرب

وزكاتهـــا أديـــتُ عنهـــا قانعـــاً أنـــي بهـــا – لمليكنـــا - أتقـــرب

والبيـــتَ حجّـــتْ فـــي صَـــحابة مَحـــرم صَـــحتْ بـــذا الفتـــوى ، وجـــاء المـــذهب

وتعلمـــتْ عِلـــمَ الكتـــاب وسُـــنة والعلـــمُ أعظـــمُ مـــا يُنـــال ويُطلـــب

وعيالهـــا ربّـــتْ علـــى شـــرع الهُـــدى ولكـــل حـــق جاهـــدوا وتعصـــبوا

أمـــرتْ بمعـــروفٍ لتســـموَ فـــي النســـا والأمـــرُ بـــالمعروف سَـــمتٌ طيـــب

ونهـــتْ نســـاءَ ديارهـــا عـــن مُنكـــر ... كـــم مـــن بيـــوتٍ بالمنـــاكر تُخـــرب!

وعـــن الأغـــاني أعرضـــتْ كـــي تســـتمي ... عمـــا يُقـــدّم للأنـــام المطـــرب

ومِـــن المعـــازف حَـــذرتْ أترابَهـــا ... مـــاذا - لهـــن العـــزف يومـــاً - يُعْقِـــب؟!

وعـــن اغتيـــاب النـــاس صـــامتْ دهرَهـــا ... هـــل يُشـــتهى مَيْـــتُ اللحـــوم ويُرغـــب؟!

هـــي قـــدّرتْ حُبـــي وصـــارمَ غيْرتـــي ... كـــي لا يُجرّعنـــا الشـــقاءَ مُخبّـــب

هـــي جنبتنـــي أنْ أثـــور لتافـــهٍ! ... وإذا انفعلـــتُ لتافـــهٍ مـــا المكســـب؟!

هـــي أســـعدتْني بالحيـــاة هنيئـــة ... فأنـــا الأبـــرّ بزوجتـــي ، والأنجـــب!

وأنـــا الـــذي كـــم عشـــتُ أرحـــمُ ضـــعفها ... وحياءهـــا ، وأنـــا الأعـــز الأهيـــب!

فرأيـــتُ وصـــلَ الغانيـــاتِ ســـعادة ... إن وافـــقَ الإســـلامَ فهـــو الأصـــوب!

وإذا اغتـــذي بالجاهليـــة والهـــوى ... ودجـــى المقاصـــدَ فهْـــو بـــرقٌ خلـــب

هـــذي الحليلـــة جـــدّدتْ فـــيّ الصـــبا! ... ماضـــي الصـــبا ولـــى ، وهـــذا الأطيـــب!

عـــاد الشـــبابُ إلـــيّ أحلـــى عـــودةٍ ... فهـــل المشـــيبُ مِـــن الشـــباب ســـيهرب؟!

كـــلا ، ســـتُطربه الحيـــاة رغيـــدة ... والضـــنك يمضـــي ، والمتاعـــبُ تـــذهب

نحيـــا أنـــا والـــزوجُ أعـــذبَ عيشـــةٍ ... والصـــدعُ – فـــي جـــو المحبـــة - يُـــرأب

هـــو مـــنهجُ التوحيـــد ألـــفَ بيننـــا ... وإلـــى فؤادَينـــا الصـــفاءَ يُحبـــب

وتزيـــدُنا تقـــوى الإلـــه مـــودة ... والـــود خيـــرٌ شمسُـــه لا تغـــرب!

وأذابـــتِ التقـــوى الفـــوارقَ بيننـــا ... فبهـــا نـــداوي جرحَنـــا ونطبـــب

لمّـــا تُعـــايرْني بشـــيب هـــدّني ... والعـــيشُ إمـــا فـــارقتْني الغيهـــب

لمّـــا تمُـــنّ بحُســـنها وجمالهـــا ... والمَـــنّ بالحُســـن الوجـــاعَ يُوْلـــب

لمّـــا يُعيّرْهـــا تخـــرّص حاقـــدٍ ... أمســـى يُـــزوّرُ مـــا يقـــول ويكـــذب

لمّـــا ينـــلْ مـــن عزمهـــا متـــربّصٌ ... أضـــحى يُحقـــر مـــا أتـــتْ ويُعيّـــب

لمّـــا يُميلهـــا عـــن الحـــق الغثـــا ... لمّـــا تكـــنْ بالمغرضـــين تُرحّـــب

مكـــروا بهـــا ، فتنكـــرتْ لخـــداعهم ... قـــالوا: تـــزوّجَ - بالصـــبية - أشـــيب!

قـــالوا: سيكســـرُ كبريـــاءَ عزيـــزةٍ ... أو أنهـــا بالمُســـتهام ســـتلعب

أو أنهـــا حتمـــاً ستعشـــقُ غيـــرَهُ ... وتوابـــعُ العشـــق الحـــرام ســـتُحْجب

أو أنـــه يومـــاً يُطلـــقُ مَـــن غفـــتْ ... إمـــا اســـتفاق اللـــوذعيُ الأدرب

قـــالوا: زواجُهمـــا خِـــداعٌ مُبْـــرمٌ ... تصـــديقه بالعقـــل شـــيءٌ يصـــعب

قـــالوا: زواجُهمـــا الضـــياعُ بعينـــه ... وشـــهادة التطليـــق فـــوراً تُكتـــب

قـــالوا: الـــذي عقـــدَ الـــزواجَ قـــد ارتشـــى ... فعـــروسُ أشـــيبنا عجـــوزٌ ثيـــب

والله خيّـــبَ مـــا ارتـــأوهُ وصـــرّحوا ... وعـــن الـــذي أمضـــاه هـــا هـــم غيّبـــوا

إنـــا أردنـــا الله جـــل جلالـــه ... بزواجنـــا ، ولـــذا العـــواذلُ خيّبـــوا

يـــا صـــالحَ الخيـــر انطلقـــتَ مُحـــذراً ... بالزينبيـــة تســـتطيلُ وتخطـــب

وتلـــومُ أشـــيبَ أن تـــزوّج غـــادة ... وتُحبّـــرُ التـــوبيخ ، ثـــم تؤنـــب

وكأنـــه اقتـــرفَ الكبـــائرَ عامـــداً ... ولهـــا يُشـــرّقُ تـــارة ، ويُغـــرّب

هـــو لـــم يـــزلْ عبـــداً يُحَكّـــمُ شـــرعه ... والشـــرعُ يَحْكـــمُ فعلـــه ويُهـــذب

إن كنـــت جربـــت الـــزواج بغـــادةٍ ... فصُـــلِيت فتنتهـــا ، وراجَ المَقلـــب

ومَضـــغت عَلقمهـــا لتُصـــلحَ شـــأنها ... وأتـــاك منهـــا مـــا تهـــابُ وترهـــب

فلـــم التراشـــقُ بالهجـــاء ، صُـــخورُه ... فـــوق الخلائـــق لـــيس منهـــا مَهـــرب

عممـــت تجربـــة دهتْـــك غمومهـــا ... مـــا القصـــدُ مِـــن هـــذا؟ ومـــاذا المَـــأرب؟

لـــو أن (زينبَـــك) احتـــواك سَـــعيرُها ... فأنـــا حبتْنـــي الســـعدَ طوعـــاً (زينـــب)!

القصيدة المحمدية (معارضة لمحمدية البوصيري)

(إنني أكتب (القصيدة المحمدية) لأهديها أولاً للنبي العظيم محمد - صلى الله عليه وسلم -. وفكرتها مقتبسة من الشاعر البوصيري (صاحب البردة). وهي بمثابة المعارضة الشعرية له. إذ إن أحد طلابي وهو حذيفة أشرف من أهل ليبيا يدرس في مدرسة أم القرى الخاصة بأم القيوين بدار غربتي ، كان قد أطلعني على (القصيدة المحمدية البوصيرية). وكان الفتى الذي هو في الصف السابع قد أنكر ما في هذه القصيدة البوصيرية من الغلو في النبي - صلى الله عليه وسلم – . والأصل أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – كره من يغلو في إطرائه ، ونهى عن ذلك إذ قال: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، وإنما أنا عبد ، فقولوا: عبد الله ورسوله). وأعلن ذلك من يوم بعثته إلى قيام الساعة التي هو أول أشراطها وعلاماتها! قَالَ ابْنُ الجوزيِّ: بَقِيَ (صلى الله عليه وسلم) ثَلَاثَ سِنِينَ يَتسَتَّر بالدَّعْوةِ ، ثُمَّ نزل عَليه: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ). فَأعلنَ الدُّعاءَ. فَلَمَّا نزَل قولُه تعالىَ: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ. خَرَجَ رَسُول اللهِ (صلى الله عليه وسلم) حَتَّى صَعِدَ الصَّفا فَهتفَ: "يَا صَبَاحَاهُ" فَقَالُوا: مَنْ هذا الَّذي يهتِفُ؟ قَالوا: مُحمَّد! فاجْتمعُوا إليه فقال: "يَا بَنِي فُلانٍ! يَا بَنِي فُلَانٍ! يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ! يَا بَنِي عَبْدِ المطَّلِبِ" فَاجْتمعُوا إليه فَقال: "أَرَأَيْتُم لَوْ أَخبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الجَبَلِ ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟" قَالوا: ما جرَّبْنا عَليك كَذِبًا. قال: "فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ". فَقَالَ عمُّه أبُو لَهب: تَبًّا لك! أما جَمَعْتَنَا إِلَّا لهذا؟! ثُمَّ قَامَ ، فنزَل قولُه تَعالى:{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} إلى آخرِ السُّورَةِ. متفقٌ عليْهِ. وأخبر صلى الله عليه وسلم أن بعثته دليل على قرب الساعة ، وأنه نبي الساعة ، ففي الحديث عن سهل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بعثت أنا والساعة كهاتين ، ويشير بأصبعيه فيمدهما). وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بعثت أنا والساعة كهاتين ، قال: وضم السبابة والوسطى). وعن قيس بن أبي حازم عن أبي جبيرة مرفوعاً (بعثت في نسم الساعة). فأول أشراط الساعة بعثة المصطفي صلى الله عليه وسلم ، فهو النبي الأخير فلا يليه نبي آخر، وإنما تليه القيامة كما يلي السبابة الوسطى ، وليس بينهما إصبع آخر، أو كما تفضل إحداهما الأخرى ، ويدل على ذلك رواية الترمذي (بعثت أنا والساعة كهاتين – وأشار أبو داود بالسبابة والوسطى – فما فضل إحداهما على الأخرى). وفي رواية مسلم: قال شعبة: وسمعت قتادة يقول: (في قصصه كفضل إحداهما على الأخرى فلا أدري أذكره عن أنس أو قاله قتادة. قال القرطبي: (أولها النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه نبي آخر الزمان ، وقد بعث وليس بينه وبين القيامة نبي. قال تعالى: مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا). وظل أتباعه كذلك من بعثته إلى اليوم! والأمر هكذا إلى قيام الساعة! وطلب مني حذيفة أن أرد على البوصيري. فقلت: الشعر ملكة وتجربة وشعور وإحساس يا بُني. فقال: ربما أنت تقول ذلك لأنك لم تقرأها أو تسمع بها من قبل ، فدعني أسمعكها ، وعندما قام (حذيفة) بقراءة الأبيات البوصيرية المخالفة للسنة ولمنطق المسلمين والتي تفترض أن النبي خلق من النور (من نور نبيك يا جابر!) وهذا محض كذب! والتي أورد منها:

محمـــــدٌ رُويَـــــتْ بـــــالنور طينتـــــه محمـــــد لـــــم يـــــزل نـــــوراً مـــــن القِـــــدم

محمـــــد ضـــــاحكٌ للضـــــيف مكرمـــــة محمـــــد مصـــــدر الإنعـــــام والحكـــــم

محمـــــد زينـــــة الـــــدنيا وبهجتهـــــا محمـــــد كاشـــــف الغمـــــات والظلـــــم

فلما استمعت إلى هذه الأبيات التي جعل البوصيري فيها النبي – صلى الله عليه وسلم – نوراً من القدم وأن طينته مروية بالنور ، وأنه مصدر الإنعام والحكم ، وأنه زينة الدنيا وبهجتها ، وأنه كاشف الغمات

والظلم ، تلك الأوصاف التي لو كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حياً لأنكرها على البوصيري ، ولربما حثا في وجهه التراب! فقمتُ بإعداد المعارضة وجاعلاً إياها في ستين بيتاً. على أن أبيات البوصيري لم تبلغ العشرين. وذلك إجلالاً لمقام رسول الله – صلى الله عليه وسلم- ، ثم استجابة لطلب حذيفة ، إذ إنه صاحب الفكرة ابتداء فأنشدت من شعري مصححاً للبوصيري معترفاً له بالفضل:)

محمـــــدٌ صَـــــنعة المُهـــــيمن الحَكَـــــمِ ... محمـــــدٌ مِنحـــــة المليـــــك ذي الـــــنعمِ

محمـــــد رحمـــــة للعـــــالمين أتـــــتْ ... محمـــــد أفضـــــلُ الأعـــــراب والعَجـــــم

محمـــــد أعظـــــم الرجـــــال مِـــــن مُضـــــر ... محمـــــد خيـــــر مـــــن ســـــعى علـــــى قـــــدم

محمـــــد فـــــاتحٌ باســـــم الإلـــــه قَـــــرىً ... محمـــــد مـــــا غـــــزا كـــــلا لســـــفك دم

محمـــــد كـــــان - فـــــي الأخـــــلاق - مدرســـــة ... محمـــــد قلبُـــــه قـــــد فـــــاض بالسّـــــلم

محمـــــد صـــــاحب الرشـــــاد جامعـــــه ... محمـــــد تـــــاجُ رسْـــــل الله كلهـــــم

محمـــــد صـــــادقُ الأقـــــوال محســـــنُها ... محمـــــد مَـــــن يَحُـــــز أقوالـــــه يَهـــــم

محمـــــد طيّـــــب الأفعـــــال متقنهـــــا ... محمـــــد لـــــيس - فـــــي التقـــــوى - بمـــــتهم

محمـــــد لـــــم يـــــزل يُزكِـــــي مدينتـــــه ... محمـــــد بيتـــــه والقبـــــر فـــــي إضـــــم

محمـــــد زاننـــــا بسُـــــنة عظمـــــتْ ... محمـــــد - فـــــي الـــــورى - مستشـــــرفُ العِظـــــم

محمـــد لـــم يـــزل فـــي الكـــون بـــدرَ دُجـــىً ... محمـــــد شـــــرعُه المِفضـــــال ذو حِكـــــم

محمـــــد معـــــدنٌ طابـــــت ســـــريرته ... محمـــــد مـــــا لـــــه - فـــــي العـــــالمين - ســـــمي

محمـــــد دينُـــــه نـــــورٌ لمتبـــــع ... محمـــــد نهجُـــــه المنـــــارُ فـــــي الظلـــــم

محمـــــد مرســـــلٌ يعتـــــز تابعُـــــه ... محمـــــد نعمـــــة مِـــــن بـــــارئ النســـــم

محمـــــد ســـــيدُ الســـــادات قِمـــــتهم ... محمـــــد قـــــدْره فـــــي ذروة القمـــــم

محمـــــد خصّـــــه بالنصـــــر خالقـــــه ... محمـــــد - رغـــــم بـــــأس الكيـــــد - لـــــم يُضـــــم

محمـــــد رضـــــيَ الإســـــلامَ ، بلّغـــــه ... محمـــــد خيـــــر مـــــن دعـــــا الـــــورى بفـــــم

محمـــــد صـــــفوة الـــــرحمن أرشـــــدنا ... محمـــــد أخـــــرج الـــــدنيا مـــــن العـــــدم

محمـــــد أنبيـــــاءُ الله تُكبِـــــره ... محمـــــد قـــــد ســـــمى فـــــي العـــــز والكـــــرم

محمـــــد فـــــاق بالأمّيّـــــة العُلمـــــا محمـــــد عِلمـــــه فـــــي الخلـــــق ذو شـــــمم

محمـــــد حـــــاز فصـــــل القـــــول أجمعِـــــه محمـــــد قـــــد نـــــأى عـــــن ظلـــــة الـــــتهم

محمـــــد خـــــاتمٌ للأنبيـــــاء سَـــــوا محمـــــد - بـــــين رسْـــــل الله - كـــــالعلم

محمـــــد قـــــد أتـــــى بالـــــذكر معجـــــزة محمـــــد هديُـــــه القـــــرآن ذو الشـــــيم

محمـــــد ذنبـــــه الغفـــــار أذهبَـــــه محمـــــد خُـــــصّ فـــــي القـــــرآن بـــــ (اســـــتقم)

محمـــــد شـــــافعٌ مُشـــــفعٌ أبـــــداً محمـــــد شـــــافع للبـــــر ذو النـــــدم

محمـــــد دعـــــوة مـــــن الخليـــــل لنـــــا محمـــــد الحـــــق بُشـــــرى كـــــل ملتـــــزم

محمـــــد بـــــالنبي والرســـــول دعِـــــي محمـــــد طهّـــــر الـــــدنيا مـــــن الـــــرّمم

محمـــــد غيـــــرُه نبـــــي قريتـــــه محمـــــد مرســـــلٌ لأجمـــــع الأمـــــم

محمـــــد أيّـــــد المـــــولى نبوتـــــه محمـــــد شـــــرعُه يمحـــــو دُجـــــى الظلـــــم

محمـــــد خيلـــــه بالرعـــــب قـــــد نصـــــرتْ محمـــــد قولـــــه جوامـــــعُ الكلـــــم

محمـــــد جُـــــوده - فـــــي النـــــاس - منتشـــــرٌ محمـــــد جاءنـــــا بـــــالمنهج اللقـــــم

محمـــــد حطـــــم الأوثـــــان قاطبـــــة محمـــــد لـــــم يَـــــذر فـــــي الأرض مِـــــن صـــــنم

محمـــــد ســـــحق الأعـــــداء ، جنـــــدلهم محمـــــد لـــــم يكـــــن - كـــــلا - بمنهـــــزم

محمـــــد قـــــد أقـــــام الـــــدين محتســـــباً محمـــــد قـــــد هـــــدى للخيـــــر والقـــــيم

محمـــــد يســـــتجيب الله دعوتـــــه محمـــــد هديُـــــه يحمـــــي عُـــــرى الحُـــــرم

محمـــــد كـــــان - للتقـــــاة - مَرحمـــــة محمـــــد كـــــان – للأعـــــداء - كـــــالحُمم

محمـــــد كـــــان لمّاحـــــاً بفطرتـــــه محمـــــد فـــــاق فهـــــم الحـــــاذق الفهـــــم

محمـــــد جعـــــل الرّعـــــاء كوكبـــــة محمـــــد صـــــيّر العُتـــــاة كالخـــــدم

محمـــــد صـــــحبُه - فـــــي الكـــــون - أنجمُـــــه محمـــــد جعـــــل العـــــادين كـــــالغنم

محمـــــد تخـــــذ التوحيـــــد منهجـــــه محمـــــد لـــــم يكـــــن حاشـــــا بمُجتـــــرم

محمـــد مخلـــصٌ للصـــحب ، مُكـــرمُهم محمـــــد مهّـــــد الســـــبيل للهمـــــم

محمـــــد ســـــطعتْ نـــــوراً رســـــالته محمـــد قـــد قضـــى علـــى لظـــى القُصُـــم

محمـــد - فـــي الـــورى - ذكـــراه يانعـــة محمـــــد عـــــز فـــــي أزواجـــــه العُصُـــــم

محمـــــد لـــــم يُخـــــادعْ مَـــــن يُخادعُـــــه محمـــــد لـــــم يكـــــن يميـــــل للجُـــــرُم

محمـــــد كـــــان للأبـــــرار قـــــدوتهم محمـــــد أســـــوة فـــــي الخيـــــر والـــــرحُم

محمـــــد لـــــم يكـــــن يـــــدعو لمخبثـــــةٍ محمـــــد قـــــد دعـــــا لأطهَـــــر الـــــنظم

محمـــــد أنـــــذر الـــــدنيا وبشّـــــرها محمـــــد حـــــذر الصـــــرعى خطـــــى إرم

محمـــــد أشـــــرقتْ خيـــــراً نبوتـــــه محمـــــد عِلمُـــــه أردى لظـــــى الســـــخم

محمـــــد أعلـــــن التقـــــوى شـــــريعته محمـــــد قـــــد تـــــلا القـــــرآنَ كـــــالنغم

محمـــــد مـــــلأ الأصـــــقاع مَعدلـــــة محمـــــد قـــــد ســـــعى للغيـــــر بالـــــذمم

محمـــــد لـــــم يخـــــن عهـــــداً تعهـــــده محمـــــد مـــــا انتـــــوى شـــــيئاً مـــــن اللمـــــم

محمـــــد نحـــــن نفديـــــهِ بأنفســـــنا محمـــــد نحـــــن نفـــــدي جاهـــــه بـــــدم

محمـــــد نحـــــن خُـــــدامٌ لسُـــــنته محمـــــد نصـــــرُه قـــــد خُـــــط بـــــالقلم

محمـــــد ربـــــه كفـــــاه مَـــــن ســـــخروا محمـــــد ربـــــه يُملـــــي لمنـــــتقم

محمـــــد ربـــــه أعـــــز ســـــنته محمـــــد ربـــــه أوحـــــى لـــــه: (اعتصـــــم)

محمـــــد ربـــــه أجـــــلّ ســـــيرته محمـــــد ربـــــه الجَبـــــار ذو الـــــنقم

المودع الكريم (معارضة لمحمود حسن إسماعيل)

(إنه لمن دواعي سروري أن أنشد هذه القصيدة التي تحمل عنوان: (المودع الكريم) وذلك في حفل الخريجين للعام الدراسي 2012- 2013 م. وأهنئ الطلاب وأولياء أمورهم الكرام ، وبارك الله ربي في مدرستنا الوطنية وفي معلميها جميعاً ، وجعلها قلعة للعلم والتعليم والتربية والأخلاق مدى الأيام.)

ربـــــــاه أنلنـــــــا عزتنـــــــا وامنحنـــــا الحكمـــــة يـــــا مـــــولى

وانفـــــــع بأســـــــاتذةٍ بـــــــذلوا واجعلهـــــم – بالبـــــذل - الأعلـــــى

وأعـــــز الطـــــلاب جميعـــــاً وقِهـــم – فـــي عيشـــهمُ - والجهـــلا

وأعـــــز بهـــــم دينـــــك دومـــــاً ليبيتـــــوا – بجنانـــــك - أولـــــى

كما وأهنئ الأبناء الكرام خريجي الصف التاسع ، وأتمنى لهم مستقبلاً حافلاً بالنجاح والتوفيق. وأعددتُ لهم هذه المرة قصيدة عذبة تناسب تفوّقهم وتتناغم معه ، وكنت قد أنشدتها على مخلع البحر البسيط. ويعود السبب في اختيار هذا البحر أنني استمعت إلى أحد النقاد يقطع بأن قصيدة (مسافر زاده الخيالُ * والعطر والسحر والخيالُ) ، للشاعر الكبير محمود حسن إسماعيل ، لا يمكن لشاعر أن يُحاكيها اليوم! لا في معانيها ولا في وزنها! فتعجبتُ في نفسي وقلتُ: إن لغتنا العربية لا تزال لغة محفوظة بحفظ الله لها ، عظيمة المعاني والمباني ، تزداد جمالاً واختيالاً على سائر لغات الدنيا. وربما يكون لهذا الصنف من النقاد الحق! لأننا نجد كثيرا من المتشاعرين أو المستشعرين الذين راق للواحد منهم أن يتهم اللغة العربية بالجمود وراح يهاجم العروض والقوافي! يقول الأستاذ علي العبادي عن المستشعرين المعاصرين ما نصه: (إن الكثير ممن يكتبون الشعر في هذه الأيام ، لا يعرفون شيئاً عن الشعر ، سوى أنه كلمات مرصوصة وأبيات مكسورة خالية من المعاني ويجد هؤلاء مع الأسف من يستمع إليهم ، يتبجحون بشعرهم المقزز ، وكأن الشعر الذي تلقيناه عن الشعراء القدامى أو المعاصرين من كبار الشعراء لا يهمهم في شيء. فبحور الشعر وتفاعيله التي بنى العرب عليها أشعارهم ، أمور قد انقرضت وذهبت مع أهلها إلى غير رجعة ، وبعملهم هذا يصرون على جهلهم وتأخرهم وإسفافهم. والشعر العربي فنٌ من أرقى الفنون نفتخر به ، وأول ما يستدعي النظر في الشعر العربي الأصيل ، ترابط أجزائه وصوره الفنية والموسيقى التي تنبعث من أبيات القصيدة فتخلب الأسماع. وما كل شعر موزون يخلب الأسماع ، فهناك شعراء يكتبون الشعر في أوزانه المعروفة ، فيأتون به سمجاً بارداً ، ثقيلاً على السمع. وهناك شعراء يكتبون الشعر مقْويّاً ، فتتأذى الأذن منه ، ولا يغْفر لهم النقّاد ما ارتكبوا من خطأ).هـ. وقررت أن أحاكي النص مودعاً أبنائي طلاب المدرسة الوطنية ، فكتبت:)

مُـــــودّعٌ يصـــــحبُ الأمـــــاني وينشـــــرُ الفـــــرْحَ والتهـــــاني

ويبـــــذلُ الســـــعدَ مســـــتعيناً برقـــــة البشْـــــر والأغـــــاني

ويغمـــــرُ الجمـــــعَ بالتحايـــــا تزينهـــــا لمعـــــةُ الجُمـــــان

مـــــردّداً رقيـــــةً تُنجّـــــي مـــــن الأذى يُـــــروِّع الأمـــــاني

مُقـــــدّماً عـــــذر مســـــتكين لســـــادةٍ أخلصـــــوا التفـــــاني

مُشـــــنفاً أذن مَـــــن تلقـــــى بـــــأحرفٍ غضـــــةٍ حـــــواني

ولهجـــــةٍ عذبـــــة الســـــجايا معســـــولة الوقـــــع والمعـــــاني

مُرَطبـــــاً خـــــاطراً كســـــيراً مِـــــن الـــــذي كـــــم يُـــــرى يُعـــــاني!

وناصـــــحاً للـــــذين حـــــادوا عـــــن التســـــامي مـــــدى الزمـــــان

لعـــــل شـــــهماً يُجيـــــب نصـــــحاً مُعطـــــرَ الـــــنص والبيـــــان

مُـــــودّعٌ جـــــاد بالعطايـــــا ولـــــم يكـــــن قـــــط بالأنـــــاني

تعلـــــم الخيـــــرَ مـــــن أنـــــاس رووه للخلـــــق عـــــن فـــــلان

وجانـــــبَ الهـــــزلَ والتـــــردي وفاصـــــلَ الطـــــيشَ والغـــــواني

واســـــتهجنَ الزيـــــفَ والتـــــدني بفعلـــــه العَـــــفِ واللســـــان

وداعيـــــاً للهُـــــدى البرايـــــا مُرَغبـــــاً فـــــي ســـــنا الجنـــــان

وراضـــــياً بالمليـــــك ربـــــاً مُطبقـــــاً شِـــــرعة القـــــران

مؤديـــــاً فرضـــــه بعـــــزم مستشـــــعراً فيـــــهِ بالأمـــــاني

مســـــتظهراً نـــــص كـــــل علـــــم إذ لا يـــــرى الغِـــــش فـــــي (اللجـــــان)

وراســـــماً بعـــــده طريقـــــاً كالفلـــــك ترنـــــو إلـــــى المـــــواني

مُـــــودّعٌ يعشـــــقُ التحّـــــدي ويـــــرفضُ العـــــيشَ فـــــي الهـــــوان

مســـــتقبلاً أمـــــره شـــــجاعاً ولـــــيس - فـــــي الســـــعي - بالجبـــــان

يتـــــوقُ - للنصـــــر - مســـــتميتاً بـــــالرُمح والســـــهم والســـــنان

مُضـــــحّياً بالـــــذي لديـــــهِ حتـــــى يَحِيـــــقَ بـــــالرؤى الـــــدواني

مُـــــراهنٌ ذا علـــــى التمـــــادي وكفـــــــه زانهـــــا اليمـــــاني

وكـــم ينـــاغي طيـــوفَ غيـــب مُستصـــــحباً دَفقـــــة الحنـــــان

مُحققـــاً كـــل مـــا تمنـــى مُحـــــاولاً دائـــــمَ المِـــــران

ولـــو بعيـــداً عـــن النـــدامى والـــــدار ، والأهـــــل ، والمكـــــان

يـــا رب أحســـنْ إليـــه دومـــاً مـــا قـــد شـــدا رافـــعُ الأذان

يـــا رب جنبـــه كـــل ســـوءٍ يُعيقـــــه عـــــن ذرى الأمـــــاني

أنا يا أخا الأوطان – معارضة لعلي هاشم رشيد

(كثيرون هؤلاء الشعراء الذين تناولوا الطين في أشعارهم. فهبطوا بالشعر إلى الحضيض عندما زادت هذه القضية عن حدّها ، وانقلبتْ لضدها ، وصارت عبودية للوحل. وسوف أتغاضى عن الأسماء لئلا يُصدم من أعجبوا بهؤلاء الشعراء! هذا أحدهم يرفع الأرض فوق الدين الحق فيقول:

بـــلادك قـــدّمْها علـــى كـــل ملـــةٍ! ومـــن أجلهـــا أفطـــرْ ، ومـــن أجلهـــا صُـــمِ!

وشاعر آخر لا يقل كفراً وضلالاً عن هذا لا يفرّق بين عبادة الخالق وعبادة الخلق ويراهما سواء:

ولا فـــرق إن كانـــت بـــلادي عزيـــزة عبـــدتُ مســـيحاً أو عبـــدتُ محمـــدا!

وآخر يجعل بيع الدين مسألة فيها نظر ، أما بيع الوطن فإنه الكفر بعينه فيقول:-

إن بعـــت دينـــاً بـــدنيا قصـــدَ منفعـــةٍ! وإن تبـــعْ وطنـــاً فـــالكفر ســـيّانُ

أما كبيرهم الذي علمهم السحر ، وقد نصبوه عليهم ملكاً وأميراً لهم وسلموا له التاج والصولجان فيقول:-

وجـــه الكنانـــة لـــيس يُغضـــبُ ربكـــم أن تعبـــدوه - كوجهـــه - معبـــودا!

ولّـــوا إليـــهِ - فـــي الـــدُروس - وجـــوهكم وإذا فـــزعتم ، فاعبـــدوه هجـــودا!

فإلى كل معْتدّ بداره على من وفد عليها فراراً بدينه أقول: هوّنْ عليك فكلنا راحلون عن هذه الديار: إن لم نرحل عنها بالرجوع إلى بلاد نزحنا منها ، فسوف نرحل جميعاً بالموت! وقيمة الدار بالتزامها بالحق ، وليس بعطائها لأهلها من فتات موائد عِلية القوم! وليس في كلامي هذا نيل من الأوطان ولا تحريض على بُغضها ، إنما يفهم ذلك من كلامي الحمقى والسفهاء والمغفلون! إذ كيف للمسلم المؤمن الموحد أن يكره وطنه المسلم (دار الإسلام) الذي يطبق الإسلام عقيدة وشريعة ، مصحفاً وسيفاً ، عبادة وقيادة وريادة؟! كيف للمسلم أن يكره وطنه المسلم الذي قاعدة تجمع الناس فيه هي شهادة أن لا إله إلا الله محمدا رسول الله؟ كيف يكره المسلم وطنه المسلم الذي يدعو للإسلام ويعمل به وينشره في بقاع الأرض ويجاهد في سبيل إعلاء رايته؟ كيف يكره المسلم وطنه المسلم الذي يُحق فيه الحق ويُبطل الباطل ويُؤمر فيه بالمعروف وأعلاه توحيد الله تعالى ، ويُنهى فيه عن المنكر وأعلاه الشرك الأكبر بالله تعالى بأنواعه؟ كيف يكره المسلم وطنه المسلم الذي لا يشعر بالعزة والكرامة والإباء والفخر إلا بين ربوعه؟ كيف يكره المسلم وطنه المسلم الذي يقيم شعائر الإسلام وشرائعه بدون استبعاد شئ منها قل أو كثر؟ إن حب الوطن المسلم الذي هذا شأنه واجب شرعي ، بل فريضة من فرائض الإسلام كالصلاة والزكاة والصيام والحج! والموت في سبيل الوطن الذي هذا شأنه واجب مقدس وشهادة في سبيل الله يحظى صاحبها بالجنة! وساعتها تصح المقولة المشهورة بأن

حب الوطن من الإيمان! يقول الشيخ عزام في كتابه (الإسلام ومستقبل البشرية) ما نصه: (يقول ابن غوريون: (نحن لا نخشى الاشتراكيات ولا القوميات ولا الملكيات في المنطقة ، إنما نخشى الإسلام ، هذا المارد الذي نام طويلاً ، وبدأ يتململ في المنطقة ، إني أخشى أن يظهر محمد جديد في المنطقة. ويقول جب في كتابه (جهة الإسلام) وهو كتاب كتبه مجموعة من المستشرقين نتيجة أبحاث قدمت لمؤتمر في جامعة (برنستون) في أمريكا: (إن الحركات الإسلامية تتطور عادة بسرعة مذهلة مدهشة ، فهي تنفجر انفجاراً مفاجئاً قبل أن يتبين المراقبون من أماراتها ما يدعوهم إلى الاسترابة في أمرها ، فالحركات الإسلامية لا ينقصها إلا الزعامة وظهور صلاح الدين). وهذا هرقل يقول عن النبي صلى الله عليه وسلم: (لو كنت عنده لغسلت عن قدمه). أما أبو سفيان فيقول عن النبي صلى الله عليه وسلم: لقد أمِرَ أمرُ ابن أبي كبشة ، إنه لتخافه ملوك بني الأصفر! ولقد كان هرقل جاداً في أمره فعرض على قومه أن يعلنوا إسلامهم ، قال: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا لهذا النبي! فحاصوا حيصة حمر الوحش. فأصروا واستكبروا وأعرضوا كأنهم حمر مستنفره فرت من قسورة ، ولو قبلوا لنجا ونجوا وبقي لهم ملكهم عدا عن الفلاح والرشد الذي يحمي الممالك ويحفظ الديار ويبارك الأعمار والأجيال. لقد كان شأن حاشية هرقل شأن كثير من الحواشي اليوم ممن يزينون للحكام سوء العمل ويوغرون صدورهم على الدعاة المسلمين الذين يريدون أن يقدموا الخير للحكام ولحاشيتهم ويحافظوا على الوطن والديار والأموال والقيم والأجيال. إن الدعاة يحرقون أنفسهم لينيروا الطريق أمام البشر ، ويحملون السعادة ليقدموها إلى الناس ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، فيؤذونهم ويضطهدونهم. لقد انتكست الفطرة ومسخ الإيمان ، فهل تقوم الأجيال الحاضرة بالدور الكبير الذي أشار إليه سيد البشرية صلى الله عليه وسلم؟ أين خيرة الله من أرضه التي اجتبى الله إليها خيرته من عباده؟ أيتها البلاد المباركة التي توكل الله بها وبأهلها: هل لك أن تتقدمي لتأخذي بزمام موكب البشرية الضال التائه إلى سواء الصراط؟ أيتها الأرض الطيبة التي تظلها الملائكة بأجنحتها: مالك غافلة نائمة عن دورك الطليعي الذي أحلك الله رب العالمين فيه؟ ماذا دهاك لتأخذي مكانك بين القطيع البشري الذي قصر حياته على بطنه وشهوته؟ (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون). (يا طلائع البعث الإسلامي لماذا أنت مخبأة في ضمير الغيب ، أما آن لك أن تقومي وتستيقظي وتبذلي الأرواح والدماء من أجل المعذبين في الأرض ، رحمة بالإنسان الذي نخر عظامه الكحول ، وأتلفت أنسجته المخدرات ، ومزقت حياته الأمراض العصبية ، وأهدر كيانه وإنسانيته التمرد والشذوذ ، وقتلت زهرات شبابه حبال الانتحار ومواخير المحلات العامة؟).هـ. أكتب في ذلك على نمط السطر الشعري بتفعيلات رباعية من الكامل! وأعتذر عن طول المقدمة إذ الهدف منها قد يشفع لي! لقد أردت أن أبين أن الفخر لا يكون بالأوطان لمعيشتنا فيها ولانتسابنا لها فقط! بل الفخر يكون بمقدار إقامتها لدين الله تعالى وبمقدار إعزازها للمسلمين واحترامها لهم! وطبيعي أنها إن أقامت الإسلام وعملت به ودعت إليه وجاهدت في سبيله فقد أعزت المسلمين! ونشيد أنا يا أخي الإنسان يعجبني ويبكيني جداً!)

(أنـــــا يـــــا أخـــــا الأوطـــــان مثلـــــك كـــــان لـــــي وطـــــن حبيـــــبْ

قـــــد كـــــان لـــــي فيـــــه المقـــــامُ الفـــــذ والعِـــــز المَهيـــــب

وطعمتُ فيه اليُسر والخيراتِ والأنس الرحيب

وجريت أصحب رفقتي بين المحاور والدروب

ولعبتُ ، والأطفالُ حولي في سنا الغيث الصبيب

ولكم شربتُ من الغدير – براحتي - الماءَ الرطيب!

ثم انطلقنا نحصد الأسماك بالشص العجيب

ولكم نظمتُ الشعر والتفعيل في الحقل الخصيب!

ولكم حفظتُ الذكر - في الكُتاب - من عهدٍ قريب!

ولكم درستُ العِلم - بين الأهل - فواحَ الطيوب!

ولكم نهلتُ - من الجمال العذب - ما يُحيي القلوب!

حيث الحدائقُ والأزاهرُ تبعث الشوق الأريب

وأتت على أرض الديار عِصابة تهوى الذنوب

في كل يوم تستبيح دماءنا عبر الحروب

هم يزرعون بكل وادٍ غرقد الموت الرهيب

وتسلطوا فوق الرقاب ، وصوّبوا الجمر اللهيب

أعداؤنا منا وفينا ، والتقيّ هو الغريب

هم يسفكون حياتنا جهراً لكي يُرضوا الصليب

ويمزقون لحومنا ، فاحمل يراعك يا أديب

وانقشْ قصيدة ذلنا – بالدمع - إن عز النحيب

وارسم معاناة يحار لوصفها عقلُ اللبيب

عذراً أخا الأوطان ، إني ضِقتُ ذرعا بالكروب

وأراك لمّا تعتبرْ بمصيرنا المُر العصيب

وأراك تغشى الموبقات بدرهم نذل عطيب

وتشيح بالوجه العصيّ وملبس زاهٍ قشيب

وتمُن مفتخراً عليّ ، ولم يُحرِّكْ الوجيب

أنا ما اغتربتُ محبة في داركم ، يا للكذوب!

كلا ، وإنْ كانت عروساً ، فأنا لستُ الخطيب

إني أراها منحري ، وبحق علام الغيوب

مهما ادعيتَ خلوها – بالزور - من شتى العيوب

هي في الحضيض ، وإن بدا عيشٌ - على الفوضى - يطيب

فاحقنْ غرورك ، وارتقبْ شمساً ، سيَحْطِمها الغروب

وابك البلايا سوف تذبحكم بسكين الخطوب

وتكون أنت ضحية في موئل البغي الرعيب

هوّنْ عليك ، ولا تقلْ عني: (غريب) مستريب

والفضل بالتقوى وبالإخلاص والعمل المُصيب

فاربأ بنفسك ، يا أخا الأوطان عن قول معيب

وابك الفضائل غيّبتْ ، لم تدر ما سر المغيب

والعز شاب ، ولم يكن يشكو ثآليل المشيب

واشحوحبتْ يا صاح همّتنا ، وأعياها الشحوب

ومضت شهامتنا سُدىً ، وتأرجح المجدُ النجيب

وكما ترى أودتْ بعزمتنا الدغاولُ واللغوب

وكما ترى شمتتْ - برغم الأنف في البلوى - الشعوب

والوازع الدينيّ ولى من قرانا ، والرقيب

والطفلُ يرضع ردغة الإلحاد في زبد الحليب

وإذا أبـــــــى مضـــــــغ الضـــــــلال ، كأنـــــــه بعـــــــض الزبيـــــــب

وديارنـــــــا أمســـــــت تُخـــــــالف هَـــــــديَ مولانـــــــا الحســـــــيب

فتخلفـــــــتْ مـــــــن بعـــــــد أن رضـــــــختْ لأمريكـــــــا اللعـــــــوب

ثـــــــم اســـــــتحالت جمـــــــرة فـــــــي عِـــــــرض أواهٍ منيـــــــب

وغـــــــدت نســـــــيماً يحتـــــــوي الفســـــــاق والفـــــــن العجيـــــــب

وكمـــــــا تـــــــرى قـــــــد كافـــــــأتْ فـــــــي ســـــــجنها كـــــــل غضـــــــوب

وتنكـــــــرتْ للحـــــــق ، هـــــــذي أمـــــــة جـــــــد عَتـــــــوب

أبـــــــئسْ بهـــــــا! كانـــــــت - علـــــــى التوحيـــــــدِ - كالليـــــــث القطـــــــوب

ذبحتـــــــه – جهـــــــراً – ثـــــــم أخفـــــــى أهلَـــــــه التـــــــلُ العشـــــــيب

وتنكـــــــرتْ لدموعـــــــه وأنينـــــــه حتـــــــى القتـــــــوب

أســـــــفى علـــــــى الشـــــــبّان ذاقـــــــوا الكيـــــــد – قهـــــــراً - والكُعـــــــوب

وكـــــــأنهم صـــــــرعى (قـــــــريش) ضـــــــمّهم جـــــــوفُ القليـــــــب

ودمـــــــاؤهم ســـــــالت ليشـــــــرب نورهـــــــا قـــــــاع الكثيـــــــب

وحيـــــــاتهم ليســـــــت يُجَليهـــــــا إمـــــــامٌ أو خطيـــــــب

وأظنهـــــــا فـــــــازت هنالـــــــك عنـــــــد عـــــــلام الغيـــــــوب

بُردة أبي بكر الصديق (معارضة لعباس الجنابي: الثاني اثنين!)

(منذ زمن بعيد كتب الشاعر العراقي الدكتور عباس الجنابي قصيدته: (الثاني اثنين) يُطري فيها أبا بكر الصديق – رضي الله عنه – الرجل الفذ الأول في أمتنا بعد نبيها. والتي يقول مطلعها:

الثـــاني اثنـــين تبجـــيلاً لـــه نقـــفُ تعظيمُـــه شـــرفٌ مـــا بعـــده شـــرفُ

هـــو الـــذي نصـــر المختـــار أيـــده مصـــدقاً حيـــث ظنـــوا فيـــه واختلفـــوا

إلى أن ختمها الدكتور الجنابي بقوله منتصراً للصديق من أعدائه وخصومه:

يـــا ســـيدي قلـــتُ: عهـــدُ الله يُلزمُنـــي مـــن كـــل أخـــرقَ ســـباب سأنتصـــفُ

ســـأكتُبُ الشـــعر فـــي الأرحـــام أزرعُـــه حتـــى تُحَـــدث عـــن أخبـــارك النطـــف!

إن الكتابة عن الصديق أبي بكر – رضي الله تعالى عنه - شرفٌ كبيرٌ لكاتبها! وإن الذود عنه وسله سلا من ألسنة الحاقدين المغرضين الكارهين أعدائه ، عبادة من العبادات وشعيرة من الشعائر يُثاب عليها فاعلها! ولقد احتارت الأقلام منذ فجر التاريخ في وصف الصديق وبيان كُنه وسبر أغوار خصيته العظيمة! ولعل أصدق ما يوصف به الصديق قول الأديب الكبير محمد حسين هيكل – رحمه الله تعالى -: "هذا الرجل الوديع السمح الأسيف ، السريع إلى التأثر ، وإلى مشاركة البائس في بؤسه والضعيف في ضعفه ، تنطوي نفسه على قوة هائلة لا تعرف التردد ولا الإحجام ، وعلى قدرةٍ ممتازةٍ في بناء الرجال ، وفي إبراز مَلكاتهم ومواهبهم ، وفي دفعهم إلى ميادين الخير العام ، يُنفقون فيها كل ما أتاهم الله من قوة ومقدرة". فمن هو الصديق؟ إنه الصحابي الجليل ذو القدر النبيل عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي ، وينتهي نسبه إلى فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، ويلتقي في نسبه مع النبي (صلى الله عليه وسلم) عند مرة بن كعب ، ومن هذا المنطلق يمكننا بسهولةٍ ويُسر أن نعتبر نبينا – صلى الله عليه وسلم – والصديق أبا بكر – رضي الله تعالى عنه – أبناء عمومة! ويُنسب إلى "تيم قريش" ، فيقال: "التيمي". وكان أبو بكر يُسمَّى في الجاهلية "عبد الكعبة" ؛ فسماه النبي (صلى الله عليه وسلم) عبد الله ، ولقّبه عتيقاً ؛ لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال له: أنت عتيقٌ من النار. وقيل لجمال وجهه وقيل لأنه لم يكن في نسبه شيءٌ يُعاب به ، كما سُمِّي بالصدّيق لتصديقه خبر الإسراء والمعراج! وقِيل كان يُسمى بالصديق في الجاهلية لأنه لم يكذب قط. وأمه سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم وهي بنت عم أبيه ، وتُكنَّى أم الخير. يصف الأستاذ الأديب سمير حلب نشأة الصديق العصامية فيقول ما نصه بتصرفٍ يسير: (نشأ أبو بكر في مكة المكرمة ، فلما جاوز الصبا إلى الشباب عمل في التجارة ، فكان بزازًا يبيع الثياب ، واستطاع أن يُحقق نجاحًا كبيرًا في تجارته ، فتزوج في بداية شبابه من قتيلة بنت عبد العزى ، فولدت له عبد الله ، وأسماء (رضي الله عنهما) ، ثم تزوج بعد ذلك من أم رومان بنت عامر بن عويمر ، فأنجب منها عبد الرحمن ، وعائشة (رضي الله عنهما). وكانت تجارته تزداد اتساعاً وتزيد معها أرباحه وثروته ، وقد هيأت له شخصيته القوية وأخلاقه الكريمة بعض أسباب نجاح تجارته ، فقد كان رجلاً رضي الخلق ، رقيق الطبع ، رزينا لا يغلبه الهوى ، ولا تملكه الشهوة ، يتميز

برجاحة العقل وسداد الرأي ، وكان لا يشارك قومه في عقائدهم وعاداتهم ، فلم يشرب خمرًا قط في الجاهلية ، وكان وجيهاً من وجهاء قريش ورؤسائها ، عارفاً بالأنساب بل أعلم قريش بها ، وقد كانت إليه الأشناق (الديات) في الجاهلية. وقد عاش أبو بكر في حي التجار والأثرياء في مكة ، وهو الحي الذي كانت تعيش فيه خديجة بنت خويلد ، ومن هنا نشأت الصداقة بينه وبين النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وكان - لتقاربهما في السن وفي كثير من الصفات والطباع - أكبر الأثر في زيادة الألفة بينهما ، فقد كان أبو بكر يصغر النبي (صلى الله عليه وسلم) بنحو عامين. وحينما بُعث النبي (صلى الله عليه وسلم) ، كان أبو بكر أول من آمن به ، وما إن عرض عليه النبي (صلى الله عليه وسلم) الإسلام حتى أسلم ، ولم يتردد لحظة في الإيمان به ، وشارك منذ اللحظة الأولى في الدعوة إلى الله بنفسه وماله ، وكان لحب الناس له وإلفهم إياه أثرٌ كبيرٌ في استجابة الكثيرين منهم للإسلام ؛ فقد أسلم على يديه عدد من كبار الصحابة ، منهم عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص ، والزبير بن العوام ، وغيرهم كثيرون من أهل مكة. وكان إيمان أبي بكر قويًا عظيمًا ، يتعدى كل الحدود ، وتسليمه بصدق النبي (صلى الله عليه وسلم) يفوق كل وصف ، ولعل أصدق ما يوصف به قول النبي (صلى الله عليه وسلم): "ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده فيه كبوة ونظر وتردد ، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة ، ما عكم حين ذكرت له ، وما تردد". ولعل مرد العجب هنا يكمن في شخصية أبي كبر ذاتها ؛ فهو مع حكمته ورجاحة عقله وجرأته تاجرٌ تقتضي منه تجارته أن يضع حساباً لصِلاته بالناس ، وعدم مواجهتهم بما يخالف مألوف آرائهم وعقائدهم ؛ خشية ما يجره ذلك على تجارته ، ومعاملاته ، ولكنه ارتفع بنفسه فوق ماديات الحياة ، وآثر العقيدة الصحيحة على زيف الحياة وبهرج متاعها. وكان لإسلام أبي بكر دورٌ كبيرٌ في تثبيت دعائم الدين الجديد ، والتمكين له ؛ فهو لم يقف من تأييد الإسلام ونصرته عند حدود الدعوة والإقناع لكسب مزيد من الأتباع ، وتعزية الأرقاء والمستضعفين من المسلمين الذين يُلاقون الكثير من العنت والاضطهاد والتعذيب من الكفار والمشركين ، وإنما كان يبذل من نفسه وماله ؛ فقد أعتق أبو بكر سبعة ممن كانوا يُعذّبون في الله ، منهم بلال بن رباح وعامر بن فهيرة. حتى إنه أنفق ثروته التي اكتسبها من تجارته ، والتي كانت تقدر بنحو أربعين ألف درهم. أنفقها كلها في سبيل الله ، فلما هاجر إلى المدينة بعد نحو عشر سنوات لم يكن معه من ذلك كله غير خمسة آلاف درهم. وقد ذكر له النبي (صلى الله عليه وسلم) ذلك وأثنى عليه فقال: "ما نفعني مال ما نفعني مال أبي بكر". وكانت حادثة الإسراء امتحاناً حقيقياً لإيمان المسلمين في صدر الدعوة ، فبعد وفاة أبي طالب عم النبي (صلى الله عليه وسلم) ووفاة خديجة زوجة النبي (رضي الله عنها) ، وقد كانا نعم العون له في دعوته ، وبعد ما لقيه (صلى الله عليه وسلم) من إعراض أهل الطائف وتعرضهم له وتحريضهم سفهاءهم وصبيانهم عليه - أراد الله تعالى أن يُسرِّي عن نبيه ، فأسرى به إلى المسجد الأقصى ، ثم عرج به إلى السماء ، ولكن الكفار والمشركين اتخذوا هذه الحادثة مثاراً للتندر بالنبي (صلى الله عليه وسلم) والسخرية منه ، والتشكيك في دعوته ، وقد انساق وراءهم بعض ضعاف الإيمان ، ممن أسلموا ، وتردد آخرون ، فلما جاء أبو بكر إلى المسجد واستمع إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو يصف بيت المقدس ، وكان قد زاره من قبل صدّقه في وصفه الذي طابق ما رآه ، فأخرس ذلك ألسنة المشركين ، وثبّت قلوب المؤمنين وأعاد الثقة في نفوسهم ، وقضى على البلبلة التي أراد هؤلاء المشركون إثارتها).هـ. وكأني بأبي بكر – رضي الله تعالى عنه – يُعده

الله إعداداً ليكون له هذا الدور البالغ من نصرة الإسلام ونبيه وكتابه والمؤمنين به فيما بعد! ودوره في الهجرة إلى المدينة درٌ كبيرٌ وعظيمٌ للغاية! فلقد ازداد تعرض المشركين للنبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه ، وهاجر كثير من المسلمين إلى الحبشة ، ولكن أبا بكر – رضي الله تعالى عنه - بقي مع النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وعندما هاجر المسلمون إلى المدينة ظل أبو بكر – رضي الله تعالى عنه - إلى جوار النبي (صلى الله عليه وسلم) ينصره ويسانده في دعوته. وظل أبو بكر في مكة ينتظر اليوم الذي يهاجرُ فيه مع النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة ، بعد أن سبقهما المسلمون إليها ، حتى أذن الله لنبيه بالهجرة. وكان أبو بكر قد أعد العُدة لهذا اليوم ، وجهَّز راحلتين للهجرة إلى المدينة ، وفي الثلث الأخير من الليل خرج النبي (صلى الله عليه وسلم) من داره بعد أن أعمى الله عيون فتيان قريش المتربصين حول الدار يريدون الفتك به ، وكان أبو بكر في انتظاره وهو يغالب قلقه وهواجسه ، فخرجا إلى غار ثور ليختبئا فيه حتى تهدأ مطاردة قريش لهما. ووصل المشركون إلى الغار ، وصعد بعضهم أعلى الغار للبحث عنهما ، ولم يدر بخلد أحد منهم أنه لا يفصلهم عن مطاردهما سوى ذلك النسيج الواهن الذي نسجته العنكبوت على فتحة الغار. ونظر أبو بكر الصديق إلى أقدام المشركين على باب الغار ، فهمس إلى النبي (صلى الله عليه وسلم): لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا ، فرد النبي (صلى الله عليه وسلم) بإيمان وسكينة: "يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟". حتى إذا ما يئس المشركون من العثور عليهما انصرفوا راجعين ، فخرجا من مخبئهما يكملان الطريق إلى المدينة. وعاش أبو بكر – رضي الله تعالى عنه - في المدينة حياة هادئة وادعة ، وتزوج من حبيبة بنت زيد بن خارجة فولدت له أم كلثوم! ثم تزوج من أسماء بنت عميس فولدت له محمدًا. وظل أبو بكر إلى جوار النبي (صلى الله عليه وسلم) في المدينة ، بل كان أقرب الناس إليه حتى تُوفي (صلى الله عليه وسلم) في (12 من ربيع الأول 11هـ = 3 من يونيو 632م). وكان لوفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) وقعٌ شديدُ القسوة على المسلمين ؛ فقد أصابهم الذهول ودارت الدنيا من تحت أقدامهم غير مصدقين ، أو أنهم لا يريدون أن يصدقوا ذلك الخبر ، حتى إن عمر بن الخطاب ذهب به الغضب مذهباً كبيراً ، وراح يتوعد الذين يرددون ذلك الخبر ، ويأخذ به الجزع فيقول: ما مات رسول الله ، وإنما واعده الله كما واعد موسى ، وليرجعن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليقطعن أيدي أناس وأرجلهم. ولكن أبا بكر برغم ما عُرف به من الرقة والوداعة ، يقف قوياً متماسكاً يستشعر خطورة الموقف ، ويستشرف الأخطار المحدقة بالإسلام والمسلمين ، فيزداد تماسكاً وقوة ، يدفعه إيمانه الشديد بالله ، وحبه وإخلاصه لنبيه إلى اتخاذ موقف إيجابي لإنقاذ المسلمين من هوة الخلف والاختلاف ، والعمل على الحفاظ على وحدتهم وتماسكهم ، وتتجلى قوته النفسية وبُعد نظره إلى المستقبل في تلك الساعة العصيبة التي أخذت بألباب المسلمين وعقولهم ، حينما يقترب من جسد النبي (صلى الله عليه وسلم) المُسجّى ، فيكشف عن وجهه ، ويكب عليه يقبله ، وهو يقول: "بأبي أنت وأمي يا رسول الله طبت حيا وميتا". ثم أتى المسجد فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: "أما بعد أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت". ثم قرأ: "وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين". فخرج الناس يتلونها في سكك المدينة كأنها لم تنزل إلا ذلك اليوم. وما إن علم الأنصار بوفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) حتى اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة يتشاورون ولا يدرون ماذا

يفعلون ، وبلغ ذلك المهاجرين فقالوا: نرسل إليهم يأتوننا ، فقال أبو بكر بل نمشي إليهم ، فسار إليهم ومعه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح ؛ فتراجع الفريقان الكلام وكثر الجدل واللغط بين الفريقين حتى كاد الشر يقع بينهما أكثر من مرة ، فقال بعض الأنصار منا أمير ومنكم أمير ، فقال أبو بكر: نحن الأمراء وأنتم الوزراء ؛ فإن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "الأئمة من قريش" ، وقال: "أوصيكم بالأنصار خيرًا: أن تقبلوا من محسنهم وتتجاوزوا عن مسيئهم". واستمر الجدل والخلاف بين الفريقين حتى قال عمر: "أنشدتكم الله هل تعلمون أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أمر أبا بكر أن يصلي بالناس؟ قالوا: اللهم نعم ، قال: فأيكم تطيب نفسه أن يزيله عن مقام أقامه فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟ فقالوا: كلنا لا تطيب نفسه ، ونستغفر الله. وسارعوا جميعاً بالبيعة لأبي بكر ، فكان لتلك البيعة الفضل في تجميع كلمة المسلمين وتجنيبهم فتنة ضارية وانقسامًا وخِيمًا وحربًا ضروسًا بين أبناء الدين الواحد لا يعلم مداها إلا الله وحده. بعث جيش أسامة كان أول أمر أصدره الخليفة أبو بكر الصديق بعد أن تمت له البيعة هو إنفاذ جيش أسامة الذي جهزه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قبيل وفاته لغزو الروم ، والذي كان يضم كبار الصحابة والمهاجرين والأنصار. وقد أبدى بعض المسلمين عدم رضاهم لتولية أسامة قيادة الجيش لصغر سنه ، وأفضوا إلى أبي بكر بمخاوفهم من أن تنقضّ عليهم بعض قبائل العرب المتربصة بالمسلمين وجماعات المرتدين الذين نفضوا أيديهم من الإسلام ، منتهزين فرصة خروج الجيش من المدينة ، وأظهروا له تخوفهم من أن تفترق عنه جماعة المسلمين ، فقال أبو بكر بثقةٍ ويقين: "والذي نفس أبي بكر بيده ، لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته". فلم يجد الصحابة بُدًّا من الإذعان لأمر الخليفة ، والامتثال له ، وخرج أبو بكر الصديق يشيّع الجيش وهو ماش وأسامة راكب ليشعرهم بإمارة أسامة فيسلموا له ولا يخالفوه ، وأحس أسامة بالحرج فأراد النزول عن دابته ، وقال: "يا خليفة رسول الله ، والله لتركبنّ أو لأنزلنّ". فقال أبو بكر: والله لا تنزل ، ووالله لا أركب ، وما عليَّ أن أغبّر قدمي في سبيل الله ساعة. وحينما حان الوداع خطب أبو بكر في رجاله قائلاً: "أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني: لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ، ولا بعيرًا إلا لمأكلة ، وسوف تمرون بأقوام قد فرّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرّغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنيةٍ فيها ألوان من الطعام ، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليه ، وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب ، فاخفقوهم بالسيف خفقاً ، اندفعوا باسم الله ، أقناكم الله بالطعن والطاعون". تلك الوصية الخالدة التي صارت تمثل دستور المسلمين في القتال ، وتعبر عن مدى ما بلغه المسلمون من تحضر وإنسانية في الحروب ، في عصور ساد فيها الجهل وفشت الفوضى والغوغاء ، وسيطرت الهمجية على الأمم والشعوب. ولم يخيب أسامة رجاء الخليفة فيه ، فقد استطاع أن يحرز النصر على الروم ، واقتحم تخومهم ، وتوغل في ديارهم ثم عاد بجيشه إلى المدينة ، وقد حقق الغاية التي خرج من أجلها وهي تأمين حدود الدولة الإسلامية ، وإلقاء الرهبة والهيبة في قلوب الروم ، فلا يحاولون التحرش بالمسلمين ، كما أدت إلى كف عرب الشمال عن محاولات التعرض للمدينة والهجوم عليها. حرب المرتدين انتهزت بعض القبائل التي لم

يتأصل الإسلام في نفوسها انشغال المسلمين بوفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) واختيار خليفة له ، فارتدت عن الإسلام ، وحاولت الرجوع إلى ما كانت عليه في الجاهلية ، وسعت إلى الانشقاق عن دولة الإسلام والمسلمين سياسياً ودينياً ، واتخذ هؤلاء من الزكاة ذريعة للاستقلال عن سلطة المدينة، فامتنعوا عن إرسال الزكاة وأخذتهم العصبية القبلية ، وسيطرت عليهم النعرة الجاهلية. واستفحل أمر عدد من أدعياء النبوة الذين وجدوا من يناصرونهم ويلتفون حولهم ، فظهر "الأسود العنسي" في اليمن ، واستشرى أمر "مسيلمة" في اليمامة ، و"سجاح بنت الحارث" في بني تميم ، و"طلحة بن خويلد" في بني أسد ، و"لقيط بن مالك" في عُمان. وكان هؤلاء المدعون قد ظهروا على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) ولكن لم يستفحل أمرهم ويعظم خطرهم إلا بعد وفاته. وقد تصدى أبو بكر الصديق لهؤلاء المرتدين بشجاعةٍ وجُرأةٍ وإيمان ، وحاربهم بالرغم من معارضة بعض الصحابة له ، وكان بعضهم يدعوه إلى الرفق بهم والصبر عليهم ، فيجيب في عزم قاطع: "والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لقاتلتهم عليه ، والله لأقاتلن من فرَّق بين الزكاة والصلاة". وأرسل أبو بكر الصديق الجيوش لقتالهم حتى قضى على فتنتهم ، وأعاد تلك القبائل على حظيرة الإسلام ، وقد اتسم أبو بكر الصديق ببعد النظر والحكمة وذلك بإصراره على التصدي لهؤلاء المرتدين ، ورفض المساومة على فرض من فروض الدين ، فقد قطع بذلك عليهم الطريق إلى المزيد من المساومات ، كما كان ذلك إعلاناً واضحاً أنه لا تهاون ولا تنازل في أمر يخص الدين أو يتعلق بالعقيدة ، أمام كل من تسول له نفسه من القبائل أن يحذو حذو هؤلاء. جمع القرآن الكريم استشهد عدد كبير من كبار الصحابة ممن يحفظون القرآن الكريم في حروب الردة التي استغرقت أكثر عهد الصديق ، وقد زاد من جزع المسلمين لاستشهاد هؤلاء الأعلام من الصحابة ما يمثله فقد هؤلاء من خطر حقيقي على القرآن الكريم والسنة المشرفة ، وكان عمر بن الخطاب من أوائل الذين تنبّهوا إلى ذلك الخطر ، وبعد تفكير عميق هداه الله إلى فكرة جمع القرآن الكريم ، فلما عرض ذلك على أبي بكر تردد في أول الأمر وقال: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟ ولكن عمر ظل يراجعه ويجادله حتى شرح الله صدره لهذا الأمر ، واقتنع برأي عمر فدعا زيد بن ثابت وكلفه بتنفيذ تلك المهمة الجليلة ، فانطلق زيد يجمع القرآن الكريم من الرقاع والعظام وجريد النخل والحجارة الرقيقة ، ثم أخذ يرتبه في آيات وسور ، واتبع في ذلك طريقة عملية دقيقة مُحكّمة ، فكان لا يثبت آية إلا إذا اطمأن إلى ثبوتها بشهادة العدول من الصحابة الحفاظ ، ولا يمنعه من ذلك أنه يحفظ القرآن حتى أتم تسجيله وتدوينه ، كما نزل على النبي (صلى الله عليه وسلم). فكان ذلك العمل هو أعظم أعمال الصديق على الإطلاق على كثرة أعماله وعظمة إنجازاته ، فقد ساهم في حفظ كتاب الله من الضياع ، وصانه من الوهم والخطأ واللحن. وفاته وتُوفي أبو بكر الصديق يوم الجمعة (21 من جمادى الآخرة 13 هـ = 22 من أغسطس 634م) ، ودفن مع النبي (صلى الله عليه وسلم) في بيت عائشة (رضي الله عنها) ، وقد اختُلف في سبب وفاته ، فذكروا أنه اغتسل في يوم حار فحمّ ومرض خمسة عشر يومًا حتى مات وقيل بأنه أصيب بالسل ، وقيل أنه سُمّ ، وقد رثاه عمر فقال: "رحم الله أبا بكر فقد كلف من بعده تعباً". كما رثاه الشاعر حسان بن ثابت الأنصاري – رضي الله تعالى عنه -! ويقول الأستاذ الأديب عبد الرحمن بن عبد الله السحيم عن الصديق أبي بكر – رضي الله تعالى عنه -: ما نصه بتصرف زهيد: (ما حاز الفضائل رجل كما حازها أبو بكر رضي الله عنه. فهو أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه

وسلم).هـ. قال ابن عمر رضي الله عنهما: كنا نخيّر بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، فنخيّر أبا بكر ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم. رواه البخاري. وروى البخاري عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أما صاحبكم فقد غامر. وقال: إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء ، فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى عليّ ، فأقبلت إليك فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر - ثلاثاً - ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثَمّ أبو بكر؟ فقالوا: لا ، فأتى إلى النبي فجعل وجه النبي صلى الله عليه وسلم يتمعّر ، حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله والله أنا كنت أظلم - مرتين - فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت ، وقال أبو بكر: صَدَق ، وواساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركو لي صاحبي – مرتين - فما أوذي بعدها. وهو ثاني اثنين في الغار مع نبي الله صلى الله عليه وسلم. قال سبحانه وتعالى: (ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا). قال السهيلي: ألا ترى كيف قال: لا تحزن ولم يقل لا تخف؟ لأن حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم شغله عن خوفه على نفسه. وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه حدّثه قال: نظرتُ إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه. فقال: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ ولما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخل الغار دخل قبله لينظر في الغار لئلا يُصيب النبي صلى الله عليه وسلم شيء. ولما سارا في طريق الهجرة كان يمشي حينا أمام النبي صلى الله عليه وسلم وحينا خلفه وحينا عن يمينه وحينا عن شماله. ولذا لما ذكر رجال على عهد عمر رضي الله عنه فكأنهم فضّلوا عمر على أبي بكر رضي الله عنهما ، فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فقال: والله لليلة من أبي بكر خير من آل عمر ، وليوم من أبي بكر خير من آل عمر ، لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لينطلق إلى الغار ومعه أبو بكر ، فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه ، حتى فطن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا أبا بكر مالك تمشي ساعة بين يدي وساعة خلفي؟ فقال: يا رسول الله أذكر الطلب فأمشي خلفك ، ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك. فقال: يا أبا بكر لو كان شيء أحببت أن يكون بك دوني؟ قال: نعم والذي بعثك بالحق ما كانت لتكون من مُلمّة إلا أن تكون بي دونك ، فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله حتى استبرئ الجحرة ، فدخل واستبرأ ، قم قال: انزل يا رسول الله ، فنزل. فقال عمر: والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر. رواه الحاكم والبيهقي في دلائل النبوة. وقد أُمِرنا أن نقتدي بهم ، كما في قوله عليه الصلاة والسلام: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ. رواه الإمام أحمد والترمذي وغيرهما ، وهو حديث صحيح بمجموع طرقه. واستقر خليفة للمسلمين دون مُنازع ، ولقبه المسلمون بـ "خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم". وفي الصحيحين عن عائشةَ رضي اللّهُ عنها قالت: لما مَرِضَ النبيّ صلى الله عليه وسلم مرَضَهُ الذي ماتَ فيه أَتاهُ بلالٌ يُؤْذِنهُ بالصلاةِ فقال: مُروا أَبا بكرٍ فلْيُصَلّ. قلتُ: إنّ أبا بكرٍ رجلٌ أَسِيفٌ [وفي رواية: رجل رقيق] إن يَقُمْ مَقامَكَ يبكي فلا يقدِرُ عَلَى القِراءَةِ. قال: مُروا أَبا بكرٍ فلْيُصلّ. فقلتُ مثلَهُ: فقال في الثالثةِ - أَوِ الرابعةِ -: إنّكنّ صَواحبُ يوسفَ! مُروا أَبا بكرٍ فلْيُصلّ فصلّى. ولذا قال عمر رضي الله عنه: أفلا نرضى لدنيانا من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا؟! وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله

عنها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه: ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى اكتب كتاباً ، فإني أخاف أن يتمنى متمنٍّ ويقول قائل: أنا أولى ، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر. وجاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكلمته في شيء فأمرها بأمر ، فقالت: أرأيت يا رسول الله إن لم أجدك؟ قال: إن لم تجديني فأتي أبا بكر. رواه البخاري ومسلم. وقال عليه الصلاة والسلام: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر. رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه ، وهو حديث صحيح. وكان أبو بكر ممن يُفتي على عهد النبي صلى الله عليه وسلم. ولذا بعثه النبي صلى الله عليه وسلم أميراً على الحج في الحجّة التي قبل حجة الوداع. روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعثني أبو بكر الصديق في الحجة التي أمره عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حجة الوداع في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر: لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عُريان. وأبو بكر رضي الله عنه حامل راية النبي صلى الله عليه وسلم يوم تبوك. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق ، فوافق ذلك مالاً فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً. قال: فجئت بنصف مالي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله ، وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال: يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟ فقال: أبقيت لهم الله ورسوله! قال عمر قلت: والله لا أسبقه إلى شيء أبداً. رواه الترمذي. قال عمرو بن العاص لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة. قال: قلت: من الرجال؟ قال: أبوها. رواه مسلم. وروى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وقال: إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله. قال: فبكى أبو بكر ، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خير ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المُخير ، وكان أبو بكر أعلمنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن مِن أمَنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخوة الإسلام ومودته ، لا يبقين في المسجد باب إلا سُدّ إلا باب أبي بكر. ومن فضائله رضي الله عنه أن الله زكّاه! قال سبحانه وبحمده: (وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى * إِلا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى).وهو من السابقين الأولين بل هو أول السابقين! قال سبحانه: (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ). وقد زكّاه النبي صلى الله عليه وسلم! فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة". قال أبو بكر: إن أحد شقي ثوبي يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنك لست تصنع ذلك خيلاء. رواه البخاري في فضائل أبي بكر رضي الله عنه. ومن فضائله رضي الله عنه أنه يُدعى من أبواب الجنة كلها! قال عليه الصلاة والسلام: من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دُعي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير ؛ فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة! ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الصيام وباب الريان . فقال أبو بكر: ما على هذا الذي يدعى من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يُدعى منها كلها أحد يا رسول الله؟ قال : نعم ، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر. رواه البخاري ومسلم. ومن فضائله أنه جمع خصال الخير في يوم واحد! روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله

عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أصبح منكم اليوم صائما؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة. ومن فضائله رضي الله عنه أن وصفه رجل المشركين بمثل ما وصفت خديجة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولما ابتلي المسلمون في مكة واشتد البلاء خرج أبو بكر مهاجراً قِبل الحبشة حتى إذا بلغ بَرْك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارَة ، فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي فأنا أريد أن أسيح في الأرض فأعبد ربي. قال ابن الدغنة: إن مثلك لا يخرج ولا يخرج فإنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكَلّ وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ، وأنا لك جار فارجع فاعبد ربك ببلادك ، فارتحل ابن الدغنة فرجع مع أبي بكر فطاف في أشراف كفار قريش فقال لهم: إن أبا بكر لا يَخرج مثله ولا يُخرج ، أتُخرجون رجلاً يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق؟! فأنفذت قريش جوار ابن الدغنة وآمنوا أبا بكر وقالوا لابن الدغنة: مُر أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصل وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به ، فإنا قد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا! قال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر فطفق أبو بكر يعبد ربه في داره ولا يستعلن بالصلاة ولا القراءة في غير داره ، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره وبرز فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون وينظرون إليه! وكان أبو بكر رجلاً بكّاءً لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغنة ، فقدم عليهم فقالوا له: إنا كنا أجرنا أبا بكر على أن يعبد ربه في داره ، وإنه جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره وأعلن الصلاة والقراءة وقد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا ، فأته فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل ، وإن أبى إلاّ أن يعلن ذلك فَسَلْهُ أن يرد إليك ذمتك فإنا كرهنا أن نخفرك ، ولسنا مُقرين لأبي بكر الاستعلان. قالت عائشة فأتى ابن الدغنة أبا بكر فقال: قد علمت الذي عقدت لك عليه فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترد إلي ذمتي فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له قال أبو بكر: إني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله. رواه البخاري. وكان عليّ رضي الله عنه يعرف لأبي بكر فضله! قال محمد بن الحنفية: قلت لأبي – علي بن أبي طالب رضي الله عنه -: أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر ، وخشيت أن يقول عثمان قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين. رواه البخاري. وقال عليّ رضي الله عنه: كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعني الله به بما شاء أن ينفعني منه ، وإذا حدثني غيره استحلفته ، فإذا حلف لي صدقته ، وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من عبد مؤمن يذنب ذنباً فيتوضأ فيحسن الطهور ثم يصلي ركعتين فيستغفر الله تعالى إلا غفر الله له ثم تلا: (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم) الآية. رواه أحمد وأبو داود. ولم يكن هذا الأمر خاص بعلي رضي الله عنه بل كان هذا هو شأن بنِيه! قال الإمام جعفر لصادق: أولدني أبو بكر مرتين. وسبب قوله: أولدني أبو بكر مرتين ، أن أمَّه هي فاطمة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر ، وجدته هي أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر. فهو يفتخر في جّدِّه ثم يأتي من يدّعي اتِّباعه ويلعن جدَّ إمامه؟ قال جعفر الصادق لسالم بن أبي حفصة وقد سأله عن أبي بكر وعمر ، فقال: يا سالم تولَّهُما ، وابرأ من

عدوهما ، فإنهما كانا إمامي هدى ، ثم قال جعفر: يا سالم أيسُبُّ الرجل جده؟ أبو بكر جدي ، لا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما وأبرأ من عدوهما. وروى جعفر بن محمد – وهو جعفر الصادق - عن أبيه – وهو محمد بن علي بن الحسين بن علي – رضي الله عنهم أجمعين ، قال: جاء رجل إلى أبي – يعني علي بن الحسين ، المعروف والمشهور بزين العابدين - فقال: أخبرني عن أبي بكر؟ قال: عن الصديق تسأل؟ قال: وتسميه الصديق؟! قال: ثكلتك أمك ، قد سماه صديقاً من هو خير مني ؛ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرون والأنصار ، فمن لم يُسمه صدِّيقاً ، فلا صدّق الله قوله ، اذهب فأحب أبا بكر وعمر وتولهما ، فما كان من أمر ففي عنقي! ولما قدم قوم من العراق فجلسوا إلى زين العابدين ، فذكروا أبا بكر وعمر فسبوهما ، ثم ابتركوا في عثمان ابتراكا ، فشتمهم. وابتركوا: يعني وقعوا فيه وقوعاً شديداً. وما ذلك إلا لعلمهم بمكانة وزيري رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبمكانة صاحبه في الغار ، ولذا لما جاء رجل فسأل زين العابدين: كيف كانت منزلة أبي بكر وعمر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فأشار بيده إلى القبر ثم قال: لمنزلتهما منه الساعة. قال بكر بن عبد الله المزني رحمه الله: "ما سبقهم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام ، ولكن بشيء وَقَرَ في قلبه". وجمع بيت أبي بكر وآل أبي بكر من الفضائل الجمة الشيء الكثير الذي لم يجمعه بيت في الإسلام! فقد كان بيت أبي بكر رضي الله عنه في خدمة النبي صلى الله عليه وسلم ، كما في الاستعداد للهجرة ، وما فعله عبد الله بن أبي بكر وأخته أسماء في نقل الطعام والأخبار لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه في الغار. وعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم هي بنت أبي بكر رضي الله عنه وعنها. قال ابن الجوزي رحمه الله: "أربعة تناسلوا رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبو قحافة وابنه أبو بكر وابنه عبد الرحمن وابنه محمد". ومن أعماله قبل الهجرة أنه أعتق سبعة كلهم يُعذّب في الله ، وهم: بلال بن أبي رباح ، وعامر بن فهيرة ، وزنيرة الأمة ، والنهدية وابنتها ، وجارية بني المؤمل ، وأم عُبيس. ومن أعظم أعماله التي قام بها بعد تولّيه الخلافة حرب المرتدين! فقد كان رجلا رحيما رقيقاً ولكنه في ذلك الموقف ، في موقف حرب المرتدين كان أصلب وأشدّ من عمر رضي الله عنه الذي عُرِف بالصلابة في الرأي والشدّة في ذات الله! روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: "لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم واستُخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب ، قال عمر: يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمِرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله؟ قال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها. قال عمر: فو الله ما هو إلا أن رأيت أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق. لقد سُجِّل هذا الموقف الصلب القوي لأبي بكر رضي الله عنه حتى قيل: نصر الله الإسلام بأبي بكر يوم الردّة ، وبأحمد يوم الفتنة. فحارب رضي الله عنه المرتدين ومانعي الزكاة ، وقتل الله مسيلمة الكذاب في زمانه. ومع ذلك الموقف إلا أنه أنفذ جيش أسامة الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم أراد إنفاذه نحو الشام. وفي عهده فُتِحت فتوحات الشام ، وفتوحات العراق. وفي عهده جُمع القرآن ، حيث أمر رضي الله عنه زيد بن ثابت أن يجمع القرآن. وكان عارفاً بالرجال ، ولذا لم يرضَ بعزل خالد بن الوليد ، وقال: والله لا أشيم سيفاً سله الله على عدوه حتى يكون الله هو يشيمه. رواه الإمام أحمد وغيره. وفي عهده وقعت وقعة ذي القَصّة ، وعزم

على المسير بنفسه حتى أخذ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بزمام راحلته وقال له: إلى أين يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أقول لك ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحد: شِمْ سيفك ولا تفجعنا بنفسك. وارجع إلى المدينة ، فو الله لئن فُجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبداً ، فرجع أبو بكر رضي الله عنه وأمضى الجيش. وكان أبو بكر رضي الله عنه أنسب العرب ، أي أعرف العرب بالأنساب. ومع هذا كله كان الصديق من أزهد الناس! فلقد مات أبو بكر رضي الله عنه وما ترك درهماً ولا ديناراً! عن الحسن بن علي رضي الله عنه قال: لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه قال: يا عائشة انظري اللقحة التي كنا نشرب من لبنها والجفنة التي كنا نصطبح فيها والقطيفة التي كنا نلبسها ، فإنا كنا ننتفع بذلك حين كنا في أمر المسلمين ، فإذا مت فارديه إلى عمر ، فلما مات أبو بكر رضي الله عنه أرسلت به إلى عمر رضي الله عنه فقال عمر رضي الله عنه: رضي الله عنك يا أبا بكر لقد أتعبت من جاء بعدك. وكان أبو بكر رضي الله عنه ورعاً زاهداً في الدنيا حتى لما تولى الخلافة خرج في طلب الرزق فردّه عمر واتفقوا على أن يُجروا له رزقا من بيت المال نظير ما يقوم به من أعباء الخلافة. قالت عائشة رضي الله عنها: كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج ، وكان أبو بكر يأكل من خراجه ، فجاء يوماً بشيء ، فأكل منه أبو بكر ، فقال له الغلام: تدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهّنت لإنسان في الجاهلية وما أحسن الكهانة إلا أني خدعته ، فلقيني فأعطاني بذلك فهذا الذي أكلت منه ، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه. رواه البخاري. بارك الله في الدكتور السحيم وغفر له! فلقد أبدع في إيراد هذه الزبَد من حياة الصديق رضي الله تعالى عنه! أفلا يقرأ هذا الكلام أولئك الأفاكون الكذابون الوضاعون البلهاء السفهاء اذين لا تكف ألسنتهم – أخرسها الله – عن النيل من أبي بكر صباحاً ومساءً؟! إنهم لما خونوا الصحابة حرمهمُ الله تعالى الخير الكثير! وانطلقوا للتاريخ يجمعون الأخبار! والأحاديث الملفقة التي ما صحت أسانيدها فضلاً عن متونها! وراحوا يتلقفون العلل والأكاذيب والتلفيقات المزورة المفبركة وكالوا الدجل والأغاليط والأباطيل عن أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – وعلى رأسهم الصديق أبو بكر وعمر بن الخطاب! وزاد الأمر سوءاً وانحطاطاً بأن يسبون الصحابة ويلعنونهم! فكانت هذه البردة في الانتصار للصيق – رضي الله تعالى عنه – وهي خطوة على الطريق! ولا أزعم لها الكمال! بل هو شرف المحاولة ليس إلا!

يـــا ثـــانيَ اثنـــين نَعـــمَ الصِـــهرُ والسَـــلفُ! أطريـــك بالشـــعر مَمْنونـــاً ، وأنتصِـــفُ

مَـــن ذا يُباريـــك فـــي عِـــز وفـــي نسَـــب والنـــاسُ بالنســـب العـــالي لـــك اعترفـــوا؟

أمّـــنْ يُضـــاهيك فـــي الفضـــائل اقتصـــرتْ عليـــك وحـــدك فـــي كـــل الألـــى سَـــلفوا؟

أمّـــن يُحاكيـــك فـــي القبيلـــة اتسَـــمتْ بخيـــر وصْـــفٍ بـــه الأبـــاة كـــم هتفـــوا؟!

أمـــن يُســـاميك فـــي الألقـــاب قـــد خلعـــتْ عليـــك فـــي القـــوم هـــم لقولهـــا ألفـــوا؟

مَكـــيّ مـــن أشـــرف الأعـــراب أجمعِهـــم وهـــل علـــى مَجـــدها الأشـــاوسُ اختلفـــوا؟

مِـــن آل (تَـــيْم) وهـــم أماجـــدٌ صُـــدُقٌ قـــريشُ والتـــيمُ صِـــيتٌ كلـــه شَـــرف

قبيلـــة أشـــرقتْ فـــي العُـــرب سِـــيرتُها ... دُرٌ يُغلفـــــه اللحـــــاءُ والصَـــــدَف

ووالـــدٌ ضـــاربٌ فيهـــا بســـهم عُـــلا ... ففـــي الذؤابـــة مِـــن أهـــل الحِجـــا يقـــف

(أبـــو قحافـــة) فـــي (تـــيم) كبـــدر دُجـــىً ... وزادَهُ ألقـــاً بـــين الـــورى الحَنـــف

ويـــومَ أســـلمَ حـــاز الفخـــرَ عـــن رغـــب ... وحُـــط عنـــه الـــذي قـــد كـــان يَقتـــرف

أتـــى نبـــيَ الهُـــدى والـــرأسُ ثاغمـــة ... والعقـــلُ مُتـــزنٌ فمـــا بـــه خَـــرَف!

فقـــال: هـــلا أتيـــتُ الشـــيخ أرحمـــهُ ... مـــن مُؤنـــة الســـير تؤذيـــهِ وتعتسِـــف؟

نبينـــا رحمـــة للعـــالمين أتـــتْ ... والصـــحبُ مـــن بعـــده القـــدواتُ والســـلف

قـــال: اخضِـــبوا الشـــيبَ صُـــبوا فوقـــه كتمـــاً ... حتـــى نـــراه عـــن الثغـــام يَختلـــف!

أمـــا (العتيـــقُ) فمحبـــورٌ بوالـــده ... إذ بـــات بـــالحق والإســـلام يلتحـــف

والأم (ســـلمى) خِـــلالَ الخيـــر قـــد جَمعـــتْ ... ذي (أم خيـــر) بهـــذا الإســـم تتصـــف!

وعـــاد داعيـــة فـــي الأهـــل مُبتشـــراً ... يـــدعو ويصـــبر نعـــمَ الـــواعظ الألـــف!

فأســـلمتْ زوجُـــه والأهـــلُ قاطبـــة ... خلـــفَ (العتيـــق) جميـــعُ الأهـــل قـــد وقفـــوا

هـــذا (أبـــو بكـــر) الـــدنيا تـــوقرُهُ ... ولـــيس يبغضـــه إلا الألـــى انحرفـــوا

والغـــارُ يشـــهدُ بالمَعيـــة احتفلـــتْ ... بهـــا التـــراجُمُ والأســـفارُ والصـــحُف

يقـــولُ: يُبْصـــرُنا الكفـــارُ لـــو نظـــروا ... أقـــدامُهم ، وأنـــا واللهِ أرتجـــف!

فقـــال (أحمـــدُ) يـــا صُـــويحبي لا تخـــفْ ... لـــن يغلـــبَ الحـــقَ ذاك الباطـــلُ الصـــلِف

واللهُ يـــا صـــاحبي بعِلمـــه مَعنـــا ... آمـــنْ بربـــك لا تعبـــأ بمـــن صـــدِفوا!

اثنـــان نحـــن ، ورب النـــاس ثالثنـــا ... لا تخـــشَ بطشـــتهم ومـــا لـــه هـــدِفوا!

هـــذا (أبـــو بكـــر) الـــديارُ تشـــهده ... مُـــوكَلاً بـــدياتٍ كالهـــا الجنـــف

فـــي الجاهليـــة لـــم تســـقط بـــه ديـــة ... بـــل كـــان يقضـــي بهـــا قســـراً لمـــن ضـــعفوا

وجبهـــة الشـــهم للأصـــنام مـــا ســـجدتْ ... شـــأنَ الـــذين علـــى أصـــنامهم عكفـــوا

ولـــــم يكـــــنْ يقتـــــل الأولاد تلبيـــــة ... لـــوازع العُـــرف ، بـــئسَ الطبـــعُ والعُـــرُف

لأن فطرتـــــــه تـــــــأبى مَخـــــــارفهم ... فجُـــلّ شُـــبانهم والشـــيبِ قـــد خرفـــوا

وكـــــان يـــــرحمُ مســـــكيناً ومبتئســـــاً ... طغـــى عليـــه الضـــنا والقهـــرُ والشـــظف

وكـــــان يأســـــى إذا مـــــا شـــــاف أرملـــــة ... يـــود لـــو صـــدّ مَـــن حقوقهـــا اعتســـفوا

وكـــــان يُكـــــرمُ أيتامـــــاً ويَكفلهـــــم ... وكـــان يـــأتي لهـــم بالشـــيء هـــم شـــغفوا

وأولٌ هـــو فـــي الرجـــال قـــد تبعـــوا ... هَـــدْي النبـــي ، وفـــي حيـــاتهم حَنِفـــوا

وأولٌ هـــو فـــي المحبـــة ارتفعـــتْ ... لأوْجهـــا ، واســـتمى الـــودادُ والشـــغف!

وأولٌ هـــو فـــي الإنفـــاق مـــا بـــذلتْ ... كبذلـــه أبـــداً كفـــوفُ مَـــن صـــرفوا

لـــم يخـــش فقـــراً ولا ضِـــيقاً ولا عـــوزاً ... ولـــم يُهـــدِهْ إمـــلاقٌ ولا تلـــف

وجـــاء والـــدُه للبيـــت يســـبقه ... حِـرصُ المُفـاوض لـم يَغمُـض لـه طـرف

يقـــول: هـــذا عتيـــقٌ جـــادَ مُنـــدفعاً ... لـــم يُبـــق للأهـــل دُرّاتٍ بهـــن كُفـــوا!

فأقبلـــتْ بنتُـــه (أســـماءُ) حاملـــة ... بعـــضَ الحصـــى جَمعـــتْ شَـــتاته الشـــعُف

تقـــول: هـــذي بقايـــا المـــال خلفهـــا ... أبـــي ، فأبشـــرْ ولا يرُجّـــك الأســـف!

فقـــال: أســـعدْتِني ، فلـــم يعُـــدْ قلـــقٌ ... ولـــم يعـــدْ أرقٌ فـــي القلـــب أو أفـــف!

وفـــي (تبـــوكٍ) أبـــو بكـــر يُجهزهـــا ... وبُغيـــة العـــف مـــن إلهـــه الزلـــف!

إذ جهـــز الجـــيشَ تجهيـــزاً يتيـــهُ بـــه ... كـــي لا يســـود بهـــذا العـــالم الغســـف

يريـــدُ نصـــرَ جنـــود الله ، يَـــدْعمهم ... فحبـــذا رغبـــة! وحبـــذا الهـــدف!

ولـــم يقـــلْ عـــن (تبـــوكٍ) كـــم تُكلفنـــي ... بـــل قـــال: يـــا حبـــذا التكليـــفُ والكُلـــف!

وحَـــجّ بالصـــحب فـــي مكـــان قائـــدهم ... فلـــم يُصِـــبه غـــرورُ الـــنفس والصـــلف!

ووقـــر الصـــحبُ حجـــاً كـــان قائـــده ... وثمّنـــوا بذلـــه جـــداً ومـــا أنفـــوا!

وكـــان خلّفـــه النبـــيُ فـــي مـــرض ... نعـــمَ الخليفـــة والتخليـــفُ والخلـــف!

وجـــيء بالمصـــطفى يـــؤمّ أمتـــه ... والصـــحبُ مِـــن حُـــبهم عليـــه قـــد عطفـــوا

أمـــا (العتيـــقُ) ففـــوراً عـــاد خطوتـــه ... إلـــى الـــورا خلـــفَ مَـــن خِلافـــه وقفـــوا

فقـــال (أحمـــدُ): يـــا صـــديقُ أمّ بنـــا ... فـــلا يكـــون مِـــن المِحـــراب منصـــرف!

أنـــت الإمـــامُ فكـــنْ بـــالأمر مشـــتغلاً ... والأمـــرُ جـــدٌ ، فـــلا لـــينٌ ولا طـــرَف!

وكنـــت أهـــلاً لِمَـــا المُختـــارُ رَشّـــحه ... مِـــن الإمامـــة بالتوحيـــد تلتحـــف

خليفـــة لـــم تـــرَ الـــدنيا لـــه شَـــبهاً ... فـــلا عُلـــوٌ علـــى الأنـــام أو تـــرف

ولا تـــرَبّحَ مِـــن وظيفـــةٍ وُكِلـــتْ ... إليـــه مثـــل الألـــى تُغـــريهمُ الوُظـــف

تكليـــفٌ الأمـــرُ لا تشـــريفَ يدمغـــه ... ولـــيس ســـيفَ أذىً يعلـــو بـــه الطلـــف

وبـــايعَ الكـــلُ فـــي سِـــر وفـــي علـــن ... مِـــن بعـــد أن رحـــلَ النبـــي ، واختلفـــوا

بكـــوا كثيـــراً علـــى رحيـــل أســـوتهم ... وعـــن حقيقـــة حُـــب المُجتبـــى كشـــفوا

لكـــنهم وجـــدوا صِـــدّيقهم جـــبلاً ... مـــن الثبـــات ، يُواســـي الـــدمّ قـــد نزفـــوا

مِـــن بعـــد أن وقـــفَ (الفـــاروق) يُعلنهـــا ... وللكـــلام صَـــدىً بالبـــأس يتصـــف

يقـــول مختارنـــا مضـــى لموعـــدةٍ ... مـــع المليـــك ، فـــلا حـــزنٌ ولا أســـف

وســـوف يـــأتي كمـــا (موســـى) الكلـــيمُ أتـــى ... وإن ذا قـــدرٌ ، ومـــا بـــه صُـــدَف!

ومَـــن يقـــلْ مـــات فالحســـامُ مَوعـــدُه ... يمـــوتُ نـــاسٌ إذا فـــي قـــولهم هرفـــوا

بالســـيف أحصـــدُ مَـــن بانـــت ســـخافتُه ... ولســـتُ أســـمعُ مَـــن أقـــوالهم ســـخف

فقـــامَ صِـــدّيقنا خطيـــبَ منبـــره ... والعلـــمُ فـــي قلبـــه والفقـــهُ والثقـــف

حتـــى يُعـــالجَ مَـــن خـــارتْ عـــزائمُهم ... وشـــفها الوجـــدُ والإيـــلامُ والرجَـــف

فقـــال: يـــا أيهـــا الأقـــوامُ فاســـتمعوا ... وأنصـــتوا للـــذي أقـــولُ ، واعترفـــوا

مَـــن كـــان يعبـــدُ فـــي الـــدنيا (محمـــدَنا) ... فإنـــه مـــات ، يـــا عُبّـــادُ فانصـــرفوا!

ومَـــن لـــرب الســـما قـــد عـــاشَ يعبـــدُه ... وبالإطاعـــة للـــرحمن مُتصـــف

فـــإن رب الســـما لا مـــوت يُدركُـــه! ... إن الإلـــه عـــن المخلـــوق مختلـــف

نمـــــوتُ نحـــــن ، ويبقـــــى الله خالقنـــــا ... إنـــي أخاطـــبُ مَـــن لانـــوا أو ارتجفـــوا

عُـــودوا لرُشْـــدِكمُ يـــا قـــوم ، واعتـــدلوا ... ولا يُضـــــلنكم زيـــــغ ولا سَـــــرف!

أقـــــول أنصـــــحكم ، واللهُ ســـــائلني ... وكـــم عـــذرتُ الألـــى فـــي كـــربهم ضـــعفوا!

بـــــايعتموني علـــــى كـــــوني خليفـــــتكم ... هـــــل مـــــنكمُ أحـــــدٌ علـــــيّ مختلـــــف؟

قلـــتم: رضـــينا! وإنـــي اليـــوم فـــي مِحـــن ... ولســـــتُ للأمـــــر أســـــبيه وأختطـــــف

إمـــــا اســـــتقمتُ فعـــــوني واجـــــبٌ أبـــــداً ... والســـــيفُ يَقصـــــمني إن كنـــــتُ أنحـــــرف!

أســـــقطتُ كـــــل حقـــــوقي فـــــي خلافـــــتكم ... والواجبـــــات أنـــــا بهـــــا ســـــألتحف

والجـــيشَ أرســـلتُ كـــي يلقـــى (مُســـيلمة) ... فقـــــد تملكـــــه الغـــــرورُ والصـــــلف

فقـــــال: إنـــــي رســـــولٌ ، فـــــاقتفوا أثـــــري ... ودعـــــوة الغِـــــر مثـــــلُ الـــــثلج تَرتكِـــــف

راجـــــتْ وأيّـــــدَها أعتـــــى جـــــلاوذةٍ ... مِـــــن الـــــذين ســـــبا عقـــــولهم خـــــرف

وبـــــاء بالنصـــــر جـــــيشٌ أنـــــت قائـــــده ... وجنـــدُك الشـــم جـــيشَ الكفـــر قـــد نســـفوا

وإن تـــــراهُ بـــــ (أجنـــــادينَ) منتصـــــراً ... والجنـــدُ عـــن عـــزة الإســـلام قـــد كشـــفوا

و(مَـــرْج صُـــفرنا) بالنصـــر قـــد ظفـــرتْ ... علـــى الأعـــادي الألـــى بســـحْقنا هتفـــوا

والنصـــرُ باغـــت فـــي (اليرمـــوك) مَـــن دَحـــروا ... جنـــدَ العـــدا ببطـــولاتٍ بهـــا عُرفـــوا

حتـــــى إذا فتحـــــت (شـــــامٌ) و(حِيرتُنـــــا) ... وغـــرّدَ اليُســـر فـــي الأصـــقاع والثطـــف

الله أكبـــــر يـــــا صِـــــدّيق أمتنـــــا ... يـــا مَـــن قصـــيدتنا عنـــهُ لنـــا شـــرف!

(ابـــنُ الســـليمان) مَـــن حتـــى يُشـــرّفكم؟! ... إن صـــاغ عـــنكم فـــأهلوهُ بكـــم شَـــرُفوا

أعتقـــت ســـبعة أصـــحاب تريـــدُ لهـــم ... عيشـــاً كريمـــاً ففيـــه الـــرزقُ والكَنَـــف

أشـــفقت لمّـــا رأيـــت العبـــدَ مُنجـــدلاً ... علـــى البطـــاح ومِنـــه الـــدمُ يرتعـــف!

وكنـــتَ فـــي العلـــم والإفتـــاء مدرســـة ... منهـــا جميـــعُ الـــورى والصـــحب كـــم رشـــفوا

وكنـــتَ أتقـــى بـــنص الـــذكر نقرؤهـــا ... و(الليـــلُ) لـــيس مـــدى الأيـــام ينخســـف!

كنـــتَ اغتســـلت بليـــل بـــاردٍ فـــإذا ... بالليـــل يهـــديك أســـقاماً بهـــا التلـــف

فمـــت مـــن بعـــدها ، والنـــاسُ قـــد حزنـــوا ... وبالمصـــيبة فيـــك الكـــل قـــد أســـفوا!

عُقـــودَك الســـت يـــا صِـــديقنا انصـــرمتْ ... وجـــاءك المُنتهـــى للـــروح يقتطـــف

أســـلمت روحـــك للـــديان عـــن رغـــب ... وكلنـــا مِـــن كـــؤوس المـــوت نرتشـــف

ربـــاه فـــارضَ عـــن الصـــديق مـــا طلعـــتْ ... شـــمسٌ ، وبللـــتِ المَرابـــعَ النتـــف!

ودمـــــرَ اللهُ مَـــــن يُـــــزري بســـــيرته ... هـــل الغضـــنفرُ هـــل يُـــزري بـــه نغـــف؟!

يـــا رب صُـــنْ عِرضَـــه مـــن أن يُدنســـه ... قـــومٌ كِتـــابتُهم عنـــهُ هـــي القـــرف!

لا يُثبتـــون الـــذي يُلقـــون مِـــن شُـــبَهٍ ... وعنـــدهم يســـتوي الطعـــامُ والعلـــف!

لا نقـــل قـــد ظهـــرتْ لهـــم أدلتـــه ... والعقـــلُ أودى بـــه التزويـــرُ والخـــرف

يغـــالطون ، ومـــن يُصـــغي لـــذي غلـــطٍ ... ويهرفـــون بشـــيءٍ عنـــه مـــا عرفـــوا!

أراحـــك الله يـــا صـــديق مـــن بُهُـــم ... قـــد اســـتوى الـــثَخْن عنـــد العيـــر والعَجَـــف

فـــداك أمـــي أيـــا صِـــدّيقنا وأبـــي ... مـــا صُـــوّرتْ فـــي دجـــى أرحامِهـــا النطـــف

بُردة عائشة – معارضة لقصيدة الدكتور عائض القرني

(لقد قرأتُ الكثير عن أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر – رضي الله عنهما -! سواءً في ذلك لكُتاب من الأقدمين الغابرين أو من الحاضرين المعاصرين: نثراً وشعراً! حتى كانت بُردة الدكتور الشاعر عائض القرني عن عائشة بنت أبي بكر – رضي الله عنهما - ، فتواصلتُ معه وأرسل لي بعض أبياتها والتمستها كاملة ، وطالعتُها في نهم وشوق وتوأدة ، فألفيتُها مُعلقة مُذهبة حَولية مِيمية من عيون شعر العرب في الانتصار لأم المؤمنين عائشة! ولفرط إعجابي بها رأيتُ أن أعارضها ، ووعدتُ الدكتور بذلك! والحقيقة أننا أمام امرأةٍ عظيمةٍ ذاتِ مناقبَ وسجايا ، يعجز عن الإتيان بها الرجال! ونحن ننتصر لأمهاتنا في النسب ممن ينال منهن بحق أو بغير حق! فما بالنا لا ننتصر بالحق المحض لأمهاتنا في العقيدة والتوحيد؟ وخاصة إن كنا أمام واحدةٍ من النساء قد عقمتْ أرحامُ النساء في القديم والحديث عن أن تلد مثلها! امرأة بقامة عائشة بنت أبي بكر – رضي الله عنهما – جيرة بالدفاع عنها اليوم وأمس وغداً ضد الحملة المسعورة الملعونة التي تنال منها بالباطل! ألا لعنة الله والملائكة والناس أجمعين على كل من نال منها بالباطل! إننا أمام امرأةٍ ذاتِ مناقبَ وفضائلَ لا نكاد نجدها مجتمعة في امرأة مثلها! فمن فضائل أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ومناقب حبيبة رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: 1 - أنها أمُّ المؤمنينَ أمُّ عبدِ الله: عائشةُ بنتُ الإمام الصِّدِّيق الأكْبر ، خليفةِ رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - أبِي بَكْرٍ عبدِ الله بنِ أبي قُحَافةَ عثمانَ بنِ عامرِ بن عمرو بن كعْب بن سعْد بن تَيْم بن مُرَّة ، بن كعْب بن لُؤيٍّ ; القرشيَّة التيميَّة ، المكيَّة ، النبويَّة ، أم المؤمنين ، زَوْجة النبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - أفْقَه نِساءِ الأُمَّة على الإطلاق. وأمُّها هي: أُمُّ رُومانَ بنتُ عامرِ بن عُوَيمر ، بن عبدِ شمْس ، بن عتاب ابن أُذينة الكِنانية. وعلى هذا تكون عائشة بنت أبي بكر – رضي الله عنهما – في الذؤابة من حيث النسب العريق العظيم! هاجَر بعائشةَ أبواها ، وتزوَّجها نبيُّ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - قبل مُهاجرِه بعدَ وفاة الصِّدِّيقة خديجة بنت خُوَيلد – رضي الله عنها - ، وذلك قبلَ الهِجرة ببضعة عشَرَ شهرًا ، وقيل: بعامين ، ودخَل بها في شوَّال سَنةَ اثنتين مُنصرفَه - عليه الصلاة والسلام - مِن غزوةِ بدر ، وهي ابنةُ تِسْع ، فرَوَتْ عنه عِلمًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه ، وعن أبيها ، وعن عمر ، وفاطمة ، وسعْد ، وحمْزَة بن عمرو الأسْلمي ، وجُدَامَةَ بنتِ وهْب. 2- حُبُّ النبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - لها: فلقد اختارَها الله لنبيِّه ، حيثُ رآها في المنام ، كما جاء في الصحيحَيْن - واللَّفْظ لمسلِم - عن عائشةَ قالتْ: قال رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: (أُريتكِ في المنام ثلاثَ ليالٍ ، جاءَني بكِ المَلَك في سَرَقةٍ (قطعة) مِن حريرٍ ، فيقول: هذه امرأتُك ، فأَكْشِف عن وجْهِكِ ، فإذا أنتِ هي ، فأقول: إنْ يَكُ هذا مِن عندَ الله يُمضِه). وعن عمرِو بن العاص - رضي الله عنه - قال: بعَثَني رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - على جيشِ ذاتِ السلاسل ، قال: فأتيتُه قال: قلتُ: يا رسولَ الله ، أيُّ الناس أحبُّ إليك؟ قال: (عائشة) ، قال: قلت: فمِن الرِّجال؟ قال: (أبوها إذًا) ، قال: قلت: ثُمَّ مَن؟ قال: (عمر) ، قال: فعدَّ رِجالاً ؛ أخرجه الشيخان. 3- دعاءُ النبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - لها: عن عائشةَ قالت: لمَّا رأيتُ مِن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - طِيبَ النَّفْس قلت: يا رسولَ الله ، ادعُ اللهَ لي ، فقال: (اللهمَّ اغفرْ لعائشةَ ما تقدَّم مِن ذنبِها وما تأخَّر ، وما أسَرَّتْ وما أعْلَنتْ) ، فضحِكتْ عائشةُ حتى سقَط رأسها في حِجْرِ رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - من الضحِك ، فقال: (أيَسرُّكِ دُعائي؟) ، فقالت: وما لي لا يَسرُّني دعاؤك؟! فقال: (واللهِ إنَّها لدَعْوَتي)! أخرجه البزَّار في مسنده ، وحَسَّنه الألباني. 4- ثناءُ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم -

وصحابته عليها: عن أبي موسى الأشعريِّ - رضي الله عنه - قال: قالَ رسولُ اللَّهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم -: (كَمَلَ منَ الرِّجال كثيرٌ ، ولم يَكْمُلْ منَ النِّساءِ إلاَّ مريمُ بنتُ عِمرانَ ، وآسِيةُ امرأةُ فِرعونَ ، وفضْلُ عائشةَ على النِّساءِ كفَضْلِ الثَّرِيدِ على سائرِ الطعام). صحيح البخاري. وعَنْ عَائِشَةَ - رضِي الله عنها - قَالَتْ: قال - صلَّى الله عليه وسلَّم - يَوْمًا: (يا عائِشَ ، هَذا جبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلاَم) ، فَقُلْتُ: وَعليه السلام ورحْمَةُ اللَّهِ وبَرَكاتُه ، تَرَى ما لا أَرى - تُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ ، صلَّى الله عليه وسلَّم! رواه الشيخان - البخاريُّ ومسلم. وعن الحَكَمِ: سمعتُ أبا وائلٍ قال: "لَمَّا بعَثَ عليٌّ عَمَّارًا والحسنَ إلى الكوفَة ؛ ليستَنفِرَهم ، خَطبَ عمَّارٌ فقال: إنِّي لأعلمُ أنَّها زوجتُهُ في الدُّنيا والآخِرة ، ولكنَّ اللَّهَ ابتَلاكم ؛ لتتبعوهُ أو إيَّاها". رواه البخاري. وعَنْ أَنَسِ بن مالكٍ - رضي الله عنه - قال: سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - يَقولُ: (فَضْلُ عائِشَةَ على النِّساءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ على الطَّعام)! رواه الشيخان - البخاري ومسلم. 5- وأما عن عبادتها وزُهدها: فلقد كانتْ أُمُّ المؤمنين كثيرةَ الصيام ، حتى ضعُفت بنيتُها جداً ، كما جاء في السِّيَر للذهبي - رحمه الله تعالى - عن عبد الرحمن بن القاسِم ، عن أبيه: أنَّ عائشةَ كانتْ تصوم الدَّهْر. كما كانتْ زاهدةً في الدنيا ، فعَنْها قالت: "ما شَبِع آلُ محمَّد يومَيْن من خُبزِ بُرٍّ إلا وأحدهما تَمْر". متفق عليه. وعن عطاء: أنَّ معاويةَ بعَث إلى عائشةَ بقِلادةٍ بمائةِ ألْف ، فقسمتْها بيْن أمَّهات المؤمنين. وعن عُروةَ ، عن عائشة: أنَّها تصدَّقتْ بسَبْعِين ألفًا ; وإنَّها لتُرقِّع جانبَ دِرْعها - رضي الله عنها. وعن أُمِّ ذَرَّة ، قالت: بعَث ابنُ الزبير إلى عائشةَ بمالٍ في غِرَارتَيْن ، يكون مائة ألْف ، فدَعَتْ بطَبق ، فجعَلتْ تُقسم في الناس ، فلمَّا أمسَت ، قالت: هاتِي يا جاريةُ فُطوري ، فقالت أُمُّ ذَرَّة: يا أمَّ المؤمنين ، أمَا استطعتِ أن تشتري لنا لحمًا بدِرْهم؟! قالت: لا تُعنِّفيني ، لو أذْكَرتِني لفعلتُ. 6- فِقهُ وعِلم أمِّ المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -: قال الزُّهريُّ: لو جُمِع عِلمُ عائشة إلى عِلمِ جميعِ النساء ، لكان علمُ عائشةَ أفْضلَ. كما أنَّ الله قد وهَبَها الذكاءَ والفِطنة ، وسُرعةَ الحافظة ، قال ابن كثير: "لم يَكُن في الأُممِ مثلُ عائشةَ في حِفْظها وعِلْمها ، وفصاحتِها وعَقْلِها". ويقول الذهبيُّ: "أفْقَهُ نِساء الأمَّة على الإطلاق ، ولا أعْلمُ في أمَّة محمَّد ، بل ولا في النِّساء مُطلقًا امرأةً أعلمَ منها". وقدْ تجاوز عددُ الأحاديث التي روتْها ألْفَيْن ومائة حديث عن النبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - وهي مُشتَهِرة في كُتُب السُّنَّة: البخاري ومسلم ، والسُّنن والمسانيد ، وغيرها ؛ قال الحافظُ الذهبيُّ: مُسْنَد عائشة يبلُغ ألْفَين ومائتين وعشرة أحاديث ؛ اتَّفق البخاريُّ ومسلمٌ لها على مائةٍ وأربعةٍ وسبعين حديثًا ، وانفرَد البخاريُّ بأربعةٍ وخمسين ، وانفرد مسلِمٌ بتِسعة وستِّين. ويقول عُروةُ بنُ الزُّبَيْر: "ما رأيتُ أحدًا أعلمَ بفِقه ، ولا بِطبٍّ ولا بِشِعر من عائشةَ - رضي الله عنها". وقال فيها أبو عُمرَ بنُ عبد البرِّ: "إنَّ عائشةَ كانتْ وحيدةً بعصرها في ثلاثةِ علوم: علم الفقه ، وعلم الطب ، وعلم الشِّعر". كما كانتِ المرجعَ الكبيرَ لكِبار الصحابة ، خاصَّة عندَ المواقف والملمَّات ، كما كانتْ تُفتي بما لدَيْها من عِلمٍ وفِقه في عهد الخليفةِ عمرَ وعثمانَ - رضي الله عنهما - إلى أن تُوفِّيت - رحمها الله ورضي عنها. 7- نزول براءتِها مِن حادثة الإفْك من عندَ الله تعالى: وقدْ تعرَّضَتْ - رضِي الله عنها - إلى ابتلاءٍ شديد ، وفِتْنةٍ كبيرة ، حيث طَعَن في شرَفِها وعِرْضها المنافقون في المدينة ، فأنْزَل الله براءتَها من فوقِ سبعِ سموات ، وقد قالتْ - رضي الله عنها - كما في الصحيحين: "... ثُمَّ تحولتُ واضطجعتُ على فِراشي ، والله يعلم أنِّي حينئذٍ بريئةٌ ، وأنَّ الله مُبرِّئي ببراءتي ، ولكن واللهِ ما كنتُ أظنُّ أنَّ الله منزلٌ في شأني وحيًا يُتْلَى ، لشأني في نفْسي كان أحْقرَ مِن أن يتكلَّم الله فيَّ بأمْر ، ولكن كنتُ أرْجو أن يرَى رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم

- في النومِ رُؤيَا يُبرِّئني الله بها ، فواللهِ ما رام رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم – مجلسَه ، ولا خرَج أحدٌ مِنْ أهل البيت حتَّى أُنزِل عليه ، فأخَذَه ما كان يأخُذُه من البُرَحَاء ، حتى إنَّه ليتحدَّر منْه مِن العَرَق مثل الجُمَان ، وهو في يومٍ شاتٍ مِن ثِقَلِ القوْل الذي أُنزِل عليه. قالت: فَسُرِّي عن رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - وهو يَضْحَك ، فكانتْ أوَّل كَلمةٍ تَكلَّم بها أنْ قال: (يا عائشةُ ، أمَّا اللهُ فقدْ بَرَّأكِ) ، قالت: فقالتْ لي أُمِّي: قُومِي إليه ، فقلتُ: واللهِ لا أقومُ إليه ، فإنِّي لا أحْمَدُ إلاَّ اللهَ - عزَّ وجلَّ. قالت: وأنزَل الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ). قال ابنُ كثير: "فغار اللهُ لها وأنْزَلَ براءتَها في عشْر آياتٍ تُتلى على الزمان ، فسَمَا ذِكْرُها ، وعلا شأنُها ؛ لتسمعَ عفافَها وهي في صِباها ، فشَهِدَ الله لها بأنَّها مِنَ الطَّيِّبات ، ووعدَها بمغفرةٍ ورِزق كريم". ومَع هذه المنزِلَةِ العالية ، والتبرِئة العالية الزكيَّة مِنَ الله تعالى ، تَتَواضَعُ وتقول: "ولَشَأنِي في نفْسي أهونُ مِن أن يُنزِل الله فيَّ قرآنًا يُتْلَى"! 8- وأما عن خصائص أمِّ المؤمنين - رضي الله عنها -: فيقول ابنُ القيِّم - رحمه الله تعالى -: ومِن خصائصها الفريدة: أنَّها كانتْ أحبَّ أزواج رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم – إليه ، كما ثبَت عنْه ذلك في البخاريِّ وغيره ، وقد سُئِل: أيُّ الناس أحبُّ إليك؟ قال: (عائشة) ، قيل: فمِن الرِّجال؟ قال: (أبوها). ومِن خصائصها كذلك: أنَّه لَمْ يتزوَّج امرأةً بِكرًا قط غيرها ، ومن خصائصها أيضاً: أنَّه كان يَنزِل عليه الوحيُ وهو في لحافِها دونَ غيرِها ، ومِن خصائصها: أنَّ الله - عزَّ وجلَّ - لَمَّا أنزل عليه آيةَ التخيير بدأ بها فخيَّرها ، فقال: (ولا عليكِ ألاَّ تَعْجَلي حتى تستأمري أَبَوَيك) ، فقالت: أفِي هذا أسْتَأمِر أبوي؟! فإنِّي أُريد اللهَ ورسولَه والدارَ الآخِرة ، فاستنَّ بها - أي: اقتَدَى - بقيةُ أزواجه - صلَّى الله عليه وسلَّم - وقُلْنَ كما قالتْ. ومِن خصائصها: أنَّ الله سبحانه برَّأها ممَّا رماها به أهلُ الإفك ، وأنْزَل في عُذرِها وبراءتِها وحيًا يُتْلَى في محاريبِ المسلمين وصلواتهم إلى يومِ القيامة ، وشَهِد لها بأنَّها مِنَ الطيِّبات ، ووعَدَها المغفرةَ والرِّزقَ الكريم ، وأخْبَر سبحانه أنَّ ما قيل فيها مِنَ الإفك كان خيرًا لها ، ولم يكن ذلك الذي قيل فيها شَرًّا لها ، ولا عائبًا لها ، ولا خافضًا مِن شأنها ، بل رَفَعها الله بذلك وأعْلى قدْرَها ، وأعْظَمَ شأنها ، وصار لها ذِكرًا بالطيب والبراءة بيْن أهلِ الأرض والسماء ، فيا لها مِن مَنْقَبة ما أجلَّها! ومِن خصائِصها - رضي الله عنها -: أنَّ الأكابرَ مِنَ الصحابة - رضي الله عنهم - كان إذا أَشْكَل عليهم أمرٌ مِن الدِّين استفتوها فيَجِدون عِلمَه عندَها. ومِن خصائصها - رضي الله عنها -: أنَّ رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - تُوفِّي في بيتها ، وفي يومِها ، وبيْن سَحْرِها ونَحْرها ، ودُفِن في بيتها. ومِن خصائصها - رضي الله عنها -: أنَّ الناسَ كانوا يتحرَّوْن بهداياهم يومَها مِن رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - تقربًا إلى الرسولِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - فيُتْحفونَه بما يحبُّ في منزلِ أحبِّ نسائِه إليه - صلَّى الله عليه وسلَّم ورضي الله عنهنَّ أجمعين. وقال الإمام بدرُ الدِّين الزَّرْكشيُّ في "الإجابة لإيراد ما استدركتْه عائشةُ على الصحابة" - وهو يَتكلَّم في خصائصها ، رضي الله عنها – الأربعين ، قال: "والخامِسة - أي: مِن الخصائص -: نزول براءتِها مِنَ السماء بما نَسَبه إليها أهلُ الإفك في ستَّ عشرةَ آية متوالية ، وشَهِد لها بأنَّها من الطيِّبات ، ووعَدها بالمغفرةِ والرِّزق الكريم ، قال: والسادس: جَعله قُرآنًا يُتْلَى إلى يومِ القيامة ؛ أي: الآيات التي نزلَتْ في براءتِها. وقال - في العاشرة -: وجوب محبَّتِها على كلِّ أحد ، ففي الصحيح: لمَّا جاءتْ فاطمة - رضي الله عنها - إلى النبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال لها: (ألسْتِ تُحبِّين ما أُحبُّ؟) قالت: بلى ، قال: (فأَحبِّي هذه - يعني: عائشة) ، وهذا الأمْرُ ظاهِرُه الوجوب. وقال - في الحادية عشرة -: إنَّ مَن قذَفها فقَدْ كفَر ؛ لتصريحِ القرآن الكريم ببراءتِها

وقال ـ في الثانية عشرة ـ: مَن أنْكَر كونَ أبيها أبي بَكْرٍ الصِّدِّيق ـ رضي الله عنه ـ صحابيًّا كان كافرًا ، نصَّ عليه الشافعيُّ ، فإنَّ الله تعالى يقول: (إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) ، ومُنكِر صُحْبةِ غير الصَّدِّيق يَكْفُر لتكذيبه التواتُر ؛ انتهى مختصرًا. 9- وفاتها ـ رضي الله عنها ـ: تُوفِّيت ـ رضي الله عنها وأرْضاها ـ سَنَةَ سَبْعٍ وخمسين على الصحيح ، وقيل: سَنَة ثمان وخمسين ، في ليلةِ الثلاثاء لسَبْعَ عشرةَ خَلَتْ مِن رمضان بعدَ الوتر ، ودُفِنت من ليلتها ، وصلَّى عليها أبو هريرة ، بعدَ أن عمرتْ ثلاثًا وستين سَنَة وأشهرًا ـ كما ذَكَر الذهبيُّ في "السِّير". 10- حُكم الإسلام فيمَن سبَّ أمَّ المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ: قال تعالى في تزكيةِ أمِّ المؤمنين ومكانتِها وغيرِها من زوجاتِ النبيِّ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ). وقدْ أجْمَع علماءُ الإسلام قاطبةً مِن أهل السُّنَّة والجماعة على أنَّ مَن سبَّ أمَّ المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ ورَماها بما برَّأها الله منه أنه كافِرٌ، ورُوي عن مالكِ بن أنس أنَّه قال: مَن سَبَّ أبا بكرٍ وعُمرَ جُلِد ، ومَن سَبَّ عائشةَ قُتِل ، قيل له: لِمَ يقتلُ في عائشة؟ قال مالك: فمَن رماها فقدْ خالَفَ القرآن ، ومَن خالف القرآنَ قُتِل. قال أبو مُحمَّد ابنُ حزْم الظاهريُّ ـ رحمه الله ـ: قول مالك هذا صحيحٌ ، وهي رِدَّة تامَّة ، وتكذيبٌ لله تعالى في قَطْعِه ببراءتها. وقال أبو الخطَّابِ ابنُ دِحية في أجوبة المسائل: وشَهِد لقول مالك كتابُ الله ، فإنَّ الله إذا ذَكَر في القرآن ما نَسَبه إليه المشرِكون سبَّح نفسَه لنفسِه ، قال تعالى: (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ) ، والله تعالى ذَكَر عائشةَ ، فقال: (وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ) ، فسبَّح نفْسَه في تنزيهِ عائشةَ ، كمَا سبَّح نفسَه لنفسِه في تنزيهه ؛ حكاه القاضي أبو بكر ابن الطيِّب. وقال أبو بكر ابنُ زياد النيسابوريُّ: سَمعتُ القاسمَ بنَ محمَّد يقول لإسماعيلَ بن إسحاقَ: أُتِي المأمون في (الرَّقة) برَجلين شَتَم أحدُهما فاطمةَ ، والآخَرُ عائشةَ ، فأمَر بقَتْل الذي شتَم فاطمةَ وترَك الآخَر فقال إسماعيلُ: ما حُكْمُهما إلاَّ أن يُقتلاَ ؛ لأنَّ الذي شتَم عائشةَ ردَّ القرآن. قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية ـ رحمه الله ـ تعقيبًا عليه: وعلى هذا مضَتْ سِيرةُ أهل الفِقه والعِلم مِن أهل البيت وغيرِهم. وقالَ ابنُ العربيِّ ـ رحمه الله ـ: كلُّ مَن سبَّها بما برَّأها الله منه فهو مُكذِّب لله ، ومَن كذَّب الله فهو كافِر. وقال ابن قُدامة: فمَن قذَفها بما برَّأها الله منه فقدْ كفَر بالله العظيم. وقال الإمامُ النوويُّ ـ رحمه الله ـ: براءةُ عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ مِنَ الإفْك ، وهي براءةٌ قطعية بنصِّ القرآن العزيز، فلو تَشكَّك فيها إنسانٌ ـ والعياذ بالله ـ صار كافرًا مرتدًّا بإجماعِ المسلمين. وقال ابنُ القيِّم ـ رحمه الله ـ: واتَّفقتِ الأُمَّة على كُفْر قاذفِها. وقد رُوِي عَنْ عَمْرِو بنِ غالبٍ: أنَّ رَجُلاً نالَ مِنْ عائِشَةَ عندَ عَمَّارٍ ، فقالَ: اغْرُبْ مَقْبُوحًا ، أَتُؤذِي حَبِيبةَ رَسُول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم؟! قال الذهبيُّ في السِّيَر: صحَّحَه الترمذيُّ في بعضِ النُّسخ ، وفي بعضِ النُّسخ قال: هذا حديثٌ حسَن. عن عروة "أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ كانت تسرد الصوم" – تتابع أيام الصيام ـ وعن القاسم: "أنها كانت تصوم الدهر ، لا تفطر إلا يوم أضحى أو يوم فطر". وعن القاسم قال: "كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة ـ رضي الله عنها ـ فأسلم عليها ، وغدوت يومًا فإذا هي قائمة تسبح ، وتقرأ: (فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ) ، وتدعو وتبكي وترددها ، فقمت حتى مللت القيام ، فذهبت إلى السوق لحاجتي ، ثم رجعت ؛ فإذا هي قائمة كما هي تصلي وتبكي!". وعن أم المؤمنين عائشة ـرضي الله عنها ـ قالت: "كُنْتُ أَدْخُلُ بَيْتِي الَّذِي دُفِنَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ـصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ، وَأَبِي فَأَضَعُ ثَوْبِي ، وَأَقُولُ: إِنَّمَا هُوَ زَوْجِي وَأَبِي ، فَلَمَّا دُفِنَ عُمَرُ مَعَهُمْ فَوَاللهِ مَا دَخَلْتُهُ إِلا وَأَنَا مَشْدُودَةٌ عَلَيَّ ثِيَابِي ، حَيَاءً مِنْ

عُمَرَ" (رواه أحمد ، وصححه الألباني). وقد ابتلي بمثل بلاء أمنا عائشة يوسف -عليه السلام- وكانت براءته على لسان قريب من امرأة العزيز: (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ. وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ. فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ). وابتليت أيضًا مريم - عليها السلام -: (قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا. يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا) ، فجاءت براءتها على لسان صغيرها النبي عيسى -عليه السلام-: (فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا). وبراءة عائشة - رضي الله عنها - لم تأت على لسان قريب أو نبي ، ولكن برأها الله من فوق سبع سماوات في عشر آيات من سورة النور ، قرآنًا يتلى إلى قيام الساعة يشهد لعائشة - رضي الله عنها - من قوله – تعالى -: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ. لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ. لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ. وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ. وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ. يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ. وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ). ونزل فيها وفي أمثالها من المؤمنات العفيفات الطاهرات: (وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ). وكَانَ مَسْرُوقٌ إِذَا حَدَّثَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَ: "حَدَّثَتْنِي الصِّدِّيقَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ ، حَبِيبَةُ حَبِيبِ اللَّهِ ، الْمُبَرَّأَةُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ" (البداية و النهاية لابن كثير).وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: "لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ إِلَّا وهُما يَدِينَانِ الدِّينَ..." (صحيح البخاري). وكانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تكنَّى بـ "أم عبدالله"، ويلتقي نسبها مع النبي ﷺ في مُرة بن كعب. وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت لِلنَّبيِّ ﷺ: "يا رَسولَ اللهِ، كُلُّ نِسائِكَ لها كُنيةٌ، غَيري. فقال لها رَسولُ اللهِ ﷺ: اكتَني أنتِ أُمَّ عَبدِ اللهِ. فكان يُقالُ لها: أُمُّ عَبدِ اللهِ، حتى ماتَتْ، ولم تَلِدْ قَطُّ" (تخريج المسند بإسناد صحيح). وكانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بيضاء جميلة، وهذا هو سبب تسمية السيدة عائشة بالـ "حُميْراء"، فالحُميْراء هي البيضاء. وقال ابن حجر في الفتح: "والعرب تطلق على الأبيض الأحمر كراهة اسم البياض لكونه يُشبه البرص ولهذا كان ﷺ يقول لعائشة يا حميراء" اهـ. وكان جسمها رضي الله عنها قليلاً وبعد الزواج بفترة زاد جسمها. وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: "كانَت أمِّي تعالِجُني للسُّمنةِ ، تريدُ أن تُدْخِلَني على رسولِ اللَّهِ ﷺ: فما استقامَ لَها ذلِكَ ، حتَّى أَكَلتُ القثَّاءَ ، بالرُّطَبِ ، فسَمِنْتُ ، كأحسَنِ سِمنةٍ" (صحيح ابن ماجه). وكانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مُسمَّاةً لجبير بن مطعم بن عُدي، فخطبها رسول الله ﷺ بعد أن سلَّها أبوها من أهله لإصراره على الكفر. "فأتى أبو بَكرٍ المطعمَ فقالَ: ما تقولُ في أمرِ هذِهِ الجاريةِ؟ قالَ فأقبلَ على امرأتِهِ فقالَ لَها: ما تقولينَ؟ فأقبلت على أبي بَكرٍ ، فقالت: لعلَّنا إن أنْكحنا هذا الفتى إليْكَ تُصبنْهُ وتدخلْهُ في دينِكَ فأقبلَ عليْهِ أبو بَكرٍ فقالَ: ما تقولُ أنتَ؟ فقالَ: إنَّها لتقولُ ما

تسمعُ! فقامَ أبو بَكرٍ وليسَ في نفسِهِ منَ الموعدِ". (تاريخ الإسلام للإمام الذهبي بإسناد حسن). وعن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: "تُوُفِّيَتْ خَدِيجَةُ قَبْلَ مَخْرَجِ النبيِّ ﷺ إلى المَدِينَةِ بثَلاثِ سِنِينَ، فَلَبِثَ سَنَتَيْنِ أوْ قَرِيبًا مِن ذلكَ، ونَكَحَ عائِشَةَ وهي بنْتُ سِتِّ سِنِينَ، ثُمَّ بَنَى بها وهي بنْتُ تِسْعِ سِنِينَ" (صحيح البخاري). وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: "فضلت على نساء النبي ﷺ بعشر، قيل: ما هن يا أم المؤمنين؟ قالت: لم ينكح بكراً قط غيري ، ولم ينكح امرأة أبواها مهاجران غيري ، وأنزل الله عز وجل براءتي من السماء ، وجاءه جبريل بصورتي من السماء في حريرة ، وقال: تزوجها ، فإنها امرأتك ، فكنت أغتسل أنا وهو من إناءٍ واحد ، ولم يكن يصنع ذلك بأحد من نسائه غيري ، وكان يصلي وأنا معترضة بين يديه ، ولم يكن يفعل ذلك بأحد من نسائه غيري ، وكان ينزل عليه الوحي وهو معي ، ولم يكن ينزل عليه وهو مع أحد من نسائه غيري ، وقبض الله نفسه وهو بين سحري ونحري ، ومات في الليلة التي كان يدور علي فيها ، ودفن في بيتي". (الطبقات الكبرى لابن سعد). * بين سَحْري ونَحْري: قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في (فتح الباري): "وَالسَّحْر: هُوَ الصَّدْر ، وَهُوَ فِي الْأَصْل الرِّئَة. وَالنَّحْر: الْمُرَاد بِهِ مَوْضِع النَّحْر (أسفل الرقبة)" اهـ. وقال الإمام أبو الوفا ابن عقيل الحنبلي رحمه الله: "انظر كيف اختار لمرضه بيت البنت ، واختار لموضعه من الصلاة الأب". وقد توفي عنها النبي ﷺ وهي في الثامنة عشرة من عمرها. إن علم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بحرٌ لا يُثبر قعرُه ولا تُرى شطآنه ، وعُبابٌ لا تُكدِّره الدِّلاءُ ، وسحاب تتقاصر عنه الأنواء ، ومرجعًا صافياً رقراقاً يُرجَع إليه في مسائل العلم الشائكة فينهمر منه العلم الذي يُرشد الضال ويسكن به الحيارى. ولم لا!! وهي رضي الله عنها من أكثر رواة الأحاديث النبوية ، وقد عدّ الذهبي أحاديث عائشة 2210 حديث. وقال الحاكم في المستدرك: "إنَّ رُبْعَ أَحْكَامَ الشَّرِيعَةِ نُقِلَت عَن السَّيِّدَة عَائِشَة". وقال الزُّهري رحمه الله: "لو جُمِع علم نساء هذه الأمة ، فيهن أزواج النبي ﷺ ، كان علم عائشة أكثر من علمهنّ". (رواه الطبراني). وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: "ما أشكَل علينا - أصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ - حديثٌ قطُّ فسأَلْنا عائشةَ إلَّا وجَدْنا عندَها منه عِلْمًا" (سنن الترمذي). وعن عُروةَ بن الزبير رضي الله عنه قال: "ما رأيْتُ امرأةً أعلمَ بطبٍّ ولا بفقهٍ ولا بشِعرٍ مِن عائشةَ". (مجمع الزوائد بإسناد حسن). وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن رضي الله عنه قال: "ما رأيتُ أحدًا أعلمَ بسُنن رسول الله ﷺ ولا أفقهَ في رأي إن احتُيج إلى رأيه، ولا أعلم بآية فيما نزلتْ ، ولا فريضة - مِن عائشة". ومن أسباب المكانة العلمية لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (شدة ذكائها، وقوة ذاكرتها. - زواجها من النبي ﷺ في سن مبكرة وملازمتها له ﷺ إلى أن توفاه الله تعالى. - كثرة ما نزل من الوحي في حُجرتها. - رغبتها في التعلم ، فكانت رضي الله عنها لا تسمع أمراً تستشكله ، إلا وتستفسر عنه. وقدْ أجْمَع علماءُ الإسلام على أنَّ مَن سبَّ أمَّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها ورَماها بما برَّأها الله منه أنه كافِرٌ. وقال الإمام القرطبي رحمه الله: "قال بعض أهل التحقيق: إن يوسف - عليه السلام - لما رُمِي بالفاحشة برأه الله على لسان صبي في المهد ، وإن مريم لَـمَّا رميت بالفاحشة برأها الله على لسان ابنها عيسى - صلوات الله عليه - وإن عائشة لما رميت بالفاحشة برأها الله - تعالى – بالقرآن ؛ فما رضي لها ببراءة صبي ولا نبي حتى برأها الله بكلامه من القذف والبهتان" (الجامع لأحكام القرآن). وقال ابن العربي رحمه الله: "إن أهل الإفك رموا عائشة المُطهرة

بالفاحشة ، فبرَّأها الله ، فكل من رماها بما برأها الله منه فهو مُكذِّب لله ، ومن كذب الله فهو كافر" اهـ. وقال الزمخشري: "ولو فليت القرآن كله ، وفتشت عما أوعد به من العصاة ، لم تر الله تعالى قد غلظ في شيء تغليظه في إفك عائشة" اهـ. إنه لشرف كبير لكل شاعر مسلم أن يحتوي ديوانه على قصيدة يُنصف فيها أمه وأم المؤمنين الصديقة بنت الصديق – رضي الل عنهما -! وإن بُردتي هذه أجعلها سهماً من سهام الحق في الرد على كل من ينتقص هذه الأم العبقرية العظيمة التي لا أجد من الكلمات ما أصف به نعم الله عليها من العلم والرشد والفقه واللغة والشعر والفصاحة والبلاغة والإبانة والخطابة والفتوى والطب والمناظرة! يقول الأديب الأستاذ مسلم بن محمد اليوسف في محاضرةٍ له عن أم المؤمنين عائشة وتحت عنوان: (حياة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها) ما نصه بترف زهيد: (أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها - تُعتبر من أولي اللواتي حملن لنا هذا الدين القويم ، فكان لها الفضل العظيم رضوان الله عليها في نقل وصيانة هذا الدين إلينا كما كان لها فضل نشر نور الإسلام ، وعلومه. فقد دأب بعض أهل الهوى والفكر المنحرف ، الدخيل على ديننا الحنيف دأبوا على النيل من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن طريق أزواجه الأطهار رضوان الله عليهن عمومًا ، وعائشة رضي الله عنها على وجه الخصوص لمكانتها العلمية في ديننا الحنيف. فكان لها الفضل العظيم رضوان الله عليها في نقل وصيانة هذا الدين إلينا كما كان لها فضل نشر نور الإسلام ، وعلومه. تِلكم أم المؤمنين الصديقة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة من أكثر الصحابة رواية للحديث النبوي الشريف وأشدهم حفظاً له. فأما عن حياة أم المؤمنين عائشة ملكة العفاف الخاصة والعامة. أم المؤمنين عائشة ملكة العفاف ، ظفرت بألقاب لم تظفر بها غيرها من أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن أجمعين منها: 1- عائش: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي عائشة رضي الله تعالى عنها بقوله: «يا عائش» تحببًا ، وتحسنًا لمكانتها المميزة في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم. ففي الصحيحين عن عائشة ، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عائش! هذا جبريل يُقرئكِ السلام». رواه الشيخان: البخاري في صحيحه ومسلم في صحيحه. 2- حميراء: وكذلك روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى حبيبته عائشة رضي الله عنها بالحميراء ، تحببًا إليها وملاطفة لها ومن ذلك ما رواه عدد من العلماء من رواية أم المؤمنين عائشة ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: دخل الحبشة المسجد يلعبون ، فقال لي: «يا حميراء! أتحبين أن تنظري إليهم» ، فقلت: نعم ، فقام بالباب وجئته فوضعت ذقني على عاتقه ، فأسندت وجهي إلى خده" قالت: "ومن قولهم يومئذ أبا القاسم طيبًا" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حسبك» فقلت: يا رسول الله لا تعجل، فقام لي ثم قال: «حسبك» فقلت: "لا تعجل يا رسول الله" قالت: "وما لي حب النظر إليهم، ولكني أحببت أن يبلغ النساء مقامه لي ومكاني منه". * قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا حميراء! أتحبين أن تنظُري إليهم؟!» يعني: إلى لعب الحبشة ورقصهم في المسجد. ولفظ: «حميراء»: معناه البيضاء ؛ لأن أم المؤمنين كانت بيضاء رضي الله عنها. والعرب تطلق على الأبيض أحمر لغلبة السمرة على لون العرب ، والعرب تقول: امرأة حمراء أي بيضاء. وسئل ثعلب: "لم خص الأحمر دون الأبيض؟ فقال: لأن العرب لا تقول رجل أبيض من بياض اللون ، إنما الأبيض عندهم الطاهر النقي من العيوب ، فإذا أرادوا الأبيض من اللون قالوا أحمر" (لسان العرب المحيط؛ لابن منظور، إعداد: يوسف خياط، ونديم مرعشلي ، دار لسان العرب المحيط ، مجلد: [714/1]). 3- ابنة الصديق: كثيرا ما كان رسول الله صلى الله

عليه وسلم يناديها بابنة الصديق تحببًا وإكرامًا لابنة الصديق لما لها وأبيها من مكانة عظيمة في قلبه وقلب كل مؤمن بالله ورسوله. من ذلك ما روته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: "قلت يا رسول الله: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ}- ؛ هو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق؟ قال: «لا يا ابنة الصديق: ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ، ويخاف أن لا يُقبل منه». (شرح العقيدة الطحاوية ؛ تخريج الشيخ الألباني ص: [365]). 4- ابنة أبي بكر: كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي أم المؤمنين بابنة أبي بكر لبيان عظيم مكانتها ومكانة أبيها أحب الناس إلى قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن ذلك ما رواه الإمام مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: "أرسل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مرطي ، فأذن لها ، فقالت: يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة ، وأنا ساكتة". قالت: "فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أي بنية ألست تحبين ما أحب؟». فقالت: بلى ، قال: «فأحبي هذه»" ، قالت: "فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجعت إلى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبرتهن بالذي قالت ، وبالذي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلن لها: ما نراكِ أغنيتِ عنَّا من شيء فارجعي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولي له: إن أزواجك ينشدنك العدل في ابنة أبي قحافة ، فقالت فاطمة: والله لا أكلمه فيها أبدًا". قالت عائشة: "فأرسل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم أر امرأة قط خيرًا في الدين من زينب. وأتقى لله وأصدق حديثًا ، وأوصل للرحم وأعظم صدقة ، وأشد ابتذالًا لنفسها في العمل الذي تصدّق به ، وتقرّب به إلى الله تعالى ، ما عدا سورة من حدة كانت فيها ، تسرع منها الفيئة". قالت: "فاستأذنت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، - ورسول الله صلى الله عليه وسلم مع عائشة في مرطها على الحالة التي دخلت فاطمة عليها وهو بها- فأذن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالت: يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة". قالت: "ثم وقعت بي ، فاستطالت علي ، وأنا أرقب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرقب طرفه ، هل يأذن لي فيها" ، قالت: "فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكره أن أنتصر" ، قالت: "فلما وقعت بها لم أنشبها حتى أنحيت عليها" ، قالت: "فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبسَّم: «إنها ابنة أبي بكر»". (رواه مسلم في صحيحه ، ج: [1891/4]). 5- المُوَفقة: وأيضًا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي أم المؤمنين بالموفقة لتوفيق الله تعالى لها بكل ما تقول أو تفعل رضي الله تعالى عنها. روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من كان له فرطان من أمتي أدخله الله بهما الجنة» ، فقالت عائشة: فمن كان له فرط من أمتك؟ قال: «ومن كان له فرط يا موفقة». (رواه الترمذي في جامعه ، ج: [376/3] ، وقال عنه: "حسن غريب" ، وقد ضعّفه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير ، برقم: [5801]). 6- أم عبد الله: كنَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بأم عبد الله. روت عائشة رضي الله عنها قولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "أم كل صواحبها لهن كنى ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فاكتني بابنكِ عبد الله» ، يعني ابن أختها فكانت تُكنَّى بأم عبد الله" (سنن أبي داود، دار الفكر بيروت لبنان، ج: [293/4]).

وفي رواية ثانية عن عائشة رضي الله عنها قالت: "لمّا وُلِدَ عبد الله بن الزبير أتيتُ به النبي صلى الله عليه وسلم فتفل في فيه ، فكان أول شيء دخل جوه ، وقال: «هو عبد الله وأنتِ أم عبد الله» ، فما زلت أكنى بها وما ولدت قط". (صحيح ابن حبان ، مؤسسة الرسالة ، عام 1193م ، ج: [55/16]). 7- أم المؤمنين: بهذا اللقب لقبت عائشة رضي الله عنها كغيرها من أمهات المؤمنين وبيان ذلك قوله سبحانه وتعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا}. وهذه الألقاب التي لُقِّبَت بها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وبالتالي فهي تستحق بجدارةٍ أن تعطى لقبًا جديدًا ألا وهو: لقب ملكة العفاف كبرهان محبة مني ، كما هو اعتذار عمَّا لحقها ومن يحبها من أذى لقاء تقوُّلات من أهل الزيغ والضلال. ولادة أم لمؤمنين عائشة ، ونشأتها: وُلِدَت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في مكة المكرمة قبل الهجرة بسبع سنين تقريبًا. وقد تربت رضي الله عنها شطرًا في بيت الصديق (تسع سنين) ، وشطرًا آخر في بيت النبوة (تسع سنين أيضًا). زواجها من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: بعد وفاة خديجة رضي الله عنها لبث رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو سنتين أو قريبًا من ذلك دون زوجة ، ثم جاءته خولة بنت حكيم رضي الله عنها فعرضت عليه خطبة عائشة بنت أبي بكر الصديق فعقد عليها الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة ، وهي بنت ست سنين ودخل بها في المدينة المنورة ، وهي بنت تسع سنين. وقد وصفت أم المؤمنين رضي الله عنها زواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: "تزوجني الرسول صلى الله عليه وسلم وأنا بنت ست سنين ، فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحرث بن خزرج فوعكتُ فتمرّق شعري ، فوفى جميمة ، فأتتني أمي أم رومان وإني لفي أرجوحة ومعي صواحب لي ، فصرخت بي فأتيتها لا أدري ما تريد بي ، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار وإني لأنهج ، حتى سكن بعض نفسي ثم أخذت شيئًا من ماء فمسحت به وجهي ورأسي ، ثم أدخلتني الدار ، فإذا نسوة من الأنصار في البيت ، فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر ، فأسلمتني إليهن فأصلحن من شأني ، فلم يرعني إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى فأسلمتني إليه ، وأنا يومئذ بنت تسع سنين". (صحيح البخاري ، ج: [4/ 251-252]). وقد كانت رضي الله عنها وأرضاها أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان عليه والصلاة والسلام يُصرِّح بذلك كما ورد في حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه حيث سأله: "أي الناس أحب إليك يا رسول الله؟ قال: «عائشة» قال: فمن الرجال؟ قال: «أبوها». (رواه الشيخان ؛ البخاري في صحيحه ، ج: [113/5]. ومسلم في صحيحه ، ج: [1856/4]). قال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى: "وهذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض ، وما كان عليه السلام ليحب إلا طيبًا ، وقد قال: «لو كنت متخذًا خليلًا من هذه الأمة لاتخذت أبا بكر خليلًا ، ولكن أخوة الإسلام أفضل». (أخرجه البخاري في صحيحه ، ج: [1338/3]). فأحب أفضل رجل من أمته ، وأفضل امرأة من أمته ، فمن أبغض حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حري أن يكون بغيضًا إلى الله ورسوله وحبه عليه السلام لعائشة كان أمرًا مستفيضًا ألا تراهم يعني الصحابة رضوان الله عليهم يتحرون بهداياهم يومها تقربًا إلى مرضاته (سير أعلام النبلاء للذهبي ؛ تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ج: [142/2]). - بعض صور معاملة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لزوجه عائشة رضي الله تعالى عنها: لقد كانت الصديقة عائشة بنت الصديقة رضي الله عنها ما تزال صغيرة تحتاج ما تحتاج إليه أمثالها من اللعب والصواحب ،

فكانت رضوان الله عليها تلعب بألعابها مع صاحباتها في بيت النبوة ، فلم يكن الرسول الكريم صاحب الخلق العظيم ينفر من هذا أو يتضايق من بل كان عليه والصلاة السلام يُسَرُّ بصاحبات الصديقة لأنهن يلعبن معها. قالت رضي الله عنها وهو يتصف ذلك: "وكانت تأتيني صواحبي فكن ينقمعن من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت: فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُسَرُّ بهن إليّ" (رواه مسلم في صحيحه ، ج: [1891/4]). وكان عليه والصلاة والسلام يلاطف زوجته الصغيرة ويلاعبها بما يلائم صغرها وسنها ، ومن ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها: "قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهوتها ستر ، فهبت ريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لعب. فقال: «ما هذا يا عائشة؟» قالت: بناتي ، ورأى بينهن فرسًا لها جناحان من رقاع. فقال: «ما هذا الذي أرى وسطهن؟» قالت: فرس. قال: «وما هذا الذي عليه؟» قالت: جناحان. قال: «فرس له جناحان!» ، قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلًا لها أجنحة ، قالت: فضحك حتى رأيت نواجذه". (رواه أبو داود في سننه ، ج: [4/ 283-284]. والنسائي في سننه ، ج: [75/1]). ومن حسن أخلاقه صلى الله عليه وسلم أنه كان يسترها بردائه حتى تنظر إلى لعب الأحباش لتسليتها ، بل كان عليه الصلاة السلام يقف دون كلل أو ملل ، حتى تمل رضي الله عنها وتنصرف. ومن ذلك ما روته عائشة رضي الله عنه: "لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بالحراب في المسجد ، وإنه ليسترني بردائه لكي أنظر إلى لعبهم ، ثم يقف من أجلي حتى أكون أنا أنصرف ، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو". (رواه الشيخان ؛ البخاري في صحيحه ، ج: [159/6] ، ومسلم في صحيحه ، ج: [609/2]). وقد كانت أم المؤمنين رضي الله عنها من شدة حبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وورعها لله تعالى إذا كان هناك أي خصومة من الخصومات التي تحصل بين الأزواج لا تهجر إلا اسمه فقط. ويُبيِّن ذلك ما روته الصديقة رضي الله عنها عندما قال لها الرسول صلى الله عليه وسلم: "«إني لأعلم إذا كنتِ عني راضية ، وإذا كنتِ علي غضبى»". قالت: "ومن أين تعرف ذلك؟" ، قال: «أما إذا كنتِ عني راضية فإنكِ تقولين لا وربّ محمد. وإذا كنتِ غضبى ، قلت: لا وربّ إبراهيم»". قالت عائشة: "قلت: أجل والله! يا رسول ما أهجر إلا اسمك". وكانت رضي الله عنها فرحة مرحة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وباقي زوجاته الكرام ، ويدل على ذلك ما (رواه الهيثمي وغيره في مجمع الزوائد): "أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بحريرة - حساء من دقيق ودسم - وقد طبختها له ، فقلت لسودة ، والنبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينها: كُلي – فأبت ، فقلت: لتأكلين أو لألطخنَّ وجهكِ ، فأبت ، فوضعتُ يدي في الحريرة فطليت وجهها ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فوضع بيده لها ، قال لها: الطخي وجهها ، ففعلتْ ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم". (مجمع الزوائد للهيثمي ، ج: [315-316]. مسند أبي يعلى ، ج: [449/7]). وقد اشتهرت رضي الله عنها بالحياء والورع الشديدين ، حتى أنها كانت تستحي من عمر رضي الله عنه وهو في قبره ، ولعل خير مثال يبين ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها بقولها: "كنت أدخل بيتي الذي دُفِنَ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي فأضع ثوبي ، فأقول: إنما هو زوجي وأبي! فلما دُفِنَ عمر معهما ، فوالله ما دخلت إلا وأنا مشدودة عليَّ ثيابي حياءً من عمر". (مسند الإمام أحمد ، ج: [202/6]. المستدرك على الصحيحين ، ج: [63/3]). وصور صبر وورع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لا تنقضي! ومنها ما رواه البخاري في صحيحه عن عائشة ، قالت: "دخلت امرأة ابنتان لها تسأل ، فلم تجد عندي شيئًا

غير تمرة ، فأعطيتها إياها ، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها ، ثم قامت فخرجت ، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم علينا فأخبرته ، فقال: «من ابتلي من هذه البنات بشيء كن له سترًا من النار». (صحيح البخاري ، ج: [2234/5]). روى البخاري أيضًا عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه ، قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها ، وعليها درع قطر ، ثمن خمسة دراهم ، فقالت: "ارفعْ بصرك إلى جاريتي انظر إليها ، فإنها تزهى أن تلبسه في البيت ، وقد كان لي منهن درع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ تُقَيَّنُ بِالْمَدِينَةِ إِلَّا أَرْسَلَتْ إِلَيَّ تَسْتَعِيرُهُ". (صحيح البخاري ، ج: [926/2]). ففي هذا الحديث دليل على تواضع أم المؤمنين رضي الله عنها فهي تلبس ثيابًا تأبى الخدم أن يلبسوه ، وأمرها رضي الله عنها في التواضع والورع مشهور ، وفيه حلم عائشة عن خدمها ورفقتها في المعاتبة ، وإيثارها بما عندها مع الحاجة إليه. وعن عروة بن الزبير قال: "كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة أسلِّم عليها ، فغدوت يومًا ، فإذا هي قائمة تسبح وتقرأ: {فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ} ، وتدعو وتبكي وترددها ، فقمتُ حتى مللتُ القيام ، فذهبتُ إلى السوق لحاجتي ، ثم رجعت ، فإذا هي قائمة كما هي تصلي وتبكي". (صفة الصفوة ، ج: [31/2]). ولا شك أن لأم المؤمنين مكانة عظيمة في حياة الأمة ، لذلك كان لا بد من بيان مكانتها ، أثرها رضوان الله عليها في الحياة الإسلامية. رُب سائل يسأل كيف كان لأم المؤمنين حياة عامة وقد أمرهن الله تعالى مع باقي أمهات المؤمنين أن يقرن في بيوتهن ، ولا يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، وإذا أرادهن أحد المسلمين بفتوى أو حاجةٍ فيجب أن يسألوهن من وراء حجاب ، وذلك من قوله سبحانه وتعالى: {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}. وقوله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا}. وللجواب على هذا التساؤل: أقول بأن الحياة العامة التي كانت أم المؤمنين تتفاعل معها يقصد منها المساهمة في بناء المجتمع الإسلامي والتفاعل مع أعضائه ضمن الحدود الشرعية. فالصديقة بنت الصديق ولدت في بيت إيماني متميز في حمل هموم الدعوة ، وشاهدت منذ نعومة أظفارها تفاصيل نشوء الدين الإسلامي وتفاعلت معه بكل ما فيه من آلام وآمال. قالت رضي الله عنها: "لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، طرفي النهار: بكرة وعشية ، ثم بدا لأبي بكر ، فابتنى مسجدًا بفناء داره ، فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن ، فيقف عليه نساء المشركين وأبناؤهم ، يعجبون منه وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلًا بكاء ، لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن ، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين". (صحيح البخاري ، ج: [181/1]). وقد كانت أم المؤمنين تشارك في كثير من أحداث الأمة ، وقد بدأتها بالهجرة إلى المدينة المنورة للحاق برسول الله صلى الله عليه وسلم وأبيها الصديق رضي الله عنه. فالصديقة بنت الصديق كانت منذ أن فتحت عينيها مساهمة ومشاركة في خدمة هذا الدين ورسوله وأهله ، لذلك كانت مشاركاتها في كل مناحي الحياة الإسلامية وِفق الضوابط الشرعية

حتى الغزوات منها ففي غزوة أحد كانت رضي الله عنها تنقل الماء بالقرب ثم تفرغه في أفواه الصحابة المنهكين من القتال والعطش. روى البخاري رحمه الله ؛ عن أنس رضي الله عنه قال: "لمَّا كان يوم أحد ، انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر ، وأم سليم وإنهما لمشمرتان ، أرى خدم سوقهما تنقزان القرب - تنقزان: تسرعان المشي كالهرولة - ، وقال غيره: تنقلان القرب على متونهما ، ثم تفرغانه في أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملآنها ، ثم تجيئان فتفرغانها في أفواه القوم". (صحيح البخاري ، ج: [1055/3]). وما كان لهذه الشخصية العظيمة التي تربت في بيت الصديق والنبوية أن تغيب عن مشهد الأحداث ، وخصوصًا إذا كانت تلك الأحداث ، مفصلة في تاريخ وحياة الأمة. كيف لا وهي أم للمؤمنين التي يدفعها إلى ذلك الشعور بالواجب الملقى على عاتقها ، ثم الإحساس بالقدرة على التأثير والتغيير والإصلاح بين أبنائها المؤمنين إذا دعت الحاجة لذلك. ففي فتنة عثمان رضي الله عنه رأت رضي الله عنها بوجوب القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه والإصلاح بين المسلمين. ونتيجة هول ما حصل من أمر معركة الجمل التزمت أم المؤمنين بيتها ولم تعد تشارك في أحداث الأمة بشكل مباشر ، بل عن طريق النصيحة والإرشاد كما فعلت مع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ، ذلك أن معاوية رضي الله عنه طلب منها النصيحة فكتبت إليه: "إلى معاوية سلام عليك ، أما بعد: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس ، والسلام عليكم". (صحيح ابن حبان ، ج: [510/1]). وهكذا رأينا أن أم المؤمنين رضي الله عنها لم تدخر وسعًا في مناصرة الحق وبيانه ، والاهتمام بقضايا الأمة ، فكانت تأتيها الوفود من كل بقاع الدولة الإسلامية فتجيبهم عن فتاويهم وأسئلتهم بما علمت من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك كانت تنصح الأمراء والولاة والخلفاء وتذكرهم بأيام الله تعالى ، فهي زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها. وكانت قد اكتسبت رضي الله عنها علمًا غزيرًا صافيًا من نبع النبوة الذي لا ينضب ، فكانت أفقه نساء المسلمين ، وأعلمهن بالدين وأصوله وفروعه والأدب ، ولا يحدث لها أمر إلا أنشدت فيه شعرًا ، وكان أكابر الصحابة يسألونها عن الفقه والفرائض ، فتجيبهم. قال عطاء رضي الله عنه: "كانت عائشة أفقه الناس ، وأعلم الناس ، وأحسن الناس رأيًا". (المستدرك على الصحيحين ، ج: [15/4]). ولعل أهم الأسباب التي ساعدت أم المؤمنين على اكتساب هذا العلم ما يلي: 1- الذكاء وقوة الحفظ: امتازت أم المؤمنين رضي الله عنها بالذكاء الوقاد وقوة الحفظ والاستذكار مما ساعدتها بفضل الله على حفظ كتاب الله تعالى وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وفقههما. 2- علمها بالعربية وفنونها وأشعارها: وقد كانت رضي الله عنها عالِمة بالعربية وفروعها وأشعار العرب ونوادرهم ، فصيحة اللسان مما ساعدها على فهم القرآن وتفسيره ، وقد تعلمت من والدها الصديق البلاغة والفصاحة ، فقد كان الصديق علامة العرب في ذلك. 3- نشأتها في بيت النبوة: نشأت السيدة عائشة رضي الله عنها في بيت النبوة فشاهدت أحوال النبي صلى الله عليه وسلم واطلعت على أخباره فتعلمت حكمته وكل شؤونه وخاصة ما يتعلق بأحكام النساء. 4- حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تعليمها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصًا على تعليمها لما لمسه من ذكاء وفطنة ، فكان عليه الصلاة والسلام يحدثها ويفقهها بالدين. نزول الوحي في فراشها: فإنه لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي في فراش امرأة سواها رضي الله تعالى عنها" (تفسير

ابن كثير، ج: [487/3]). وقد أخذ عنها كثير من الصحابة ، والتابعين وخلق كثير ، ورُوِي عنها [2210] حديثاً ، ولها آراء فقهية كثيرة ، واجتهادات عديدة ، وتخرج من مدرسة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عدد كبير من سادة العلماء ومشاهير التابعين. قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: "ما أشكل علينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث قط ، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندنا منه عِلمًا". (رواه الترمذي في سننه ، ج: [705/5]). وكان لأم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها تلاميذ كثر من التابعين الذي أخذوا العلم عنها ونشروه في الأمصار الإسلامية ، فصاروا أئمة يُقتدى بهم في العلم والعمل ومن أشهر هؤلاء رضي الله عنهم عروة بن الزبير ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر ، ومسروق بن الأجدع ، وعمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية - عليهم رحمة الله تعالى أجمعين -. وكان هؤلاء التلاميذ النجباء يتلقون العلم في غرفة قصية البناء ، مبنية من جريد عليه طين من حجارة مرضونة وسقفها من جريد ، وكانت رضي الله عنها تضع حجابًا بينها وبين طلاب علمها النبوي الشريف. وكانت الصديقة رضي الله عنها ذات منهج علمي مميز ، ولعل أبرزه ما فيه ما يلي:

1- توثيق المسائل: كانت رضي الله عنها إذ تحرص على تتبع توثيق المسائل بما ورد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. عن يحيى بن يحيى قال: قرأت على مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن عمْرَةَ بنت عبد الرحمن ، أنها أخبرته أن زياد بن أبي سفيان كتب إلى عائشة رضي الله عنها أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: من أهدى هديًا حرم عليه ما يحرم على الحاج ، حتى ينحر الهدي وقد بعثت بهديي فاكتبي إليّ بأمرك ، قالت عمرة: فقالت عائشة رضي الله عنها: ليس كما قال ابن عباس: "أنا فتلت قلائد هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي ، ثم قلدها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه ، ثم بعث بها مع أبي ، فلم يحرم على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً أحله الله له حتى نحر الهدي". (رواه الشيخان ؛ البخاري في صحيحه ، ج: [564/2] ، ومسلم في صحيحه ، ج: [895/2]). 2- الورع عن الكلام بغير علم: كانت رضي الله عنها تتورع عن الكلام بغير علم ، ومن مثل هذا ما قال شريح بن هانئ قال: أتيت عائشة أسألها عن المسح على الخفين ، فقالت: "عليك بابن أبي طالب فسله ، فإنه كان يسافر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم". فسألناه فقال: جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر ويومًا وليلة للمقيم". (أخرجه مسلم، ج: [232/1]). 3- الجمع بين الأدلة وفهم مقاصد الشريعة: كانت رضي الله عنها تعتمد على الجمع بين الأدلة وفهم الشريعة وعلوم العربية. ومن ذلك ما رواه عروة عن عائشة رضي الله عنها قال: "قلت أرأيت قول الله عز وجل: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا}. قال: "قلت فوالله ما على أحدٍ جناحٌ أن لا يطوف بهما ، فقالت عائشة: بئسما قلت يا ابن أختي! إنها لو كانت على ما أوَّلتَها كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما ولكنها إنما أنزلت أن الأنصار كانوا قبل أن يسلموا يهلون لِمَنَاةَ الطاغية التي كانوا يعبدون عند المُشَلَل ، وكان من أهل لها يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة ، فسألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية ، فأنزل الله عز وجل: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا} ، قالت عائشة: "ثم قد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بهما فليس ينبغي لأحد أن يدع الطواف بهما". (أخرجه مسلم في صحيحه: [929/2]). 4- معرفتها بأدب الحوار: كانت رضوان الله عليها على معرفة عميقة وتامة بآداب الحوار وكل ما يلزم ذلك.

كيف لا وهي التي تربّت وتعلّمت في بيت النبوة. عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: "كنت أنا وابن عمر مستندين إلى حجرة عائشة وإنا لنسمع ضربها بالسواك تستن ، قال فقلت: يا أبا عبد الرحمن اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في رجب؟ قال: نعم. فقلت: أي أمتاه ألا تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن؟! قالت: وما يقول؟ قلت: يقول اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في رجب. فقالت: يغفر الله لأبي عبد الرحمن لعمري ما اعتمر في رجب ، وما اعتمر من عمرة إلا وإنه لَمَعَهُ. قال وابن عمر يسمع فما قال: لا ولا نعم ، سكت". (أخرجه مسلم في صحيحه ، ج: [916/2]). 5- الدقة في نقل الموروث النبوي: وكانت أم المؤمنين رضي الله عنها دقيقة جدًا في نقل الموروث النبوي أمانة في النقل ، وورعًا وخوفًا من الله سبحانه وتعالى ، عن عمرة بنت عبد الرحمن أنها أخبرته أنها سمعت عائشة وذكر لها أن عبد الله بن عمر يقول إن الميت ليعذَّب ببكاء الحي. فقالت عائشة: يغفر الله لأبي عبد الرحمن أما إنه لم يكذب ، ولكنه نسي أو أخطأ! إنما مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهودية يبكى عليها أهلها ، فقال: «إنهم ليبكون عليها وإنها لتعذَّب في قبرها». (أخرجه البخاري في صحيحه ، ج: [433/1]، ومسلم في صحيحه ، ج: [643/2]). 6- اختبار المحدِّث: وكانت عائشة رضي الله عنها إذا لم تكن تعرف الحديث اختبرت قائله ، فإن ضبطه قبلته ، وهذا الأسلوب اتبعه نقاد الحديث فيما بعد في نقد نقل الرجال. عن عروة بن الزبير قال: "قالت لي عائشة يا ابن أختي بلغني أن عبد الله بن عمرو مارٌّ بنا إلى الحج فَالْقَهُ فَسَائِلْهُ ، فإنه قد حمل عن النبي صلى الله عليه وسلم علمًا كثيرًا! قال فلقيته فساءلته عن أشياء يذكرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: «إن الله لا ينزع العلم من الناس انتزاعًا ولكن يقبض العلماء ، فيرفع العلم معهم ، ويبقى في الناس رؤوسًا جهالًا يفتونهم بغير علم فيضلون ويضلون»". قال عروة: "فلما حدثت عائشة بذلك أعظمت ذلك وأنكرته ، قالت أحدثك أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول هذا؟! قال عروة حتى إذا كان قابل قالت له: إن ابن عمرو قد قدم فالقه ثم فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذي ذكره لك في العلم قال فلقيته فساءلته فذكره لي نحو ما حدثني به في مرته الأولى. قال عروة: فلما أخبرتها بذلك ، قالت: ما أحسبه إلا قد صدق أراه لم يزد فيه شيئًا ولم ينقص". 7- عدم الإسراع في الكلام والتأني في سرد الأحاديث: اتبعت أم المؤمنين رضي الله عنها أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم في التحدث والتعليم ، فكانت رضي الله عنها تتكلم بتأنٍ دون كلل ولا تكثر في الكلام والتحدُّث. عن عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت له: "ألا يعجبك أبو هريرة! جاء فجلس إلى جنب حجرتي يُحدِّث عن النبي صلى الله عليه وسلم يسمعني ذلك وكنت أُسبِّح ، فقام قبل أن أقضي سبحتي ولو أدركته لرددت عليه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد الحديث كسردكم". (أخرجه مسلم في صحيحه. وقال الإمام النووي: قولها: "لم يكن يسرد الحديث كسردكم" ؛ أي يكثره ويستعجل فيه. شرح النووي ، ج: [54/16]). لقد كانت الصديقة بنت الصديق ملكة العفاف بحرًا زاخرًا في الدين ، وخزانة حكمة وتشريع ، ومدرسة قائمة بذاتها ، ونابغة في الذكاء والفصاحة والبلاغة فكانت رضوان الله عليها عاملًا كبيرًا ذا تأثير عميق في نشر العلم النبوي الشريف. وأخيراً وليس آخِرا توفيت رضي الله عنها في خلافة معاوية رضي الله عنه ليلة الثلاثاء ، السابع عشر من رمضان ، سنة ثمان وخمسين من الهجرة ، وهي ابنة ثلاثٍ وستين سنة ، بعد مرض ألم بها حتى أنها شعرت بأنه مرض الموت ، ولهذا أوصت: "أن لا تتبعوا سريري بنار ، ولا تجعلوا تحتي قطيفة حمراء وأن لا يُصلِّي علي إلا أبو هريرة". (الطبقات ؛ لابن سعد ، ج: [76/8]). ودُفِنت عليها رحمة

الله بالبقيع من ليلتها بعد صلاة الوتر. (البداية والنهاية ، ج: [94/8]) ، بحسب وصيتها لعبد الله بن الزبير رضي الله عنه ، حيث قالت له: "ادفني مع صواحبي بالبقيع لا أزكي به أبدًا". (رواه البخاري ، في صحيحه ، ج: [255/3]).هـ. قال الدكتور الشاعر عائض القرني في مستهل قصيدته عن عائشة – رضي الله عنها -:

يـــا أمنـــا أنـــتِ أنـــتِ ذروة الكـــرمِ وأنـــتِ أوفـــى نســـاء العُـــرب والعجـــمِ

يـا زوجـة المصـطفى يـا خيـر مـن حملـتْ نـــورَ النبـــوة والتوحيـــد مـــن قِـــدم

إلى أن قال في ختام قصيدته مُودعاً أم المؤمنين ومسَلماً عليها:-

عليـــكِ منـــا ســـلامُ الله نرفعـــهُ بنفحـــة المســـك بـــين الســـدر والســـلم

لا بـــارك الله فـــي الـــدنيا إذا وهنـــتْ منـــا العـــزائمُ ، أو لـــم نـــوفِ للقِمـــم

فـــالموتُ أشـــرف مـــن عـــيش بـــلا شـــرف والقبـــر أكـــرم مـــن قصـــر بـــلا كـــرم

ولستُ أدّعي لنفسي أنني بلغتُ بقصيدتي مقامَ الشاعر الدكتور القرني! ففرقٌ كبير بين متمكن في الشعر متمرس فيه مثل الدكتور عائض ، وبين متطفل على الشعر متلعثم فيه مثلي! ولكنه شرف المحاولة يحدوني دائماً! فالمعروف والمشاهد والملموس أن الدكتور القرني قامة في الشعر والأدب والعلم منذ كنتُ أنا في الصف الأول الثانوي! فأين من أين؟! وعلى هذا فيُصبح هو من أساتذتي الأعلام! ولا أزكيه على الله تعالى! وأعتذر ابتداءً عن أي تقصير أو خلل في قصيدتي هذي! وليكن معلوماً أن زللاً وقع أو خطأ سقط فهما من الغفلة التي تنتاب كل كاتب وشاعر! هذا وأعذر إلى الله تعالى إن كنتُ قد قصرتُ في حق أمي وأم المؤمنين السيدة عائشة بنت أبي بكر ، الصديقة بنت الصديق – رضي الله عنهما وأرضاهما -! كما وأعتذر اعتذاراً كبيراً جداً عن طول المقدمة التي وددتُ لو طالت أكثر لأقدم عائشة لمن يجهلها! وأعتقد أنني ربما كررتُ بعض المعلومات عنها: ففي مقام أختصر ، وفي مقام آخر أسهب! وفي مقام أذكر المصدر ، وفي مقام آخر لا أذكره! وكم كانت حيرة كبيرة ، وأنا أحاول أن أكتب عن أمي وأم المؤمنين الصديقة عائشة بنت الصديق أبي بكر – رضي الله عنهما -! حيث وجدتني أمام كم كبير هائل من المعلومات والأخبار والتراجم ، وأغلبها صادقٌ محققٌ مدققٌ صحيحٌ أو حسن! وأحسبني دخلتُ مغارة علي بابا فوقعتُ على العقيق والزمرد والزبرجد والماس والفضة والياقوت! فاحترتُ ما هل عساي أن أحمل من هذه المجوهرات! وبالطبع نتحفظ على هذا الكلام والتشبيه بمغارة علي بابا! فأخبار عائشة تختلف عن مجوهرات الناس المسروقة الموضوعة في مغارة علي بابا! بينما أخبار عائشة كما أسلفت محض صدق وليست مزورة أو مسروقة! بل أوردها علماء أجلاء نذروا حياتهم لبيان الحق ونشر العلم الصحيح ، وكانوا قد تناولوا فيما تناولوا أخبارها بشيء كبير من التحقق والتثبت! والآن لنطاله ماذا فتح الله علينا به في الحديث عن وإلى أمنا وأم المنين الصديقة عائشة بنت الصديق أبي بكر – رضي الله عنهما -. وكنتُ قد أسميتها: (بُردة عائشة) ليكون لها من الشأن في حياتي أو بعد موتي ما كان - للبردة الزهيرية (لكعب بن زهير) والبوصيرية (للبوصيري) والشوقية (لأمير الشعراء أحمد شوقي بك) والبارودية (لمحمود سامي البارودي) والباكثيرية (لعلي أحمد باكثير) والمطرية (لعلي محمود

مطر) والقرنية (للدكتور الشاعر والشاعر الدكتور عائض بن عبد الله القرني! – من شأن! وكنتُ قد جعلتها مائة وأحد عشر بيتاً ، وودتُ الإطالة! ولكن والله العظيم هذا ما فتح الله تعالى عليّ به ليس إلا!)

الشـــعرُ يـــا أم فـــي حُبـــوره الـــتمِ ... يُرَجّـــعُ الســـيرة العصـــماءَ بـــالنغمِ

والـــوزنُ ينتخـــب التفعيـــلَ مؤتلقـــاً ... وللقـــوافي أهـــازيجٌ مـــن الـــرنم

وفـــي سَـــريّ المعـــاني رونـــقٌ عطِـــرٌ ... وفـــي التراكيـــب زخـــاتٌ مـــن الـــديم

وللتعـــــابير ألفـــــاظ تُجَملهـــــا ... وللتصـــاوير ســـمتٌ جـــد مُعـــتلم

وللبـــــديع مَقـــــامٌ فـــــي قصـــــيدتنا ... فالســـجعُ أشـــهرُ مـــن نـــار علـــى علـــم

وللبيـــــان أفـــــانينٌ مُزركشـــــة ... فالاســـــتعارة والمَجـــــاز كـــــاليُتُم

وللبلاغـــــة فحواهـــــا وبَصْـــــمتها ... حتـــى يكـــونَ قصـــيداً بـــالغ العِظـــم

وللفصـــــاحة دَورٌ ســـــوف نلمسُـــــه ... فـــي الـــنص تُدركُـــه بصـــيرة الفهـــم

لأننـــا ســـوف نُطـــري الأم (عائشـــة)! ... مَـــن يتبـــعْ هـــديها يَرشُـــدْ ويَســـتقم

بعـــد (الخديجـــة) هـــذي لا تُضـــارعُها ... بـــين النســـا حُرمـــة فـــي العُـــرب والعجـــم

مكيـــة مـــا رأتْ عـــينٌ مثيلتهـــا ... وهـــل فريـــدٌ لـــه فـــي العـــالمين ســـمي؟!

تيميـــة مـــن قـــريش طـــاب سُـــؤدَدُها ... وأصـــلها فـــي البرايـــا غيـــرُ منـــبهم

وأم مـــن آمنـــوا بـــالله واتبعـــوا ... هـــديَ البشـــير النـــذير المصـــطفى الهشِـــم

ولـــيس فـــي الفقـــه مـــن فضـــلى تُعادلهـــا ... فتلـــك فـــي الفقـــه حـــازتْ ذِرْوة القِمـــم

ولـــيس فـــي ديننـــا امـــرأة تُناظرهـــا ... ومَـــن تُنـــاظِرْ تبُـــوْ بـــالمَرتع الـــوَخِم

ولـــيس بـــين النســـا مَـــن حَـــاز مَحْتـــدَها ... أبـــاً وأمـــاً وقومـــاً ، أو ذوي رحـــم!

فمـــن يُبـــاري أبـــا بكـــر وعِتْرتـــه ... فـــي سِـــيرةٍ فـــي الـــورى جلـــتْ عـــن الـــتهم

كـــان الرفيـــقَ ، ولـــم يبخـــلْ بثروتـــه ... وثـــانيَ اثنـــين فـــي البلـــواء والقحَـــم

وأم رومـــــان والإســـــلامُ يرفعُهـــــا ... هـــل رِفعـــة فـــي الـــدنا كرفعـــة الســـلم؟!

وعـــائشُ الخيـــر تحيـــا فـــي بُلهنيـــة ... فـــالعيشُ سَـــعدٌ إذا لـــم يُبْـــلَ بالسَـــدَم

كـــان النبـــي رآهـــا فـــي الحَريـــر أتـــتْ ... كالشـــمس إن أشـــرقتْ بنورهـــا الـــتمم!

وقـــال جبريـــلُ هـــذي زوجـــة ، فـــإذا ... بالمصـــطفى فرحـــاً يقـــول فـــي نهـــم

إن كـــان ذلـــك فـــالرحمن مُنجـــزه ... والحمـــدُ والشـــكرُ للمُهـــيمن الحَكَـــم

وهْـــي ابنـــة التســـع إذ دخـــل النبـــي بهـــا ... أحلـــى بنـــاءٍ بشـــرع الله مُتســـم

بنـــى النبـــي بهـــا قبيـــلَ هجرتهـــا ... فـــي مكـــةٍ قضـــيا عـــامين فـــي إزم

وهـــاجرتْ فـــي ســـبيل الله عائشـــة ... مـــعْ والـــديها ، فقـــد غـــالى ذوو الغشـــم

إذ أصـــبحتْ مكـــة للكفـــر مُنتجعـــاً ... والكفـــرُ أس الـــبلا والمرتـــع الـــوخم

دعـــا النبـــي لهـــا دومـــاً بمغفـــرةٍ ... فعاشـــتِ الـــدهرَ فـــي عـــز وفـــي شـــمم

أحبهـــا الحـــبَ لا ألفـــاظ تنعتُـــه ... والحـــبُ مـــن أشـــرف العـــاداتِ والسِـــيَم

ولـــم يُحِـــبَ ســـواها مثلهـــا أبـــداً ... مِـــن بـــين أزواجـــه العقائـــل العُصُـــم

علـــى النســـا فضـــلها يزيـــدُ مرحلـــة ... مثـــل الثريـــد عـــلا عـــن ســـائر الطعُـــم

هـــل بعـــد ذلـــك تشـــبيهٌ لـــذي نظـــر؟ ... أو بعـــد ذلـــك توضـــيحٌ لـــذي فهُـــم؟

وكـــان جبريـــلُ بالســـلام يُتحفهـــا ... فـــي بيتهـــا ، أو علـــى درب لـــدى إضِـــم

كانـــت تصـــومُ مـــن الأيـــام أغلبهـــا ... بـــلا انقطـــاع ولا كَـــلٍ ولا مَلـــل

وقيـــلَ كانـــت تصـــومُ الـــدهرَ عـــن رغـــب ... أكـــرمْ بصـــوم مـــدى الأيـــام مُنـــتظم

لـــم تُغرهـــا مُتـــعُ الـــدنيا صـــباحَ مســـا ... كانـــت تـــرى حُســـنها سَـــيلاً مِـــن العَـــرِم

عُقودهـــا الســـت عاشـــت خيـــرَ زاهـــدةٍ ... والزهـــدُ مـــن أنبـــل الخِـــلال والقِـــيم

قيامُهـــا الليـــل أضـــناها وأضـــعفها ... لـــولا الإرادة والتصـــميمُ لـــم تقـــم

كـــذلك الصـــومُ صـــومُ الـــدهر أنهكهـــا ... لـــولا عبـــادة رب النـــاس لـــم تصـــم

ويـــوم أجـــزلَ فـــي العطـــا مُعاويـــة ... أبـــو يزيـــدٍ عظـــيمُ الجُـــود والكَـــرم

فـــي ألـــف مائـــةٍ لهـــا سِـــيقتْ لتنفقهـــا ... فأنفقتْهـــا علـــى الأمـــات والحَشَـــم

نِعـــمَ القـــلادة طالـــت كـــل ذي عَـــوَز ... وفرّجـــتْ كُرَبـــاً أودتْ بـــذي قحَـــم

وقســـمتْ ألـــف ســـبعين تريـــدُ بهـــا ... وجـــه المليـــك لمحـــو الـــذنب واللمـــم

وترقـــعُ الثـــوبَ والأمـــوالُ فـــي يـــدها ... تقـــولُ للـــنفس: ذوقـــي الفقـــرَ عـــن رغـــم!

وتخصِـــفُ النعـــلَ ، هـــذا مـــا بـــهِ عُرفـــتْ ... فـــالأمرُ لـــيس عـــن الـــدنيا بمُنكـــتم

ألفـــي حـــديثٍ روتْ ، مـــا كـــان أحفظهـــا ... لصـــادق الفعـــل والأعمـــال والكلـــم

وطببـــتْ مـــن وِجـــاع لا عـــلاجَ لهـــا ... بالشـــيح والزعتـــر البـــري والعَـــنَم

مـــن الوفـــود أتـــت بيـــت النبـــي وَعَـــت ... طبـــاً يُزيـــل أذى الأســـقام والـــورم

وفـــي القـــريض لهـــا بـــاعٌ ومدرســـة ... منهـــا تعلـــمَ مـــن يَخـــط بـــالقلم

والشـــعرُ يفخـــرُ إذ تُلقيـــه (عائشـــة) ... أبياتـــه مثـــل عقـــدٍ غيـــر منفصـــم

وفـــي الخطابـــة قـــل: ســـحبانُ يغبطهـــا ... علـــى الحـــديث بلفـــظٍ غيـــرِ مُـــنعجم

فصـــيحة قولهـــا لـــه إبانتـــه ... يُشِـــعُ نـــوراً كمثـــل البـــدر والـــنجُم

كانـــت تصـــوّبُ للشُـــعرا قصـــائدَهم ... بمَنطـــق طيّـــب الألفـــاظ مُحتـــرم

وجاءهـــا الابـــتلا ، فاستســـلمتْ وَبكـــتْ ... حتـــى أصـــيبتْ مـــن الـــبلاء بالســـقم

والعـــينُ مـــن كثـــرة الـــبلاء قـــد ذبلـــتْ ... وَيـــحَ الـــدموع غـــدتْ كالوَبْـــل والـــدِيَم!

واحلولـــك الجـــوُ فـــي سِـــلم وفـــي حَضَـــر ... والإفـــكُ خـــالجَ عِـــرضَ المصـــطفى الهشـــم

وللمدينـــــة إرعـــــادٌ بشـــــائعةٍ ... تـــؤذي النبـــي ســـرتْ فـــي البيـــت والحـــرم

والنـــاسُ حِزبـــان: مـــوزونٌ يُبرئهـــا ... مـــا غـــره خـــائنو العهـــود والـــذمم

وآخـــرٌ دون برهـــان يُجَرّمُهـــا ... إذ غالـــه قـــولُ أفـــاكٍ ومُجتـــرم

أمـــا النبـــي فمـــا أتـــى لـــه خبـــرٌ ... يُنبيـــهِ بالفصـــل يُـــردي كـــل مُختصـــم

والكـــل مُنتظـــرٌ قـــرآنَ خالقـــه ... كـــي يُطفـــئ الـــوحيُ مـــا قـــد شَـــبّ مِـــن ضَـــرم

وعـــائشُ الخيـــر تـــدعو الله ضـــارعة ... فـــي حالـــةٍ صُـــبغتْ بـــالبؤس والوصـــم

لكـــنْ لهـــا أمـــلٌ فـــي الله مبتشـــرٌ ... ولـــم يَـــزُرْ قلبَهـــا شـــيءٌ مِـــن الســـأم

علـــــى يقـــــين بـــــأن الله ناصـــــرُها ... مَـــن يُحســـنِ الظـــن بـــالرحمن يغتـــنم

تـــــدعو وتأمـــــل أن يُزيـــــل كُربتهـــــا ... مُفـــــرّجُ الكُـــــرَب القعســـــاءِ والـــــنقم

وللرجـــــاء نصـــــيبٌ فـــــي تبتلهـــــا ... مـــن قـــرب نصـــر مليـــك النـــاس ذي الـــنعم

فـــي كـــل يـــوم دعـــاءٌ دمعُـــه حَـــدِرٌ ... وبـــالفؤاد يقـــينٌ زيـــنَ بالعشـــم

قـــال النبـــي لهـــا: إمـــا برئـــتِ فـــإن الله مُظهرُهـــا ... بـــالنص يُتلـــى مَـــدى الإصـــباح والغســـم

أو جئـــتِ معصـــية دعـــوتُ مُبـــتهلاً ... مُســـتغفراً خـــالقَ الأكـــوان والنســـم

قالـــت: أجـــب يـــا أبـــي عنـــي بـــلا تِـــرةٍ ... فلـــم يُجبْهـــا لِمَـــا عـــانى مـــن الألـــم

وأم رومـــــان لـــــم تـــــدفعْ مُبررَهـــــا ... أضـــحى اللســـانُ يُقاســـي وطـــأة الـــبكم؟

أمـــا ســـمعتِ أيـــا أمـــي بمظلمتـــي ... هـــل ســـمعُكِ الآن يشـــكو شـــدة الصـــمم؟

وعـــائشُ الطهـــر قالتْهـــا مُدويـــة ... فـــي موقـــفٍ بـــالغ الإيـــلام مُحتـــدم

إن قلـــتُ أذنبـــتُ جـــاء الـــوحي كـــذبني ... بـــرغم صـــدق بـــأمر الله ملتـــزم

أو قلـــتُ جئـــتُ أيـــا أقـــوامُ معصـــية ... كـــذبتموني ، وجرحـــي غيـــرُ ملتـــئم

أقـــول مـــا قـــال (يعقـــوبٌ) بمحنتـــه ... بلفـــظ مصـــطبر ومنطـــق شـــبم

صـــبرٌ جميـــلٌ ، وربـــي أســـتعينُ بـــه ... علـــى الـــبلاء أصـــاب القلـــبَ بـــالغمم

حتـــى إذا بلـــغ الـــبلاءُ ذِروتـــه ... والفتنـــة اشـــتعلتْ بســـاعر الأيُـــم

جـــاء الأمـــينُ بقـــرآن يُبرئنـــي ... ومَـــن تـــلاهُ بـــدرك الحـــق يَعتصـــم

يُبـــين الحـــق بـــين النـــاس قاطبـــة ... ومَـــن يبـــينْ مُـــرادَ الله يُحتـــرم

والله بـــرّأ فـــي القـــرآن (عائشـــة) ... يـــا جوقـــة الإفـــك مـــن كهـــل ومُحـــتلم

ســـليلة الطهـــر مـــا جـــاءتْ بمعصـــية ... بـــل اســـتقامت علـــى منهاجهـــا اللقـــم

قيـــلَ اشـــكري لرســـول الله تبرئـــة ... جاءتـــكِ مـــن خـــالق الإنســـان مـــن عـــدم

قالـــت: ســـأحمد ربـــي دائمـــاً أبـــداً ... فالحمـــدُ لله ربـــي الواحـــد الحكـــم

والـــوحي ينـــزل فـــي لحـــاف (عائشـــة) ... ويغمـــرُ البيـــت بالآيـــات والـــرُحُم

وتســـــألين نبـــــيَ الله أســـــئلة ... تـــنمُ عـــن فهمـــكِ العميـــق للسَـــلَم

والعلـــمُ بـــين ســـؤال والجـــواب لـــه ... فحُـــزتِ بـــالعلم آمـــاداً مـــن الفهُـــم

ونـــال منـــكِ أنـــاسٌ لا خـــلاق لهـــم ... أجـــدادهم عمـــدوا يومـــاً لســـفك دم

والله عـــــاقبهم بخيبـــــة جثمـــــتْ ... إن الهزيمـــة عقبـــى الظـــالم الغلـــم

ويَشـــرقون بحقـــد فـــي القلـــوب بـــدا ... علـــى الوجـــوه بهـــالاتٍ مـــن الأضـــم

والله حـــارقُ أكبـــادَ الألـــى ظلمـــوا ... ومـــن يُشـــاققْ مليـــكَ النـــاس ينهـــزم

وعـــائشُ الخيـــر فـــي الخيـــار قـــد نجحـــتْ ... وأشْـــهرَ الأمـــرُ فـــي الخصـــوص والعَمَـــم

اختـــرتِ ربـــك والأخـــرى وأحمـــدَنا ... نعـــم الخيـــارُ عـــلا بـــالمَطمح الســـنم!

لـــذا وُعِـــدتِ عظـــيمَ الأجـــر يســـبقه ... رضـــا مليـــك الـــورى المهـــيمن الحكـــم

وكـــم سُـــئلتِ عـــن الإســـلام أســـئلة ... يضـــيقُ صـــدراً بهـــا جـــداً ذوو العِمَـــم!

وكـــم وَأدتِ بـــدنيا النـــاس مـــن بـــدع ... فـــي الشـــرع نـــافحَ عنهـــا عابـــدو الصـــنم!

وكـــم تفـــردتِ بالأحكـــام يجهلهـــا ... ذوو البصـــائر والعلـــوم والقـــيم!

وكـــم تعلـــم منـــكِ العلـــمَ جاهلـــه ... حتـــى غـــدا داعيـــاً لله ذا حِكَـــم!

ونلـــتِ مَكرُمـــة الجهـــاد فـــي (أحـــدٍ) ... تســـقين مـــن عطشـــوا فـــي ســـاحة الجَحَـــم

وتحملـــين جـــرارَ المـــاء مـــا حملـــت ... أشـــباهَهن ظهـــورُ الأينُـــق الرُسُـــم!

وكـــم نصـــحتِ ولاة الأمـــر فـــي أدب ... فـــي أضـــنكِ الحـــال والمشـــاكل الـــدُهُم!

نِعـــمَ النصـــيحة إن كانـــت مُهذبـــة ... وأنـــت مَدرســـة فـــي العلـــم والقِـــيم!

بوركـــتِ يـــا أم فـــي دنيـــا وآخـــرةٍ ... وبُردتـــي ذيلـــتْ بخيـــر مُختـــتم

أبـــي وأمـــي فـــدا العصـــماء (عائشـــةٍ) ... مـــا أومـــضَ الـــنجمُ فـــي محلولـــك الظلـــم!

حملٌ بين الذؤبان (الأستاذ كريم) (معارضة لشوقي: قم للمعلم!)

(إنه ليُفترض فيمن يُدير مؤسسة أو مصنعاً أو منشأة أن يكون حكيماً واعياً. وتزداد حِكمته ووَعيه إن كان يدير مدرسة! كما يجب عليه أنْ لا يغلّب جانب الأهواء والانتصار لحظ النفس طرفة عين. وإنه عندما تكون المسألة خاصة بالمشاعر والأحاسيس والعواطف تصبح أكثر حساسية وعُمقاً. وواقعتنا هذه المُرة تتناول مُعَلماً أراد أن يُصلح فأفسد جزئياً. حيث إنه خيّر طلابه في إحدى الحصص الفراغية بين أن يسألوه فيجيب على أسئلتهم أو يسألهم هو فيجيبون عن أسئلته! فاختاروا أن يسألوه. وبما أنهم في الصف التاسع فقد جاوزوا الحُلم وجرى عليهمُ القلم. فكان المعلم صريحاً معهم في مسائل تتعلق بالزواج وممارسات المراهقة مستغلاً في ذلك تعطشهم للمعرفة ، ولم يكن يدري أنهم خبثاءُ الطوايا وفاسدو النوايا. وإنما سألوه ليُوقعوه في شِراك قد نصبوها وفخاخ قد أعدّوها ونيران قد أضرموها! بينما راح الأستاذ ينفتح معهم شيئاً فشيئاً حتى أسفوا الحديث فجاراهم في هذا الإسفاف ولم يزجرهم ، بل استمر الأمر على ذلك إلى أن تم لهم ما أرادوا. وانقلب للمعلم ظهرُ المِجَن ، ولم يشفعْ له 32 دقيقة كان قد التزم فيها بالآية والحديث والحكمة ، وكأنه لم يكن في الحصة إلا الدقائق الخمس الأخيرة التي فيها الإسفاف. وبدلاً من أن يدافع المدير عن معلمه ويبين حسن نيته ، فتح النار على نفسه وعلى المعلم وعلى المدرسة وعلى الطلاب! فنجا الجميع واحترق المعلم في أتون الفتنة الضارية التي أوقد نارها وأضرم سعيرها حمقُ مدير الغفلة! فشكا المعلم أمره إلى الله تعالى ، وفوّض أمرَه إليه. وتم إنهاء عقد المعلم من أجل إرضاءً لوالد أحد الطلاب الذي كان من أجهل الناس ، ولا أكون مبالغاً إن قلت: كان أجهل من الدواب ، حيث إنه جمع بين الأمر ونقيضه! إذ كيف لأستاذ في الجامعة أن يكون بهذا التفكير وبهذه الانتقامية الغبية! ولقد كنتُ حاضراً وجادلته فألفيته لا يصلح أن يرعى تيوساً في مزرعة فضلاً عن يُعلم أبناء في الجامعة! ولكنه استغل الموقف أسوأ استغلال ، ولم يتريث في الأمور. فكان المعلم بين ذؤبان لا ترحم: طلاب أوقعوه واستدرجوه ، وإدارة غير حكيمة أدانته زوراً وبُهتاناً ، ووالد أحد الطلاب هدده وتوعده ، إضافة إلى بعض أولياء أمور طلاب تشفوا بالإنابة وحاربوا المعلم بالوكالة! وأشهد بالله أن هذا المعلم مظلوم ولا شك! وأسأل الله أن يُعوّضه وينتقم ممن ظلموه عاجلاً غير آجل! إنّ كل ظالم له نهاية وله حساب! أما المظلوم فلو تأمل في موعود الله: (لأنصرنك ولو بعد حين) لهدأت نفسه ، وانبسط خاطره ، وانشرح صدره ؛ وانفتحت أساريره ، لأن الله تعالى لن يُضيعه ، ولو توجّه إلى الله شاكياً فسينتقم له من ظالمه ولو بعد حين: (اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب). هكذا قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لمعاذ بن جبل: (...واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب). [متفق عليه]. وليُعلم أن المظلوم دعوته مستجابة! قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده". (حسّنه الألباني). وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل ، والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم تحْمل على الغمام ، وتفتح لها أبواب السماوات ، ويقول الرب: لأنصرنك ولو بعد حين) ، [أخرجه أحمد وغيره وصححه الألباني]. ورواية أخرى للحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: (ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ دَعْوَةُ الْوَالِدِ وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ). رواه أبو داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ

فَوْقَ الْغَمَامِ وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ ، وَيَقُولُ الرَّبُّ وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ). رواه الترمذي. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ ، وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا فَفُجُورُهُ عَلَى نَفْسِهِ). رواه أحمد. وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ وَإِنْ كَانَ كَافِرًا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ). رواه أحمد. وروى ابن المبارك عن رياح بن عبيدة ، قال: كنت قاعداً عند عمر بن عبد العزيز فذكر الحجاج فشتمته ، فقال عمر: مهلاً يا رياح! إنه بلغني أن الرجل يظلم بالمظلمة ، فلا يزال المظلوم يشتم الظالم حتى يستوفي حقه ويكون للظالم الفضلُ عليه! وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: (قَالَ اللَّهُ: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ). رواه البخاري. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: {أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيُعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيتْ حسناته قبل أن يقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم وطرحت عليه ، ثم طرح في النار}. [رواه مسلم]. قال ميمون بن مهران: إن الرجل يقرأ القرآن وهو يلعن نفسه! قيل له: وكيف يلعن نفسه؟! قال: يقول: {أَلاَ لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ} وهو ظالم. ودعوة المظلوم تصعد إلى السماء كالشرار: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: "اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرار" [صححه الألباني]. ودعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً: فعن أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم - قال:" دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه". [أخرجه أحمد وغيره ، وحسنه ابن حجر والألباني]. ودعوة المظلوم مستجابة وإن كان كافراً! قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ وَإِنْ كان كَافِراً فإنه ليس دُونَهَا حِجَابٌ". (صححه الألباني). ومن هنا يجب الحذر من دعوة المظلوم ، فإنها وصية النبي لأصحابه - وهم أبعد الناس عن الظلم -: (يا معاذ...واتق دعوة المظلوم). [متفق عليه]. (يا علي اتق دعوة المظلوم...). [أخرجه ابن حبان بإسناد حسن]. "ولنتأمل حكمته تعالى في تسليط العدو على العباد إذا جار قويّهم على ضعيفهم ، ولم يؤخذ للمظلوم حقه من ظالمه ، كيف يسلط عليهم من يفعل بهم كفعلهم برعاياهم وضعفائهم سواء ، وهذه سُنة الله تعالى منذ قامت الدنيا إلى أن تطوى الأرض ويُعيدها كما بدأها" (ابن القيم). واحذر عداوةَ مَن ينام وطرْفه باكٍ يقلب وجهه في السماء يرمي سهاماً ما لها غرضٌ سوى الأحشاء منك..." (ابن القيم). ومن هنا تأثرتْ بالموقف ، وشرعتُ في الكتابة عنه! ووقع تفكيري وأنا أحاول أن أتخيل كيف أبدأ وعلى أي بحر وعلى أي قافية! واستقرّ الرأي على محاكاة شوقي في انتصاره للمعلم! ذلك أنني أحاول هنا أن أبيّن الحق ، وأكشف عَوار إدارة لا تستحيي بالمرة ، وأدافع عن المعلم اليوم كما دافع عنه شوقي بالأمس في ثلاثينيات القرن المنصرم! ولشوقي الفضل بعد الله ، ولي شرف المحاولة والمعارضة ، وأجري على الله. هذا ولقد أيدت رؤية شوقي وتبنيتها في قصيدة: (جاز المعلم وفه التبجيلا!) 111 بيتاً! وتأتي قصيدتنا: (حمل بين الذؤبان) لمناسبة خاصة عندما كانت هذه التمثيلية المكشوفة والمؤامرة الدنيئة والمسرحية الهزلية التي حِيكت للأستاذ الحبيب كريم أحد كرام أهل (ظفر) في مدرسته! ولما كانت الإدارة ضعيفة هشة مهترئة حاقدة جاهلة سفيهة تم للآباء والأمهات المغرضين ما أرادوا! والأصل أن يقوم تحقيقٌ عادلٌ ومنصفٌ يستهدف بيان الحق! أما أن يتحكم الآباء

والأمهات في القضايا المصيرية للمدرسة فهذا طيش ونزق يتورع عنه أي مدير يفقه ألف باء الإدارة! وعموماً مثل هذه النوع من الإدارات لا يُعمّر طويلاً! لأن تغوّل الآباء والأمهات سوف يلحقه ويزاحمه ويُقصيه عن منصبه يوماً ما! إن الإدارة علمٌ وفنٌ وأخلاقٌ وضميرٌ وقواعدٌ وأسسٌ وإنساني قبل أن تكون مجرد وظيفة! علم ذلك من علمه وجهل ذلك من جهله! وفي موقف الأستاذ كريم لا أستثني سوى رئيس قسم البنين ، ذلك التربوي المخلص الذي وعظ المعلم ونهره وحقق معه وحفظ التحقيق عنده كإجراء! لكن مدراؤه غير المحترمين لم يأخذوا به! فبات هناك موقف يستحق التعبير عنه بقصيدة منصفه لله ثم للتاريخ! تضع هذه القصيدة الحق في نصابه وتعيد القوس إلى باريها! وعندما تحمستُ للأستاذ كريم كانت هذه القصيدة ترجمة لهذا الحماس! وأسأل الله – سبحانه وتعالى - أن يجند قلمنا للحق ويؤيده بالحق!)

اهـــجُ المعلـــمَ كـــي يُـــرى مَـــذلولا ... واضـــربْ دُفوفـــك ، واســـبكِ التطبـــيلا

أضـــحى المعلـــم مُســـخة لحُثالـــةٍ ... هـــي فـــي احتبـــاك الإفـــكِ أكـــذبُ قِـــيلا

ولقـــد تزيـــد علـــى الكُذيبـــة كِذبـــة ... والكِـــذبُ أخبـــثُ عـــادة ومُيـــولا

هـــان المعلـــمُ فـــي زمـــان جهالـــةٍ ... فمضـــى يُصـــارعُ مُغرضـــاً وجهـــولا؟

يـــا ليـــت شِـــعري كيـــف ســـاءت حالـــه ... حتـــى بكـــى دَوْراً لـــه مغفـــولا؟

أو ليـــت شِـــعري كيـــف كابـــد ثاويـــاً ... فـــي النـــاس يـــدأبُ لاهثـــاً ومُجـــيلا؟

بـــين التلاميـــذ الألـــى لـــم يرحمـــوا ... حـــال المعلـــم مُـــذ غـــدا مَـــذلولا

وإدارة لمّـــــا تـــــؤدِ حُقوقـــــه ... كـــلا ، ولـــم تجـــز الجميـــلَ جَمـــيلا

فـــي حِصـــةٍ تاهـــت معـــالمُ دَربهـــا ... ولكـــل مَـــن حضـــروا بصـــائرُ حُـــولى

لـــم تتخـــذ لغـــة الحـــوار سَـــجيّة ... بـــل كـــل غِـــر أشـــهر التـــدجيلا

مِـــن كـــل تلميـــذٍ بضـــاعته الهـــوى ... فـــي الكيـــد أشـــهرَ حُمقـــه الضِـــليلا

وتعقبـــوا الأســـتاذ فـــي أقوالـــه ... كـــلٌ يُحَضـــر – فـــي المتاهـــة - سُـــولا

خبثـــتْ نوايـــاهم ، وأخفـــق ســـعيُهم ... إذ بيّتـــوا – عنـــد الجـــدال - ذحـــولا

نصـــبوا الشِـــباك ، ولـــم يُراعـــوا حُرمـــة ... والمكـــرُ أمســـى فاضـــحاً مَـــرذولا

وتظـــاهروا بـــالعلم يُضـــفي هالـــة ... قدســـية تســـتعجلُ المجهـــولا

أمـــا المعلـــم فـــانبرى لجـــدالهم ... وتـــلا – علـــى طلابـــه - التنـــزيلا

ســـاق الأدلـــة مثـــل شـــمس أشـــرقتْ ... ويحـــوز سَـــبقاً مَـــن يســـوق دلـــيلا

ومضـــى يـــزوّدُهم بـــوافر عِلمـــه ... ويُزيـــلُ – بعـــد بيانـــه - التجهـــيلا

مـــا انفـــك يُثـــري بعـــضَ معلومـــاتهم ... ليكـــون إثـــراءُ الخبيـــر بـــديلا

لـــم يـــألُ جهـــداً فـــي النصـــيحة ســـاقها ... حتـــى ترشّـــد أنفســـاً وعُقـــولا

هـــو مـــا أراد ســـوى البيـــان لســـائل ... كـــيلا ينـــاظر لا هثـــاً ومُجـــيلا

هـــو مـــا أراد ســـوى التبسّـــط مازحـــاً ... بعبـــارةٍ مـــا جُمّلـــتْ تجمـــيلا

حـــوتِ النكـــاتِ لكـــي تســـليَ خـــاطراً ... وتفيـــدَ مُعتكِـــرَ المِـــزاج جَهـــولا

لـــم يَـــدْر أن الدارســـين ثعالـــبٌ ... إذ أشـــعلوا – للعائـــدات - فتـــيلا

مكـــروا بأســـتاذٍ تعمّـــد نصـــحَهم ... واســـتدرجوه ، ونـــاولوه وُحـــولا

فانســـاق يَحسِـــبُهم ضـــحايا بيئـــةٍ ... عـــدلتْ عـــن الحـــق المبـــين عُـــدولا

فرمـــى بـــدلو فـــي النقـــاش علـــى المَـــلا ... ليكـــون مـــا هـــم أمّلـــوا تـــأميلا

نصـــبوا الشِـــباك ، فعرقلـــوا أســـتاذهم ... فاحتـــار فـــي أفعـــالهم مَـــذهولا

هـــو مـــا توقـــع أنهـــم خـــدمُ العِـــدا ... وكبيـــرُهم أمســـى الفتـــى المَـــرذولا

بـــك يـــا (ابـــنَ طرشـــان) غزتنـــا فتنـــة ... وأبـــوك عنهـــا أصـــبحَ المَســـؤولا

والنـــذلُ (أرشـــد) والشـــقية أمـــه ... إذ أوّلا مـــا قلتـــه تـــأويلا

طعنـــاك عـــن قصـــدٍ بأخبـــثِ خنجـــر ... و(الـــدلو) مـــدّ يـــد الوشـــاية طـــولى

و(عـــلاءُ) جـــاملهم ليخـــرج ســـالماً ... عجبـــاً لنـــذل يُـــتقنُ التمثـــيلا

بـــئس الإدارة أســـندت لحفالـــةٍ ... مَـــردتْ علـــى حبْـــك الخـــداع طـــويلا!

فغـــدا المعلـــمُ بـــين أخبـــثِ جَوقـــةٍ ... لـــم تتبـــعْ هـــدي الرســـول ســـبيلا

أفتـــتْ بـــلا علـــم ، وضـــلتْ ، واعتـــدتْ ... ويـــدُ التجـــاوز فـــي التخـــرّص طـــولى

وتوشّـــحتْ بالشـــائعات فلـــم تجـــدْ ... للمُعضـــلات المُوبقـــات حُلـــولا

بـــين الـــذئاب غـــدوت يـــا (عبـــد الكريـــ ... ـــم) تشـــفياً ، وتُـــرى عـــدمتَ بـــديلا

ظلمـــوك إذ أخـــذوا القـــرارَ تعنتـــاً ... وشـــفى كبيـــرُ المعتـــدين غلـــيلا

وانصـــاعَ للتهديـــد ينصـــرُ بـــاطلاً ... بنذالـــةٍ ، هـــي - فـــي القيـــاس - الأولـــى

لـــم يســـأل الشـــهداء ، لـــم يَســـتفتهم ... لمّـــا يســـلْ أهـــل المَشـــاهد سُـــولا

لـــم يتخـــذ لغـــة التفـــاهم مَنهجـــاً ... حتـــى يُحَصّـــلَ حقـــه تحصـــيلا

لمّـــا يكـــنْ فيمـــا أراد مُوفقـــاً ... إذ غلّـــبَ التســـفيه والتجهـــيلا

(عبـــدَ الكـــريم) رحلـــت تســـبقك المُنـــى ... وعســـى تحقـــق – فـــي الـــدنا - المَـــأمولا

ورعـــاك ربُ النـــاس خيـــرَ رعايـــةٍ ... وجـــزاك خيـــراً يـــا صـــديقُ جـــزيلا

بعض معاني الكلمات غير المطروقة

حُبوره: سُروره وفرحته. التمم: الكامل التام. يُرَجع: يُرَدد بالتنغيم. السيرة العصماء: التي عصمها الله من الكذب والتدليس والتلفيق والعش ، ورغمت أنوف الحاقدين والجاهلين. ينتخب: يختار. التفعيل: تفعيلة الشعر. مؤتلقاً: أي لامعاً وناصعاً. أهازيج: جمع أهزوجة وهي الكلمات

المنغمة الممتعة السماع. الرنم: أي النغم والترنيم. رونق: جمالٌ وعذوبة. زخات من الدِيَم: دفعات من المطر. سمت: طبيعة. معتلم: معلوم ومحدد السمات والمعالم. البديع: علم البديع. البيان: علم البيان. السجع: تناغمُ الكلمات عندما تتشابه نهاياتها. مُزركشة: مُزخرفة. اليُتُم: قطع الذهب الخالص. الفصاحة: القدرة على الحديث بلغةٍ ساميةٍ خاليةٍ من اللعثمة والركاكة. الفهِم: الإنسان المتبصر سريع الفهم والبديهة. نطري: نمدح المدح المعقول الذي ليس فيه مغالاة. الخديجة: المقصود أم المؤمنين خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها -. وأثبتنا لها مكانها من أن عائشة تأتي بعدها في المكانة وصاحب هذا الرأي هو النبي – صلى الله عليه وسلم – نفسه! لا تضارعُها: لا تشبهها. حُرمة: امرأة. مكية: من مكة. سمي: نظير أو مثيل أو شبيه. تيمية: من قبيلة تيم. سؤدَدُها: شرفها وأصلها. البرايا: الخلائق. منبهم: مبهم غير معروف. المصطفى الهشِم: من بني هاشم. ذروة: قمة. محتد: أصل. عترته: أهل بيته. الورى: الخلق. جلتْ: نزهتْ. البلواء: المصيبة القاصمة. القحَم: المصائب العاتية. أم رومان: هي زوج أبي بكر الصديق وأم عائشة – رضي الله تعالى عن الجميع -. الدنا: الدنيا. السلَم: الإسلام. غالى: بالغ. ذوو الغشم: أهل البطش والظلم. منتجعاً: مأوى. أس: أي أساس. بنى: عرّس وتزوج. إزم: جمع أزمة وهي الداهية الفظيعة. في نهم: في شوق وحب شديدين. المهيمن الحكم: من أسماء الله تعالى الحسنى. بناء: زواج. متسم: متصف. شمم: علو منزلة. تنعته: تصفه. السيم: الصفات. العقائل: جمع عقيلة وهي المرأة العفيفة الأصيلة ذات الأصل والحسب والنسب. العُصم: الشريفات العفيفات. سائر الطعُم: أي باقي المطعومات. فهُم: جمع فهْم أي فهوم. إضم: وادي يجتمع يه الماء لأنه واقع بين جبلين. تصوم الدهر: أي تصوم يوماً وتفطر يوماً. سيل العرم: هو السيل الشديد الذي يعقبه الخراب والدمار. عقودها الست: أي ستين سنة وزادت ثلاثاً ، لأنها ماتت في ذات عمر النبي – صلى اله عليه وسلم - عن ثلاثٍ وستين سنة. الخِلال: الصفات الكريمة. أضناها: أتعبها. لم تقم: أي لم تقم الليل. أجزل في العطاء: ضاعفه. معاوية: هو الصحابي الجليل وكاتب وحي رسول الله معاوية بن أبي سفيان بن حرب – رضي الله عنهما. الأمّات: جمع أم مثل أمهات ، وهو جمع صحيح لغة ، لكن لم يستخدمه كثير من الشعراء والكتاب والأدباء في أعمالهم. الحشم: حشَم الرجل هم عياله وأهل بيته. قحَم: مصائب عاتية شديدة. اللمم: صغائر الذنوب. عن رغم: أي رغماً عنك. وجاع: جمع وجيعة وهي المرض. الشيح والزعفران والعَنم: كلها نباتات عشبية علاجية استخدمت أيام عائشة وإلى اليوم. الأسقام: الأمراض. القريض: الشعر. باع: نصيب. منفصم: مقطوع. سحبان: هو سحبان وائل من أفصح العرب في الخطابة. يغبطها: يحسدها بغير تمني زوال نعمتها وهذ الفرق بينه وبين الحسد. منعجم: لا يُرف. النجُم: النجوم. تصوب: تصحح الأخطاء. الابتلاء: الإفك واتهامها في عرضها – رضي الله عنها – وحاشاها. الوبْل: المطر. احلولك الجو: اسوَدّ واكفهر. خالج: خالط. إرعاد: ضجة وجلبة وضجيج. أفاك: كذاب متخرص. ينبيه: يخبره. ضرم: نار مضرمة. الوصم: الحزن. الكُرَب القعساء: المصائب الشديدة. الغسم: الليل حالك السواد. النسَم: الناس. محتدم: مشتعل. شبم: بارد هادئ. الأيُم: دخان النار. بدرْك الحق: بإدراكه. اللقم: المستقيم. الرُحُم: الرحمات. الظالم الغلم: الغشيم. السخم: السواد. الخِيار: آية الخِيار في سورة الأحزاب. السنم: الرفيع القدر. ذوو العِمم: كناية عن أهل العلم. أومض النجم: أضاء. محلولك الظلم: أي الظلمات الشديدة السواد.

تصويب (معارضة للشابي: إذا الشعبُ يوماً!)

(عندما يجعل شاعر صدر قصيدته إخضاع القدر للشعب تكون طامة كبرى! وطامة أكبر منها أن يردد الناس بجهل منهم: (إذا الشعب يوماً أراد الحيا ة فلا بد أن يستجيبَ القدرْ)! ومن ذا الذي يقهر القدر من البشر على أن يستجيب أو لا يستجيب؟ وقائل: (سخرية الأقدار) وقائل: (قدرٌ أحمق الخطا) وقائل: (لا حسلم بالمكتوب ، ولا حرضى أبات مغلوب!) ولكنني تأثرت أكثر بزلة الشابي أبي القاسم ، وأردت أن أصوّب له ما أراد. لأنها كارثة تحتاج إلى تقويم وتصويب. وذلك حتى يكون الشعب وإرادته والناس أجمعين خاضعين لقدر الله ومن هنا أصوب.)

(إذا الشـــــعبُ يومـــــاً أراد الحيـــــ ـــــاة) ، وآمـــــن بالخـــالق المقتـــدرْ

وحقـــــقَ أســـــباب مـــــا يشتهيـــــ ـــــهِ ، وسَـــلّم طوعـــاً لأمـــر القـــدر

ســـــيُدرك فـــــي ذي الـــــدنا المبتغـــــي وبـــــين الأنـــــام سيقضـــــي الـــــوطر

ويُصـــــبح قـــــدوة كـــــل الـــــورى وكـــــل الشـــــعوب بـــــه تفتخـــــر

ويهـــــزم بالـــــدين أعـــــداءه وإمـــــا قلـــــى الـــــدينَ لا ينتصـــــر

وكـــــل القيـــــود سيكســـــرها ويحيـــــا يـــــؤازر خيـــــر البشـــــر

إلا إنهـــــا سُـــــنّ رتبـــــتْ فهـــــل مـــــن بصـــــير بهـــــا يَعتبـــــر؟

ســـــيُدركها مَـــــن تأملهـــــا وأرجـــــعَ فيمـــــا حوتـــــه النظـــــر

ولا لـــــن يـــــرى مـــــن فطـــــور بهـــــا ســـــينقلب البصـــــرُ المنحســـــر

جـــــرت سُـــــنة الله فـــــي خلقـــــهِ ودربُ الحيـــــاة بهـــــا مســـــتمر

فمـــــن جـــــدّ فـــــي العـــــيش نـــــال المُنـــــى ومَـــــن لـــــم يجـــــدّ إذن ينـــــدثر

ولـــــيس القضـــــاءُ لنـــــا خاضـــــعاً وهـــــل مســـــلمٌ مـــــن تحـــــدّى القـــــدر؟

ومـــــا خطـــــه الله يومـــــاً لنـــــا ســـــندركه فـــــي زوايـــــا العُمُـــــر

ومـــــا لـــــم يَخـــــط فلـــــيسَ لنـــــا! ألـــــيس لنـــــا الآن مـــــن مزدجـــــر؟

جنة الفردوس (معارضة لنص: أن تدخلني ربي الجنة)

(مهما كتب الكاتبون عن الجنة ونعيمها وصفة أهلها وساكنيها وحورها وفاكهتها ومائها وعسلها وخمرها ولبنها وظلالها وأنهارها وأشجارها وحُلِيها وفرشها ولباسها وكلام أهلها والملائكة فيها ، فإنهم يكتبون في إطار: (ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر). ومن هنا تأتي كلماتهم وقصائدهم تقريبية فقط. والسبب أنهم لم يرَوْا الجنة لتكون كلماتهم انعكاساً لمّا رأوْا. والحقيقة التي يجب أن ندركها اليوم أن كل نعيم دون الجنة حقير ، وكل بلاء دون النار عافية. وأن الغمسة الواحدة في الجنة تُنسِي صاحبها شقاء الدنيا كله ، وأن غمسة واحدة في النار تنسِي صاحبها نعيم الدنيا كله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قده في الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى أهل الأرض لملأت ما بينهما ريحاً ، ولأضاءت ما بينهما ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها". صحيح الجامع. وعن سهل ابن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: شهدت من رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً وصف فيه الجنة. حتى انتهى. ثم قال صلى الله عليه وسلم في آخر حديثه فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ثم اقترأ هذه الآية: (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون* فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون). صحيح مسلم. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة ، عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين ، يطوف عليهم المؤمنون ، وجنتان من فضة ، آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من كذا ، آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن". صحيح البخاري. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "قلنا يا رسول الله ما لنا إذا كنا عندك رقت قلوبنا وزهدنا في الدنيا وكنا من أهل الآخرة ، فإذا خرجنا من عندك فآنسنا أهالينا وشممنا أولادنا ، أنكرنا أنفسنا؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أنكم تكونون إذا خرجتم من عندي كنتم على حالكم ذلك لزارتكم الملائكة في بيوتكم ، ولو لم تُذنبوا لجاء الله بخلق جديد كي يُذنبوا فيغفر لهم. قال: قلت: يا رسول الله مم خلق الخلق؟ قال: من الماء. قلت: الجنة ما بناؤها؟ قال: لبنة من فضة ولبنة من ذهب ، ومِلاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من دخلها ينعم لا يبأس، ويخلد لا يموت ؛ لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم. ثم قال: ثلاث لا ترد دعوتهم: الإمام العادل ، والصائم حين يفطر ، ودعوة المظلوم يرفعها فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب تبارك وتعالى: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين". صحيح الترمذي. روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة ما يقطعها ، واقرأوا إن شئتم: (وظل ممدود) ، ولقاب قوس أحدكم في الجنة خيرٌ مما طلعت عليه الشمس أو تغرب). أما الدنيا فلستُ أدري لماذا يبيع بعض الناس آخرتهم من أجل دنياهم وقد علموا زوالها وحقارتها؟ قال القرطبي في تفسيره للآية الكريمة: (لقد خلقنا الإنسان في كبد): (أول ما يكابد الإنسان قطع سرته ، ثم إذا قُمط قماطاً ، وشد رباطاً يكابد الضيق والتعب ، ثم يكابد الارتضاع ولو فاته لضاع ، ثم يكابد نبت أسنانه ، وتحرك لسانه ، ثم يكابد الفِطام الذي هو أشد من اللطام ، ثم يكابد الختان والأوجاع والأحزان ، ثم يكابد المعلم وصولته والمؤدب

وسياسته والأستاذ وهيبته ، ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل فيه ، ثم يكابد شغل الأولاد والخدم والأجناد ، ثم يكابد شغل الدور وبناء القصور ثم الكبر والهرم وضعف الركبة والهرم في مصائب يكثر تعدادها ونوائب يطول إيرادها من صداع الراس ووجع الأضراس ورمد العين وغم الدين ووجع السن وألم الأذن ، ويكابد محناً في المال والنفس مثل الضرب والحبس ، ولا يمضي عليه يوم ولا يقاسي فيه شدة ولا يكابد إلا مشقة ، ثم الموت بعد ذلك كله ، ثم مساءلة الملك وضغطة القبر وظلمته ، ثم البعث والعرض على الله ، إلى أن يستقر به القرار إما في الجنة وإما في النار). فالفوز كل الفوز لمن كان من أهل الجنة ، والخسران كل الخسران لمن حرم نفسه بشقوته دخول الجنة وإنما أوبق نفسه بدخول دار الإهانة (النار) أعاذنا الله منها. وكان الباعث عن كتابتي عن الجنة أحد الأناشيد الجميلة التي مطلعها: (أن تدخلني ربي الجنة) فقلتُ إذا كنت أريد بشعري الجنة فينبغي أن أكتب عنها شعراً!)

نِعـــمَ الفضـــلُ ، ونِعـــم المِنـــة ... أن يـــــدخلك الله الجنـــــة!

وتـــرى مـــا لا عـــين نظـــرتْ ... ويُكَـــذبُ مَـــن ينظـــر عينـــه

وتعـــي مـــا لا أذنٌ ســـمعتْ ... عنـــه ، ولمّـــا تـــدركْ شـــأنه

تلـــك - علـــى قلـــب - مـــا خطـــرتْ ... بـــل هـــي - مِـــن مَولانـــا - مِنـــة

فـــي الجنـــة رؤيـــة بارينـــا ... ونلاقـــي - فيهـــا - هادينـــا

وملائكـــــة الله تهنـــــي ... وتقابلنـــــا ، وتحييـــــنا

وحوالينـــا رســـلُ المـــولى ... تبعـــث نـــورَ الفرحـــة فينـــا

والشـــهداء – لهـــم - دندنـــة ... والحُـــور العِـــين تُســـلينا

فـــي الجنـــة أنهـــار حلـــوةْ ... هـــي – للشـــارب - أنقـــى ســـلوةْ

مِـــن مـــاءٍ لـــم يأســـنْ أبـــداً ... أو كوثرهـــا بيـــد الأســـوة

أو لـــبن طعمتُـــه طابـــت ... أو خمـــر لـــذتها حلـــوة

يـــا رب أذقنـــا لـــذتها ... واســـتجب المأمـــلَ والـــدعوة

فـــي الجنـــة فاكهـــة ينعـــتْ ... ومـــن الآكـــل بعـــدُ اقتربـــتْ

ونخيـــلٌ تعقِـــبُ رُمانـــاً ... وحـــدائقُ زينـــتْ ، وابتشـــرت

وحَـــــوارٍ مـــــا مَسّـــــتْ بشـــــراً بـــــل صِـــــينتْ ، وعلينـــــا قصـــــرت

وخيـــــامُ الحُـــــور مُزركشـــــة والحُـــــورُ - علـــــى البُسُـــــط - اتكـــــأت

وحُلـــــيّ الجنـــــة مِـــــن ذهـــــبِ! ولآلـــــئُ تأســـــرُ عـــــن رغـــــبِ

والثـــــوبُ حريـــــرٌ مُخضـــــرٌ يَـــــذهبُ رونقـــــه بـــــالكرب

ولهـــــم لحـــــمُ الطيـــــر طعـــــامٌ ممـــــا يرغـــــب أهـــــل القـــــرب

ومِـــــزاجُ الكـــــافور شـــــرابٌ بعـــــدَ زواج الغِيـــــد العُـــــرُب

والكلمـــــاتُ صـــــدىً وتحايـــــا تعكـــــسُ أخلاقـــــاً وســـــجايا

لا تـــــأثيم ، ولا لاغيـــــة إن اللغـــــوَ أذىً وخطايـــــا

بـــــل تســـــليمٌ وتســـــابيحٌ بقلـــــوب ســـــلمتْ ، ونوايـــــا

ونفـــــوس زكّاهـــــا المَـــــولى فـــــي أســـــعد قـــــومٍ وبرايـــــا

رب النـــــاس ارزقنـــــا المـــــأوى إن الجنـــــة خيـــــرُ المَثـــــوى

عُقبـــــى أهـــــل الخيـــــر جميعـــــاً فلنســـــتبق - اليـــــومَ - الخطـــــوا

نحـــــو الجنـــــة دون تـــــرو سَـــــعياً ، أو جَريـــــاً ، أو حبـــــوا

فلنعمـــــلْ ، ولـــــنخلصْ حتـــــى نـــــدخلَ فـــــي الآخـــــرة المـــــأوى

رسالة إلى جيل التوحيد (معارضة لمصطفي صادق الرافعي)

(أعارض الأديب الكبير المحترم مصطفي صادق الرافعي في قصيدته العظيمة التي ينصح فيها للشرق والتي أولها: (تمايل دهرك حتى اضطرب وقد ينثني العطف لا من طرب). ثم يردف قائلاً:

ومـــرّ زمـــانٌ ، وجـــاء زمـــان وبـــين الزمـــانين كـــل العجـــبْ

فقـــومٌ تـــدلوْا لتحـــت الثـــرى وقـــوم تعلـــوْا لفـــوق الشـــهُب

ثم يختم الشاعر قصيدته ناصحاً للشرق الواحد مبيناً سنة الله في الهازلين اللاعبين المستهترين:

فـــدوروا مـــع النـــاس كيـــف اســـتدا روا فـــإن لحكـــم الزمـــان الغلـــب

ومَـــن عـــارض الـــدهر فيمـــا يحـــ ـــب ، رأي مـــن أذى الـــدهر مـــا لا يُحـــب!

ولا أعلم كاتباً أنصف واعتدل في ترجمة الدكتور الأديب مصطفي صادق الرافعي مثل أبو عمر المنهجي في كتابه (الكتب والمؤلفات التي تحدثت عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أو دافعت عنها بإنصاف). ويعود سبب اختياره وترجمته للرافعي أن الثاني ألف كتاباً في الذود عن الشيخ ابن عبد الوهاب رحمهما الله. يقول المنهجي عن الرافعي: هذا هو الرافعي الذي سار بنا في "وحي القلم" منبأً بأديبٍ رفيع. صاحب لغة سامية. تتجلى من قلمه روعة البلاغة. بألطف عبارة. رحم الله الرافعي. صاحب التصانيف الكثيرة البديعة. وأثناء تجوالي بين كتبه. وجدت كتاباً عذباً يدور حول ما أُحبه وأعشقه. إنها فاكهة القارئ ، وأُنس المتابع ، وقدوة الباحث ، وحكاية الزمان. إنه ما قال عنه الإمام أبو حنيفة النعمان – رحمه الله تعالى- : "إن السير أحب إلينا من كثير من الفقه". فالسير مدرسة الفقه وعلم التاريخ وتجارب الحياة وحكاية الزمان. والحكايات التاريخية عهدتها على الرواة ما لم يتهموا. وهكذا تجلت ريشة أديبنا الرافعي لترسم الحديقة الغناء. في كتابه الرائع [الدعوة والدعاة في الإسلام]. واختار عدداً من الدعاة والعلماء ، ومنهم الإمام المجدد ، والسبب لتأليف هذا الكتاب: (فمن أجل حركة توعوية رائدة ، ومن أجل تجهيز دعاة إسلاميين ذوي جدارة وأهلية ، لمواجهة النكبات التي تتوالى على الإسلام والمسلمين منذ أكثر من خمسة قرون ، أقدم هذه العُجالة عن بعض الدعاة السابقين المؤهلين "رجال الإسلام" عسى أن يكون فيها بعض ما ينير الظلمات التي تكتنف حياتنا ، وتلف مجتمعاتنا ، وعسى أن تنشأ بوادر انتفاضة صحيحة تقوّم الاعوجاج ، وتزيح أستار الضلالة ، وتدفع بعربة الإسلام في طريق المجد والتقدم).هـ. ولقد جاء في مقال للأستاذ وائل حافظ خلف نشرته مجلة المجتمع الكويتية وذلك في ذكرى وفاة الرافعي بعنوان: (الرافعي نابغة الأدب وحجة العربي): كتب إلى الرافعي الإمامُ محمد عبده: «ولدنا الأديب الفاضل مصطفي أفندي صادق الرافعي ، زاده الله أدباً. لله ما أثمر أدبك ، ولله ما ضَمِن لي قلبُكَ ، لا أقارضك ثناء بثناء ؛ فليس ذلك شأن الآباء مع الأبناء ، ولكني أَعُدّك من خُلَّص الأولياء ، وأُقدم صفك على صف الأقرباء. وأسأل اللهَ أن يجعل للحق من لسانك سيفاً يمحق الباطل ، وأن يُقيمَك في الأواخر مقامَ حَسَّانٍ في الأوائل ، والسلام». وقال الزعيم مصطفي كامل: «سيأتي يوم إذا ذُكر فيه الرافعيُّ قال الناس: هو الحكمة العالية مصوغة في أجمل قالب من البيان». وقال واصفاً إياه السيدُ محمد رشيد رضا منشئُ مجلة «المنار»: «الأديب الأروع ، والشاعر الناثر المبدع ، صاحب الذوقِ الرقيق ، والفهمِ الدقيق ، الغواص على جواهر المعاني ، الضارب على أوتار مثالثها والمثاني».

وقال عنه الأديبُ عباس محمود العقاد بعد وفاة الرافعي بثلاث سنين: «إن للرافعي أسلوباً جزلاً ، وإن له من بلاغة الإنشاء ما يسلكه في الطبقة الأولى من كُتَّاب العربية المنشئين». وقد قال قبلُ: (قبل أن تدور رحى الحرب بينهما ببضع عشرة سنة): «إنه ليتفق لهذا الكاتب من أساليب البيان ما لا يتفق مثلُه لكاتب من كتاب العربية في صدر أيامها». وخَطَّ شكيب أرسلان كلمةً رائعة. عنونها بـ «ما وراء الأكمة» ، صدرها بقوله عن الرافعي: «حضرة الأستاذ العبقري ، نابغة الأدبِ ، وحجة العربِ». وقال عنه المُحَدِّث أحمد محمد شاكر: «إمام الكُتَّاب في هذا العصرِ ، وحجة العربِ». وكان يعده الأستاذ إسماعيل علي سليم أحد أصدقائي – من كرام وموحّدي أهل ظفر دقهلية ـ وهو معلم لغة عربية ثانوي: (الرافعي أديب لا يشق له غبار ، ولعل مصر لم تجُد بمثله ، حيث جمع إلى النبوغ في فنون الأدب العلم بالعربية نحواً وصرفاً وكلاماً وبلاغة وفصاحة وإبانة وبديعا ، والعلم بالفقه في الدين والغيرة عليه والجهاد في سبيله مهما كلفه ذلك). وعلى الرغم أن الرافعي لم يستمر طويلاً في ميدان الشعر ، فإن له ديوان شعر متنوع الموضوعات يتجاوز الستمائة صفحة من القطع الوسط! وبرغم ما نسب إليه زوراً وبهتاناً أنه ذهب إلى النيل من الوزن والقافية ودعا إلى الشعر الحر ، نجد ديوانه قد التزم القالب العربي الأصيل وحافظ على الوزن والقافية والوحدة الموضوعية وجودة السبك والحبك والتركيب! ولا توجد مقطوعة واحدة في ديوانه فضلاً عن قصيدة من الشعر الحر ولا شعر التفعيلة الذي خرّب الذوق العربي! وكان قد انصرف عن الشعر إلى الكتابة النثرية لأنه وجدها أطوع ، ورغم أنه استطاع أن يلفت الأنظار إلا أنه في الواقع لم يكن يستطيع أن يتجاوز المكانة التي وصل إليها الشعراء الكبار في عصره وخاصة أحمد شوقي وحافظ إبراهيم فقد أعطى هذان الشاعران التعبير عن مشاعر الناس وهمومهم في هذا الجيل. رحم الله الرافعي إذ سخر قلمه وأدبه في الذود عن الإسلام ونبيه وعلمائه وشريعته. وإنني أحيي الشاعر القدير الرافعي وأعارضه بنصيحة لجيل التوحيد ، وكنت قد التزمت بحر الأستاذ وقافيته وفكرته ، وإن لم أبلغ بعدُ شأوه ومنزلته ، فيبقى لي شرف المحاولة:)

ترهلـــتَ حتـــى طـــواك العطـــبْ ... وكـــم ذا نُصِـــحتَ ولـــم تســـتجبْ!

وأســـرفتَ فـــي الهـــزل مســـتهتراً ... وسِـــرتَ الـــذليل وراء الطـــرب

لظـــى الموبقـــات عليـــك طغـــى ... وفـــي الـــدرب قـــد ســـربلتك الحُجُـــب

وأحـــرق عزمـــك جمـــرُ الهـــوى ... وأســـكنك العشـــقُ جـــوفَ الريـــب

وأرضـــكَ بعـــتَ لمُحتلهـــا ... فكيـــف تبيـــعُ لمـــن قـــد سَـــلب؟

وشـــرعة ربـــك عطلتهـــا ... ألســـت تفكـــر ، أو تحتســـب؟

وأهـــدرتَ سُـــنة خيـــر الـــورى ... وبعـــدُ هجـــرتَ مُفيـــد الكتـــب

وعشـــت بـــلا هـــدفٍ ، أو هُـــدىً ... كأنـــك جئـــت هنـــا للعـــب!

وعربـــدتَ ـ فـــي الأرض ـ مســـتكبراً ... ومجـــدُك ـ خلـــف الســـراب ـ ذهـــب

شـــربتَ الخمـــور ، وشِـــدت الخنـــا وفوقـــك أعتـــى الـــبلاء يُصـــب

وكنـــت رضـــعت لبـــان الزنـــا وأنفقـــت فـــي العُهـــر حتـــى العصـــب

ألـــيس يَروعُـــك يـــومُ القضـــا وأنـــت الـــذي الخيـــرَ لـــم تكتســـب؟

ألـــيس الحِمـــام نهايتنـــا؟ ألـــيس المـــآل لقعـــر التـــرب؟

وكيـــف انزلقـــت إلـــى مســـتوىً تناســـيت فيـــه الجـــدودَ النجُـــب؟

فهـــل قـــد يئســـت مـــن المرتقـــى؟ ألا إن هـــديك لمّـــا يَغـــب!

تشـــاد الحضـــاراتُ تبغـــي العُـــلا وأنـــت ـ مـــن المنتهـــى ـ تقتـــرب

تطـــال النكايـــاتُ إســـلامنا وســـوف تطـــال الحِمـــى والنشـــب

وأنـــت ترجّـــع لحـــن الغِنـــا كـــأنْ لـــيس بينكمـــا مـــن نســـب؟

ينـــال الكِفـــارُ مـــن المصـــطفي وإنـــي لأعجـــب كـــل العجـــب

فـــأين الحـــروبُ التـــي خضـــتها وفيهـــا لأهـــل الرشـــاد الغلـــب؟

وفرســـانك اليـــوم أيـــن هـــمُ؟ لـــم الخيـــل ـ عـــن ضـــبحها ـ تنســـحب؟

لمـــاذا العُتـــاة علينـــا اعتـــدَوْا؟ فيـــا جيـــل أقنعنـــي مـــا الســـبب؟

لمـــاذا جبُنـــتَ ، فلـــم تنطلـــق؟ لمـــاذا اســـتكنت لبـــأس النـــوب؟

ألســـت امتـــداداً لأهـــل الهُـــدى؟ ألســـت ـ إلـــى جـــيلهم ـ تنتســـب؟

ســـما الملحـــدون ، وحـــازوا العـــلا وعنـــك تـــولى الزمـــان الخصِـــب

ألا أيهـــا الجيـــل قـــمْ ، وامتثـــلْ ألا اســـجدْ لربـــك ، ثـــم اقتـــرب

حياتـــك فـــي الـــدين ، فـــاحيَ لـــه وربـــك ســـوفَ يُزيـــل الكـــرب

حبيبتي أقبلتْ! (معارضة لابن الخطيب – جاءتْ مُعذبتي)

(قال لسانُ الدين بن الخطيب واصفاً لقاءً بين عاشقين: عاشق جريءٍ يُرحبُ بها ويتبسط معها ، ويُقبلها وتُقبله في جرأةٍ عجيبة! وأما العاشقة فقد أقسمتْ بحق عيونها نصياً! والأصل أن لا نقسم إلا بالله تعالى! ناهيك عن جُرأتها عندما حدثها عاشقها عن الحرام والحلال فقالت: اجعلْ ذلك العناقَ وتلك القُبلة في عُنقي! أما قصيدتي: (حبيبتي أقبلتْ!) فهي حوارٌ دار بين عشيقيْن مؤمنيْن يخافان الله تعالى والدار الآخرة! وكان العاشقُ قد أرسل أمه وخالته لمُدارسة أمر خِطبتها قبل لقاء الرجال! فنظرتا إلى العروس ، وشمتا مَعاطفها ، ونظرتا عُرقوبها كما تقول السُنة ، وناقشتا الأمرَ معها ومع أمها ، ولقيتا القبول! فعادتا إلى ابنهما العاشق الولهان وأخبرتاه الخبر! وأما العروس فتعلمُ أن أباها كان قد رفض خطاباً كثيرين تقدموا لها لأنهم فقراء! فخافت العروسُ أن يُصيب ذلك الخطيبَ الجديدَ ما أصاب سابقيه من الرفض! ولما علمتْ أنه ذو خلق ودين ، قررتْ أن تُعينه على الزواج منها! فجمعتْ حُليّها التي لا يعرفُ أبوها عنها شيئاً ، وذهبتْ لدار الخطيب المنتظر بعد صلاتها للفجر في المسجد! وقدمتْ إليه المجوهرات لكي يُقدمها فلا يرفضه أبوها كعادته! فشكرَ لها ، وعاهد الله أن يرد لها هذه الهدية واعتبرها دَيْناً عليه! فقمتُ بصياغة الموقف شعراً ، وذلك بمعارضة لسان الدين بن الخطيب! وإن لم أبلغ شأو وشأن ابن الخطيب في الإجادة والكتابة ، وهذا أعترف به للرجل لأنصفه! فيبقى لي شرف المحاولة الذي أدندنُ حوله كثيراً عندما أعارضُ أحداً من الشعراء! ولكنني أعتقدُ اعتقاداً جازماً قاطعاً أن المناسبة والجو النفسي أفضل بكثير من الموضوع والفحوى عند ابن الخطيب! والمقارنة للتاريخ وللجمهور في المستقبل! وأشكرُ من كل قلبي الأستاذ الشاعر النبطي السعودي الكبير سلطان الهاجري! فقد كان سبباً مباشراً في صياغتي لهذه القصيدة! حيث تحدّاني بها على حد تعبيره!)

حبيبتـــي أقبلـــتْ فـــي غِلســـة الفلـــقِ ... والثـــوبُ يَســـترُها مـــن خـــائن الحِـــدَقِ

تســـعى ويَســـبقها اســـتحياءُ مِشـــيتها ... ولـــيس فـــي ســـعيها شـــيءٌ مـــن الخـــرق

فقلـــتُ: مرحـــى بمـــن صـــلتْ بمســـجدها ... صـــلاتها ، كـــالتي صـــلتْ مـــن الغســـق

فهـــل ضـــللتِ طريـــقَ الـــدار يـــا أملـــي ... فجئـــتِ كـــي تســـألي عـــن غـــامض الطـــرق؟

أم جئـــتِ كـــي تختلـــي بالحِـــب عـــن رغـــب؟ ... فقـــــاطعتْني بصـــــوتٍ خافـــــتٍ أرِق

لا ، والـــــذي رفـــــعَ الســـــما بـــــلا عَمَـــــدٍ ... بـــل جئـــتُ أشـــكو الـــذي ألقـــى مـــن القلـــق!

أبـــي ســـيرفضُ مـــا قـــد جئـــت تطلبُـــه ... يـــا صـــاحبَ الـــدين والإيمـــان والخلـــق!

أنـــت الفقيـــرُ ، وإن حُـــزت التقـــى خلقـــاً ... لكـــنْ يتـــوقُ أبـــي للـــدُر والـــوَرِق!

فقلـــتُ: علّـــي بمـــا لـــديّ أقنعُـــه! ... قالـــت: ســـيغلبه مـــا حـــاز مـــن نـــزق!

فقلـــتُ: جئـــتِ بحـــل والخـــلاص إذن! قالـــت ويلجمُهـــا ســـيلٌ مـــن العـــرق:

هـــذي الجـــواهر خـــذها كـــي تقـــدمها فـــي مجلـس العقـد فـي عـز وفـي شـمق!

فقلـــت: هـــذا جميـــلٌ منـــك محتـــرمٌ يومـــاً يُـــرد ، فـــذا كالـــدَيْن فـــي عُنقـــي

أراكِ بعـــد الـــذي قـــدمت جـــوهرة أفـديكِ بـالروح فـي هـذي الوعـود ثقـي

قالـت: أعـودُ إلـى الأهلـين ، وابـق هنـا! لتـركبن طبقـاً فـي الغـدّ عـن طبـق!

وبـــارك الله مـــن جـــاءت تعـــين فتـــىً علـى الـزواج ومَـن فـي الـدار تلـك بقِـي

واســترْ علــيّ الــذي أعطيــتُ أرجــو بــه رب الســـماوات والأرضـــين والفلـــق

فقلـــت: بـــارك ربـــي فـــي خطوبتنـــا وأذهـــب الله مـــا نلقـــى مـــن الفَـــرَق!

وأخلـــفَ اللهُ مـــا أنفقـــتِ راضـــية يـــا ربّـــة الحُسْـــن والجَمـــال والخُلـــق!

وشـــدّ أزرَكِ فـــي الـــدنيا وضُـــرتها مَليكُنـــا خـــالقُ الإنســـان مـــن علـــق!

وتمـــمَ الفضـــلَ مولانـــا وخالقنـــا وخفـــفَ الله مـــا نلقـــى مـــن المِشَـــق!

معاني الكلمات غير المطروقة

غِلسة: وقت الغلس والغبش الذي يكون بُعيد الفجر! الفلق: انبلاج وقت الفجر. الثوب: العباءة السابغة الساترة لكل البدن ، بما في ذلك الوجه والكفان طبعاً! الحِدق: العيون. استحياء: سترُ وجهها بالحجاب وكلتا كفيها لئلا يراها خطيبُها الذي هو أجنبي إلى أن يعقد عليه فتصبح زوجة له! الخرَق: الطيش والحُمْق والغباء. الغسق: أول الليل. ضللتِ: تهتِ عن بيتك. الحِب: الحبيب الولهان الذي تعلقتْ به. عن رغب: راغبة في لقاء الحبيب. خافت: هادئ. أرِق: فيه قلقٌ وخوف ورُعب. حُزت: أعطيت ومُنحت. يتوق: يتطلع جداً. الدُر: اللؤلؤ أو الذهب. الورِق: الفضة. النزق: الطيش والغباء. يلجمها العرق: يسيل على وجهها. الشمق: الحيوية والنشاط والرجولة. لتركبن طبقاً عن طبق: أي تتغير بك الأحوال من لقاء أبي وكلامه وتصرفاته. الفرَق: الخوف. شد أزركِ: قوّاكِ. الحياة الدنيا وضرتها: أي الآخرة. من علق: من دم. المِشق: جمع مشقة ، وهي المشكلة العويصة الصعبة!

حَنيـنٌ بقلبـــي! (معارضة للعشماوي: حَنينٌ بقلبي!)

(منذ عقدين مَضيا وأنا أرغبُ في معارضة هذه القصيدة الجميلة ذات الأبيات التسعة! ولما حان حين الرغبة تلك ، عارضتها بهذه القصيدة متخيلاً من كتب لهم الدكتور عبد الرحمن قصيدته ، وهم يبعثون له بالرد شعراً على رسالته! وكان الدكتور قد رحل عنهم إلى (كوتا باتو) جنوب الفليبين لتدريس اللغة العربية هناك! وإن لم تبلغ قصيدتي شأوَ وجمالَ قصيدة الدكتور وهذا واضحٌ لا يحتاجُ إلى بَيان ، وطبيعي أن يكون الدكتور أشعر أهل بيته ، فيبقى لي شرفُ المحاولة! والحقيقة أنني عندما استمعتُ إليها أول مَرة استعدت الاستماعَ عشرَ مَرات!)

طوانـــــا اشـــــتياقٌ وحُـــــبٌ مَكِـــــينُ ... فلـــــيس يـــــزورُ القلـــــوبَ السُـــــكونُ

رحلـــــتَ ، وذبنـــــا لمَـــــرآك شَـــــوقاً ... وشـــــوقُ المُحِبـــــين شـــــوقٌ مَتـــــين

وللـــــــذكريات هيـــــــاجٌ شـــــــديدٌ ... يَـــــرُجُ النفـــــوسَ ، ولـــــيس يُبـــــين

****

فراقـــــك للأهـــــل ثِقـــــلٌ ثقيـــــلُ ... وللبـــــين أخْـــــذٌ عَتِـــــيٌ وَبيـــــلُ

وآثـــــارك الآن كـــــم نشـــــتهيها! ... تُخفـــــفُ عنـــــا الـــــذي نســـــتطيل

وفـــــي كـــــل ركـــــن نـــــرى لـــــك طيفـــــاً ... وكـــــم يُســـــعدُ الـــــنفسَ طيـــــفٌ جميـــــل!

****

وأنـــــت بهـــــذا الـــــوداد حَقيـــــقُ ... علـــــى الكـــــل أنـــــت الحنـــــون الشـــــفيق

وجُـــــودُك يَبعـــــث فينـــــا حيـــــاة! ... فأنـــــت لأهلـــــك نعـــــم الصـــــديق!

ونـــــذكرُ مـــــا قلتـــــه مِـــــن نُصُـــــوح ... لكـــــي لا يُعـــــاودُ كَـــــرْبٌ وضِـــــيق

****

وأشـــــعارُك الباعثـــــات التحايـــــا ... تُحَفزنـــــا أن نصـــــونَ الوصـــــايا

فـــــنصٌ يُهَنـــــي ، ونـــــضٌ يُعَـــــزي! ... وبينهمـــــا نســـــتطيبُ الهـــــدايا

وللأمســـــيات صَـــــدَىً لا يُبـــــارى ... وتلـــــك عَطِيـــــة رب البرايـــــا

****

نـــــراك بثـــــوب تركـــــت مُسَـــــجّى ... يُســـــامرُ إبنـــــاً وبنتـــــاً وزوجـــــا

نـــــراك بعطـــــر شـــــذاهُ تهـــــادى بســـاح الـــديار ، ومـــا فـــات فجّـــا

نـــــراك بـــــأحلى (شِـــــماغ) تـــــدلى علـــى مِشْـــجَبَيهِ يُصـــارعُ رَهْجـــا

********** **********

ونســـــمعُ صـــــوتك إمـــــا أتانـــــا صـــديقٌ يُثيـــرُ النـــوى والشـــجونا

ويســـــأل عنـــــك بكـــــل التيـــــاع وتُرســـــلُ عينـــــاه دَمعـــــاً هتونـــــا

يُـــــذكّرنا بـــــك فـــــي كـــــل لفـــــظٍ كأنـــــك فارقـــــت قومـــــاً ســـــنينا

********** **********

تـــــــــولاك ربٌ رؤوفٌ رحـــــــــيمٌ وخصّـــــك بـــــالجُود مَـــــولىً كـــــريم

وَوُفقـــــت فيمـــــا ذهبـــــت إليـــــه فتدريسُـــــك الضـــــادَ شـــــيءٌ عظـــــيم

وثبّتـــــك الله فـــــي كـــــل وقـــــتٍ وحِـــــين تنـــــامُ ، وحِـــــينَ تقـــــوم!

حييِّ المعلم ، جازه التبجيلا! (معارضة لشوقي)

(في تاريخ الأدب العربي ألقابٌ ومُسمّيات أُطْلِقَتْ على بعض مجموعات من القصائد الشعرية تعلقت بالحال ، أو المكانِ ، أو الزمان ، أو المناسبة ، أو الحدث. ففي العصر الجاهلي كانت المعلقات ، والطوْليات والحَوْليات ، والاعتذاريات. وفي العصر الأموي النقائض والهاشميات والنزاريات. وفي العصر العباسي كانت السيفيات والروميات والكافوريات واللزوميات. وفي العصر الذي سمي بعصر الدول كانت الثغريات ، وأيضًا الحِطينيات والقدسيات. وفي عصرنا الحديث كانت النوادر من بعض الشعراء سواء في جمال القصيدة أو طولها أو أهميتها أو صداها. مما حدا بكثير من الشعراء الآخرين أن يعارضوها ، أو ينسجوا على منوالها. ومن ذلك قصيدة الشاعر أحمد شوقي: (قم للمعلم) تلك التي كان لها صدىً كبير في زمانها وفي وقتنا الحاضر. ولعل مقدمة هذه القصيدة لا تتسع لمناقشة حال المعلم في الماضي والحاضر! إن آيات العلم في الكتاب العزيز تجاوزت الثمانمائة آية ، هذا فضلاً عن الآيات التي شملت الدعوة إلى العلم وإن لم تستعمل لفظه مثل مادة عرف وبان ورأى وغيرها ، وهي في أكثرها تعني العلم بأنواعه وفروعه من تكريم له وتمجيد لفضله وحض على اقتناصه وتكريم لأهله وتعظيم لعلم الله سبحانه خالق كل شيء. قال تعالى: {يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}. وَيُرْوَى عَنْ مُعاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قوله: (تَعَلَّمُوا العِلْمَ فإنّ تعلُّمَهُ لِلّهِ خَشْيَةٌ ، وَطَلَبَهُ عِبَادَةٌ ، ومُدَارَسَتَهُ تَسْبِيحٌ ، والبَحْثَ عنهُ جِهَادٌ ، وَتَعْلِيمهُ مَنْ لا يَعْلَمَ صَدَقَةٌ ، وَبَذْلَهُ لأهْلِهِ قُرْبَةٌ ، وَهُوَ الأَنيسُ في الوَحْدةِ ، والصاحِبُ في الخَلْوَةِ ، والدّلِيل على الدِّين ، والمُصَبِّرُ على السرَّاءِ والضَّرَّاءِ ، والوَزِيرُ عِندَ الأخِلاء ، والقَرِيبُ عندَ الغُرَباءِ ، وَمَنارُ سَبيلِ الجَنّةِ ، يَرْفَعُ اللهُ بِهِ أقْوَامًا ، فيجعلُهُمْ في الخَيْرِ قَادةً سادةً هُدَاةً ، يُقْتَدَى بهم ، أَدِلّةً لِلْخَيرِ ، تُقْتَفَى آثارُهمْ ، وَتُرْمَقُ أَفْعالُهُمْ ، وَتَرْغَبُ الملائكةُ في خُلَّتِهِمْ ، وبأَجنِحَتِهَا تمْسَحُهُمْ ، وَكُلُّ رَطْبٍ ويابسٍ لهُمْ يَستغْفِرُ ، حَتَّى حِيتَانُ البَحْرِ وَهَوامُّهُ ، وَسِبَاع البَرِّ وَأَنْعامُهُ ، والسَّماءُ وَنُجُومُها ، لأنَّ العِلْمَ حَيَاةُ القُلُوب مِنَ العَمَى وَنُورُ الأبْصَارِ مِنِ الظُّلَمِ ، وَقوَّةُ الأبْدانِ مِنَ الضَّعْفِ ، يَبْلُغُ بِهِ العَبْدُ مَنَازلَ الأَبْرارِ والدَّرَجَاتِ العُلَى ، وَمُدَارَسَتُهُ بالقيام ، به يُطاع اللهُ عزَّ وجلَّ وَبِهِ يُعْبَدُ ، وَبِهِ يُوَحَّدُ ، وَبِهِ يُمَجَّدُ ، وَبِهِ يُتَوَرَّعُ ، وَبِهِ تُوصَلُ الأَرْحَامُ ، وَبِهِ يُعرفُ الحَلالُ والحرامُ ، وهو إمامٌ والعَمَلُ تابعُهُ ، يُلْهَمُهُ السُعداءُ ، وَيُحْرَمُهُ الأَشْقِياءُ)هـ. يقول الإمام أحمد رحمه الله تعالى: الناس محتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب ؛ لأن الطعام والشراب يُحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين ، والعلم يُحتاج إليه بعدد الأنفاس. ومن احترام المعلم أن: تبدأه بالسلام والتلطف في مناداته وعدم رفع الصوت عليه وتبجيله والإنصات إليه. وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (من حق العالم عليك أن لا تكثر عليه السؤال ولا تفشين له سراً ، ولا تغتابن عنده أحداً ، ولا تطلبن عثرته ، وإن زل قبلت معذرته ، وعليك أن توقره وتعظمه لله ، مادام يحفظ أمر الله ، ولا تجلسن أمامه ، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إليها. وقال أبو معاوية الضرير: استدعاني الرشيد إليه ليسمع مني الحديث ، فما ذكرت عنده حديثاً إلا قال: صلى الله وسلم على سيّدي ، وإذا سمع فيه موعظة بكى حتى يبل الثرى ، وأكلت عنده يوماً ثم قمت لأغسل يديّ ، فصب الماء عليّ وأنا لا أراه ، ثم قال يا أبا معاوية: أتدري من يصب عليك الماء؟ قلت: لا. قال: يصب عليك أميرُ المؤمنين. قال: أبو معاوية فدعوت له. فقال: إنما أردت تعظيم العلم. كان العالم المسلم (الكسائي) يربي ويؤدب

ابني خليفة المسلمين في زمانه هارون الرشيد ، وهما الأمين والمأمون وبعد انتهاء الدرس في أحد الأيام ، قام الإمام الكسائي فذهب الأمين والمأمون ليقدما نعلي المعلم له ، فاختلفا فيمن يفعل ذلك ، وأخيراً اتفقا على أن يقدم كلاً منهما واحدة. ورفع الخبر إلى الرشيد ، فاستدعى الكسائي وقال له: من أعز الناس؟ قال: لا أعلم أعز من أمير المؤمنين! قال: بلى ، إن أعز الناس من إذا نهض من مجلسه تقاتل على تقديم نعليه ولياً عهد المسلمين ، حتى يرضى كل منهما أن يقدم له واحدة! فظن الكسائي أن ذلك أغضب الخليفة ، فاعتذر الكسائي ، فقال الرشيد: لو منعتهما لعاتبتك ، فإن ذلك رفع من قدرهما. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من سلك طريقاً يطلب فيه علماً ، سلك الله به طريقاً من طرق الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ، ومن في الأرض ، والحيتان في جوف الماء ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء ، لم يورثوا ديناراً ، ولا درهما ، إنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر). وسئل الإسكندر: لِمَ تُكرم معلمك فوق كرامة أبيك فقال: إن أبي سبب حياتي الفانية ومعلمي سبب حياتي الباقية. ومن علمني حرفاً صرت له عبداً. فاحترام المعلم دليل على حسن التربية وأصالة الخلق الطيب. ألا وإن أعظم طرق الجنة: العبادة والجهاد والدعوة إلى الله. وجماعها العلم. فإن تعلمه جهاد. وتعليمه دعوة. والمرء فيما بين التعلم والتعليم متعبدٌ لله. ثم إنه لا يكون جهاد إلا بعلم. لا بالسيف ولا بالقلم. ألم ترَ إلى قول الله تعالى: يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين. فخاطبه بالنبوة إذِ النبوةُ أعلى درجات العلم. وكذلك الدعوة. لا تكون إلا بعلم. ولا تكون إلا على علم. ألم ترَ إلى قول الله تعالى: قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة. فمن لا يعلم ، كيف يدعو؟! بل إلى أي شيء يدعو؟! والعبادة لا تختلف عن ذلك. وانظر وتفكر في قول الله تعالى: (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون. الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم). فإنه – سبحانه – لما أمرهم بالعبادة عرّفهم بالمعبود. ومعرفة المعبود تكون بالتعرف على آثاره ونعمه وعظيم منته على عابديه. ثم ختم الآية بقوله: (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون). لأنكم إن فعلتم ذلك صرتم كمن لا يعلم. إذ إن عدم الانتفاع بمادة العلم هو عين الجهل. ثم إن العبادة مفتقرة – أشد الافتقار – إلى العلم من جهتين: جهةِ العلم بالمعبود. وجهةِ كيفية العبادة. فإذا فقدتِ العبادة العلمَ بالمعبود أفضت – في الغالب – إلى الشرك. وإذا فقدتِ العلم بكيفية العبادة أفضت – في الغالب – إلى البدعة. وكِلا الأمرين مفسدٌ للعبادة من أصلها. فالعلم جامع لكل خير. مانع من كل شر. ولا يكون هذا إلا إذا كان محصوراً بحدين: الإخلاصِ في أوله. والتوفيق في آخرِه. وفي الأخير أقول: العلم نور والجهل ظلام).هـ. يقول الشيخ محمد خير الطرشان تحت عنوان: (المعلم ومكانته في الدين) ما نصه: (يقول عليه الصلاة والسلام: إن الله عز وجل لم يبعثني معنفاً ولكن بعثني معلماً. رواه أحمد. يرفض عليه الصلاة والسلام منهج الشدة والقسوة والعنف ، ويدْعُو إلى منهج التعليم ، وهو منهجٌ له علاقةٌ بالسلوك وتزكية النفس أولاً. ولما كان العلم منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقد أشار القرآن الكريم إلى مكانة المعلمين من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وإلى دَورهم في نقل هذه الرسالة وتعليمها إلى الناس أجمعين من خلال منهجين: منهجٌ قائمٌ على التعليم ، ومنهجٌ آخرٌ قائمٌ على التزكية. يقول سبحانه وتعالى: (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ). نلاحظ في هذه الآية أن الله تعالى

قدّم التعليم على التزكية. وفي آية أخرى قدّم الله سبحانه وتعالى التزكية على التعليم في معرض امتنانه على هذه الأمة بأن أرسل لهم رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم فقال: (لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ). التزكية هي: منهجُ سلوكٍ نفسي وخُلقي على كل إنسان أن يتحلى به ، سواء كان معلماً أو متعلماً. ومهمة المُسلّكين ، والمربين ، والأنبياء ، والمعلمين ، والمدرّسين ، هي الجمعُ بين الأسلوبين معاً! أي أن يكونوا معلمين ومزكّين في الوقت نفسه ؛ بأن يحرصوا على نقل المعلومة إلى طلابهم والارتقاء بهم من مرحلة الجهل إلى مرحلة العلم ، ثم الانتقال بسلوك الطلاب إلى مستوىً أرقى مما كانوا عليه فيما مضى ، وهذا يُشعِر كل المربين والمعلمين بالمسؤولية العظمى والأمانة الكبرى التي حمّلهم إياها ربنا سبحانه وتعالى. ولقد حمّل اللهُ تعالى الإنسانَ الأمانة ، وعندما يُذكَر مصطلح الأمانة يتخيل كثير من الناس أنه ينحصر في مبلغٍ من المال يأخذه الإنسان ويكون وديعةً عنده ، أو قرض أخذهُ من زميل له أو صديق أو أخ فأصبح ديناً في حقه فهو أمانة. لكن هذا المفهوم مفهوم قاصر وخاطئ ، الأمانة هي: كل أمرٍ يُطالَب به الإنسان أمام الله وأمام العباد ، فلله تعالى علينا أمانات كثيرة وأولها الفرائض: الصلاة أمانة ، والزكاة أمانة ، والصوم أمانة والحج أمانة. والواجبات الأخرى التي فرضها الله علينا سبحانه وتعالى أمانة: كصلة الأرحام ، وبر الوالدين والإحسان إلى الجيران ، وإكرام الضيف أمانة. هناك أمانات أخرى تتعلق بالسلوكيات التي يتعامل الناس بها فيما بينهم: كالإخلاص في المودة والصحبة والعلاقة. والتعليم أمانة عظمى ، وهو من أعظم أنواع الأمانات ، فالمعلم مؤتمن على تقديم العلم النافع لطلابه وأبنائه وتلامذته. نحن كآباء نرى أو نسمع من أبنائنا في المدارس إهمالَ كثيرٍ من المعلمين وتقصيرهم وعدم إعطائهم حق هذه المهنة. أين هو المعلم الذي يُهمل مادته وتدريسه من تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه؟! أين هو من تعليمه للأعراب الجفاة الغلاظ الذين كانوا يأتون إليه من أطراف البادية ، فيقول أحدهم أيكم محمد؟ بكل غلظة وكل فظاظة ، لا يحترم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يتأدب بين يديه ، ومع ذلك يقبل عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فيقول له: علمني دين الله الذي أُنزل عليك ، فيجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه وبين يديه ، ويدنيه منه ، ويقربه إليه ثم يعلمه دين الله سبحانه وتعالى دون ملل أو تكبر أو ضجر منه. وإذن فمهنة التعليم والتدريس أمانة عظمى. وعلى هذا فإنك أيها المعلم قد ارتقيت منزلةً ذات شأن عظيم عندما أصبحت معلماً ومربياً ، وغدوت في القمة ، فحاول أن لا تكون من المقصرين أو المهملين في هذه المهمة العظيمة التي هي شرف كبير ، إذ به نلت درجة العلم ، وبلغت مصاف العلماء ، وأصبحت في منزلة كبيرة. والإسلام يحثنا على ضرورة تعلم الإنسان وارتقائه بنفسه وحرصه على أن يكون قدوة لطلابه إن كان مدرساً ، وشيء طبيعي أن يكون المعلم قدوة لطلابه ؛ لأنه حقيقةً في مقام الأب الروحي للطلاب ، فإذا كان الطلاب يرون آباءهم في البيت ساعات محدودة ، فإنهم يرون أساتذتهم في المدرسة ساعات أطول مما يرون آباءهم ، سواء كان هذا المتعلّم في المرحلة الابتدائية أو الإعدادية أو الثانوية ، أو حتى في الجامعية يتكون من خلال أفكار أساتذته ومعلميه ومربيه ومشايخه ، ويتأثر بهم ، ويتقلب على الطريقة التي ينقله إليها أساتذته ومعلموه).هـ. ومن هذا المنطلق راح أحمد شوقي يعلي من شأن المعلم في قصيدته المشهورة: (قم للمعلم). ونسج على منواله كثير من الشعراء من أهل زمانه من الذين يحترمون العلم والتعليم ويعتبرون المعلم صاحب رسالة لا وظيفة! وعلى النقيض من ذلك هناك

المدرسة الطوقانية التي تخالف عن ذلك! وهذي قصيدة حافظ إبراهيم في المعلم – نوردها هنا على سبيل المثال - وهي غاية في الإتقان والسبك مثل شوقي تماماً:-

حَيّـــاكُمُ اللهُ أَحْيُـــوا العِلْـــمَ والأَدَبـــا إنْ تَنْشُـــرُوا العِلْـــمَ يَنْشُـــرْ فـــيكُم العَرَبـــا

ولا حَيـــــاة لكـــــمْ إلاّ بجامِعَـــــةٍ تكـــونُ أمَّـــا لطَـــلاّبِ العُـــلاَ وأبَـــا

تَبْنِـــي الرِّجـــالَ ، وتَبنِـــي كـــلَّ شـــاهِقَة مِـــنَ المَعـــالِي ، وتَبْنِـــي العِـــزَّ والغَلَبـــا

ضَـــعُوا القُلُـــوبَ أَساســـاً لا أقـــولُ لكـــمْ ضَـــعُوا النّضـــارَ فـــإنّي أَصْـــغِرُ الـــذّهَبا

وابْنُـــوا بأَكْبَـــادِكُمْ سُـــوراً لهـــا وَدَعُـــوا قيـــلَ العَـــدُوِّ فـــإنّي أَعْـــرِفُ السَّـــببَا

ويختتم حافظ قصيدته في العلم والتعليم وواجبات المعلم بهذه الوصية الجميلة الخالدة التي تذكرنا بالتضمين القرآني البديع من إقراض الله قرضاً حسناً ليضاعفه الله أضعافاً كثيرة عنده سبحانه ، فيقول:

إن تُقرِضـــوا اللهَ فـــي أوطـــانِكُم فَلَكُـــم أَجـــرُ المُجاهِـــدِ طـــوبى لِلّـــذي اِكتَتَبـــا!

وهذا شاعر يحمل على طوقان ويلومه على هجومه على شوقي ويخالف النظرية الطوقانية فيقول:

طوقـــان يبكـــي والسعـــادة حولـــه هـــوِّنْ عليـــك ، فلـــيس ذا تحلـــيلا

العلـــم نـــورٌ ، والمعلـــم شمعـــةَ والحِمـــل فـــي التعليـــم جـــدّ ثقيـــلا

أخطـــأت يـــا طوقـــان فيمـــا قلتـــه شـــوقي أميـــرٌ لـــن يكـــون كســـولا

لـــو جـــرّب التعلـــيم شوقـــي ساعـــة لقضـــى الحيـــاة معلمـــاً ودليـــلا

واختـــار أن يبقـــى وجـــرّ رفاقـــه وتحولـــوا عـــن شغلهـــم تحويـــلا

ويختتم الشاعر قصيدته في الرد على طوقان بهذا التحذير الجميل الخالد الذي يجعلنا نحترم وجهة نظره من إنصاف الحق والوقوف بجانب المعلم المفترى عليه ليضاعف الله الأجر عنده ، فيقول:

عـــذراً فـــإني لـــن أكـــون بجانـــب (الطـــ ـــوقان) أيضـــاً لـــن أخـــون مُيـــولا!

وأما الشاعر عادل عبد الوهاب عبد الماجد فلقد رد على الشاعر إبراهيم طوقان في اعتراضه على شوقي رداً يلقي باللائمة على المحيطين بالمعلم والمسؤولين عنه وعن تردي أحواله فيقول:

العلـــــم لـــــيس بظـــــالم أو مـــــذنب إن لـــــم تجـــــد فـــــي طالبيـــــه نبـــــيلا

النـــــابغون النـــــابهون بعلمهـــــم تلقـــــاهمُ بـــــين الأنـــــام قلـــــيلا

يـــــا صـــــاحبي طلابنـــــا نجُـــــبٌ فـــــلا تحتـــــاج فـــــي تدريســـــهم تطـــــويلا

فـــإذا رميـــت الـــنص فـــي جـــو الســـما فهمـــــوه حتـــــى يصـــــرعوه قتـــــيلا

أمـــــا اللغـــــات فســـــيبويه إمـــــامُهم ورفاقـــــه أهـــــل القـــــرون الأولـــــى

ويختتم عادل عبد الوهاب عبد الماجد قصيدته في الرد على طوقان بهذا الثناء الجميل الطيب الذي يرغب ويزين مهنة التدريس والتعليم مثنياً على شوقي ، وجاعلاً تتمة بيته من شوقي ، فيقول:

يـــا مـــن يريـــد الافتخـــار وجدتـــه (كـــاد المعلـــم أن يكـــون رســـولا)!

ويحسن أن نلقي هنا نبذة عن الشاعر إبراهيم طوقان لنتعرف على قصيدته التي صارت مأوى وملاذ ومرجع كل من يريد النيل من المعلم والتعليم. وُلدَ الشاعرُ إبراهيمُ عبد الفتاح طوقان في قضاءِ نابلس بفلسطين سنة 1905م ، وهو ابن لعائلة طوقان الثرية. تلقى دروسه الابتدائية في المدرسة الرشيدية في نابلس ، وكانت هذه المدرسة تنهج نهجاً حديثاً مغايراً لما كانت عليه المدارس في أثناء الحكم التركي ؛ وذلك بفضل أساتذتها الذين درسوا في الأزهر ، وتأثروا في مصر بالنهضة الأدبية والشعرية الحديثة. ثم أكملَ دراسَتَه الثانوية بمدرسة المطران في الكلية الإنجليزية في القدس عام 1919م ، حيث قضى فيها أربعة أعوام ، وتتلمذ على يد نخلة زريق الذي كان له أثر كبير في اللغة العربية والشعر القديم على إبراهيم طوقان. بعدها التحق بالجامعة الأمريكية في بيروت سنة 1923م ، ومكث فيها ست سنوات ، نال فيها شهادة الجامعة في الآداب عام 1929م. ثم عاد ليدرّس في مدرسة النجاح الوطنية بنابلس. وانتقل للتدريس في الجامعة الأمريكية وعَمِلَ مدرساً للغة العربية في العامين (1931 – 1933م) ثم عاد بعدها إلى فلسطين. وفي العام 1936م تسلم القسم العربي في إذاعة القدس وعُين مُديراً للبرامجِ العربية ، وأقيل من عمله من قبل سلطات الانتداب عام 1940م. ثم انتقل إلى العراق وعملَ مدرساً في مدرسة دار المعلمين ثم عاجله المرض فعاد مريضاً إلى وطنه. كان إبراهيم مهزول الجسم ، ضعيفاً منذ صغره ، نَمَت معه ثلاث علل حتى قضت عليه ، اشتدت عليه وطأة المرض حيث توفي في مساء يوم الجمعة 2 أيار عام1941م. وهو في سن الشباب لم يتجاوز السادسة والثلاثين من عمره. نشر شعره في الصحف والمجلات العربية ، وقد نُشر ديوانه بعد وفاته تحت عنوان: ديوان إبراهيم طوقان. وأنا متأكد من أن طوقان لو عاش ليري المدرستين: المؤيدة والمعارضة له في الحمل على شوقي لرجع! وأضرب على ذلك أمثله فهذه قصيدة محمد محمود مرسي التي ينتصر فيها لطوقان فيقول المطلع:

دَرَّ الأَمِيـــــرُ وَمَـــــا دَرَى بِزَمانِـنَـــــا قَـــــمْ لِلْمُعَلِّـــــمِ وَفِّـــــهِ التَّبْـــــجِيلا

وَيَـــــزِيدُ دَرْدَرَةَ الْقَوَافِـــــي قَوْلَـــــهُ كَـــــادَ الْمُعَـــــلِّمُ أَنْ يَكُـــــونَ رَسُـــــولا

كَمُـــلَ المُبَـــدِّلُ يَـــا أَمِـــيرُ أَسُوقَـــهَا عَلَّـــي أُفَـــنِّدُ عَنْـــهُ مَـــا قَـــدْ قِيـــلا

فِـــي عَصْـــرِنَا دَعْـــنِي أُذِيـــعُ بِحَقِّـــهِ قَـــوْلًا يُـــرَاوِحُ فِـــي السَّـــمَا سِجِّـــيلا

قُـــمْ لِلمُعَـــلِّمِ وَفِّـــهِ التَّبْـــجِيلا كَـــادَ المعلـــمُ أن يُحَطـــمَ جـــيلا!

ويختتم مرسي قصيدته في تأييد طوقان مستغلاً جشع بعض المعلمين المعاصرين وطمعهم وممارساتهم التي تتنافى بالقطع ومهنة التربية والتعليم السامية فيقول:-

رَحِـــمَ الْعَلِـــيمُ زمَـــانَ عِلْـــمٍ كَانَـــتِ الـــ أَعْـــلامُ فِـــيهِ مُعَـــلِّمِينَ وَجِـــيلا!

روي عن الإمام أبو يوسف القاضي ، أنه توفي والده وهو صغير ، فربته أمه فحرصاً منها على مصلحة ابنها ، أدخلته عند خياط حتى يتعلم الخياطة ، ويحصل كل يوم على دانق (ريال واحد) ، وكان يذهب كل صباح إلى الخياط في الكوفة ، ورأى مجموعة من الطلاب قد تحلقوا عند أبي حنيفة ، فأعجب الإمام يوسف بالإمام أبي حنيفة ، فجلس في مجلسه ، ولم يذهب للخياط ، واستمر يومين على هذه الحالة ، فذهب الخياط لأمه فاشتكى من ابنها ، وقال لها بأنه سيقطع رزقه ، فذهبت له فوجدته في مجلس الإمام أبي حنيفة فأخذت الولد من أذنه لتخرجه ، فقال أبا حنيفة: يا امرأة إني أرى في ابنك عقلاً – ذكاء – فدعيه يطلب العلم فسيأتي عليه يوم يأكل الفالوذج بدهن الفستق (نوع من الحلوى) ، وهذه أكلة لا يأكلها سوى الخلفاء في ذاك الزمان ، فردت عليه: إنك شيخ خرف ، دع ابني هذا يكسب دانق كل يوم. وفي الغد رجع الإمام يوسف لمجلس الإمام أبي حنيفة ولم يذهب للخياط ، فسأل الإمام أبو حنيفة الإمام أبا يوسف: كم يعطيك الخياط؟ فقال: يعطيني دانقا كل يوم. قال له: أنا أعطيك ثلاثين درهماً. فكان من أنجب تلاميذ أبي حنيفة هو والشيبانى. فلما جاء زمن هارون الرشيد ، عُين أبو يوسف قاضي القضاة ، وجلس مرة مع الرشيد على مائدة الطعام ، فقدم له الرشيد مجموعة من الأطعمة ، ومنها الفالوذج بدهن الفستق ، فتحدرت من عيني أبي يوسف دمعتان ، فسأله الرشيد عن المناسبة ، فقص عليه قصته ، فقال الرشيد: رحم الله أبا حنيفة ، كان ينظر بعين عقله ، لا بعين رأسه ، حقاً إن العلم ليرفع صاحبه في الدنيا والآخرة. وقال الإمام أبو يوسف: لو كنت كما أرادت أمي ، لكنت خياطاً ، لكن شاء الله لي أن أكون عالماً أجالس الخلفاء ، وآكل على موائدهم. ولقد لعب عنصر الوقت والزمن دوراً كبيراً في حياة الأمام أبي يوسف! يقول المثل العربي: الوقت معلم من لا معلم له. ويقول المثل الصيني: من يجاملني هو عدوي ومن يلومني هو معلمي. ويقول سقراط: ماذا تريدونني أن أعلمه؟ إنه لا يحبني. ويقول أيضاً: ينبغي للعالم أن يخاطب الجاهل مخاطبة الطبيب للمريض. ويقول ابن القيم: علمت كلبك فهو يترك شهوته في تناول ما صاده احتراماً لنعمتك وخوفاً من سطوتك وكم علمك معلم الشرع وأنت لا تقبل. ويقول غوته: ليس أسوأ من معلم لا يَعْرِف سوى ما يجب أن يعرفه تلاميذه. ويقول الحسن البصري: إذا لم يعدل المعلم بين الصبيان كُتِبَ من الظلمة. ويقول يوليوس قيصر: الاختبار هو معلم كل الأشياء. ويقول أفلوطين: الاختبار معلم أخرس. ويقول غيروزيز: الوضوح هو فضيلة المعلمين. ويقول شيشرون: المعرفة فن و لكن التعليم فن آخر قائم بذاته. ويقول شبنجلر: من معلمي تعلمت

الكثير ومن زملائي تعلمت أكثر ومن تلاميذي تعلمت أكثر وأكثر. ويقول المثل العربي: وكم من تلميذ فاق أستاذه! ويقول ليوناردو دافنشي: من لا يتفوق على معلمه يكن تلميذاً تافهاً. ويقول فيلوكسين ألستيري: إن معلمينا هم الذين يعطوننا الطريقة لنحيا حياة صالحة. ودائما كنتُ أردد ولا أزال: تعطيك الجامعة مفاتيح العلوم ، فانطلق وافتح خزائن العلم لتتعلم ، ولا تظنن يوماً أن الجامعة أعطتك العلم كله! ويقول أحمد أمين: المعلم ناسك انقطع لخدمة العلم كما انقطع الناسك لخدمة الدين. ويقول فيصل الأول: لو لم أكن ملكاً لكنت معلماً. ويقول المثل العربي: من علمني حرفاً كنت له عبداً. وتقول الأستاذة منى أحمد حول احترام المعلم وأنه واجب ينبغي تعليمه للأبناء ما نصه: (هل تعلم أنه حينما طالب القضاة في ألمانيا بأن تتم مساواتهم في الرواتب بالمعلمين ، ردت عليهم المستشارة أنجيلا ميركل مستنكرة بقولها الشهير: كيف أساويكم بمن علموكم؟! ولكن في عالمنا العربي حدثْ ولا حرج عن الانتهاك المادي والمعنوي لحقوق المعلمين من قبل جميع المحيطين بهم ، وثافية الأثافي أن علاقة الاحترام بين التلميذ وأستاذه أصبحت هي الأخرى يشوبها كثير من الخلل لتأخذ منحى غير الذي تعودنا عليه. فما تربينا عليه كان ببساطة شديدة يجسد بيت شوقي: (قم للمعلم وفه التبجيلا ** كاد المعلم أن يكون رسولا). فحينما كنا نقف في الطرقات ونرى أحد معلمينا ، كنا نفضل الاختباء ، ليس خوفا ولكن ربما رهبة واحتراماً ، أما الآن فالصورة أصبحت مغايرة ، فانتشار وسائل التواصل الاجتماعي ناهيك عن الدروس الخصوصية التي قللت كثيراً من هيبة المعلم ومكانته أمام تلاميذه ، الذين يتصورون أن قيمة معلمهم تقاس بقدر ما يأخذه منهم نهاية كل شهر).هـ. ثم تنطلق في نصيحتها لكل أب مرب فتقول: (قم بتسليم ابنك بعض الورود ليعطيها لمعلميه ، وعرفه أن هذه هي صورة بسيطة للتعبير عن امتنانك لأنه سوف يقوم بمجهود كبير خلال العام ليساعدك على عملية التعلم ، وأعلمه أن الورود للجميع حتى للمعلمين ممن لا يستسيغهم الابن لسبب أو لآخر! فجميعهم دون استثناء يستحقون التقدير. احكِ لابنك عن المهام الكثيرة التي يقوم بها المعلم ومدى تعبه من أجل توصيل المعلومات وتعليم الأبناء (ليس شرطا أن يكون هذا الكلام بمناسبة أو لسبب معين). اجعله يعي مشقة مهنة التعليم وادخل معه في حوار حول المهنة وتبعاتها ، وكمّ المشقة التي يتحملها المعلم لا لشيء سوى الثواب وقيمة المهنة التي يعشقها الكثيرون. قم بذكر مميزات وجدْتَها في المعلم أو المعلمة واذكرها أمام الابن (كأن تكون المعلمة دقيقة في ملاحظتها ـ كأن تكون قد تصرفت في موقف محدد بصورة جيدة). اسأل ابنك ما هي الأمور التي سوف يغيرها لو كان في محل المعلم الذي يشتكي منه ، واطلب منه تخيل أن يكون مدرساً لفصل بحجم فصله ، وذكره بحجم التحدي وحجم الاختلاف الناجم عن اختلاف التلاميذ وشخصياتهم مع ضرورة الالتزام ، أمام إدارة المدرسة ، بالانتهاء من تدريس المنهج المحدد في الوقت المحدد ، وكذلك ضرورة استيعاب النسبة الكبرى من التلاميذ. ما زال علينا كآباء أن نرسخ لدى أبنائنا قيمة التعليم التي لا تتجزأ عنها قيمة المعلم. فكلاهما مرتبطان ببعضهما البعض. ولا تسخر أبداً في أي وقت من الأوقات من أي معلم أمام الابن ، لأنه سوف يقلدك وسوف يعتبر الأمر عادياً وما يبدأ اليوم بصورة سخرية سوف يصل غداً للاستهزاء وسوف يتحول التعامل اللفظي الخفي للعلن ومن بعده من القول إلى الفعل المعبر عن عدم احترامه لمعلمه. ولا تعط لابنك الفرصة أبداً ليقيم معلمه بشكل غير لائق أو أن يتحدث عنه دون احترام! بل اجعله يفهم أن احترام المعلم خط أحمر ، وإذا كانت له ملاحظات معتبرة فليتم التناقش حولها في سبيل الوصول إلى حل. (وأبرز مثال على ذلك عندما يأتي الابن ويشتكي من أن المعلم لا

يعدل بين الطلبة أو يفضل الأذكياء ، قل له إن هذا الأمر خطأ ، وعلينا أن نعين المعلم على ملاحظة الأمر كأن يتحدث على انفراد مع المعلم ويحكي له كيف يشعر عندما يشعره بأنه ليس بمثل مستوى زملائه. ولا تعتبر تصرفاً خطأ قام به المعلم - أنه صواب - خوفاً من أن يقلل انتقادك من هيبة الابن لمعلمه! ويقول الأستاذ سليم مصطفى بو دبوس تحت عنوان: (المعلم من جديد) ما نصه: (لماذا المعلم من جديد؟ أمن قلة المواضيع في التربية والتعليم؟ ألم يأخذ حظه بمناسبة اليوم العالمي للمعلم؟ أم أنت اليوم قادح في فضله؟ متقصّ بعض أخطائه؟ كما يفعل من لا شغل له سوى الانتقاص من مجهود المعلم؟ لا عفواً ، ولكن أذكر فيما قلت من مقالات أن المعلم لا يكفيه يوماً ليُحتفَى به بل كلّ يوم هو عيد للمعلم ففيه يرفع عنا حجاب الجهل ويبسط فينا نور العلم. واخترت اليوم أن أستقيل نسبياً من موقع الكاتب لأحيل القلم إلى الشعراء فحسبك أن تقرأ بعض الشعر عن المعلّم لتسترد وعيك بدوره أو لأشحنك أيّها المعلم وأرفع من معنوياتك في زمن استهان بفضلك ، وحسبي أيها القارئ أن أريحك من جديّة قلمي وهمومه التربوية التي لا تنتهي وأمتعك بالشعر الجميل فإليك هذه الباقة الشعرية التي موضوعها «المعلم» ، فاستمتع بأريجها علّك يوما تنصفه مما ينعته به بعض المنتقصين من شأنه طلاباً وحتى عامة الناس وخاصتهم. (ويذكر هنا أبيات لشوقي وغيره!). ولمّا كان خير الكلام بعد القرآن حديث المصطفى (صلى الله عليه وسلم) فإننا نستهل بقوله هذه المائدة الفاخرة حيث يقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في جوف البحر ليصلون على معلم الناس الخير». كما يكون المعلم ملاذ التلميذ يلجأ ، إليه يستودعه أسراره ويحكي له همومه فيستمع إليه ويحنو عليه).هـ. وقال الأستاذ بدر بن جزاع بن نايف النماصي واصفاً المعلم صاحب رسالة وليس المعلم المرتزق وتحت العنوان ذاته ما نصه: (المعلم صاحب رسالة يستشعر عظمتها ، ويؤمن بأهميتها ، ولا يضن على أدائها بغال ولا رخيص ، ويستصغر كل عقبة دون بلوغ غايته من أداء رسالته. وقد كان بذل الجهد في تعليم التلاميذ واحترامهم وتوقيرهم وإجلالهم منهجًا ثابتًا لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ؛ قال ابن مفلح - رحمه الله -: وقال عمرو بن العاص لحلقة قد جلسوا إلى جانب الكعبة ، فلما قضى طوافه جلس إليهم ، وقد نحَّوُا الفتيان عن مجلسهم ، فقال: لا تفعلوا ؛ أوسعوا لهم ، وأدنوهم ، وألهموهم ؛ فإنهم اليوم صِغار قوم يوشك أن يكونوا كبارَ قوم آخرين ، قد كنا صِغار قوم فأصبحنا كبارَ آخرين. ثم أيد ابن مفلح هذا المنهج الأصيل في التربية الإسلامية ، ذلك المنهج الذي يقوم على بذل الجهد للمتعلم وتوقيره وإجلاله ، فقال بعد قصة عمرو بن العاص: وهذا صحيح لا شك فيه ، ثم ذكر السبب في هذا البذل والعطاء والتوقير للمتعلم فقال: والعلم في الصغر أثبتُ ، فينبغي الاعتناء بصغار الطلبة ، لا سيما الأذكياء المتيقظين الحريصين على أخذ العلم ، فلا ينبغي أن يُجعَل على ذلك صغرهم أو فقرهم وضعفهم مانعًا من مراعاتهم ، والاعتناء بهم).هـ. وعموماً مهما كتبنا وأنشدنا عن المعلم الحقيقي لا المرتزق ورسالته الحقة الفذة ، فما وفيناه حقه اللائق به! والحقيقة أنني قد أكثرت من النقول والاستشهادات والأدلة من هنا وهناك ، في محاولة مني لأجعل قضية العلم والتعليم، وواجبات المعلم وما ينبغي أن يكون للمعلم ، أكثر وضوحاً في أذهان من يطالعون هذه المعارضة الطويلة لشوقي! وحاولت جاهداً عقد المقارنات بين الماضي والحاضر ، وبين علماء السلف الكرام وعلماء زماني المعاصرين! وكنت قد استبعدت الآراء الغثة التي تصيب القراء بالملالة والسآمة ، وتجعلهم ينهزمون أمام هذا الواقع المزري للقيم

والأخلاق في هذا الزمان الذي قل خيره وكثر بلاؤه وشره! والله المستعان عليه وعلى أهله! وكوني معلما تجاوز العقدين في سلك التدريس ، جعل للقصيدة شيئاً من الواقعية والمصداقية ولا شك. وإن كنت قد تبنيت الرؤية الشوقية ، إلا أنني آثرت إيراد بعض الشعراء المعارضين لشوقي إن على وجه الموافقة أو الرفض. وذلك لأجعل القراء يدركون الفرق بين الفهوم والعقول والرؤى. كما أنني أوردت في التقديم تجارب الأمم عبر العصور في منظومة العلم والتعليم. كما أوردت الآيات والأحاديث التي تحض على طلب العلم وتجعل العلم والتعليم من أرقى المهام وأعظمها. ولا يزال الشعراء يبدعون في تقدير معلميهم. وأراهم أولى الناس بالاعتراف بفضل معلميهم عليهم. إذ كان الواحد منهم قد تعلم على يد معلم رباه ووضع يديه على أسرار العلم الذي تخصص فيه. كما أنه أزال عنه المبهمات وعلمه ما لم يكن يعلم. كما أوردت الحكم والأمثال التي تحبذ العلم والتعليم وتمتدح القائمين عليهما. وأحب أن أورد هنا في التقديم أن قصائد الشعراء الذين عارضوا شوقي كثيرة جداً ، ولكن هذا الذي طالته يدي. وأظن أنه قد آن الأوان لكل شاعر محترم ذي رسالة يعيش بالقيم وللقيم وعلى القيم وفي القيم أن يحتوي ديوانه قصيدة أو أكثر يرد فيها الجميل لمعلميه! كما وأشكر من قلبي الأديبة الإماراتية الجليلة الأستاذة أمينة آل علي ، إذ كان لها الفضل بعد الله سبحانه وتعالى ، في إنشادي من شعري معارضاً شوقي في قصيدة المعلم! وما كنتُ أدرك من ذلك الشيءَ الكبيرَ حتى طالعت مقالًا كتبته أمينة صالح آل علي ، في مجلة المعلم (الإماراتية) العدد 88 والصادر في ديسمبر لعام 1998م. فأدركت ما للقصيدة من صدى في أوساط الشعراء. فأخذتني الغيرة من اتجاهين: الأول: أنني أنظم الشعر مثلهم فليكن لي ما لهم ، وليسعني ما يسعهم. والاتجاه الثاني: كوني معلمًا للغة الإنجليزية على مدى عقدين كاملين من العمر ويزيد. فقررت أن أدلي بدلوي عسى أن أحظى بالسبق أو على الأقل يكون لي شرف المحاولة إن أنا لم أبلغ بقصيدتي المستوى العملاق الذي عليه قصيدة شوقي. وأذكر هنا للقارئ محورين أساسيين هما بمثابة المدخل لهذه المعارضة السليمانية لشوقي.

- المحور الأول: هو أنني سوف أصدر في هذه المقدمة محاولات الشعراء المعارضين أو الموافقين لشوقي. وهذا من خلال الاقتباس من مقال الأخت أمينة من مجلة المعلم مهما طالت المقدمة. فإن هذا ضروري جدًا ، إذ إنه بمثابة التوثيق للمحاولات الشعرية في معارضة شوقي ولبيان الفرق بينهما. والحق أن مقالة الأستاذة أمينة آل علي فيلسوفة الإمارات كانت المحفز الأول لي على تأليف هذه المعارضة!

- المحور الثاني: هو أنني لم أشأ أن أستهل قصيدتي بقول: (قم للمعلم) كما فعل غيري من الشعراء. ذلك أن الرسول الكريم ﷺ يقول فيما رواه أحمد: «مَنْ أَحبَّ أَنْ يتمثلَ الناسُ له قيامًا فَلْيَتَبوأْ مَقْعَدُه مِنَ النَّارِ»! وإذن فلفظ (قم) استبدلته بلفظ (حيِّ) ، وهو أليق بالمعلم وأبعد عن مخالفة السنة. وقد جاوزت بها المائة في عدد الأبيات. فإن أحسنت فمن الله وحده. وإن أسأت فمن نفسي. وهذه مقتطفات من مقالة الأخت أمينة صالح آل علي - تقول: لم يزعم أحد من النقاد - يومًا - أن قصيدة أحمد شوقي قم للمعلم هي من عيون الشعر العربي. أو حتى من عيون الشعر الشوقي ، لكن هذه القصيدة حظيت بانتشار جماهيري ، فاق كثيرًا من عيون الشعر والآذان المستمعة له ، متجاوزة المدار الفني إلى المدار الموضوعي في حقل الجاذبية الشعرية. جاء انتشار هذه القصيدة ليؤكد طغيان الهم التعليمي في هموم الناس الحياتية -

شعروا أم لم يشعروا. وكذا النفوذ الاجتماعي (الكمّي) للمعلمين وسط شرائح المجتمع ، سواء كانت صورة هذا النفوذ إيجابية أم سلبية. من منا الذي يسمع أحدهم يقول:(قم للمعلم وفّه التبجيلا). فلا يجاوبه فورًا- دون حكٍّ الذاكرة الشعرية:(كاد المعلم أن يكون رسولا). أما حكاية هذا الكتاب ـ الديوان ـ فهي أن مجلة المعرفة والتي تصدر عن وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية ـ لم تجد بُدًّا ـ وهي المجلة التربوية ـ من أن تنشر قصيدة أحمد شوقي في المعلم ، زعمًا منها أن هذه القصيدة هي وثيقة شرف فينبغي أن يعتز بها كل معلم فخور بمهنته. حتى وقعت أعيننا على قصيدة الشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان الجريحة ، والتي عارض بها قصيدة شوقي ، وحشدها بآلام ومعاناة شاعر مارس التعليم بنفسه ، ولم يسمع عنه من بعيد فحسب! كان ظننا أن قصيدة قم للمعلم جاءت من أمير الشعراء باقة من الشكر ، وإكليلًا من العرفان ، لمهنة التعليم وللمعلمين. لكن الشاعر المعلم إبراهيم طوقان ـ الذي ضاق ذرعًا بمهنة التعليم ـ لم تَرُقْ له مرافعة شوقي عن تلك المهنة العويصة! استل طوقان لسانه في وجه التعليم ، وراح يطعنه في القلب والخاصرة. ويحرق منه الأخضر واليابس! لم يكتف طوقان بذلك ، بل صوّب سبابته نحو شوقي قائلاً:

لَـوْ جَـرَّبَ التَّعْلِـيمَ (شَـوْقِي) سَـاعَةً لَقَضَـى الحَيـاةَ شَـقَاوَةً وَخُمُـوْلا

أما شوقي فكان كأنه يشعر بهذا الضجر عند طوقان وبعض المعلمين (الطوقانيين) فقال في قصيدته- من قبل وقد أحس نسبيا بعبء المعلم وجهده وثقل رسالته ، رغم أنه لم يعمل معلماً يوماً:

إِنِّـــي لأَعْـــذركُم وَأَحْسَـــب عِبْـــئكُم مِـــنْ بَـــينِ أَعْبَـــاءِ الرِّجَـــالِ ثَقِـــيلا

وكان ظننا أن طوقان حالة خاصة من التذمر والإحباط ، حتى وقعت أعيننا ـ مرة أخرى ـ على قصيدة للشاعر السعودي محمد الثبتي (معلم سابق). لا تقل ألمًا وتذمرًا عن جريمة طوقان. والعجيب ، بل وعجب العجاب ، وإن شئت قلت على حد تعبير القرآن الكريم: (وإن تعجبْ فعجب قولهم!) ، وإن شئت قلت: (وشر البلية ما يُضحِك!) ، أن بعض الكتب وبعض المواقع الإليكترونية تعزو قصيدة طوقان الركيكة لحافظ إبراهيم! وكأن حافظ كان ركيك الشعر إلى هذا الحد! وكأنه كان يبغض وظيفة المعلم ورسالته إلى حد الإسفاف هذا الذي وجدناه ولمسناه في قصيدة طوقان!

الرؤية الشوقية

عندها رأت مجلة المعرفة أن تعيد النظر فيما ارتأته من قبل في قصيدة شوقي ، وأن تفتح صفحاتها على مصراعيها لكل معلم يرغب أن ينثر مشاعره شعرًا ضمن الرؤية الشوقية أو الطوقانية لمهنة التعليم ، فكانت هذه القصائد من المعلمين حول هذه المرافعة. سواء منها ما كان مع ، أو ضد ، أو معضدًا. أما لماذا جمعت هذه القصائد في كتاب؟! فهو احتفالية بسيطة تقدمها مجلة المعرفة هدية منها للمعلمين والمعلمات كافة في ذكرى اليوم العالمي للمعلم. وعليه فلن يغيب عن فطنة القارئ الناقد أن يراوح عند قراءته هذه القصائد في المدار الموضوعي ـ لا الفني ـ لصقل الجاذبية الشعرية ، حتى لا يمنح هذه القصائد من النقد الفني أكثر مما تحتمل.

سر نهضة الأمة

فمهما يكن من اختلاف في هذه القصائد بين متفائل ويائس. وفخور ومحبط ، فإن الذي يجب الاتفاق عليه هو أنه ينبغي للأمة حقًّا أن تقوم للمعلم بكل إمكاناتها وأحاسيسها ؛ لأنَّ المعلم هو سر نهضة الأمة إذا أريد لها أن تسير. وهو سر قعودها إذا أريد لها أن تبقى كما هي عليه الآن ، كما أن المعلم مطالب بأن يجعل من نفسه جديرًا بهذا القيام. يقول أحمد شوقي في مستهل قصيدة «قم للمعلم» مقدراً جهود المعلم الجمة ، وشاكراً له معروفه الجزيل ، ومعترفاً بجميله العظيم:

قُمْ لِلمُعَلِّمِ وَفِّهِ التَّبْجِيلا ... كَادَ المُعَلِّمُ أنْ يكُوْنَ رَسُوْلا!
أعَلِمْتَ أشْرَفَ ، أو أجَلَّ مَنَ الّذِي ... يبْنِي وَينْشِئُ أنْفُسًا وَعُقُوْلا؟
سُبْحَانَكَ اللهمَّ خَيرَ مُعَلِّمٍ ... عَلّمْتَ بِالقَلَمِ القُرُوْنَ الأوْلَى
أخْرَجْتَ هَذَا العَقْلَ مِنْ ظُلُمَاتِهِ ... وَهَدَيتَهُ النّوْرَ المُبِينَ مَصْقُوْلا
أرْسَلْتَ بِالتَّوْرَاةِ مُوْسَى مُرْشِدًا ... وَابْنَ البَتُوْلِ فَعَلّمَ الإنْجِيلا
وَفَجَّرْتَ ينْبُوْعَ البَيانِ مُحَمَّدًا ... فَسَقَى الحَدِيثَ ، وَنَاوَلَ التَّنْزِيلا

ثم يستطرد قائلاً:

يا أرْضُ ، مُذْ فَقَدَ المُعَلِّمُ نَفْسَهُ ... - بَينَ الشَّمُوْسِ - وَبَينَ شَرْقِكِ حِيلا
ذَهَبَ الّذِينَ حَمَوا حَقِيقَةَ عِلْمِهِمْ ... وَاسْتَعْذَبُوا فِيهَا العَذَابَ وَبِيلا
فِي عَالَمٍ صَحِبَ الحَيَاةَ مُقَيدًا ... بِالفَرْدِ ، مفتخراً بِهِ ، مَذْلُولا
صَرَعَتْهُ دُنْيا المُسْتَبِدِّ ، كَمَا هَوَتْ ... مِنْ ضَرْبَةِ الشَّمْسِ الرُّءُوسُ ذُهُوْلا

ويتابع ذكر محاسن المعلم وخلاله التي يتميز بها عن سائر المهن والحرف فيقول:

فَهْوَ الّذِي يبْنِي الطبِّاعَ قَوِيمَةً ... وَهْوَ الّذِي يبْنِي النّفُوسَ عُدُولا
وَيُقِيمُ مَنْطِقَ كُلِّ أعْوَجِ مَنْطِقٍ ... وَيُرِيهِ رَأياً فِي الأمُوْرِ أصِيلا
وَإذَا المُعَلِّمُ لَمْ يكُنْ عَدْلاً ، مَشَى ... رُوْحُ العَدَالَةِ فِي الشَّبَابِ ضَئِيلا
وَإذَا المُعَلِّمُ شَاءَ لَحْظَ بَصِيرَةٍ ... جَاءَتْ عَلَى يدِهِ البَصَائِرُ حُوْلا

ويعارض إبراهيم طوقان قصيدة شوقي مغتاظًا متذمراً رافضاً رؤيته وتصوره ، فيقول:

(شَوْقِي) يقُوْلُ وَمَا دَرَى بِمُصِيبَتِي ... قُمْ لِلمُعَلِّمِ وَفِّهِ التَّبْجِيلا
أقْعُدْ ، فَدَيتُكَ ، هَلْ يكُوْنَ مُبَجَّلاً ... مَنْ كَانَ لِلنَشْءِ الصِّغَارِ خَلِيلا؟!
وَيكَادُ (يُفْلِقُنِي) الأمِيرُ بِقَوْلِهِ ... كَادَ المُعَلِّمُ أنْ يكُوْنَ رَسُوْلا!
لَوْ جَرَّبَ التَّغْلِيمَ (شَوْقِي) سَاعَةً ... لَقضَى الحَيَاةَ شَقَاوَةً وَخُمُوْلا

حَسْـــبُ المُعَلِّـــم غَمَّـــة وَكـــآ بَة مَرْأى (الدَّفْاتِر) بُكْرَةً وَأَصِيلا

ويختم قصيدته بالنصح لمريد أن يكون معلماً بأن لا يكون! ليعيش هانئاً ، فيقول:

يـا مَـنْ يرِيـدُ الانْتِحَـار وَجَدْتُـهُ إنَّ المُعَلِّـمَ لا يعِـيش طَـوِيلا!

أما محمد الثبتي ، فيثني على المعلم ، ويثمّن رسالته ، ويعظم وظيفته ، فيقول:

هَلْ كُنْتَ يوْمًا فِي الحَياةِ رَسُوْلا؟ أَمْ عَـامِلاً فِـي ظِلِّهَـا مَجْهُـوْلا؟!
تَسْـخُو بِرُوْحِـكَ للخُلُـوْدِ مَطِيـة وَحُبِيـتَ خَطّـا فِـي الخُلُـوْدِ ضَـئِيلا
وَوَقَفْتَ مِنْ خَلْفِ المَسِيرَةِ مُعْرِضًا عَنْ أَنْ تَكُوْنَ مَعَ الصُّفُوفِ الأَوْلى
قَـالُوا بِأَنّـكَ فِـي الحَيـاةِ مُجَاهِـدٌ تَبْنِـي وتُنْشِـئُ أَنْفُسًـا وَعُقُـوْلا
ضَحِكُوا لِشَوْقِي حِينَ قَالَ مُفَلْسِفًا قُـمْ للمُعَلِّـمِ وَفِّـهِ التَّبْجِـيلا

وفي هذا المجال يردد سلمان بن زيد الجربوع مقالة شوقي ويرى بعينيه فيقول:

قُـلْ للمُعَلِّـمِ إِنْ أَرَدْتَ قَبُـوْلا قُـمْ لِلأَمَانَـةِ! وَفِّهَـاالتَّبْجِيلا
كُـنْ لِلصِّـغَارِ طَرِيـة أَغْصـانُهُم كَنَسَـائِمِ الحَبْـلِ الجَمِيـلِ أَصِـيلا
وَاسْكُب عَلَى أَسْمَاعِهِم في صَفْوِهَا اقْـرَأ ، وَرَتِّلْهَـا لَهُـم تَـرْتِيلا

وتعددت أشعار الشعراء ما بين مؤيد لشوقي ومعارض له ، فهذا هو الدكتور حمد الزايدي ، الشاعر العملاق ، فقد تبنى نظرية شوقي الإصلاحية ، وراح يثني على شوقي شاعراً ، ويثني على قصيدته معتبرا إياها بحق من عيون شعر العرب المعاصر ، فقال:

أَكْـرِمْ بِشَـوْقِي شَـاعِرًا وَنَبِـيلاً حَـازَ الثَّنَـاءَ وَحَصَّـلَ التَّبْجِـيلا
قَـالَ الأَمِيـرُ قَصِـيدَةً فَكَسَـا بِهَـا رَأْسَ المُعَلِّـمِ فِـي الـوَرَى إِكْلِـيلا
يكْفِيـهِ مِنْهَـا فِـي المُعَلِّـمِ قَوْلُـهُ: كَـادَ المُعَلِّـمُ أَنْ يكُـوْنَ رَسُـوْلا
كَـانَ المُعَلِّـمُ فِكْـرَةً وَضَّـاءة فِـي ذِهْـنِ شَـوْقِي دُوْنَـكَ التَّفْصِـيلا

وعارض أحمد بن نجا الرحيلي شوقيًا ، معترفا أن هذه الرؤية الشوقية مضى زمنها ، فقال:

قُـمْ لِلْمُعَلِّـمِ وَفِّـهِ التَّبْجِـيلا صَـدَقَ الأَمِيـرُ ، فَقُـمْ وَحَـيِّ جَلِـيلا
وَافْرِشْ بِسَاطَ الزَّهْرِ فِي طُرُقَاتِـهِ أَكْـرِمْ بِـهِ وَارْفَـعْ لَـهُ القِنْـدِيلا
فَاسْـأَلْ مُعَلِّمَنَـا: يقُـوْلُ أَمِيرُنَـا كَـادَ المُعَلِّـمُ أَنْ يكُـوْنَ رَسُـوْلا
قَـالَ المُعَلِّـمُ ذَاكَ فِـي زَمَـنٍ مَضَـى أَمَّـا الأَوَانُ فَقَـدْ تَـرَاهُ قَتِـيلا
وَلَـوْ اَنَّ (شَوْقِي) عَاشَ فِينَـا لَحْظَـةً لَغَـدَا يؤَلِّـفُ فِـي القَصِـيدَ طَـوِيلا

وَلَقَـالَ فِـي وَصْـفِ الزَّمَـانِ مَقَالَـةً تُشْـفِي العَلِيـلَ وَتـروِي فِيـهِ غَلِـيلا
كَتَـبَ اليـرَاعُ عَلِـى الزَّمَـانِ بِخَطَـهِ قَـــمْ لِلمُعَلَّـــمِ وَفَـــهِ التَّنْكِـــيلا!

الشاعر أحمد سليمان اللهيب فيؤيد شوقي ويرى المعلم بعيون قصيدته فيبدأ كلامه بـ:

قَـمْ فِـي الجمْـوعِ وَعَـاوِدِ التَّـرْتِيلا وَاسْـمِعْ لِصَـوْتِ مَشَـاعِرِي تَبْجِـيلا
حَـي المُعَلَّـمَ فِـي الوُجُـوْدِ وَقَـلْ لَـهُ كَـــادَ المُعَلَّـــمُ أَنْ يكُـــوْنَ رَسُـــوْلا
إِنَّ المُعَلَّـــمَ فِـــي الوُجُـــوْدِ كَنَخْلَـــةٍ تُـوْتِي مَـعَ الثَّمَـرِ الرَّطِيـبِ ظَلِـيلا
لَكِـــنْ زَمَانُـــكَ لِلعَجَائِـــبِ مَـــنْجَمٌ مَـــا عَـــادَ يفَـــرِقُ أَنْفُسًـــا وعُقُـــوْلا
إِنْ كَـانَ شَـوْقِي قَـدْ أَصَـابَ بِقَوْلِـهِ فَلَعَلّـــهُ يعْنِـــي القُـــرُوْنَ الأَوْلَـــى!
أَمَّـــا زَمَـــانِي مَـــا أَرَاهُ كَمَـــا رَأى لِلعِلْـــــمِ إِلاَّ نَـــــادِرًا وَقَلِـــــيلا

ويبدأ الشاعر عبد الله العيسى قصيدته مهاجمًا ومقللا من نبرة شوقي ومكفكفاً من غلوائه:

قَـــلْ لِلمُعَلَّـــمِ نَفِّـــذِ المَرْسُـــوْلا وَدَعِ التَّـــذْمُّرَ إِنْ أَرَدْتَ وُصُـــوْلا
وَاسْـلُكْ سَـبِيلَ الرُّشْـدِ أَو لا فَانْتَبِـذْ بَـــينَ المَعَـــالِمِ معلمـــاً مَبْـــذُوْلا
إِنَّ المُعَلَّـــمَ لا يـــزَالُ مُنَكَّـــدًاً حَتَّـــى يـــوَارَى نَـــاحِلاً مَغْلُـــوْلا
هَـذَا أَمَـرَّ الصَّـبْر مَـنْ يظْفَـرْ بِـهِ يلْـقَ المُنَـى مِـنْ صَـبْرِهِ وَالسُّـوْلا

أما محمد عصام علوش فيوافق إبراهيم طوقان فيما جاء به ، ويضيف لقصيدته روح الفكاهة ببعض المواقف التي تحصل للمعلم من التلاميذ ، ويتذمر من كثرة أعباء التدريس في الوقت الحالي ، فهو يرى أنه في زمن طوقان لم تكن توجد الحافلات المدرسية ، ولم يكن التدريس بطريقة الأهداف السلوكية ، ولم يكن التكليف بالأنشطة المدرسية قائمًا على عهده.

ولكنه يختم قصيدته بحسرة ، قائلاً:

لا تَعْجَبُـوا إِنْ صـحْتُ يوْمًـا صَـيحَةً ووَقَّعْـتُ مَـا بَـين الفُصُـوْلِ قَتِـيلا
يـــا مَـــنْ يرِيـــدُ الانْتِحـــارَ وَجَدْتَـــهُ إِنَّ المُعَلَّـــمَ لا يعِـــيش طَـــوِيلا

وأما الشاعر سعد بن حمد أبو حمد فيوافق شوقياً ولكن على استحياء ، فيقول في قصيدته:

أَنَـــا لا أُرِيـــدُ – صَـــرَاحَةً - تَبْجِـــيلا وَكَفَـــى أَكُـــون مُكَرَّمًـــا مَقْبُـــوْلا
لَـــوْ أَنَّ شَـــوْقِي وَاقِـــفٌ فِـــي فَصْـــلِهِ لَنَعَـــى الشَّـــبِيبَةَ وَالزَّمَـــانَ فَصُـــوْلا
لَـــكَ فِـــي المُعَلَّـــم أَسْـــوَة فَتَحَرَّهَـــا لا يـــذْهَبَنَّ بِـــكَ الجَفـــاء طَـــوِيلا
كُنّـــا نُقَبِّـــلُ رَأسَ كُـــلِّ مُعَلَّـــمٍ وَلَقَـــدْ نَـــرَاهُ مُرَبِّيًـــا مَسْـــئوْلا

وَانْظُرْ إِلَى شَوْقِي وَحُسْن مَقَالِهِ (قُمْ لِلمُعَلِّمِ وَفِّهِ التَّبْجِيلا)

وأما الشاعر عيسى محمد الحكمي ، فيهاجم شوقياً برثاء حال المعلم ، فيبتدئ قصيدته بقوله:

(قُمْ لِلمُعَلِّمِ وَفِّهِ التَّبْجِيلا) شَوْقِي يقُوْلُ وَمَا دَرَى التَّبْدِيلا
يا لَيتَ شَوْقِي شَاهِدٌ فِي عَصْرِنَا لِيرَى المُعَلِّمَ كَيفَ صَارَ ذَلِيلا
وَيرَى المُعَلِّمَ كَيفَ أَمْسَى حَالُهُ يُرْثَى؟ وَيشْكُو بُكْرَةً وأَصِيلا
أَمْسَى المُعَلِّمُ مُجْرِمًا فِي عُرْفِهِمْ فَكَأَنَّهُ قَدْ خَالَفَ التَّنْزِيلا

وأما قصيدة الشاعر رزق بن محمد بن جبريل فقد تتممت ما بدأ به إخوانه الشعراء ، فيقول:

يا ابْنَ النّجَا قد قَالَ شَوْقِي مِنْ عَلِ قُمْ لِلمُعَلِّمِ وَفِّهِ التَّبْجِيلا
أَمَّا ابْنُ طَوْقَان المُعَلِّمُ خَاضَهَا بَذْلاً فَعَانَى ثُمَّ مَاتَ عَلِيلا
إِنَّ الرَّسُوْلَ لَخَير مَنْ يهْدَى بِهِ أَمَلٌ ، وَكَانَ مُعَلِّمًا مَسْئولا
فُكّوا القُيوْدَ عَنِ المُعَلِّمِ لَنْ تَرَوا فِي أُمَّتِي جَهْلاً ولا تَضْلِيلا

ويقول الشاعر الكبير سعد جبر في قصيدة جديدة فيلقي باللائمة على المجتمع لا على المعلم:

يا مَنْ يكَادُ بَأَنْ يكُوْنَ رَسُوْلا قُمْ لِلرِّسَالَةِ وَفْهَا التَّبْجِيلا
مَا كَانَ شَوْقِي مُخْطِئًا فِي قَوْلِهِ (قُمْ وَفِّهِ) ، بَلْ مَنْ أَسَاءَ سَبِيلا
أَينَ المُعَلِّمُ مُسْتَحِقّا وِقْفَة ثُمَّ السَّلامُ عَلَيهِ والتَّقْبِيلا؟
أَينَ المُعَلِّمُ فِي زَمَانِ مَفَاتِنٍ قَدْ زَلْزَلَتْ بَعْدَ النّفُوْسِ عُقُوْلا؟

وأما الشاعر محمد باقر الشرفا فيتحول في قصيدته للمعلم للمنى الشوقي مطرياً ومثنياً فيقول:

قَدْ سَلَّ سَيفَ العِلْمِ يفْنِي حَدُّه سَهَامَ الجَهَالَةِ صَارِمًا مَسْلُوْلا
إِنَّ المُعَلِّمَ إِنْ تَفَانَى مُخْلِصًا وَأَرَادَ وَجْهًا لِلإِلَهِ جَلِيلا
فَهْوَ الجَدِيرُ المُسْتَحِقُّ بِقَوْلِنَا (قُمْ لِلمُعَلِّمِ وَفِّهِ التَّبْجِيلا)
وَهُوَ المُنِيرُ إِلَى الدُّرُوْبِ فَحَسْبُهُ (كَادَ المُعَلِّمُ أَنْ يكُوْنَ رَسُوْلا)

وأما الشاعر علي بن يحيى الفيفي فيُعَقب على شوقي مفاخراً بشوقي ورؤياه في المعلم فيقول:

قُمْ لِلمُعَلِّمِ وَفِّهِ التَّبْجِيلا كَادَ المُعَلِّمُ أَنْ يكُوْنَ رَسُوْلا
قَوْلٌ وَرَبِّي صَائِبٌ أَعْظِمْ بِهِ وَبِشَاعِرٍ قَدْ صَاغَهُ تَبْجِيلا
شَتَّانَ بَينَ مُعَلِّمٍ مِمَّنْ مَضَوا وَمُعَلِّمِي ذَا العَصْرِ لا تَمْثِيلا!

شَـــتَّانَ بَـــينَ مُعَلِّـــمٍ فِـــي عِلْمِـــهِ تُلْفِيـــهِ بَحْـــرًا إِنْ غَـــدَا مَسْـــئولا!

وأما الشعر طه بخيت فينعى حظًّا عاثرًا أصاب المعلم في زماننا وطغت عليه روح الانهزام فردد:

مَـنْ مُبْلِـغٌ شَـوْقِي رِسَـالَةَ شَـاعِرٍ نَثَـرَ اليـرَاعَ مَنَاحَـةً وَعَـدِيلا؟

وَنَعَـى لَنَـا التَّـدْرِيسَ حظّـا عـاثِرًا وَرَمَـى عَلَيـهِ البُئـوسَ والتَّنْكِـيلا

وَمَضَـى يعَـارِضُ لَيـتَ شَـوْقِي سَـاعَةً أَفْنَـى الحَيـاةَ مُدَرِّسًـا وَوَكِـيلا

إِنِّـي رَأَيـتُ وَهَـلْ أَجَـلُّ مَـنِ الّـذِي يبْنِـي وينْشِـئ أَنْفُسًـا وَعُقُـوْلا؟

وأما الشاعر جلوى يحيى حكمي فيبكي الحال المزري الذي لحق بالمعلم فيقول في قصيدته:

قَـــمْ لِلمُعَلِّـــمِ وَفِّـــهِ التَّبْجِـــيلا قَـــوْلٌ مَضَـــى يـــا لَيتَـــهُ مَـــا قِـــيلا

مَـنْ ذَا يقُـوْلُ وَفِـي الأَوَامِـرِ لا تَقُـم أَبَـدًا فَلَـمْ تَـكُ يـا بُنَـي ذَلِـيلا

فَقَـدَ المُعَلِّـمُ نَفْسَـهُ فِـي عَـالَمٍ يحْتَـاجُ فِيـهِ السَّـائِرُوْنَ دَلِـيلا

وأما الشاعر عبد العزيز بن سعد آل جناح فيضيف للقصائد الفائتة التصديق لشوقي فيقول:

صَـدَقَ الّـذِي قَـالَ فِـي وَقْـتٍ مَضَـى كَـادَ المُعَلِّـمُ أَنْ يكُـوْنَ رَسُـوْلا

أَكْـرِمْ بِهَـا مِـنْ حِكْمَـةٍ وَفَضِـيلَةٍ سَـادَتْ لَـدَى الأَخْيـارِ جِـيلاً جِـيلا

قَـدْ قَالَهَـا شَـوْقِي بِكُـلِّ أَمَانَـةٍ لا تَقْبَـلُ الإِيضَـاحَ وَالتَّـأوِيلا

إِنَّ المُعَلِّـمَ لِلأَنَـامِ مَنَـارَةٌ لا بَـلْ دَلِـيلاً صَـادِقًا مَسـئْولا

وأما الشاعر ناصر بن نايض الصراح يقول في معارضته مثنيا على الرؤية الشوقية ومنافحا عنها:

شَـوْقِي يقُـوْلُ مُؤَكِّـدًا وَمُـدَلِّلاً قَـــمْ لِلمُعَلِّـــمِ وَفِّـــهِ التَّبْجِـــيلا

صَـدَقَ الأَمِيـرُ بِوَصْـفِهِ وَبِقَوْلِـهِ كَـادَ المُعَلِّمُ أَنْ يكُـوْنَ رَسُـوْلا!

مَنْ يُنْكِرِ الفَضْـلَ الذِي يَحْظَى بِهِ إِلاّ الّـذِي جَحَـدَ الأُصُـولَ جَهُـولا؟

ونختم بقصيدة الشاعر أحمد مجرشي التي حاول فيها التوفيق بين شوقي ومن خالفوه فيقول فيها:

شَـوْقِي يَقُـولُ مُضْـخِمًا ومُعَظِّمًـا كَـادَ المُعَلِّـمُ أَنْ يَكُـونَ رَسَـولا

وَأَرَى بِطَوْقَـانَ الشِّـكَايةَ قَـدْ بَـدَتْ إِنَّ المُعَلِّـمَ لا يعِـيشُ طَـوِيلا

والنّـــاسُ بَـــينَ مُؤَيـــدٍ وَمُعَـــارِضٍ كُـــلٌّ يقُـــوْلُ وَيكْثِـــرُ التَّـــدْلِيلا

هَـــذَا المُعَلَّـــمُ وَارِثٌ لِرَسُـــوْلِهِ حَقّـــا ، وَذَا يسْـــتَأهِلُ التَّقْبِـــيلا

والحقيقة أنني منذ زمن بعيد وأنا أنتوي أن أعارض شوقياً في قصيدته التي هي من عيون شعر العرب في العصر الحديث لما حوت من الجزالة والقوة وحسن السبك والدلالة اللغوية والمعنوية! ولكن لم يشأ الله حتى طالعتُ مقالة الكاتبة الأديبة المحترمة أمينة آل علي! فبعد مطالعتي للمقالة مرات عديدة وجدتني أتغنى بالمطلع ذاته وأخذت أعارض شوقياً ، فمن الله عليّ بما يقارب الأبيات المئة وزادت عشراً! والآن لنتابع قراءتنا لمعارضتنا السليمانية الصعيدية الانتصارية لشوقي وأعتذر عن الإطالة. وعموماً ليست هذه المرة الوحيدة التي عارضتُ فيها شوقي في رائعته: (قم للمعلم وفه التبجيلا) فلقد تلتْها أخرى على ذا ت البحر والوزن والقافية والروي عنوانها: (مَلٌ بين الذؤبان) عندما دافعتُ بشرف عن الأستاذ عبد الكريم علي رجب (من أهل ظفر) عندما نِيل منه بغير حق! وبينتُ فيها كيف أهين المعلم وأهينتْ رسالته!)

حَـــيِّ المُعَلَّـــمَ ، جَـــازِهِ التَّبْجِـــيلا إِنِّـــي أَرَاهُ مِـــنَ العُلُـــوْمِ رَسُـــوْلا

وَانْثُـــر عَلَـــى مَجْهُـــودِهِ وَرْدَ الهَـــوَى وَانْصُـــبْ عَلَـــى آلائِـــهِ الإِكْلِـــيلا

وَاشْـــكُرْ جَمِـــيلاً ، بـــات شـــكرُكَ دُوْنَـــهُ فَالشَّـــهْمُ مَـــنْ يجْـــزِي الجَمِيـــلِ جَمِـــيلا

وَاحْمِـــدْ إِلَـــى اللهِ الكَـــرِيمِ عَطَـــاءَه فَعَطَـــاؤهُ الفَيـــاضُ أَنْشَـــأَ جِـــيلا

وَاعْـــرِفْ لِأَسْـــتَاذٍ أَقَامَـــكَ شَـــأنَهُ مُـــذْ كُنْـــتَ ـ مَـــنْ بَـــينِ الـــوَرَى ـ مَشْـــلُوْلا

وَاقْـــدُرْ لِأَسْـــتَاذٍ أَعَـــزَّكَ قَـــدْرَهُ مُـــذْ كُنْـــتَ قَبْـــلَ عَطَائِـــهِ مَـــذْلُوْلا

وَاخْفِـــضْ لَدَيـــهِ الصَّـــوْت ، كُـــنْ مُتَأَدِّبـــاً فَـــالجُعْرُ أَقْـــبَحُ مَـــا اكْتَسَـــبْتَ مُيـــوْلا

وَارْحَـــمْ إِذَا زَلَّ المُعَلَّـــمُ زَلّـــةً! وَاعْتِـــبْ عِتَابًـــا طَيبًـــا مَقْبُـــوْلا

لا تَـــنْسَ أَنَّـــكَ مِـــنْ صِـــنَاعَةِ عِلْمِـــهِ وَعَلَيـــكَ فَضْـــلٌ مِنْـــهُ كَـــانَ جَـــزِيلا

لَمَّـــا يكُـــنْ يوْمًـــاً عَلَيـــكَ مُسَـــلّطاً بَـــلْ كَـــانَ أَقْـــوَمَ فِـــي المَلامَـــةِ قِـــيلا

وَاعْطِـــفْ عَلَـــى شَـــيبٍ غَـــزَاهُ مُبَكِّـــرًا وَكَأَنَّـــهُ جَـــدُّ القُـــرُوْنِ الأَوْلَـــى!

وَأَدِمْ نَوَالَـــكَ لِلمُعَلَّـــمِ حِسْـــبَةً فَيمِينـــهُ كَانَـــتْ عَلَيـــكَ الطَّـــوْلَى

وَاحْـــذَرْ سِـــبَابَ مُعَلَّـــمٍ مُتَفَضِّـــلٍ إِنَّ السِّـــبَابَ يُحَطِّـــمُ التَّفْضِـــيلا

وَاعْـــذَرْهُ إِنْ شَـــغَلَتْهُ عَنْـــكَ شُـــؤونُهُ! إِنـــي أرى عِبئـــاً عليـــه وَبِـــيلا

وَأَطِـــلْ دُعَـــاءَكَ لِلمُعَلَّـــمِ ، طَالَمَـــا لَـــكَ كَـــانَ يـــدْعُو لاهِثًـــا وَمُجِـــيلا

وَأظِلّـــــهُ بِتَقَـــــرُّبٍ يعْلُـــــو بِـــــهِ ... شَـــأنًا ، وَيشْـــتَرِعُ الرَّشَـــادَ سَـــبِيلا

إنَّ المُعَلِّـــــمَ ذَا الرِّسَـــــالَةِ جَنّـــــةٌ ... تُهْـــدِي العُلُـــوْمَ ، وَتَمْـــنَحُ التَّحْصِـــيلا

أرَأيـــتَ كَيـــفَ ألانَ كُـــلَّ عَوِيصَـــةٍ ... وَشـــفَى بِشَـــرْحِ المُعْضِـــلاتِ غَلِـــيلا؟

وَأبَـــانَ أَلْغَـــازَ العُلُـــوْمِ ، فَـــلا تَـــرَى ... عَـــنْ فَهْـــمِ أعْتَـــى مَـــا يُثَـــارُ عُـــدُوْلا

وَأقَـــامَ مُعْـــوَجَّ الفُنُـــوْنِ ، فَـــلا تَـــرَى ... عِوَجًـــا وَلا أمَتًـــا ، وَلا مَتْبُـــوْلا

وَأشَـــادَ بِـــالأوْلادِ ، رَبَّـــاهُمْ عَلَـــى ... قِـــيمٍ تُعِـــزَّ الـــدِّينَ وَالتَّنْـــزِيلا

وَأعَـــدَّهُمْ لِرَحَـــى الوَقَـــائِعِ وَالـــوَغَى ... وَأعَـــارَ أسْـــيافًا لَهُـــم وَخُيـــوْلا

وَأمَـــدَّهُمْ بِـــالعِلْمِ وَهَّـــاجِ السَّـــنَا ... حَتَّـــى غَـــدَوْا فِـــي التِّقَنِيـــاتِ فُحُـــوْلا

وَأبَـــادَ أجْبَـــالَ الجَهَالَـــةِ عَامِـــدًا ... إذْ كَيـــفَ يَحْتَـــرِمُ التَّقَـــاةُ جَهُـــوْلا؟

وَعَلَـــى الفِرَاسَـــةِ كَـــان يفْـــتَحُ أعْيُنًـــا ... وَبَصَـــائِرًا مِمَّـــا تُقَـــارِفُ حُـــوْلى

لَـــوْلا المُعَلِّـــم بَعْـــدَ رَبِّـــي لَـــمْ نَجِـــدْ ... أحَـــدًا بِأعْبَـــاءِ العُلُـــوْمِ كَفِـــيلا

مِـــنْ عِنْـــدِهِ طَلَـــعَ الإمَـــامُ بِفِقْهِـــهِ ... فَغَـــدَا يُفَقِّـــهُ أنْفُسًـــاً وَعُقُـــوْلا

وَلَدَيـــهِ قَـــدْ دَرَسَ الطّبِيـــبُ عُلُوْمَـــهُ ... فَمَضَـــى يُعَـــالِجُ فِـــي الـــوَرَى المَعْلُـــوْلا

وَلَدَيـــهِ قَـــدْ حَـــذَقَ المُهَنْـــدِسُ فَنّـــهُ ... حَتَّـــى غَـــدَا مَـــا يبْتَنِيـــهِ دَلِـــيلا

وَلَدَيـــهِ قَـــدْ خَبَـــرَ الفَضَـــائِيّ الفَضَـــا ... حَتَّـــى اسْـــتَطَاعَ إلَـــى النّجُـــوْمِ وُصُـــوْلا

وَلَدَيـــهِ قَـــارِئُ ذِكْرِنَـــا علـــمَ الهُـــدَى ... فَتَـــرَاهُ رَتَّـــلَ ـ خَاشِـــعًا ـ تَـــرْتِيلا

وَلَدَيـــهِ قَـــدْ نَهَـــلَ المُرَبِّـــي عِلْمَـــهُ ... حَتَّـــى يُبْصِّـــرَ جِيلَنَـــا الضِّـــلّيلا

وَلَدَيـــهِ قَـــدْ دَرَسَ القُضَـــاةُ سَـــنَا الهُـــدَى ... كَـــي لا نَـــرَى (القـــانون) عَنْـــهُ بَـــدِيلا

بَـــلْ يَحْكُمُـــوْنَ النّـــاسَ بِالشَّـــرْعِ الّـــذِي ... هـــو ديننَـــا ، وَكَفَـــى الـــوَرَى تَعْطِـــيلا

وَلَدَيـــهِ قَـــدْ صَـــارَ المُحَاسِـــبُ نَابِغًـــا ... يـــزِنُ الحســـابَ ، وَيـــدْرِكُ المَعْقُـــوْلا

فَلَـــهُ عَلَـــى كُـــلِّ الأنَـــامِ فَضَـــائِلٌ ... وَالله فَضَّـــــــلَهُ إذَنْ تَفْضِـــــــيلا

وَالله مَيّـــــزَهُ بِـــــأنْفَعِ مِيـــــزَةٍ ... وَالله خَيـــــرٌ مُنْعِمًـــــا وَوَكِـــــيلا

وَالله مَتَّعَـــــهُ بِخِدْمَـــــةِ غَيـــــرِهِ ... يـــا رَبِّ بَـــارِكْ سَـــعْيهُ المَبْـــذُوْلا

لَـــمْ يـــدَّخِرْ جَهْـــدًا ، وَلَـــمْ يـــكُ قَاسِـــيًا ... فَتَـــرَاهُ ذَلّـــلَ مَـــا التَـــوَى تَـــذْلِيلا

لَـــمْ يحْتَقِـــرْ مَـــنْ كَـــانَ ينْشُـــدُ عِلْمَـــهُ ... وَتَـــرَاهُ يُسْـــعِفُ بِالرَّشَـــادِ السُّـــوْلا

تَخِـــذَ العُلُـــوْمَ أَمَانَـــةً وَرِسَـــالَةَ ... مِـــنْ أَجْـــلِ ذَلِـــكَ أَدْرَكَ المَـــأْمُوْلا

فَـــإِذَا بِطَـــلاَّبٍ لَـــهُ بَلَغُـــوا الـــذُرَى ... كُـــلٌّ غَـــدَا فِـــي أَهْلِـــهِ قِنْـــدِيلا

إِنَّ المُعَلِّـــــمَ عَبْقَـــــرِيٌّ جَهْبَـــــذْ ... وَالجُهْـــدُ لَـــيسَ مُضَـــيّعًا مَجْهُـــوْلا

لمّـــا يراقـــب رُتْبَـــة أَوْ رَاتِبًـــا ... بَـــلْ كَـــانَ سِـــتْرُ رِضَـــائِهِ مَسْـــدُوْلا

وَسِـــوَاهُ أَعْطِـــيَ رَاتِبًـــا وَمَكَانَـــةً ... وَمَزَارِعًـــا فِيهَـــا الجَنَـــى وَسُـــهُوْلا

وَتـــرَاهُ لَـــمْ يـــتَمَنَّ مَـــا المـــولى بِـــهِ ... مِـــنَحَ الأنـــام بجهـــدهم تَفْضِـــيلا

لَكِنّمَـــا احْتَسَـــبَ اللبِيـــب عَطَـــاءَهُ! ... أَمْسَـــى بطَاعـــةِ رَبِّـــهِ مَشْـــغُوْلا

وَالنّـــاسُ أَغْلَـــبهُمْ بِـــدُنْياهُ التَهَـــى ... وَرَأَيـــتُ مَـــنْ يرْجُـــو النّجَـــاةَ قَلِـــيلا

وَالقَـــوْمُ أَصْـــحَابٌ لِمَـــنْ لَفَـــظَ الهُـــدَى ... وَمُعَلِّـــمُ الأَجْيَـــالِ لـــيس خَلِـــيلا

إِنَّ المُعَلِّـــمَ فِـــي البَرَايـــا سِـــدْرَةٌ ... تُعْطِـــي الـــوَرَى سِـــدْرًا أَرَاهُ أَسِـــيلا

وَتَمُـــدُّ رَحْمَتَهَـــا عَلَـــى مَـــنْ تَحْتَهَـــا ... ظِـــلاًّ بِأَوْقَـــاتِ الهَجِيـــرِ ظَلِـــيلا

حَتَّـــى إِذَا حَانَـــتْ دَقَـــائِقُ حَتْفِهَـــا ... سَـــقَطَتْ عَرِيشًـــا جُلْمُـــدًا مَفْتُـــوْلا

وَكَـــذَا المُعَلِّـــمُ عَيشُـــهُ نَفْـــعُ الـــوَرَى ... وَمَمَاتُـــهُ خُسْـــرٌ يجـــرُّ عَـــوِيلا

إِنَّ الـــدِّيارَ يزِينُهَـــا تَعْلِيمُهَـــا ... وَيزِيـــدُهَا فِـــي ذِي الـــدُّنَا تَبْجِـــيلا

وَيُقِيـــل عَثْرَتَهَـــا ، وَيحْمِـــي أَهْلَهَـــا ... وَيخُـــطَ لِلخَلَـــلِ الفَظِيـــعِ حُلُـــوْلا

إِنَّ المُعَلِّـــمَ مِحْـــوَرُ التَّعْلِـــيمِ إِنْ ... أَعْطَـــى وَجَاهَـــدَ بُكْـــرَةً وَأَصِـــيلا

لَـــوْلا المُعَلِّـــمُ بَعْـــدَ رَبِّـــكَ لَـــمْ يقُـــم ... صَـــرْحُ الحَضَـــارَةِ شَـــامِخًا مَـــأْهُوْلا

وَلَمَـــا رَأَيـــتَ - مِـــنَ الأَنَـــامِ - جَهَابِـــذًا ... تَبْنِـــي وَتُنْشِـــئ مَجْـــدَنَا المَتْلَـــوْلا

وَلَمَـــا رَأَيـــتَ مِـــنَ الأُسُـــوْدِ كَتَائِبـــاً ... تَتْلُـــو رَعِيـــلَ الفَـــاتِحِينَ رَعِـــيلا

وَلَمَـــا رَأَيـــتَ مُنَافِحًـــا مُتَفَقِهًـــا ... يَهْـــدِي الأَنَـــامَ ، وَيُـــتْقِنُ التَّـــأْوِيلا

وَلَمَـــا رَأَيـــتَ لِضَـــادِنَا مِـــنْ شَـــارِحٍ ... يُقْـــرِي العَـــرُوْضَ ، وَيَنْصِـــبُ المَفْعُـــوْلا

وَلَمَـــا رَأَيـــتَ مُفَنِّـــدًا شُـــبْهَ الـــوَرَى ... فَيُبِيـــدُ مِـــنْ سَـــاحِ القُلُـــوْبِ ذُحُـــوْلا

وَلَمَـــا رَأَيـــتَ مُقِيـــلَ عَثْـــرَةَ أُمَّـــةٍ ... أَمْسَـــى عِمَـــادُ رَشَـــادِهَا مَطْلُـــوْلا

وَلَمَـــا رَأَيـــتَ مُبَيِّنًـــا سُـــبُلَ الهُـــدَى ... مِـــنْ بَعْـــدِ أَنْ أَضْـــحَى الحِجَـــا مَخْبُـــوْلا

إِنَّ المُعَلِّـــمَ - فِـــي الـــدِّيارِ- مَنَـــارَةٌ ... قَـــدْ بَـــدَّدَتْ - رغْـــمَ العَنَـــا - التَّضْـــلِيلا

وَالنّـــاسُ تَعْلَـــمُ فَضْـــلَه وَجُهُـــوْده ... وَالعِلْـــمُ صَـــيَّرَهُ فَتًـــى بُهْلُـــوْلا

مَهْمَـــا تَغَافَـــلَ عَـــنْ جَمَائِلِـــهِ الـــوَرَى ... فَالفَضْـــلُ لَـــيسَ عَلَـــى المَـــدَى مَغْفُـــوْلا

فَلَعَـــلَّ جِـــيلاً يغْتَـــذِي بِعُلُوْمِـــهِ ... فَيـــرُدَّ فَضْـــلاً غَـــابَ عَنْـــهُ طَـــوِيلا

فَيُـــرَى المُعَلِّـــمُ فِـــي رَفِيـــعِ مَكَانَـــةٍ ... يرْتَـــاعُ مِنْهَـــا الشَّـــامِتُوْنَ ذُهُـــوْلا

وَيبَـــالِغُ الأَقْـــوَام فِـــي تَقْـــدِيرِهِ ... إِنِّـــي أَوْمِـــلُ - مَـــا أَرَى - تَـــأْمِيلا

وَتُـــزَالُ مِـــنْ قَلْـــبِ المُعَلِّـــمِ لَوْعَـــةً ... ظَنّـــوْهُ عَـــنْ غَصَّـــاتِهَا مَسْـــؤوْلا

وَلَـــئِنْ سَـــعَى غَيـــرُ المُعَلِّـــمِ خُطْـــوَةً ... لَسَـــعَى المُعَلِّـــمُ بِالسَّـــعَادَةِ مِـــيلا

وَالعِلْـــمُ إِنْ رُفِعَـــتْ دَعَـــائِمُ شَـــأْنِهِ ... وَغَـــدَا إِلَـــى نَشْـــرِ السَّـــلامِ سَـــبِيلا

لَرَأَيـــتَ كُـــلَّ مُعَلِّـــمٍ مُتَبَـــتِّلاً ... وَجِـــلاً- إِلَـــى رَبِّ السَّـــمَا - تَبْتِـــيلا

وَتَعُـــوْدُ كُـــلُّ حُقُوْقِـــهِ وَشُـــؤوْنِهِ ... إِذْ لَـــيسَ يظْلِمُـــهُ البُغَـــاةُ فَتِـــيلا

أَنَـــا إِنْ دَعَـــوْتُ إِلَـــى إِعَـــادَةِ حَقِّـــهِ ... وَأَخُـــصُّ شُـــبَّانًا طَغَـــوْا وَكُهُـــوْلا

فَلأَنْتَنِـــي- فِـــي ذِي الحَيـــاةِ - مُعَلِّـــمٌ ... وَلَقَـــدْ أَقَمْـــتُ - عَلَـــى الهَـــوَانِ - دَلِـــيلا

وَعَـــذَرْتُ كُـــلَّ مُعَلِّـــمٍ مُـــتَمَكِّنٍ ... لَمَّـــا يُـــرِدْ – بِعُلُوْمِـــهِ - تَنْـــوِيلا

لَـــمْ يرْتَـــزِقْ بِـــالعِلْمِ ، بِـــئْسَ طَبِيعَـــةٌ! ... فَـــاللهُ خَوَّلَـــهُ الهُـــدَى تَخْـــوِيلا

حَتَـــى يُعَلِّـــمَ ، لا لِيحْصُـــدَ دِرْهَمًـــا ... أَمْسَـــى الـــدَّعِي - عَلَـــى العُلُـــوْمِ - دَخِـــيلا

العِلْـــمُ لَـــيسَ وَظِيفَـــةً مَرْذُوْلَـــةٍ ... حَتَّـــى يكُـــوْن مُرِيـــدُهَا مَـــرْذُوْلا

العِلْـــمُ - إِنْ فَقِـــهَ الأَنَـــامُ - رِسَـــالَةٌ ... وَاللهُ أَوْسَـــعَهُ الثَنَـــاءَ مَكِـــيلا

(اقْـــرَأْ) أَلَيسَـــتْ – صَـــاحِ - أَوَّلَ آيـــةٍ؟ ... تُـــرْدِي الضَّـــلالَ ، وَتَـــدْحَرُ التَّجْهِـــيلا

وَعَـــنِ المُعَلِّـــمِ فَـــالْتَمِسْ دِيـــنَ الهُـــدَى ... تَلْقَـــاهُ شَمْسًـــا ، لا تَـــوَدُّ أُفُـــوْلا

شَـــتَّانَ بَـــينَ مُعَلِّـــمٍ يَهْـــدِي الـــوَرَى ... وَمُعَلِّـــمٍ يُهْـــدِي الأَنَـــامَ وُحُـــوْلا!

إِنَّ المُعَلِّـــمَ إِنْ يكُـــنْ ذَا مَبْـــدَإٍ ... فَلَسَـــوْفَ يمْـــنَحُ غَيـــرَهُ التَّحْصِـــيلا

وَإِذَا اسْـــتَكَانَ لِـــدِرْهَمٍ أَوْ رُتْبَـــةٍ ... فَالدَّارِسُـــوْنَ سَيرْضَـــعُوْنَ خُمُـــوْلا

وَالعِلْـــمُ لَـــيسَ يُقَـــاسُ قَـــطُّ بِـــدِرْهَمٍ ... قَـــدْ نَشْـــتَرِي بِالـــدِّرْهَمِ المَـــأْكُوْلا

وَكَرَامَـــةَ الإِنْسَـــانِ لَيسَـــت تُشْـــتَرَى ... وَالعِلْـــمُ خَيـــرٌ مَـــوْئِلاً وَمَقِـــيلا

وَعِبَـــادَةُ الـــدِّينَارِ تُـــرْدِي مَـــنْ سَـــمَا ... فَيعِـــيش نَـــذْلاً سَـــاقِطًا وَعَمِـــيلا

تَعِسَ الّذِي هُوَ لِلدَّرَاهِمِ عَابِدٌ! يمْسِي وَيصْبِحُ لِلسَّرَابِ قَتِيلا

عِشْ يا مُعَلِّم لِلرِسَالَةِ ، إنّها شَرَفٌ ، فَجَمِّلْ بَذْلَهَا تَجْمِيلا

هِي مَغْنَمٌ دُنْيا وَأخْرَى ، فَالْتَمِسْ مَا تَشْتَهِيهِ ، وَحَصِّل التَّنْفِيلا

وَاتْرك لِمُرْتَزِقٍ مَكَاسِبَ سُخرَتْ! فِي نَيلِهَا قَرَعَ السَّفِيهُ طَبُوْلا

هَانَتْ عَلَيهِ كَرَامَةً وَشَهَامَةً فَمَضَى يُكَمِّلُ دَوْرَهُ تَكْمِيلا

وَيُلْفِقُ الحِيلَ الرَّخِيصَةَ هَازِلاً وَمَشَى يُدَجِّلُ عَابِثًا تَدْجِيلا

يسْطَو عَلَى هَذَا ، وَيخْدَعُ هَذِهِ! وَغَدَا يُمَثِّلُ زيفَهُ تَمْثِيلا

فِي وَجْهِ (زَيدٍ) بَسْمَةً مَصْنُوْعَةً وَعُمَيرُ قَبَّلَ مَكْرهَا تَقْبِيلا

أمَّا (شُحَيْطَ) لَهُ الهَدِيةَ جُهِّزَتْ وَ(مُحَيْطَ) خُوِّلَ مَا يشَا تَخْوِيلا

أنَا مَا كَتَبْتُ لِمِثْلِ هَذَا مَادِحًا بَلْ كُنْتُ أَمْدَحُ جَهْبَذًا بُهْلُوْلا

وَكَذَاكَ (شَوْقِيْ) لَمْ يُرِدْ بِقَصِيدِهِ جِيلاً يتَاجِرُ فِي العُلُوْمِ رَذِيلا

وَأنَا بَرِئْتُ مِنَ الهُرَاءِ وَأهْلِهِ وَمِنِ ارْتِزَاقٍ يسْتَبِيحُ عُقُوْلا

أنَا لَسْتُ مِنْ هَذَا الفَرِيقِ ، وَلا أرَى يوْمًا لِمِثْلِي لِلحَضِيضِ نُزُوْلا

مَهْمَا طَوَى الإمْلاقُ قَسْرًا هِمَّتِي فَأَرَانِيْ عَنْ نَشْرِ الهُدَى مَسْئُوْلا

لَسْتُ الّذِي بِخِلالِهِ مُتَفَاخِرًا أمْسَى المُفَاخِرُ شَائِنًا مَرْذُوْلا

لَكِنّهُ فَضْلُ القَدِيرِ حَبَاهُ لِي وَعَلَى كَثِيرٍ زَادَنِي تَفْضِيلا

فَالحَمْدُ لله الّذِي خَلَقَ الوَرَى وَالله خَيرٌ رَازِقًا وَوَكِيلا

والله قال: بنعمتي فتحدثوا وَالله خوّلني التقى تخويلا

والله قد وعد التقاة جنانه! مَنْ مِنه في ذا الكون أصدقُ قِيلا؟

وَصَلاةُ رَبِّيْ عَلَى النّبِي المُصْطَفَى مَنْ كَانَ مِنْ رَبِّ السَّمَاءِ رَسُوْلا

خانكَ الغيثُ! (معارضة لابن الخطيب: جادكَ الغيث)

(أنشدَ الشاعرُ الفذ لسانُ الدين بنُ الخطيب قصيدته المعروفة: (جادك الغيث) يسترجع أرج الذكريات ، وينعى لحال أمته وضياع مجدها التليد وذهاب الليالي الخوالي! ثم عارضه الشاعرُ النبطيُ إسماعيل بن عبد الله بن عبد الجبار بن مِحضار آل مِحضار – رحمه الله تعالى -. وبكى هو الآخر على المَجد التليد والعز المَجيد ، وتفاءلَ بعودة المجد والعز! وكنتُ قد تأثرتُ بقصيدة لسان الدين بن الخطيب من الناحية الصياغية ، ولكنني تأثرتُ بقصيدة المِحضار النبطية من ناحية الفحوى والموضوع ، وتفاءلتُ معه بعودة أمتي لسالف مجدها ومجيد عزها. وجمعتُ بين تذوقي العربية والنبطية في مُعارضتي للخطيب وللمحضار في نص واحدٍ عنونتُ له بـ: (خانك الغيث)! حيثُ تخيلتُ الغيثَ يردّ عليهما معاً ، فيُعلل انهماره في الزمان الأول ، بأن أهل الزمان والمكان كان أغلبُهم عبيداً لمن خلق فسوى! إما وقد صار الأغلبُ الأعمُ منهم عبيداً لسواه ، فقد خان الغيثُ تقديرَهم وبخلَ بالهطول عليهم ، ريثما يعودون لما كان عليه أسلافهم من الإنابة والمعروف والخير والهدى! وكنتُ قد حرصتُ على أن تكون قصيدتي على نفس عدد أبيات بن الخطيب ، وعلى ذات تخميسه الشعري! ويظل ابنُ الخطيب – رحمه الله - في عليائه ومكانته الشماء بين شعراء العربية الأوائل! وأظل في محاولتي البائسة اليائسة بين شعراء العربية الأواخر! فما أنا بالذي يسوي نفسه وقدراته بابن الخطيب! ولكنه شرف المحاولة يحدوني دائماً!)

خانـــــكَ الغيـــــثُ ، لهـــــذا مـــــا هَمَـــــى ... فـــــوقَ أرض العُـــــرْب والأنـــــدلسِ

عـــــودة الماضـــــي أراهـــــا حُلمـــــا ... أصـــــبحتْ فـــــي قبضـــــة المُخـــــتلسِ

********** ... **********

هـــــل يُعيـــــدُ الـــــدارَ فِكـــــرٌ أو مُنـــــى ... أو خيـــــالاتٌ رُؤانـــــا تَرْسُـــــمُ

نحـــــن ضِـــــعنا مُـــــذ هجرْنـــــا هـــــديَنا ... والـــــدُجى وافـــــى ، وغابـــــتْ أنجُـــــمُ

والـــــديارُ اليـــــومَ تَجْتـــــرُ العنـــــا ... لـــــم يعُـــــدْ طفـــــلٌ - لـــــديها - يبســـــمُ

تشـــــتكي القـــــوْمَ إلـــــى رب الســـــما ... كيـــــف جَـــــدّوا فـــــي اقـــــتلاع الأسُـــــسِ!

هـــــل يُحـــــبُ النـــــورَ مَـــــن يَهـــــوَى العَمـــــى؟ ... لـــــيس هـــــذْيُ الله بـــــالمُلتبسِ!

********** ... **********

والأخ (المِحضـــــارُ) يرجـــــو عـــــودة ... ويُمَنينـــــا بقلـــــب مُثقَـــــلِ

يـــــا (ابـــــنَ عبـــــدِ الله) أرشـــــدْنا إلـــــى ... مَـــــنهجٍ يَرْقـــــى بقلـــــب مُثكَـــــلِ

يرفـــــعُ النـــــاسَ ، ويُعْلـــــي شـــــأنهم ... ويَقـــــيهم مـــــن ضـــــلالٍ مُبْطِـــــل

واتبـــــاعُ الحـــــق يُنْجـــــي أهلـــــه ... مِـــــن مَصـــــير مُرعِـــــبٍ مُنـــــتحسِ

إنمـــــا وحـــــيٌ وشَـــــرعٌ وهُـــــدىً ... ثـــــم أحكـــــامٌ تلِـــــي مَـــــن يأتســـــي

****

ولســـــانُ الـــــدين بـــــالأمس بكـــــى ... ومـــــن الأحـــــوال والـــــدار اشـــــتكى

وانبـــــرى يُنشِـــــدُ مِـــــن شِـــــعر الأســـــى ... ومِـــــن التـــــاريخ أطيافـــــاً حكـــــى

واشـــــتهى (المِحضـــــارُ) نصـــــراً عـــــاجلاً ... يـــــا أخـــــا الإســـــلام مـــــا أعْجَلكـــــا!

كيـــــفَ ترجُـــــو مـــــن سُـــــكارى أن يَعُـــــوا ... ذهـــــبَ الســـــكْرُ بـــــوَعْي الأنفـــــس

والعقـــــولُ - فـــــي الـــــدنايا - حُبســـــتْ ... أي رُشْـــــدٍ فـــــي حِجـــــا مُحْتَـــــبس؟!

****

طاعـــــة الـــــرحمن خيـــــرٌ أمـــــلا ... إن أطعنـــــا اللهَ جُزنـــــا السُـــــبُلا

وانتصـــــرْنا ، واسْـــــتمتْ راياتُنـــــا ... وانطلقنـــــا إذ أجَـــــدْنا العمـــــلا

والبشـــــاراتُ – علـــــى الـــــدرب - زكَـــــتْ ... إن فـــــي المَقـــــدور خَطبـــــاً جلـــــلا

ســـــوف يَهمِـــــي الغيـــــثُ فـــــي شـــــتى الـــــدنا ... ثـــــم يمضـــــي بالشـــــقا المُـــــرتكسِ

ويعـــــودُ الحـــــقُ والـــــدارُ معـــــا ... ثـــــم تُـــــزوَى لوعـــــة المُبتـــــئسِ

****

يـــــا لســـــان الـــــدين يـــــا نجمـــــاً خبـــــا ... بعـــــدما أثـــــرى اللغـــــا والأدبـــــا

عبقريـــــاً عشـــــت فـــــي دنيـــــا الصـــــدى ... تنشـــــدُ الشـــــعرَ ، وتُطـــــري العربـــــا

مـــــن يُعارضْـــــكَ سَـــــمَتْ أشـــــعارُهُ ... تخـــــذتْ مـــــن كـــــل فـــــن ســـــببا

إننـــــي عارضـــــتُ مُشـــــتاقاً إلـــــى ... فرحـــــة الشـــــعر بحـــــالي الـــــتعسِ

وإذا حاولـــــــتُ مُعتـــــــزاً بكـــــــم ... لـــــيس لـــــي فـــــي الـــــنظم ذاتُ الـــــنفَس

****

والـــــدي (المِحضـــــارُ) أثـــــرى همتـــــي بقصـــــــيدٍ جَـــــــدُ عـــــــذبِ الأرجِ

يرسُـــــمُ البهجـــــة بســـــام اللمـــــى بالغـــــاً فينـــــا سُـــــويدا المُهـــــج

نـــــاظراً للصـــــبح يَغتـــــالُ الـــــدجى طامعـــــاً فـــــي فجـــــره المُنـــــبلج

يـــــا عزيـــــز الـــــنفس يومـــــاً نرتقـــــي ونُبـــــاهي بمَجـــــدنا المُنـــــدَرس

مثـــــل (حســـــانٍ) رأيـــــتُ شـــــعركم يـــــا تـــــرى هـــــل معْـــــك (روحُ القـــــدس)؟!

معاني الكلمات غير المطروقة

الغيث: المطر. همى: سقط. المُختلس: السارق. مُنى: أمنية. رؤانا: جمع رؤية. الدجى: الظلام. وافى: شمل المكان وعمه. أنجُم: نجوم. تجتر: تمضغ. يبسم: أي يبتسم. جدوا: اجتهدوا. اقتلاع: خلع من الجذور. يهوَى: يحب. المُلتبس: المُختلط. يُمَنينا: يُعطينا الأمل. ابن عبد الله: هو الشاعرُ المِحضار. يقيهم: يحميهم. مُبطل: شديد البطلان. مُنتحِس: سيءٌ للغاية. يأتسي: يتبع المنهج. انبرى: ظهر وشمّر عن ساعد الجد. يعوا: يفهموا ويُدركوا. الدنايا: سفاسف الأمور. جُزنا: اجتزنا وسلكنا. استمت: علت وارتفعت. الدرب: الطريق. خطب جَلل: هو الأمرُ العظيمُ الخطير. يَهمي الغيث: يتساقط المطر. المرتكس: أي المتراكم. تُزوى: تنتهي وتتلاشى. المبتئس: الحزين. الأرج: الرائحة الزكية العطرة. سُويدا: جوف. المُهج: الأرواح. يغتال: يقتل ويبيد. المُنبلج: الساطع المضيء. نرتقي: أي نعلو. نباهي: أي نفاخر. المندرس: البائد الضائعُ المَفقود. خبا: ذهب. اللغا: اللغات. عبقري: عظيم متألق. تُطري: تمدح. تخذت: اتخذت. التعِس: التعيس الحزين. أثرى: أغنى. حجا: عقل. روح القدس: هو جبريل عليه من ربه السلام.

دعنا نضعك في الصورة! (معارضة لحمد بو شهاب)

(وهذه القصيدةُ كانت بينَ قصائد «عزيز النفس» لما لمسناهُ فيها مِنْ عزةِ نفس لا يدركُها إلَّا كل عزيز أصيل ، ألا وإنَّها حَوَتِ العديدَ مِنَ اللمحاتِ الفنيَّة والبُكائيات التي يَبذُلُها الشاعرُ في رِثاءِ الشعر الهادفِ الصادق ، وإني فيهَا أُعارِضُ شاعرَ الإمارات الكبيرَ الأستاذ/ حمدَ بن خليفة أبو شهاب. وأُصحِّحُ هنا مَفهومَ المُعارَضَةِ الشِّعريَّة ، حيثُ قَدْ شاعَ في عُرفِ الناس ـ عوامِّهم وكثيرٍ مِنْ خواصِّهم ـ أنَّ لفظَ «معارضة شعرية» لا بدَّ وأنْ يَحملَ معنى الاختلاف ، بمعنى أنَّ فلانًا مِنَ الشعراء يُعارضُ عِلَّانًا منهم ، فهو يَهجوه أو يُخالفُه. والحقيقةُ أنَّ هذا المعنى غيرُ دقيق بالمَرَّة ، حيثُ إنَّ كلمة «عارض» في القاموس كانَ مِنْ معانيها: الوِفاقُ والاتفاقُ والالتقاءُ. فمثلًا ، عارضَ أحمد شوقي بُردةَ البُوصيري: يعني كتبَ يُوافقُها. فالمعارضةُ الشعرية هي فنٌّ مِنْ فنون الشِّعْر العَربيِّ ، يَعني أنَّ الشاعرَ يُوافقُ شاعرًا آخرَ في قصيدةٍ مَا كتبها الثاني. وإذنْ ، فإني قد طالعتُ ما كتبه الشاعرُ الكبيرُ/ حمد بو شهاب ، وتأثرتُ به ، وعارضتُه في مُساجَلةٍ شعريةٍ أوافقُه فيما كان قد ذهبَ إليه ، وكانَ عُنوان قصيدة الشاعر بو شهاب «وقفة مع صادق الشعر» ، وأمَّا التي عارضتُه فيها فكان عنوانها: «دعنا نضعُك في الصورة» ، ولسوفَ نُوردُ قصيدةَ الشاعر حمد خليفة أبو شهاب أولًا ، ثم نُتْبِعُها بقصيدتنا بعدَ ذلك ، حِرصًا منَّا على الفائدة ، وإمعانًا مِنَّا في إمتاع القارئ بهذي المُساجَلَة ، عسى أنْ يكونَ مِن بيْن قُرائنا مَنْ يهمهم الأمرُ فينتفعوا ، وإنَّني أُحيِّي الشاعرَ حمد أبا شهاب ، وأشكرُه على هذه النظرة الشعرية التي يَنشُدُها ، على هذه الغزارة المشاعرية ، وعلى هذا الإبداع في الأداء ، وأسألُ اللهَ أنْ تنالَ مُعارضتي أو مساجلتي رضاه ، وأن لا أكونَ قَدْ أسأتُ مِنْ حيثُ لا أحتسب ، وأنْ يَجعلَ اللهُ أجرَ الذي كتبنا في صحيفةِ أعمالنا يومَ نلقاه. والآن ، أَدَعُ القارئَ مع القصيدتين ، وإن كانتْ قصيدتي دُونَ ما كتبَ أبو شهاب ، ولكنْ يكفي شرفُ المحاولة ، لإحياء فنٍّ مِنْ فُنونِ الشِّعْر العربيِّ ماتَ في زماننا ، هو فنُّ المُعارضةِ الشعريَّة. ذلك الفن الذي كان معروفاً جداً إلى عهدٍ قريب! أولًا: قَصيدةُ الشاعر / حَمد بن خليفة أبي شهاب: (وقفةٌ مَعَ صَادِقِ الشِّعر):

ثَغْـــوْرُ القـــوافي حينَمـــا تَتَبسَـــمُ ... يَـرِفُّ لَهَـا قلْـبٌ ، ويشْـدُو بِهـا فَـمُّ

وَتَـــروي الليـــالي لليـــالي حَـــدِيْثَها ... حـــديثًا بِـــهِ رِيْـــحُ الصَّـــبا تَتَـــرنّمُ

صَـدَاهُ ألا مـا أجْمَـلَ الشِّـعْرَ والْهـوى! ... رَفيقـــانِ لا ينْـــآن جُـــرْحٌ وبَلسَـــمُ

فلـــيسَ كَمِثْـــلِ الحُـــبِّ لِلشِّـــعْر رَافِـــدٌ ... إذا جـفَّ نَبْـعُ الشِّـعرِ واصْـفَرَّ بُـرْعُمُ

ولـيسَ كمثـلِ الشِّـعرِ للْحُـبِّ واَصِـفٌ ... دَقَـائِقَ مـا يُبـدي المُحِـبُّ ويَكـتُمُ

ومـــا الشِّـــعْرُ إلاّ كالنَّسَـــاءِ خَلِيْقَـــةٌ ... يَـرِقَّ وَيَسْتَعْصِـي ، وَيَقْسُـو ويَـرْحَمُ

إذا جَـــادَ فالْعَـــذْبُ الـــزُّلالُ نَوَالُـــه ... وإنْ شَـــحَّ فَـــاللفْظَ الحَـــلالُ مُحَـــرَّمُ

تُســـابِقُ مَعْنَـــاهُ عُذُوبَـــةُ لَفْظِـــهِ ... فمَـا دَقَّ عـن أوْصَـافِهِ فَهُـوَ مُـبْهَمُ

فَتِنْـــتُ بِـــهِ ذَاتًـــا وكُنْهًـــا وَصُـــورَةً ... وهِمـــتُ كمـــا بِالحُـــبِّ هَـــامَ الْـــمُتَيَّمُ

وتُسْـــكِرُني رَاحُ القـــوافي فَأنْتشِـــي ... بِهَـا ثَمِـلا ، والْعَقْـلُ بِـالْوعيِ مُفْعَـمُ

تَفَيَّــأتُ ظِــلَّ الشِّــعْرِ بَعْــدَ هَجِيْــرِهِ ... وَمِــنْ بَعْــدِ مَــا كَــادَ الأسَــى يَــتَحكّمُ

وَمِـنْ بَعْدِ أنْ شَـاطَرْتُه السُّـهْد والكـرى ... وَرَوَّضْــتُ منــه جَامِحًــا لا يُقَــوَّمُ

تَــأمْلَنِي نَفْسًــا عَلَيْــهِ عزيــزةً ... فأكْرَمَهــا ، يَــا حَبَّــذا المُتَكَــرِّمُ

وأتْحَفَهَــا بالــدُّرِّ مِــنْ مُفْرَدَاتِــه ... فَمَـا ضِـيْمَ مَوْصُـوفٌ ، وَلا ضُـلَّ مُلْهَـمُ

وَلا عَبَثَــتْ كَــفُّ الصَّــراحةِ بــالنّهى ... ولكــنَّ سَــهْمَ الصِّــدقِ لِلزّيــف مُــوْلِمُ

وَنَزّهْتُ عِرْضَ الشِّعْرِ عن شُكْرِ هازل ... وأكْرَمتُــهُ عــن هجْــوِ مــن لا يُكــرَمُ

وأقْسِــمُ لــو كَلّفْتُــهُ الشّــكْرَ مكْرَهًــا ... ولبَّــى لأنْكــرْتُ الــذي مِنْــهُ أعْلَــمُ

فمــا عــوَّدتْني مُفْــرداتُ بيانِــه ... نفاقًا ، ولـوْ لـمْ يبْقَ فـي الكـفِّ دِرْهَـمُ

يَبُــوحُ علــى قَــدْرِ المحبَّــةِ مرقمــي ... ولــيْس لغيــر الحــبِّ يشــدو ويــنْظِمُ

ومــا قَلّتُــهُ إلاّ لِمــنْ يَســتحِقّه ... حبيــبُ فــؤادٍ ، أو جــوادٌ مُعظّــمُ

فَلـوْلا جيـادُ الشِّـعْرِ مـا خَلّـدَ الهـوى ... أحاديــث مــن هــاموا وجُنّــوا وتُيِّمُــوا

وَلَـوْلا جيـادُ الشِّـعْرِ مـا خَلّـد الـوغى ... مواقِــف مــن يلْقــى المنايــا ويَقْــدمُ

وَلَـوْلا جيـادُ الشِّـعْرِ مـا خَلّـد النّـدى ... مكــارم مــن يأســو الجِــراح ويُــنْعمُ

يَظِـلُّ ، وَتَفْنَـى دَوْلَـةُ الْمُلْـكِ والْغِنـى ... وكــلُّ بنــاءٍ دُوْنَــه يتهــدَّمُ

شعر: حمد بن خليفة بو شهاب – دبي في يوليو 1996م

وَإلى هُنا انتهتْ قصيدةُ شاعرنا الإماراتي الكبير الأستاذ / حمد بن خليفة أبو شهاب. أوردتها فقط ليتبين الفرق! فمن هو (حمد بن خليفة بو شهاب)؟ أورد هنا جزءاً من تقرير كتبه عنه أحد محبيه والمعجبين بشخصيته وأشعاره ، وذلك بتصرف في بعض الألفاظ والأخبار! يقول: (ولد في عجمان عام 1932م. تعلم في كتاتيب عجمان ثم التحق بالمدرسة المحمدية. أحب الشعر مبكراً ، وكتبه في سن التاسعة ، وظل محافظاً على القصيدة العمودية طوال عمره ، سواء في شعره النبطي أو الفصيح. تنقل للعمل ما بين جزيرة "سقطرة" في بحر العرب والكويت والسعودية والبحرين في الخمسينات من القرن الماضي. ثم انتقل للعيش في دبي مطلع السبعينات من القرن الماضي. كانت المنطقة في ذلك الوقت تمر بنهضة أدبية ، وخاصة عجمان التي اكتظت بعلماء الدين والشعراء ، وكان المجتمع متقارباً ومتكاملاً ، وتميز ذلك الوقت بانتشار المجالس التي اهتمت غالباً بالشعر العربي والنبطي والأدب. وكانت لديه ملكة الحفظ منذ نشأته ، وكان يجالس الشعراء والأدباء أمثال راشد بن سالم الخضر ، وراشد بن سالم بن ثاني المعروف برشيد ، وحمد بن سليمان ، وأحمد بن سند ، وعبد الله الشيبة ، وناصر بن محمد ، وخالد بن خصيف وغيرهم! فأخذ يحفظ ما يقولون ويكتبه ، فكان أكثر تعلقاً بالشعر والأدب ، وبدأ يكتب الشعر في سن الثامنة أو التاسعة. كان للشاعر حمد عدة اهتمامات من أهمها: اهتمامه بتوثيق التراث الإماراتي من الشعر الشعبي ، وكذلك تاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة والأنساب في المنطقة. و من ثم أشرف على إصدار عدد كبير من الدواوين الشعرية لشعراء النبط في الإمارات. حصل الشاعر على عدة مناصب منها: وزيراً مفوضاً بوزارة الداخلية ، وعضو في لجنة التراث والتاريخ! وتسلم إدارة مكتب وزارة الإعلام

في الإمارات الشمالية في الفترة ما بين (1972 – 1976م). وفي خلال إدارته ، أنشأ مكتبات عامة في تلك المناطق. وأيضاً يعد الشاعر أول من قدم برنامج الشعر الشعبي في التلفاز ، وذلك عبر تلفزيون الكويت في عام 1971م. وكما يعد أول من نشر الشعر الشعبي في الصحافة اليومية ، عبر إشرافه على صفحة الشعر الشعبي في صحيفة البيان. كان الشاعر حمد أبو شهاب مثالاً للأب الصارم ، فقد ربى أبناءه تربية متشددة ، وكان لا يتهاون في أمر الصلاة التي يجب تأديتها في المسجد ، وكان كثير التوجيه لأبنائه للالتزام بالعادات الإسلامية والعربية المتوارثة عن الأجداد ، وكان أكثر ما يهمه هو احترام الكبير ، خاصةً من الأصغر سناً ، و كان اهتمامه شديداً بتحصيل أبنائه الدراسي ، من حيث متابعة تطوراتهم وتدقيق درجاتهم التي يحصلون عليها ، حتى نال أبناؤه الستة – 3 أولاد و3 بنات - على الشهادة الجامعية. للشاعر حمد بن خليفة أبو شهاب عدة مؤلفات ودواوين ، أهمها: - ديوان سلطان بن علي العويس عام 1978م. - ديوان تراثنا من الشعر الشعبي – الجزء الأول عام 1980م ، والجزء الثاني عام 1981م. - ديوان شاعرات من الإمارات - عام 1984م. - ديوان ربيع بن ياقوت ، المجموعة الكاملة – عام 1988م. - وقفات مع تاريخ دولة الإمارات – عام 1997م. كان يتمتع بأسلوبه الشائق وإجادته اللغوية ، وهذا ما جعل الآخرين يتذوقون الشعر النبطي أكثر. وكان يكتب القصيدة الغزلية ولكنه كان يتستر على اسم المعنية بالقصيدة. وكان مهتماً بمعنى القصيدة وعدم الاكتفاء بصحة الوزن أو قافية القصيدة. ويعلم غيره فنون نظم الشعر. ويتحسس كثيراً من الدخيل على الشعر ، وما يسمى النثر فيفضل عليه الشعر العربي التقليدي ويحب المتنبي. ولقد اتفق الجميع على حدة طبعه وعدم تسامحه مع الخطأ في اللغة ، والشعر بالذات. ولكنه رجل صادق لا يقبل الكلام غير الموزون خاصة إن كان قصيدة. وكان لا يقبل الكلمة الناقصة ولا يجامل من يخطئ. وكان يكرر أن المشرف على أية وسيلة تهتم بالإبداع لا بد من أن يكون صريحاً ، ولا يتسرع في نشر ما يصله من إبداعات فيلقي عليه نظرة وأخرى حتى يقتنع ، وإن احتاج الأمر جادل الشاعر في المعنى إن وجده مختلاً. وكان حريصاً على أن لا تمس القصائد ركناً من أركان الدين الإسلامي ، فلا تجمل عادة سيئة ولو بالتلميح. وكان لا يقبل الخطأ في قواعد اللغة ، وهذا من حرصه. وكان صريحاً جداً في هذه الأمور ، والناس خلطوا ما بين الصراحة والحدة ، وطبعاً هذا جلب له الكثير من المتاعب الصحية ، وخلق له عداوات مع الآخرين الذين لم يفهموا على أي أساس يبني مواقفه ؛ فهناك أمور لا داعي للمجاملة فيها. وأما وفـــــاتـــــه: فلقد كانت الساعة تشير إلى العاشرة صباحاً تقريباً وكان حمد بو شهاب في جنيف ، ثم وقف ليلقي بعضاً من أشعاره ، ثم أخذ يجمع الأوراق بين يديه ، ولكنه وقع فجأة على الطاولة ، فاجتمع عليه الحضور ومددوه في وسط المجلس ، وجاء رجال الإسعاف ، ودلكوا قلبه فلم يستجب ، فاستعانوا بجهاز الصعق الكهربائي فاستجاب ، وذهبوا به إلى المستشفى. ويقال إنه أصيب بنوبتين في أثناء نقله وجاءته الثالثة في المستشفى ، وبقي في الانعاش حوالي أسبوع لم يحدث خلالها أحداً حتى انتقلت روحه إلى بارئها يوم 2002/8/19م. فإنا لله وإنا إليه راجعون).هـ. وأشكر صاحب التقرير جزيلاً! ونحنُ نشكرُ لحمد بو شهاب ما وصفَ به شعر العرب الأصيل مِنْ أوصافٍ يَعجزُ عنْ وصفها القلم ، ونقولُ: إنَّ قصيدتَنا دُونَ هذه الشاعرية بكثير ، وإنْ هِيَ إلا مُحاولةٌ على طريق الشعر وفقط. والآن ، نقرأ قصيدتنا «دعْنَا نضعُكَ فِي الصورة» ، والصورةُ التي أعنِي هيَ صُورةُ الشِّعْر العربيِّ ، حيثُ يَستحقُّ أنْ يُوضعَ فيهَا الشاعرُ أبو شهاب. وعُمومًا ، الشعر العربي مَعِينُه لا يَنْضُبُ ، ورَونقُه لا يموت ، ولا يزالُ الشُّعراءُ المخلصون المُوحِّدون يُجددون في صياغة ذلك الشعر الأصيل ، وهو يَستوعِبُ كلَّ الذي وصلوا إليه. ألا وإنَّ الشعرَ ديوانُ العرب ، وهذي مَقُولةٌ مِنَ الصدق بدرجةٍ لا يستطيع تصويرَها يراعٌ مهْمَا أوتيَ صاحبُه مِن بيانٍ وفصاحةٍ وإبانة ، والشعرُ إحساسٌ وشعورٌ وقواعد. واليومَ لا يُعْجِبُ هذا الشعرُ أقوامًا يَتهمونه بالرجْعيَّة والتخلف! وكبرتْ كلمةً تخرجُ مِنْ

أفواهِهِمْ ، إن يقولونَ إلا كذِبًا. ومن فضل ربي ذهبت إلى الأستاذ في دبي في لجنة التراث والتاريخ وأهديته الديوان ، أعني ديوان: (عزيز النفس) الذي كانت هذه القصيدة إحدى قصائده!)

ثَانيًا: قصيدةُ / أحمد علي سليمان عبد الرحيم:

ألا إنّمـــا الشّـــعْرُ الصَّـــدوقُ مُعَظَّـــمُ ... وكـــلُّ يَـــراعٍ يَصـــطفيهِ مُكَـــرَّمُ

صـدقتَ (أبـا شُـهْبٍ) ، وإنَّـي مُعـارضٌ! ... أوَيِّـدُ مـا قَلّـتُمْ ، وشِـعْرِي مُهنْـدَم

عَلَـى قَـدْرِ صِـدْقِ الشّـعْرِ يَسْـمُو ، ويَرتقِـي ... وتلقـاهُ - فـي دنيـا الـوَرَى - يَتَـرَنّم

يَـروحُ ويَغـدو ، والعَبيـرُ أريجُـهُ ... ويُزْكـي شِـغافَ القلـبِ مَـا حَبَّـرَ الفَـم

يَهـيمُ السَّـنا - فِـي عـالم الشـعر - شـامخًا ... فتلقـاهُ - فـي أنـواره - يَتَبَسَّـم

ويَنْفَعِـلُ الوجـدانُ - للشـعر - طالمـا ... يُتَوِّجُـهُ الصِّـدْقُ الـذِي هُـوَ قَـيِّم

ولكـنْ بُلِينـا بالأباطيـل تَعْتَلِـي ... مُتـونَ القـوافي ، فالكَـذُوبُ مُقَـدَّم

وكـلُّ يَـراعٍ يَكتـبُ الشـعرَ صَـادقًا ... يُعـانِي ، ويغلـي - فـي تَرائِبِـهِ - الـدَّم

ولـيسَ يَـرى شَـمْسَ الحيـاة ، ولا الضـيا ... وبُنيانُـه - فـي كـلِّ صُـقْعٍ - يُهَـدَّم

يَجِـفُ المِـدَادُ العَـذْبُ فيـه ، ولا يَـرَى ... قضـيَّتَه الإنسَـانُ ، ثـمَّ يُحَطَّـم

وتَحْتَـرِقُ الأنّـاتُ فِـي قلْـب شَـاعِرٍ ... وينتحـرُ الشـعرُ الأصـيلُ المُعَظَّـم

فَيبتَسِـمُ المُحْتَـالُ - بالشـعر - عُمْـرَهُ ... ويسـمُو - بُعَيْـدَ الفقْـدِ - شِـعْرٌ مُحَـرَّم

أيَـا (ابْـنَ شِـهَابٍ) قَـدْ أثَـرْتَ مَشَـاعِري ... وعطّرتَنـي بالشـوقِ ، قَلـتُ: سَـأنْظِمُ

وأثَـرْتَ فِـي نفسِـي ، وسَـعَّرتَ خَـاطِري ... ولـمْ يَنْـأ عمَّـا قلتَـهُ مُتَـرَدَّم

ألا طَمْـئِنِ الـنّفْسَ العزيـزة ، قَـلْ لهَـا ... شُـعورُكِ هـذا بيْنَنَـا - اليـومَ - مُبْهَـم

فـإنَّ القَلَـوبَ - اليَـوْم - بيعـتْ وشِـعرُهَا ... وعبَّدَهَـا - فـي القـومِ - سَيْـفٌ ودِرْهَـم

ومِـنْ عَجَـبٍ لَيْسَـتْ تُـداري عَوارَهَـا ... ويُسْـعِدُها ذلُّ النِّفَـاقِ المُـنَعْم

فكَيْـفَ اشـتراها المَـالُ؟ ليْسَـتْ عجيبـة ... يَثُـورُ ويَهْـدَا – للـدراهِيمِ - دَيْلَـم

ويُهـدِي القَـريضَ العَـذْبَ - للوغـدِ - ناحِـلٌ ... ويُهْـدِي لِلَيْلَـى الشّعـرَ - دَومًـا - مُتَيَّـم

تَمُـوتُ الأحَاسِـيسُ التـي تَنشُـدُ الهُـدَى ... ويَلحـقُـها - بعْـدَ التـردي - التّنـدُّم

وكَـمْ مِـنْ شُـعورٍ صِـيغَ شِـعْرًا وفِكْـرَةً! ... ومِـنْ حُسْـنِه بـاتَ الصَّـدَى يَـتَكَلّم

ومِـنْ جَـوْدَةِ السَّـبْكِ المَهيـب لـهُ سَـنًا ... فتقتُلُـه الأوهَـامُ ، ثُـمَّ تَجَسَّـم

ويَحْجُبُـهُ التّضـليلُ عـنْ كـل قـارئٍ ... ويَذبحُـه - فـي عالـم النـاس – خَشْـرَم

فكيـفَ رَطِيـبُ الشّـعْر ينمُـو ، ويَزدهـي ... وقـدْ أنشـدَ الأشـعارَ مَـنْ يَـتَمَعْلَم؟

أراكَ - بكُـلِّ الصِّـدقِ - حَجَّلْـتَ واسِـعًا ... وأنـتَ - بمَـنْ ذا يَـدَّعِي الشّـعْرَ - أعلـم

أيَـا (ابْـنَ شِـهَابٍ) خَفْـف اللـوْمَ ، إنّهُـم ... يَبيعُـونَ مـا صَـاغوا ، ولَـمْ يَتَلَومُـوا

إذا بِيـعَ - فِـي المَـرْءِ الضَّـميرُ - فـلا تَسَـلْ ... لأنَّ الأصـــيلَ الحُـــرَّ مَـــنْ يَـــتَفَهَّم

لَقَـدْ حَطَمُـوا بَـوْحَ القـوافي ، وعِطْرَهَـا ... وقـــدْ عَيَّـــبَ الأوزانَ غِـــرٌّ غَشَمشَـــم

وَقَـالُوا بِـأنَّ الشِّـعْرَ - بـالوزن - هَـازِلٌ ... ومِـــنْ غيْـــر أوزانٍ - لَـــهُ - يتـــنغمُ

وطَـوِّع شِـعْرُ القَـوْم فـي مـدْح جاحـدٍ ... وأمْسَـى مَعِينُ الحَـقِّ - فِـي الـدارِ - يُكْـتَم

وَضَـاعَتْ - علَـى الأيـام - ضـادٌ ورايـة ... وأودَى - بنُـور الصِّـدْقِ - مَـنْ يَتَمَسْـلَم

وقـد فَضَّـلَ الشِّـعْرُ الأصـيلُ رحيلَـهُ ... وكـانَ لـهُ - مِـنْ قبْـلُ - مَنْحَـىً ومَرْسَـم

وكـانَ لَـهُ مَـرْأىً يَسُـرُّ ضُـيُوفَهُ ... وكـــانَ لـــهُ إلْـــفٌ يَتِيـــهُ ، ومُغْـــرَم

ولَكـنْ تَلَظَّـى فِـي دُجُنّـاتِ مَـنْ غَـوَوْا ... ومَـنْ قـالَ هـذا - فـي الـوَرى - فَجَهَنّـم

وَأمْسَـــى ضَـــيَاعًا ، أو غرامًـــا وقَيْنَـــة ... وإنْ يُـذْكِرِ الشِّـعْرُ الأريـبُ ، فَقَـدْ عَمُـوا

دِمَـاءُ الهُـدَى سَـالَتْ ، ومـا مِـنْ مُنَـافِحٍ ... ولـوْ - بـالقريضِ الفَـذِّ - يَهْجُـو ويَـنْقِم

وفِـي السَّـاحِ أشْـعَارٌ تُعـاني صَـبَابَةً ... تَـرى العِشْـقَ - فـي أبياتِهـا - يَتَضَـرَّم

وأصحابُهَا - فِـي الحُـبِّ - ضـاعتْ حَيَـاتُهم ... فقـالُوا بـأنَّ العِشْـقَ نَـارٌ ، وعَلْقَـم

فيـا ليْـتَ شِـعْرِي ، مَـا يُفيـدُ هُـراؤهُم؟ ... وكـائِنْ تـرَى مِـنْهُم شَـفِيقٌ فَيَنْـدَم!

وإنَّ الهُـراءَ اليَـوْمَ طـابَعُ عصْـرِنَا ... وقـد قَـلَّ - فِـي الأقـوامِ - مَـنْ يَتَـألّم

أيَـا (ابْـنَ شِـهَابٍ) قَـدْ عرفتُـكَ شَـاعِرًا ... وإنّـكَ - فِـي نَسْـجِ القصَـائِدِ - ضَـيْغَم

تَـذُودُ عَـنِ الفَصْـحَى ، وتُعْلـي عِمَادَهَـا ... وآهاتُـكَ الحَـرَّى تَـئِنُّ ، وتَجْـزِم

بِـأنَّ الحَيَـاةَ اليَـوْمَ هَـزْلٌ ، فـلا عُـرَىً ... وأنَّ السَّـليمَ القلـب أضْـحَى يُلَـوَّم

وألْمَـسُ - فـي أشـعارِكَ - الصِّـدق كُلّـهُ ... ألا بُـورِكَ الشِّـعْرُ الرَّصِـينُ المُطَهَّـم

كَأنّـكَ - فِـي آفـاقِ شِـعْر الوَفَـا - سَـنًا ... إذا أشـــرقَتْ أنْـــوَارُه يَتَهَيْـــنَمُ

فَهَـوِّنْ علـى القلـبِ الـذَبيح ، وداوِه ... وصَـابرْ ، فعنـد الله فـوز ومَغـنم

ألا ليْـتَ شِـعْرِي هَـلْ تَنَـاولنِي الخَطـا ... بمِعْوَلِـه ، ثـمَّ احتـواني الـتجهم

ألا هَـلْ يَكُـونُ الشِّـعْرُ عِنـدي سَـلِيقَة ... فيتبعُـنـي - مِنْـكَ الشهـابُ - فأفْحَـم؟

حَنانَيْـكَ يـا ابْـن العِـزِّ ، وارفـقْ بنظرتـي ... فـإنَّي أبُـثّ الصِّـدقَ ، لا أتَلَعْـثَم

ورِفْقَـا بِحَـالِي ، فاليَراعَـة سَـجَّلَتْ ... طَيوفًـا بقلبـي ، للمعـالي تقـدّم

أيَـا ابْـنَ شِـهَابٍ ، لا أنـافِقُ لَحظَـة ... ولكِـن شـعورٌ صُـغْتُهُ يَـتَحَمْحَم

بَرِئْـتُ مِـنَ التّلْفِيـق: قلبًـاً وقالَبًـا ... ومِـنْ مَسْـح جُـوخٍ فِيـهِ يُمْحَـى التكـرم

وأمْقَـتُ مَـنْ تَزلّـفَ ، ليْسَـتْ طبيعتـي ... وأصـدعُ بـالحق الصُّـراح ، وألْطِـم

ولَـوْ «بِـأبِي» عَيْـبٌ لقَلّـتُ ، ولـمْ أخَـفْ ... وآيـاتُ هـذا - فـي حَيَـاتِي - تُخَـيِّم

ولكِـنْ وَصَـفْتُ خـاطرًا هـيّج الجـوى ... وأترعْـتُ قِرطاسـي بِمَـا يَتَحَـتّم

أحِبُّـكَ فِـي اللهِ العَظـيم حَقِيقَـة ... وأبْكـي لِمَـا يُبكِيـكَ ، وَاللهُ يَعْلَـم

وَمِـنْ يـوْمِ أنْ طَالَعْـتُ «قبـلَ الرِّسَـالَةِ» ... فصَـارَحْتُ: هـذا جَهْبَـذٌ ، بَـلْ وَأعْظَـم

ورائِـــدُ شِـــعْرِ القَـــوْمِ أنْـــتَ ، ولا مِـــرَا ... ولَسْـــــتُ أزكّـــــيكُم ، ولا أتَـــــأقْلَم

ولَـــوْلا زَمَـــانُ الشِّـــعْرِ وَلّـــى ، لقَلتُهـــا ... بِأنّـــكَ أرجـــى مَـــنْ عَرَفْـــتُ ، وأنظـــم

ألا والقَـــرِيضُ العَـــذْبُ عِنْـــدِي هُوايَـــة ... أداري بِهَـــا جُرْحِـــي ، ولا أتَجَهَّـــمُ

وتَحْرِقَنِـــــي آلامُ دَارِي ومِلّتِـــــي ... وأمْسِـــي فيَكـــويني اللّهِيـــبُ ، فأصْـــدَم

ويَقْتُلَنِـــي الشّـــوقُ المُنـــافحُ غِيلَـــة ... فيَـذبلُ - فِـي الإحْسَـاسِ - عَزْمِـي ويُحْجِـم

أسِـــيرُ - عَلَـــى شَـــوْكِ - الـــبَلاءِ مُرَوَّعًـــا ... وأمْعِـــنُ - فـــي مَخْبُـــوءِ غَيْـــبٍ - سَـــيُقْدِم

وَأشْـــعَارُ قلْبـــي - فـــي المَعـــالي - كتبتُهـــا ... حَقـــائقُ تُـــرْوَى تـــارة ، وتكـــرّم

أيَـــا ابْـــنَ شِـــهَابٍ ، ذا قصـــيدي هَدِيَّـــة ... وأهديـــه قلبًـــا – بالمبـــادئ - يَحْلَـــم

تَقَبَّـــل عَزائـــي فِـــي المبـــادئ والوفَـــا ... ورفقَـــا بضَـــادٍ ، شِـــعْرُها يَـــتَجَمْجَم

أيَـــا (ابْـــنَ شِـــهَابٍ): إننـــا فـــي مَتَاهَـــةٍ ... وأشـــلاؤنا - فـــي ســـاحِها ، تَتَدَمْـــدَم

خَبَـــا نَجْـــمُ مَـــنْ يَحيـــا لنيْـــل كرامـــةٍ ... وقـــدْ ســـادَ - فـــي الـــدنيا - عُتَـــاةٌ وخُـــوَّم

وقـــد شُـــيِّعَتْ أنْغَـــامُ شِعـــرِ عُروبتـــي ... وجَفَـــت بُحـــورُ الشـــعرِ ، أمْسَـــتْ تَـــألّم

كِلانَـــا يـــذر الشـــعر – للجيـــل - عَـــابرًا ... ولكنّـــــه - مِـــنْ شِعـــــرنا - يَتَبَـــــرَّم

وداعًـــا أيَـــا شَـــيْخَ القـــريض وجَهْبَـــذاً ... وأســـتاذَ جيـــلَ ، فِـــي الفضـــيلةِ هَيْـــثَم

ولَسْـــتُ أزكـــيكُم - علـــى الله - لحظـــةً ... بحُـــبٍ تَلاقَيْنَـــا ، وشِـــعْرُكَ مَعْلَـــم

فلَيْسَـــتْ طِبَـــاعِي ، بَـــل أحـــبُّ جِـــوارَكم ... أدامَ المَلِيـــكُ الحُـــبَّ ، فالحُـــبُّ بَلْسَـــم

وجاء دور الارتجال (معارضة لأبي تمام: رأيت الحُر!)

(كنا في أمسية شعرية في جمعية حماية اللغة العربية في دار غربتي عام 2004م ، وحضر الأمسية الدكتور وليد قصاب ، وألقى من قصائده ما أمتعنا ، كما ألقيتُ من قصائدي ما أمتعه على حد قوله! وشارك في هذه الأمسية المباركة عددٌ لا بأس به من الشعراء والشواعر. وفي الختام طلب إلينا الدكتور وليد أن نرتجل أبيات شعرية وليدة اللحظة! فلم تجد الدعوة ترحيباً من الشعراء الضيوف! فقال: إذن نعطي بيتاً من الشعر وتعيدون صياغته على بحر آخر نحدده لكم! على أن يكون ذلك في دقيقتين لا يزيد! فكان نصيبي البيت القائل:

وكـــل كســـر فـــإن الـــدين جـــابره ومـــا لكســـر قنـــاة الـــدين جبـــرانُ

وكان عليّ أن أعيد صياغته محافظاً على معناه على البحر الوافر ، في دقيقتين لا يزيد. فأمسكت القلم واحترت كيف أبدأ في هذه المتاهة ، وهذان الشرطان غاية في الصعوبة! وبعد دقيقة تقريباً فتح الله علي بقولي:

رأيـــتُ الـــدين يجبـــر كـــل كســـر! وكســـرُ الـــدين لـــيس لـــه انجبـــارُ

وصحيحٌ أنني استغرقت الوقت المحدد ، وزدتُ عليه عشرين ثانية هي مدة كتابة البيت فقط! ولكن الدكتور وليد لفرط أدبه وخلقه جاملني واعتبرني الفائز الوحيد! وساعدني على ذلك أن المتسابقين الآخرين كانا قد أخفقا ، ليس لعدم تمكنهما ولكن لضيق الوقت! ومن هنا لزمتُ الدعاء والابتهال إلى الله تعالى أن يُلين لي البيان ، ويُسخر أشعاري في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى! عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يقول: أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا دعاني). رواه البخاري ومسلم - واللفظ له - ، والترمذي والنسائي وابن ماجه. وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الدعاء هو العبادة). ثم قرأ: (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين). رواه أبوداود والترمذي – واللفظ له - ، وقال: (حديث حسن صحيح) ، والنسائي وابن ماجه ، وابن حبان في (صحيحه) ، والحاكم وقال: (صحيح الإسناد). وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد] والكرب] ، فليكثر من الدعاء في الرخاء). رواه الترمذي والحاكم من حديثه ومن حديث سلمان ، وقال في كل منهما(صحيح الإسناد). وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس شيء أكرم على الله من الدعاء). رواه الترمذي وقال: (غريب) ، وابن ماجه وابن حبان في (صحيحه) ، والحاكم وقال: (صحيح الإسناد). وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (قال الله: يا ابن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني ، غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي). رواه الترمذي وقال: (حديث حسن غريب). وعن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله تعالى إياه ، أو صرف عنه من السوء مثلها ، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم). فقال رجل من القوم: إذا نكثر. قال: (الله أكثر). رواه الترمذي - واللفظ له - ، والحاكم ، وكلاهما من رواية عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ، وقال الترمذي: (حديث حسن صحيح غريب). وقال الحاكم (صحيح الإسناد). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من مسلم ينصب وجهه لله عز وجل في مسألة ، إلا أعطاها إياه ، إما أن يعجلها له ، وإما أن يدخرها له في الآخرة). رواه أحمد بإسناد لا بأس به. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ، ولا قطيعة رحم ، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته ، وإما أن يدخرها له في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها). قالوا: إذاً نكثر. قال: (الله أكثر). رواه أحمد والبزار وأبو يعلى بأسانيد جيدة ، والحاكم وقال: (صحيح الإسناد). فتوجهتُ بهذه الأبيات لله رب العالمين أشكره وأحمده – سبحانه - أن ألان ليَ فنون البيان!)

مِـــــن الله التفضـــــلُ ، والعطـــــاءُ ... علـــــى عبـــــدٍ بضـــــاعته الـــــدعاءُ

لجـــــأتُ لـــــه ، فحقـــــقَ أمنيـــــاتي ... ولـــــم تخِـــــب الظنـــــونُ ، ولا الرجـــــاء

دعـــــوتُ بحُرقـــــةٍ ، وبـــــذلتُ دمعـــــي ... وبلـــــلَ - مـــــا جـــــأرتُ بـــــه - البكـــــاء

ورب النـــــاس قلـــــدني المعـــــالي ... وإن الله يفعـــــلُ مـــــا يشـــــاء

ألان لـــــيَ البيـــــانَ ، فقلـــــت: شـــــعري ... تُشـــــيّعه المـــــودة والصـــــفاء

ومـــــا كنـــــتُ ارتجلـــــتُ طـــــوال عمـــــري ... ومِـــــن أهـــــل الخِـــــداع أنـــــا بـــــراء

ومـــــا أنجـــــزت أمـــــراً بارتجـــــال ... وتمقتـــــه الإجـــــادة والـــــذكاء

ومـــــا أدليـــــتُ - فـــــي التلفيـــــق - دلـــــوي ... فلـــــيس - لأي تلفيـــــق - بقـــــاء

ستنكشـــــفُ الحقيقـــــة للبرايـــــا ... فمـــــا - لحقيقـــــةٍ أبـــــداً - خفـــــاء

ألا إنـــــي ارتجلـــــتُ ، ولـــــي اجتهـــــادي ... وأحرجنـــــي التكلـــــف والثنـــــاء

وأدركُ قـــــدرتي وقصـــــور نظمـــــي ... وعيبـــــي - لا يغطيـــــه - المِـــــراء

ومـــــا مـــــن شـــــاعر إلا ســـــيفنى ... ويـــــذهب - بالـــــذي كتـــــب - الفنـــــاء

وتبقـــــى فكـــــرة صـــــدقتْ وصـــــحّتْ ... بهـــــا - وســـــط الـــــدياجر - يُستضـــــاء

وتبقـــــى قيمـــــة تـــــدعو لخيـــــر ... لهـــــا - بـــــين الأماجـــــد - أوليـــــاء

ويبقـــــى النصـــــحُ - فـــــي الأشـــــعار - عَفـــــاً! ... وأربـــــابُ النصـــــائح أســـــوياء

ويبقـــــى الأمـــــر – بـــــالمعروف - دَيْنـــــاً ... يؤديـــــه الأبـــــاة الأتقيـــــاء

وقـــــد ناصـــــحتُ - بالأشـــــعار - قـــــومي ... ونـــــاوأ مـــــا أقـــــول الأغبيـــــاء

وناولـــــتُ القـــــريض ســـــنا حيـــــاتي ... فأغرتـــــــه التجـــــارب والســـــــناء

وســـــجلت الـــــدروس لكـــــل جيـــــل ... تُجندلـــــــه الـــــــدغاول والشـــــــقاء

ولـــــم أكـــــتم - يمـــــينَ الله - علمـــــاً ... فكـــــتمُ العلـــــم يتبعـــــه الـــــبلاء

ولـــــم أبخـــــل بنهـــــي عـــــن فســـــادٍ ... ولـــــم يـــــزر القصـــــائدَ الافتـــــراء

ســـــموْتُ بهـــــن عـــــن إفـــــكٍ وزور ... أنـــــا - للشـــــعر إذ يســـــمو - الفـــــداء

ولـــــم أقبـــــل بتـــــدليس القضـــــايا ... فلـــــم يتخلـــــل الشـــــعرَ الهُـــــراء

ومـــــا طوّعـــــتُ شـــــعري للطـــــواغي ... وإنْ هـــــم - بـــــالخيور إلـــــيّ - جـــــاؤوا

ومـــــا نافقـــــتُ زيـــــداً أو عُمَيـــــراً ... فمـــــا - فـــــي القلـــــب - غـــــشٌ أو ريـــــاء

ومـــــا تـــــاجرتُ – بالأشـــــعار - أرجـــــو ... بهـــــا دنيـــــا يتيـــــه - بهـــــا - الغثـــــاء!

ومـــــا ســـــخرتُ شـــــعري فـــــي المعاصـــــي ... كمـــــا ينحـــــو الرعـــــاعُ الأشـــــقياء

ومـــــا شـــــببتُ فـــــي حُســـــن الصـــــبايا ... كمـــــا يـــــأتي الغـــــواة الأدعيـــــاء

ومـــــا غازلـــــتُ (ليلـــــى) ، أو (زنـــــابى) ... ولـــــم تعبـــــث – بأشـــــعاري - النســـــاء

ومـــــا عبّـــــدتُ - للأوطـــــان - قـــــومي ... كمـــــا الأصـــــنام تلـــــك ، همـــــا ســـــواء

ومـــــا أســـــرفتُ - فـــــي التدشـــــين - يُـــــزري ... بشـــــعر جُـــــلّ مطمحـــــه ارتقـــــاء

ومـــــا جاملـــــتُ - بالأشـــــعار - وضـــــعاً ... تقهقـــــر حيـــــث قِبلتُـــــه الـــــوراء

وناصـــــرتُ الحقـــــائق أجتبيهـــــا ... وكـــــان – لهـــــا - المضـــــا والكبريـــــاء

وطـــــرزتُ القصـــــائد وفـــــق نظـــــم ... إليـــــهِ - فـــــي الجمـــــال - الإنتهـــــاء

وقلـــــدتُ القـــــريضَ جُمـــــان لفظـــــي ... فكـــــان لـــــه - إلـــــى الحُســـــن - الـــــولاء

وكنـــــتُ قـــــد انتقيـــــتُ لـــــه المعـــــاني ... فطـــــاب - بـــــذي المقاصـــــد - الانتقـــــاء

وكنـــــتُ قـــــد اصـــــطفيتُ – لـــــه - المجـــــاني ... فطـــــاب - لمـــــن تـــــذوق - الاصـــــطفاء

وأشـــــكر ربنـــــا أن طـــــاب شـــــعري ... لتـــــال ، والـــــودادُ هـــــو البهـــــاء

رباعيـات الخيــام اليمنية! (معارضة لرباعيات عمر الخيام)

(مجموعة من الشباب اليمنيين المساكين كانوا قد استزلهمُ الشيطانُ ولعبَ بعقولهم ، وزينَ لهمُ المُخدّرات والمُفتِرات والمَسكِرات ، فأدمنوا الخمر! فتخيلتُ عمرَ الخيام وقد ترك بلاد فارس وذهب إلى اليمن وأقام بيتاً هناك ، وأفاق من سَكْرته وودّعَ خمرته وتاب إلى ربه ، وراح يحث هؤلاء الشباب على التوبة إلى الله تعالى ، ويبينُ لهم أن الديار اليمنية السعيدة بحاجةٍ إلى شباب واع يُعيدُ بناءها وينهض بها! فأعدتُ صياغة رُباعياته صياغة جديدة ، على عكس ما هي عليه! وإن لم أبلغ بقصيدتي جودة نص الشاعر الفذ عمر الخيام ولا عذوبة تعريب الشاعر العملاق أحمد رامي ، فيبقى لي شرفُ مُحاولتي الذي أدندنُ حوله في كل مرة!)

بُـحّ صـوتٌ نـادى علـى كـل سـاقي ... مُسـتهيناً بمـا يـرى ويُلاقـي

زاجـراً أفـواجَ الغثـا كـي يُنيبـوا ... للمليـك المُهـيمن الخـلاق

****

صَـدّقوني الخمـورُ جُـبُ الـدنايا ... وطريـقٌ إلـى الـبلا والمنايـا

لـن تُراعـوا إمـا أرقـتُم كؤوسـاً ... كـي تنـالوا مرضـاة رب البرايـا

****

مـا دهـاكم! إبلـيسُ غـالى علـيكم ... حَـلّ ضـيفاً علـى الأشـاوس مـنكم

فأحـالَ التكـريمَ قبحـاً وعَـارا ... ثـم أبـدى بعـضَ اعتـذار إلـيكم

****

دارُكـم ترجـو الخيـر مـنكم كثيـرا ... بـات دَورُ الشـباب دَوراً كبيـرا

(يَمـنُ) السـعد والسـعادة ترقـى ... إن أفقـتم ، والأمـرُ أمسـى يسـيرا

****

ويمـانيٌ فقهُنـا دون شـكِ ... ويَمـانيٌ كـل سِـلم ونُسْـكِ

يـا ديـاراً يُخـيّمُ النـورُ فيهـا ... كـم سـألتُ التـاريخ يـا دارُ عنـك!

****

أيهـذا السـكرانُ بيتُـك أولـى ... سـيدٌ أنـت للعيـال ومَـوْلى

كيـــف يغـــدو السِـــكّيرُ قـــوّامَ بيـــتٍ؟! هـــل يقـــودُ المَخمـــورُ داراً وأهـــلا؟!

********** **********

كـــم بهـــذا الإدمـــان ضـــاعَ أنـــاسُ بعـــدما جلـــى رجسَـــه الخنـــاسُ

لســـتُ أدري كيـــف انحـــدرتُم جميعـــا؟! كيـــف حُـــرٌ يقتـــاده النخـــاس؟

********** **********

تعـــسَ الحـــانُ! كـــم أضـــل فئامـــا! إذ ســـقاهم - مـــع الخمـــور - الســـقاما

واســـتُبيحتْ بـــالخمر صِـــحة جســـم خـــل عنـــك يـــا ألمعـــيّ المُـــداما!

********** **********

قـــال قـــومٌ: فـــي الخمـــر بعـــضُ شِـــفاءِ! قلـــتُ: كـــلا! فيهـــا عظـــيمُ الشـــقاءِ

لـــم يُحَـــرّمْ ربـــي الخمـــورَ اعتباطـــاً هـــل حـــرامٌ يُزجـــي لنـــا مـــن دواء؟!

********** **********

قـــال قـــومٌ: فيهـــا المكاســـبُ شـــتى! نشـــتري مـــا نرجـــو ، ونبنـــي بيتـــا

كـــل جســـم ينمـــو بمـــال حـــرام هـــو للنـــار ، هكـــذا قـــد أجِبْتـــا

********** **********

يـــا إلهـــي اغفـــرْ ذنـــب عبـــدٍ مُنيـــبِ مَـــنْ لهـــذا غيـــرُ الإلـــه القريـــبِ

كـــم نظـــنُ بـــالله ظنـــاً جميـــلا! وانتظرنـــا سُـــؤلَ المليـــك المُجيـــب!

أنين الجوى (في رثاء الحاجة فاطمة) (معارضة لشوقي خلقنا للحياة)

(في يوم الاثنين 21 من صفر 1430هـ الموافق 16 / 2 /2009مـ. توفى الله (الحاجة فاطمة) جدّة زوجي لأمها ، فرثيتها بهذي القصيدة ، على ذات بحر وروي شوقي عندما رثى جدته التي جاوزت التسعين. وكنتُ قد عزمتُ على إنهاء رحلة الغربة والعودة إلى كنف أبوي الكريمين وأهلي وعشيرتي والحاجة فاطمة ، وذلك لِمَا كنتُ ألمسُ فيهم من حِكمةٍ أنا إليها مفتقر! ولكنها إرادة الله أن تسبقنا إلى الرفيق الأعلى الحاجة فاطمة – رحمها الله – وتلحق بزوجها المحترم المحسن الكبير الحاج كمال مجاهد – رحم الله الجميع - ، وكنتُ تأثرتُ برحيلها جداً ، ودمعتْ - والله - عيناي ، ورأى غير واحد على وجهي هالات من الحزن العميق. وحق لشعري أن يُشيعها ويَنعيها ويبكيها بأحَرّ الكلمات والتعبيرات. وقلت في نفسي: صحيح أنني عشتُ بعيداً عن الحاجة فاطمة – رحمها الله - ، ولكن بقي الحب كما هو ، والذكريات الجميلة كما هي ، والأخبار الحلوة كما هي. فنظمتُ هذه القصيدة في تأبينها لما كان لها عندي من محبةٍ واحترام. فرحمة الله على الحاجة أم زكريا مجاهد ، وأبدلها الله تعالى داراً خيراً من دارها ، وأهلاً خيراً من أهلها ، وجزاها الله عنا خير الجزاء ، على النصائح الغالية والدُرر النفيسة التي استلهمناها منها على قلة لقاءاتنا ، وضاعف لها الأجر والمثوبة ، وجمعنا وإياها في مُستقر رحمته يوم نلقاه. عن عُبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله ، كره الله لقاءه ، قلنا: يا رسول الله ، أكراهية الموت؟ فوالله إنا لنكرهه! قال: ليس ذاك كراهية الموت ، ولكن المؤمن إذا حضر ، جاءه البشير من الله برحمة الله ورضوانه وجنته فليس شيء أحب إليه من أن يكون قد لقي الله - عز وجل - فأحب الله لقاءه ، وإن الفاجر أو الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وسخطه ، فإذا بشر بذلك ، يكره لقاء الله ، والله للقائه أكره). وفي رواية أخرى عن شريح بن هانئ عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله ، كره الله لقاءه ، قال شريح: فأتيت عائشة - رضي الله عنها - فقلت: يا أم المؤمنين ، سمعت أبا هريرة يذكر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديثاً ، إن كان كذلك فقد هلكنا ، فقالت: إن الهالك من هلك بقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما ذاك؟ فقلت: قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله ، كره الله لقاءه ، وليس منا أحد إلا وهو يكره الموت ويفظع به! فقالت: قد قاله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وليس بالذي تذهب إليه ، ولكن إذا شخص البصر وحشرج الصدر واقشعر الجلد وتشنجت الأصابع فعند ذلك من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله ، كره الله لقاءه). وأجزم بأن ذكرى الحاجة فاطمة لا تنسى! وقد بلغني أنها ماتت مبتسمة بعد أن شهدت أنْ لا إله إلا الله ، وهذه ولا شك من البشائر السارة!)

وفاتُـــكِ جنـــدلتْ أعمـــاقَ ذاتـــي ... وهـــزتْ مـــا تماســـك مِـــن ثبـــاتي

وهيّجـــتِ اللـــواعجَ والمآســـي ... ورجّعـــتِ الجـــوى والـــذكريات

وأرّقـــتِ المشـــاعرَ والطوايـــا ... وســـاقتْ مِـــن صـــروف العائـــدات

وصـــفدتِ العواطـــف بالبلايـــا ... فعانـــت مِـــن مُكابـــدة الأذاة

ونالـــــت مِـــــن أحاســـــيس وِجـــــاعٍ يُعـــــذبُها البكـــــاءُ علـــــى الوفـــــاة

وتحْزنهـــــا عبـــــاراتُ التعـــــازي وطعـــــمُ الحـــــزن يـــــا أمّـــــاه عـــــات

كـــــأني قبـــــلُ لـــــم أفجـــــعْ بفضـــــلى ولـــــم أحـــــزنْ لمـــــوت الفضـــــليات

ولـــــم أجـــــزعْ ، لأن المـــــوت حـــــقٌ ويومـــــاً ســـــوف يُـــــدْركُني ممـــــاتي

وهـــــذه سُـــــنة المـــــولى تعـــــالى وســـــوف تمـــــوتُ كـــــل الكائنـــــات

فكـــــم بـــــالموت قـــــد رحلـــــتْ قـــــرونٌ! وكـــــم مـــــوتى علـــــى قيـــــد الحيـــــاة!

وتنعـــــي الـــــنفسُ أصـــــحابَ المَعـــــالي وأربـــــابَ الحِجـــــا والمَكرُمـــــات

ومَـــــن يتأمـــــل الأيـــــامَ يُـــــدركْ حقـــــائقَ تحتـــــوي أنـــــدى العِظـــــات

وعـــــيشُ المـــــرء مَرهـــــونٌ بمـــــوتٍ توشّـــــحَ بالقضـــــا والنائبـــــات

ودنيانـــــا تُقلـــــدُنا الأمـــــاني فنســـــبحُ فـــــي خيـــــال تـــــأمّلات

ونهـــــرب مـــــن مصـــــائرنا هروبـــــاً ونســـــكن فـــــي كهـــــوف الأمنيـــــات

فتفجعنـــــا - بصـــــولتها - المنايـــــا وتســـــردُ مـــــا اختفـــــى مِـــــن بينـــــات

فنـــــذعنُ للقضـــــاء بـــــلا اعتـــــراض ونمســـــكُ عـــــن حَكايـــــا الترّهـــــات

وعنـــــد المـــــوت كنـــــتِ شـــــهدتِ حقـــــاً بـــــأن الله ربُ الكائنـــــات

ولـــــيس سِـــــواه معبـــــوداً بحـــــق وتلـــــك عقيـــــدة الصِّـــــيدِ التقـــــاة

وأن محمـــــداً - صـــــدقاً - رســـــولٌ أتانـــــا بالهُـــــدى والمُعجـــــزات

وودّعـــــتِ الجميـــــعَ إلـــــى فِـــــراق وقـــــدّمتِ العَـــــزا لمُغســـــلات

وغسّـــــلكِ النســـــاءُ بكـــــل رفـــــق فعـــــاينّ المناقـــــبَ والسِـــــمات

وكِلـــــن المـــــدحَ حُبـــــاً واحترامـــــاً لمَـــــا آنســـــن مـــــن عـــــذب الصـــــفات

فللجُثمـــــان إشـــــعاعٌ ونـــــورٌ تـــــلألأ فـــــي وجـــــوه الحاضـــــرات

ووجـــــهٌ ثغـــــرُه يُزجـــــي ابتســـــاماً وذي الأخبـــــارُ جـــــاءت عـــــن ثِقـــــات

أيـــا (زهـــراءُ) موتـــكِ نـــال منـــي ... لـــــذا أبَّنـــــتُ خيـــــرَ الأمّهـــــات

وطـــرزتُ القـــريضَ بفـــرط دمعـــي ... عليـــكِ ، فأنـــت منـــي بعـــضُ ذاتـــي

مُعمِّـــرة ، ولـــم تتـــركْ صـــلاة ... ســـيَجزيكِ المليـــكُ عـــن الصـــلاة

تجـــاوزتِ الثمـــانين اللـــواتي ... تقضّـــتْ فـــي الفِعـــال الصـــالحات

وعنـــد البـــاب مُصـــحَفك المُســـجّى ... يُشـــيِّع مَـــن خلـــتْ بأســـى المَمـــات

وطَرْحَتُـــكِ التـــي تبكـــي انتحابـــاً ... عليـــكِ بمـــا تواجـــه مِـــن أذاة

وجلبـــاب أناختـــه الرزايـــا ... تـــذرّعَ - فـــي المصـــيبة - بالســـكات

وغرفتـــكِ الكئيبـــة فـــي التيـــاع ... تلـــوكُ الوجـــدَ ، توغـــلُ فـــي الشـــكاة

وأهـــلٌ يـــذرفون دمـــوعَ ثكلـــى ... مُحطمـــة الجـــوانح مُبـــتلاة

لأجلـــك ، أنـــتِ كنـــتِ لهـــم سِـــراجاً ... يُشعشِـــعُ فـــي الليـــالي الـــداجيات

ومـــا قصّـــرتِ فـــي نصـــح الولايـــا! ... نصـــائحُ زيّنـــتْ بالتضـــحيات

وللألفـــاظ نـــورٌ كالثريـــا ... وفـــي الآراء وعـــظ الخيِّـــرات

وفـــي التحكـــيم أعـــدلُ مِـــن رجـــال ... لنـــا لبســـوا جلابيـــبَ الـــدّعاة

ومـــا حكمـــوا كمـــا حكمـــتْ ، ولكـــنْ ... عَشَـــوْا عـــن حُكـــم رب الكائنـــات

كلامـــكِ مـــا احتـــوى يومـــاً هُـــراءً ... كمـــا تهـــذي جُمـــوعُ الســـاقطات

وكـــم حُـــزتِ المناقـــب والســـجايا ... وكنـــتِ بهـــن أرجـــى الوالـــدات!

ومهمـــا قلـــتُ مـــا وفيـــتُ أمـــاً ... مزاياهـــا تفـــوقُ توقعـــاتي

كفـــاني قلـــتُ مـــا عنـــدي قريضـــاً ... بـــأبلغ مـــا درســـتُ مـــن اللغـــات

ومـــا غيبـــتُ فـــي قلبـــي همومـــاً ... دهتـــه ، أتـــى بهـــا فـــي الحـــي آت

ومـــا أخـــرْتُ تحبيـــري لكـــرب ... بأبيـــاتٍ كمثـــل المعجـــزات

تتالـــت - فـــوق قِرطاســـي - كغيـــثٍ ... تســـاقط فـــوق مُقفـــرةٍ فـــلاة

فأمســـكتُ اليـــراعَ ، وقلـــتُ: مَرحَـــى ... بـــنص ســـوف يقـــرأه رواتـــي

(لفاطمـــةٍ) نقشـــتُ كئيـــبَ شِـــعري ... بمـــا قاســـيتُ مِـــن خبـــر النعـــاة

فجـــاء الـــنصّ مُبتئســـاً كســـيراً ... بمـــا أمـــلاه وقـــعُ الحادثـــات

بـــأحرفَ تشـــتكي ألـــم البلايـــا ... وأبيـــاتٍ تحـــنّ إلـــى الحُـــداة

ويرجمُهـــا الْنعـــيُّ بصـــخر حـــزن! ... ودمـــعُ الشـــعر يَهطـــلُ كـــالفرات

علـــى (الزهـــراء) عـــن عينيـــه غابـــت ... فقـــد ركبـــتْ قطـــارَ الـــراحلات

ومَـــن يرحـــلْ يُـــراوِدْه التلاقـــي ... ســـواءً فـــي الصـــباح أو البيـــات

ولقيـــا هـــذه يـــومَ التنـــادي ... فيحشـــر ربنـــا كـــل المَـــوات

فيـــا رب الـــورى أحســـنْ إليهـــا ... وأســـكنْها الجنـــانَ العاليـــات

وأبـــدِلها - مـــن الـــدنيا - بـــدار ... أعِـــدّتْ للنســـاء المؤمنـــات

وأهـــلاً مـــن جميـــع النـــاس خيـــراً ... ومُـــنّ - علـــى الكريمـــة - بالهبـــات

تغمـــدْها بمغفـــرةٍ وعفـــو ... وعنـــد ســـؤالها جُـــد بالثبـــات

خلقـــتَ المـــوتَ والعـــيشَ ابـــتلاءً ... وفصّـــلتَ الأمـــورَ الواجبـــات

ألا يـــا رب جنبنـــا المعاصـــي ... لكـــي نحظـــى هنالـــك بالنجـــاة

دَعـــوتُ ، وأنـــتَ أهـــل لابتهـــالي ... فأكرمْنـــا بخيـــر الأعطيـــات

رثاء الشربيني أبو طالب! (معارضة لشوقي: في الموت ما أعيا)

(حُق لي أن أسميَ عام 1999م عام الحزن ، إذ إنني افتقدتُ فيه أخاً في الله غالياً ، وأستاذاً علّم ونشأ وربّى ورسّخ وأعطى الكثير ، وهو الأستاذ الدكتور الشربيني أبو طالب ، رحمه الله رحمة واسعة. وكم تأثرتُ بفقد هذا الحبيب والمعلم والمربي الذي امتدتْ رحلته معي ، منذ كنتُ طالباً في المرحلة الإعدادية فالثانوية فالجامعية ، وامتدت العلاقة بعد الجامعة. نعم قام على تدريسي اللغة العربية وآدابها مذ كنتُ في الصف الثاني الإعدادي ، وإلى أن نال درجة الماجستير في الأدب العربي ، أو بالأحرى في النحو أو الأجرومية العربية. ولقد كان نعم الناصح الأمين الوفي ، فلقد والله عرضت عليه من أشعاري ما استطعتُ وما شاءه الله منذ كنتُ في مصر ، ويستضيفني في بيته استضافة يعجز عن رسم أبعادها وإحاطة القارئ بما فيها القلم. ومهما حاولت الكتابة عنها ما وفيتُه حقه! وكان قد اعتاد – رحمه الله – أن يشتري لي الدوريات والمجلات والكتب ، وكنتُ أفعل الشيء ذاته له. وأهديته يوماً (المعجم الوجيز) في طبعته الأولى الفاخرة فكاد يطير من الفرح. وكان يتواضع فيعطيني أوراق رسالة الماجستير أراجعها لغوياً ، وأنا الفقير في اللغة العربية وبضاعتي فيها ساعتئذ بضاعة مزجاة ، وهو يعلم ذلك ، لكنه التشجيع خلف ظلال التربية والعطاء. وكانت رحلة القطار من كفر سعد إلى المنصورة وكذا العودة سوياً جزءاً من تاريخ الذكريات وشريط الماضي. وأذكر أنه كان أول مخلوق له بعد الله الفضل في أن يجعل مني الخطيب الموهوب المفوه المصلق والشاعر القوي الشعر! وما ذاك إلا بفضل الله أولاً وآخراً ، ثم بفضل تشجيع أستاذنا الشربيني. الرجل الذي كان ينصح فتقع النصيحة موقعاً في القلب لا يوصف ، والرجل الذي ما كانت يده تفارق يدي وهو يستقبلني ضيفاً عليه في بيته ، حتى أجلس وآخذ مكاني عنده. والرجل الذي لما كانت الحرب بين داحس والغبراء قد شب لهيبها والتهب أوارها واشتد وطيسها (أعني الحرب بينه وبين أحد أحبتنا في الله وهو الحاج إبراهيم البغدادي وبعض إخوته هنا في كفر سعد – دمياط ، ونفخ فيها (أي في الحرب) شياطين الإنس والجن ، كنتُ قد ذهبتُ لأشفع للرجل عنده ، فقبل خاطري في حين رد خواطر وشفاعات قوم آخرين ربما في مثل سن آبائي وأجدادي! فجلّ الرجلُ في عيني ، وعظم في نظري ، وهو يعلن أمام الحضور يومها أنه رد شفاعة الكل وقبل شفاعتي ، وذلك في بيته عام 1988م. فكان من حقه عليّ أن أبكيه يوم رحيله بقصيدة كان يحبها ويتمثل بعض أبياتها عبْر رحلة القطار ، وربما هو الذي قدّم لي هذه القصيدة فيما قدّم على بساط البحث ومائدة التذوق الأدبي! وهي قصيدة شوقي في تأبين أحد أحبائه: (في الموت ما أعيا وفي أسبابه!) تلك التي حظيتْ بإعجاب النقاد المعاصرين والقدامى! وأشهد أنها قصيدة محبوكة مسبوكة ينفعل لها خاطري عندما أسمعها ، وكأنه لا يوجد قصيدة في الموت غيرها! لذا آثرتُ أن تكون قصيدتي في بكاء الدكتور الشربيني أبو طالب على ذات وزنها ورويها وقافيتها وبحرها. فإن لن تصل إلى عظمة أداء شوقي ، فلي شرف المحاولة في أن أعارض شاعراً كشوقي ، وقصيدة كهذي تعتبر من عيون شعر شوقي فضلاً عن أنها تعتبر في الوقت ذاته من عيون شعر العرب في العصر الحديث! روى البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رُفع إليه ابن ابنته وهو في الموت ، ففاضت عينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ فقال: هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء. وروى مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال

الرياح تفيّئه ، ولا يزال المؤمن يصيبه بلاء! ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تهتز حتى تُحصد. والأرز في الحديث هي شجرة الصنوبر. وإنا لنحتسب الدكتور الشربيني عند الله تعالى ونصبر على هذا المصاب الجلل. فعن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: يقول الله تعالى: (ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضتُ صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة). رواه البخاري. ألا وإن قصيدتي عزاء كذلك للأدب العربي والإسلامي وأهله وللشريعة الحنيفية الغراء وأهلها ، إذ الدكتور الشربيني عالم أديب على كل حال. وإن موت العالم ثلمة في الدين. يقول الله تعالى: (أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهمُ الغالبون؟) والحق أن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من صدور العلماء ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يُبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهّالاً فسُئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا. ولما كان الموت من حقائق اليقين فإن الله تعالى جعله برهاناً على ربوبيته سبحانه {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} ، {اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}. وفي هذا الحديث العظيم تذكير بالموت ، ولذا أمر صلى الله عليه وسلم بتذاكر الموت ، وحث على زيارة القبور لرؤية مساكن الموتى ، من أجل أن تستيقظ القلوب من رقدتها ، وتنتبه من غفلتها ، فلا ينسيها عن ذكر الموت ما تتمتع به من مشاغل الدنيا وملهياتها. والناس في كل يوم يرون الأموات عياناً أو عبر الشاشات ، ويرون القتلى قد مددوا على الأرض ، وفي كل يوم يسمعون أخبار الموتى! وكان حقاً عليهم أن يعتبروا ويخافوا ؛ لأنه إذا كثر الموت كما هو الحال في زمننا هذا زادت نسب احتمالات وصول الموت إليهم. لقد كان الناس قديماً - وبسبب تواضع وسائل الاتصال والإعلام - لا يسمعون أخبار الموت ، ولا يشاهدون الموتى إلا في فترات متباعدة ؛ فترق قلوبهم ، وتدمع عيونهم ، وتعلوهم هيبة الموت ويتغير الواحد منهم فترة لا يشتهي الطعام ، ولا يغمض لمنام! يفزعه ذكر الموت ، ويرعبه منظر الموتى ، ويتذكر ما شاهد من جنازة ، ويفكر متى يحمل مثلها ، فينتفع قلبه بذلك مدة من الزمن. أما الآن فالناس في المقابر يتحدثون في أمور الدنيا ، ونعوش الموتى محمولة على أكتافهم ومنهم من يطالع رسالة في هاتفه ، أو يهاتف غيره ، وكأنه يحمل أي متاع لا يذكره بشيء. وإن العين لتدمع وإن القلب ليحزن ، ولا نقول إلا ما يُرضِي ربنا وإنا بفراقك يا شربينيّ لمحزونون. اللهم ربنا اغفر له ، وارفع درجته في المهديين ، واخلفه في عقبه في الغابرين ، واغفر لنا وله يا رب العالمين ، وأفسحْ له في قبره ونور له فيه. اللهم اغفر له وارحمه ، وعافه واعف عنه ، وأكرم نزله ، ووسّعْ مُدخله ، واغسله بالماء والثلج والبرد ، ونقه من خطاياه كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله داراً خيراً من داره ، وأهلاً خيراً من أهله ، وزوجاً خيراً من زوجه ، ودماً خيراً من دمه ، وأدخله الجنة وأعذه من النار. إنك يا ربنا أرحم الراحمين وخير الغافرين يا رب العالمين.)

المـــوتُ حـــار الكـــل فـــي أســـبابهِ ... حقـــاً ، وتـــاه العقـــلُ فـــي عُجّابـــهِ

وخـــزائنُ المقـــدور غيـــبٌ خـــالصٌ ... والخلـــقُ موقـــوفٌ علـــى أبوابـــه

لا تســـأل الأقـــدار ، مـــاذا خبـــأتْ؟ ... إذ لـــيس هـــذا ســـؤلَ فـــذٍ نابـــه

كـم مـن صـحيح فـي دجـى المـوت انـزوى ... خلـف القبـور ، بكـاه جُـل صـحابه!

أكلـــــتْ أمانيـــــه العِـــــذابُ فـــــؤادَهُ وأتـــى الفـــراقُ يخـــط طـــيّ كتابـــه

وطغـــى الرحيـــلُ علـــى مُحيّـــاه الـــذي مـــا كـــان يحلـــم لحظـــة بغيابـــه

وســـعى وحيـــداً فـــي دهـــاليز الجـــوى وجنـــى مصـــابُ المـــوتِ زهْـــرَ شـــبابه

وعلـــى وفـــاة الشـــهم ســـالتْ أدمـــعٌ ودعـــا – لـــه - المشـــتاق فـــي محرابـــه

واشـــتد حـــزنُ الخـــل ينعـــي خلـــه وســـرتْ خيـــوط الكـــرب فـــي أعصـــابه

يبكـــي ، ويغلبـــه الأنـــينُ ، فيشـــتكي والـــدمعُ يرفـــل فـــي أســـى تســـكابه

أبـــداً يُبـــارزه النشـــيجُ ، فيكتـــوي بلظـــى النحيـــب ، فيَحتمـــي بشـــعابه

حتـــام تـــرحمُ ذكريـــات الأمـــس قلـــ ـــباً مُوجعـــاً ، يأســـى علـــى أحبابـــه

يـــا أيهـــا الحِـــب المســـجّى ، آهتـــي حـــرّى تلـــوم المـــوتَ عبْـــر وثابـــه

تســـتمطر الرحمـــاتِ ، تجهـــش بالبكـــا والقبـــرُ موصـــدُ خلـــف صـــمت ترابـــه

وعلـــى جبـــين الضـــيف بســـمة حـــائر مـــاذا وراء المـــوت قـــد أجـــزى بـــه؟

فـــالموتُ كـــأسٌ ســـوف يشـــربه الـــورى رغـــم الأنـــوف علـــى مَـــرار شـــرابه!

ولـــــه جنـــــودٌ لا تخـــــاف مُكـــــابراً وبـــــلاءُ رب النـــــاس مـــــن أســـــبابه

نســـعى ، وفـــوق الـــرأس يســـعى موتنـــا فـــإذا دنـــا أجـــلٌ أتـــى بخِرابـــه

ويُراقـــب الرمـــقَ الأخيـــرَ إذا اعتلـــى مـــتن الحيـــاة ، يـــؤزه بعذابـــه

ولكـــل مـــوتٍ ظـــاعن ســـكراته والعبـــد موقـــوفٌ علـــى أعتابـــه

ومـــن اكتفـــى - بحياتـــه - متشـــاغلاً يومـــاً يُجـــرّع مـــن أســـى إعجابـــه

لمّـــا علمـــتُ بمـــوت خـــل صـــادق كـــم خصـــني – دهـــراً – بعـــذب خطابـــه!

وكـــم اشـــتراني مـــن هـــوىً يجتـــاحُني وعلـــى قريضـــي رش مـــن آدابـــه!

ورأيتنـــي – فـــوق المنـــابر - هاديـــاً وصـــعدتُ معتـــزاً لعـــز ركابـــه

ورأيتنـــي ، والشـــعرُ يُتحـــف هـــامتي أبـــداً أغـــرّد فـــوق دوح رحابـــه

ورأيتنـــي - بـــين الخلائـــق - كاتبـــاً ... بيراعـــةٍ ملئـــتْ بـــبعض لبابـــه

ورأيتنـــــي متكلمـــــاً متبلغـــــاً ... وعلـــى كلامـــي العـــذب بعـــض ثيابـــه

والفضـــل للمنـــان ، ثـــم لصـــاحبي ... فـــالله يُكـــرم مـــن يلـــوذ ببابـــه

مازلـــتُ أذكـــر يـــوم أن كنـــا معـــاً ... عبْـــرَ القطـــار ، وفـــي نســـيم عُبابـــه

والفـــذ يُعطـــي مـــن أصـــيل علومـــه ... والكـــل ينهـــل مـــن جنـــى أرطابـــه

هـــذا يُســـائل ، ثـــم هـــذي تشـــتكي ... وأنـــا أســـجّل كـــل مـــا أوصـــى بـــه

مازلـــتُ أذكـــر مـــا بـــذلتَ معلمـــي ... والعلـــمُ يزهـــو بعـــد كشـــف نقابـــه

إنـــي أعـــزي فيـــك (ضـــاداً) أثكلـــتْ ... وأريجُهـــا يبكـــي عطـــا غيّابـــه

(ســـندوبُ) بعـــدك مقفـــرٌ ديوانهـــا ... ينعـــي لمـــن حضـــروا رحيـــل شـــهابه

(منصـــورة) التعلـــيم بعـــدك أمحلـــتْ ... بـــين الـــورى ، تبكـــي علـــى أقطابـــه

مـــا زلـــتُ أذكـــر مـــا نصـــحت تريـــدني ... علمـــاً يُـــؤازره عتـــيُ صِـــعابه

وطرحـــتَ خيـــرك - فـــوق رأســـي - وافـــراً ... والعلـــمُ تيجـــانٌ علـــى طلابـــه

وغمرتنـــي بنصـــيحة شـــعرية ... فاضـــت علـــى شـــعري وبـــوح رضـــابه

وشـــملتني برعايـــة أخويـــة ... والـــود أهـــداني بهـــيّ رغابـــه

مازلـــتُ أذكـــر مـــن خِلافـــك حِلمـــه ... والحِلـــمُ نـــورٌ فـــي دنـــا أصـــحابه

فـــإذا اختلفنـــا ، كنـــتَ أنـــدى منطقـــاً ... والشـــهمُ بـــرٌ فـــي رطيـــب عِتابـــه

إيثـــارك الغـــض الأريـــب مُســـامري ... فـــي عـــالم يجنـــي علـــى أنجابـــه

وحيـــاؤك المنثـــور فـــوق فضـــولنا ... جـــم الســـنا متواضـــعٌ بجنابـــه

وســـخاؤك المبـــذول فينـــا آيـــة ... والجـــودُ يحيـــا فـــي رُبـــا أطيابـــه

وإذا أســـئ إليـــك كـــان ســـماحكم ... عـــف المكـــارم عبـــر ســـحر جوابـــه

لمّـــا جُعلـــتُ رســـول مـــن قـــد عـــابكم ... وتوسّـــم الأقـــوامُ دفـــن سِـــبابه

وهمســـتُ فـــي أذنيـــك: هـــذا صـــاحبي ... واللفـــظ خـــان ، وشـــذ مـــن أنيابـــه

فـــاغفرْ ، وأنـــت أميرنـــا وإمامنـــا والعفـــو أحمـــد فـــي صـــنيع عُجابـــه

فرأيـــتُ منـــك لخـــاطري مـــا راقنـــي والأمـــر أمســـى فـــي ألـــيم مصـــابه

فرضـــيت بالصـــلح الزكـــي ليَعْبُـــروا جســـر العـــداوة فـــوق ذل صـــعابه

وقتلـــت فتنـــتهم ليرضـــى جمعهـــم والصـــف عـــان فـــي لظـــى أحزابـــه

يـــا (كفـــر ســـعدٍ) كيـــف طابـــت أنفـــسٌ أن تحمـــل الجثمـــان بعـــد ذهابـــه؟

والـــنعشُ – ويـــح الـــنعش – فـــي إدبـــاره! والموكـــب المكـــروب فـــي أعقابـــه

يبكـــي علـــى أعنـــاقهم مـــتململاً والـــروحُ تنـــزف خلـــف ظـــل حِجابـــه

وهنالـــك الأســـفار فـــي إيوانهـــا تأســـى ، ويجرحهـــا أنـــينُ كِعابـــه

وجحافـــل الـــزوار تطفـــو مُـــوقهم فـــوق الفقيـــد تـــرومُ يـــوم إيابـــه

يـــا أيهـــا المجنـــوز موتـــك هزنـــي والمـــوتُ ســـيفٌ جـــد خلـــف قرابـــه

إلا بيـــوم رحيـــل أشـــجى مقـــرئ أعطـــى كتـــابَ الله جُـــل شـــبابه

هـــا ذاك (عبـــد الباســـط) الفـــذ الـــذي قـــد كـــان كـــالنبراس فـــي أترابـــه

وكـــذا بيـــوم فـــراق أخلـــص عـــالم إذ تعجـــز الكلمـــاتُ عـــن ألقابـــه

(عبـــد الحميـــد) ، ومـــن يُبـــاري شخصـــه فـــالعلم والتـــرويح فـــي إطنابـــه

مـــن ذا أعـــزي فيـــك يـــا مصـــباحنا إن العـــزاء يـــئن مـــن أنصـــابه

إنـــي أعـــزي فيـــك كـــل موحّـــدٍ جعـــل التفقـــه مـــن زهـــا أنســـابه

وكـــذا أعـــزي فيـــك كـــل معلـــم للضـــاد يُقـــري النـــاسَ مـــن آدابـــه

فالضـــادُ أشـــرف مـــا علمـــتُ مـــن اللغـــا والفـــذ مـــن ضـــيفتْ علـــى أحســـابه

مثـــل الحليـــب علـــى اللســـان حروفهـــا والجيـــلُ يفـــدي بأســـها برِقابـــه

وكـــذا أعـــزي فيـــك أســـرتك التـــي شـــط الوجـــومُ بهـــا بأخـــذ عِقابـــه

وتحـــدرتْ أحـــداقها مـــن حزنهـــا والحـــزنُ ملتـــاعٌ ثـــوى بلعابـــه

حتـــام يصـــبر فـــي المصـــيبة آلكـــم ... إن القنـــــوط يـــــؤزكم بخرابـــــه

والله أرحـــــم ، فاســـــتكينوا واخشـــــعوا ... ودعـــوا الجـــوى ينفـــلّ فـــي تلعابـــه

قـــدرُ المليـــك ، وصـــبركم فيـــه العـــزا ... وحبيـــبكم قـــد آن طـــيّ كِتابـــه

ولســـوف أذكـــر بـــالترحم صـــاحبي ... مـــا قـــد حييـــتُ مُفـــاخراً بركابـــه

قـــد كنـــتُ أعطيـــه القـــريض لكـــي يـــرى ... أخطـــاءه فـــي (الضـــرب) أو أذنابـــه

فمـــن الـــذي يقـــوى علـــى مرثيتـــي ... هـــذي ، ويغشـــاها بـــبعض ســـحابه؟

ذهـــب الغطـــاريف الـــذين نحـــبهم ... والجيـــلُ يرثـــي اللحـــن فـــي أعرابـــه

وحمـــائمُ الشـــعر احتواهـــا حزنهـــا ... والنســـرُ ثـــاو فـــي رحـــى أســـرابه

قـــد كنـــتُ أرجـــو منـــك نقـــداً عـــاجلاً ... يُزْكِـــي القـــريض ، تنـــال حســـن ثوابـــه

أرســـــلته مُتكلفـــــاً ومُـــــؤمّلاً ... ووضـــعتُ فـــي الـــديوان فضـــل خِضـــابه

لكـــن قضـــاء الله خـــط نهايـــة ... للقائـــه ، ليحـــين يـــومُ حســـابه

وأتـــى ثنـــاؤك فـــي رســـالة والـــدي ... لـــو كـــان يعـــرف عـــن دنـــو تبابـــه

قـــد أصـــبحتْ ذكـــرى عِبـــاراتُ الثنـــا ... وثنـــاؤكم عنـــدي أصـــيل نصـــابه

فليـــرحم الـــرحمنُ عبـــداً قـــد مضـــى ... ويمـــن بـــالغفران كـــي يُجـــزى بـــه

في رثاء اللغة العربية (معارضة لحافظ إبراهيم)

(لقد أساء كثير من النقاد المعاصرين فضلاً عن العامة والدهماء من القراء العاديين فهْم فن المعارضة في الأدب العربي. ففهموا أنها محاكاة دفع إليها العجز والضعف والخور عند الشاعر. وفريق آخر أقل جوْراً ذهب إلى أن المعارضة كان الدافع إليها التقليد الأعمى. وإنني لا أنكر على العامة والدهماء من القراء العاديين ما ذهبوا إليه من ذلك. بل وقفتي في هذه المقدمة مع النقاد والأدباء الذين ينصّبون من أنفسهم حُكاماً وقضاة يُصدرون الأحكام التي لا يجوز الطعن فيها كما لا يجوز قط الاستئناف عليها. أيها الأقوام إن فن المعارضة فنٌ أصيلٌ في كل أدب ، ليس فقط في أدبنا العربي الأصيل ، فلها وجودٌ كبير في الأدب الإنجليزي ، وأخيه الفرنسي وغيرهما. ولا يزال جُل الشعراء يُعارض بعضهم بعضاً ، فهل هذا لعجزهم وضعفهم وخورهم؟ أم هو محض تقليد أعمى؟ وفي أدبنا نحن عارض كثير من الشعراء أقرانهم من أهل القريض ، وهذا في القديم وفي الحديث. وأسأل: هل كان ذلك منهم لفقر أو عجز أو تقليد أعمى؟ والجواب بالطبع: (كلا)! ومن هذا المنطلق أقول: الآن وقد قلت من قبل إن قواعد الشعر وأصوله مبادئه وبحوره وقوافيه وأوزانه ليست قط حكراً على أحد دون سواه. أعارض (حافظ إبراهيم) ، وعارضت من قبلُ شوقي في (قم للمعلم) ، وعارضتُ البوصيري في بُردته ، وعارضتُ الدكتور النحوي في قصائدَ له عدة. وأظل أعارض كلما وجدت في نفسي حباً أو إعجاباً بقصيدةٍ ما لشاعر ما وجدته يوافقني الرؤية والتصور. كتب أستاذنا الكبير الشاعر القدير / سالم محمد سالم النوبي / موجه اللغة العربية بمنطقة عجمان التعليمية ، إحدى القصائد يُعارض قصيدة حافظ إبراهيم في رثاء اللغة العربية ، وكتبت متشجعاً أعارض الشاعر حافظ إبراهيم ، وذلك بسبب إعجابي الشديد بها. ألا وإن كل لغة تسود بسيادة معتقدها ، ومن هنا فسيادة لغتنا العربية وسيادة العقيدة الإسلامية هما صنوان لعملة واحدة ، ونسأل الله العلي الكبير أن يعز دين الإسلام ويعز المسلمين ، فتعود لهم عزة لغتهم وديارهم ، وما ذلك على الله بعزيز. آمين. إن الباعث على هذه القصيدة هو الإعجاب المبكر بتائية حافظ إبراهيم ، ويليه بعد ذلك الغيرة على اللغة العربية. وشدني مطلع حافظ:

رجعــتُ لنفســي ، فاتهمــتُ حصــاتي ونـاديــتُ قــومي ، فاحتســبتُ حيــاتي

رمَــوني بعقــم فــي الشــباب ، وليتنــي عقمــتُ ، فلــم أجــزعْ لقــول عِــداتي

ثم كان الباعث عليها كذلك معارضة أستاذنا الشاعر الكبير سالم محمد سالم النوبي – الذي نفتخر بالتلمذة على يديه وقد نشر قصيدته في ديوان: البسمة الدامعة ، يعارض حافظ في الجودة والإبداع فيقول في مطلع معارضته له – حفظه الله -:

أأحــبسُ روحــي فــي مضــيق لهــاتي وقلبــي تلظــى مــن نزيــف شــكاتي

تــداعتْ علــى مُــر لطــائفُ مهجتــي وقــد كنــت أرجــو أن يغــار حُمــاتي

روى الحاكم في المستدرك وروى أحمد مثله أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم – قال: (اللهم لا يدركني زمان أو لا أدرك زمان قوم لا يتبعون العلم ولا يستحيون من الحليم ، قلوبهم قلوب الأعاجم وألسنتهم ألسنة العرب). أقول: حتى الألسنة أصبحت يا رسول الله ترطن بالإنجليزية والفرنسية وما شاكلهما ، في حين لها من العربية الانتساب فقط. لا حول ولا قوة إلا بالله. في مقال عنوانه: (الشعر وحقيقته ووسائل البراعة فيه والارتياح له وتحلي العلماء به والتجديد فيه) للعلامة الشيخ محمد الخضر حسين ، قال ما نصه: (إذا كان الأدباء في العصور الماضية لم يَقْصُروا شعرهم على المقاييس المعروفة فأحدثوا مقاييس جديدة ، فلا نكره لأديب أن يصوغ الشعر في مقياسٍ محدث متى وثق من موافقته لأذواق الناس ، وارتياحهم لحركاته وسكناته. وأما القافية فقد ألزمها العرب على النحو المعروف في أشعارهم ، حتى اخترع الأدباء الموشحات ، فأخذت القافية هيئة غير هيئتها الأولى. وفي التزام القافية على الوجه الذي اختاره العرب سابقاً ، وعلى نحو ما أحدثه الأدباء من بعد دلالةٌ على البراعة ، ومحافظةٌ على وجه من الوجوه التي يمتاز بها المنظوم على المنثور. وأما المعاني فللشاعر أن يذهب فيها كل مذهب ، وله أن يأخذ في التشبيه والاستعارات كل مأخذ ، فيرسل خياله فيما احتوته الحافظة من المعاني القديمة والحديثة ، والطبيعية والصناعية ، ويؤلف منها ما شاء من الصور الخيالية ، مراعياً أذواق الطوائف التي يريد إثارة عواطفها نحو الشيء أو صرفها عنه. وما زال فحول الشعراء في كل عصر يبتكرون المعاني ، وينتزعون من مظاهر المدنية المتجددة صوراً يبرعون في صنعها ، فلشعراء العصر العباسي بالشرق ، أو شعراء الأندلس بالغرب معانٍ وتخيلاتٌ لم يطرقها الشعراء في الجاهلية ، أو في صدر الإسلام ، أو عهد الدولة الأموية. وقع هذا التجديد من فحول شعرائنا ، وكانوا على شعور من الحاجة إليه ، ونبه أدباؤنا على هذا الشعور فيما كتبوا قديماً. قال ابن سعيد يفاخر أهل القيروان بشعراء الأندلس: وهل منكم شاعر رأى الناس قد ضجوا من سماع تشبيه الزهر بالنجوم ، وتشبيه الخدود بالشقائق ، فتلطف لذلك في أن يأتي به في منزع يصير خَلَقُهُ في الأسماع جديداً ، وكَلِيلُه في الأفكار حديداً ، فأغرب أحسن إغراب ، وأعرب عن فهمه بحسن تخيله أنبل إعراب؟ وإذا لم تُجُدْ قرائحُ شعراء عصر أو بلد بمعان جديدة ، ورأيناهم لا يزيدون عن أن يُرددوا معاني أسلافهم فلضعف ملكاتهم الشعرية ، وقصورها عن أن تُخرج للناس ثمراً جديداً. وأما الألفاظ ، فحقها أن يراعى فيها ما ثبت عن العرب ، وما تقتضيه قوانين الصرف ، وما تضعه المجامع العلمية على حسب ما تدعو إليه حاجة التعبير عن المعاني المحدثة. والألفاظ الجديرة بأن يصاغ منها الشعر هي الألفاظ التي لا يخفى المراد منها على أكثر من يقصد استمالة عواطفهم إلى الشيء أو صرفها عنه. ولا يكفي لجواز استعماله اللفظ في القصيدة خلوُّه من تنافر الحروف ، وموافقته للوضع العربي ، ووجوده في كتب اللغة القريبة التناول ؛ فيصاغ لهم في ألفاظ تطرق أسماعهم ، فتحضر معانيها في أذهانهم ؛ فلو هُجِرَتْ ألفاظ في عصر من العصور ، أو قل استعمالها بحيث لا يصل إلى معانيها إلا بعد الرجوع إلى كتاب من كتب اللغة ، وشاعت ألفاظ ترادفها بحيث تكون أسرع بالمعنى إلى ذهن المخاطب كان من حق الشاعر اختيارُ الألفاظ التي يكون بها المعنى أقرب إلى الذهن. فطبيعة الشعر تستدعي التجديد في الألفاظ على النحو الذي وصفنا ، فالشاعر المجيد لا يجمد على الألفاظ التي استعملها الشعراء في عصور ماضية ، ثم قل دورانها في كلام البلغاء من بعد. وإذا لم يكتف الشاعر في خدمة اللغة بحفظ مذاهب بلاغتها ، وفنون بيانها ، وأراد أن يكون له نصيب في إحياء ما هجرته الألسنة من كلماتها العذبة السائغة ففي استطاعته أن يأتي

إلى الكلمة التي تختفي معانيها على أكثر القراء ، ويوردها حيث لا يفوتهم فهم المراد من البيت والارتياح لما فيه من حسن التخييل).هـ. والآن مع القصيدة التي عارضت فيها الشاعر حافظ إبراهيم بك – شاعر النيل - وهو يتخيل اللغة العربية الفصحى تعاتب أبناءها فتقول:)

نظـــرتُ أمـــوري ، فاشـــتكيتُ حيـــاتي ... وفتشـــتُ أحـــوالي ، فانتحبـــتُ لـــذاتي

ونقبـــتُ عـــن روحـــي بأرحـــاب أهلهـــا ... فألفيتُهـــا صـــارتْ ســـراب شـــتات

وســـاءلتُ عـــن نحـــوي وصـــرفي وعزتـــي ... وجادلـــتُ عـــن شـــعري الجـــريح دُعـــاتي

وناقشـــتُ عـــن صـــمت البيـــان أعـــاربي ... وقرّعـــتُ أقزامـــاً تحـــب شـــكاتي

وشـــيّعتُ جثمـــان البلاغـــة فـــي الـــدجى ... ووارِيـــتُ - فـــي قبـــر الجـــوى - زفراتـــي

وخمّـــش حزنـــي كـــل جـــرح وقرحـــةٍ ... وهـــدّد - بـــالموت الـــزؤام - حيـــاتي

وبُـــح نشـــيجي ، واحتـــوتني كـــآبتي ... ومـــا خِلـــتُ يومـــاً أن تلـــين قنـــاتي

وربـــي تنـــاجيني اللغـــاتُ ، فـــلا أرى ... لهـــن مكانـــاً - بـــالفؤاد - يُـــواتي

أرانـــي تســـاميتُ الكثيـــر أبيّـــة ... وغيـــري تـــردَّى يشـــتكي النكبـــات

ومهمـــا قلانـــي أهـــلُ داري ولهجتـــي ... فســـوف يعـــود الـــدهر بالمَلكـــات

ســـيذكرني مـــنهم - مـــدى الـــدهر - مَـــن غفـــا ... ويعـــرف قـــدري مَـــن أهـــان كُمـــاتي

ويُـــدرك حقـــي كـــل غِـــر وحاقـــدٍ ... ويعلـــو انفعـــالي بعـــد طـــول سُـــكاتي

فـــلا يحسِـــب الأعـــداءُ أنـــي بـــلا قـــوى ... ألا إن بأســـي لـــم يهـــن ورُعـــاتي

أنـــا الـــروضُ فـــواحَ المُحَيـــا لمـــن أتـــى ... يُلّـــثم مُشـــتمّاً شـــذى زهراتـــي

وإنـــي لأشـــكو – للمليـــك - الـــذي جـــرى ... فيـــا رب أبطـــلْ مـــا افتـــراه عِـــداتي

فكـــم بـــدّلوا فـــي النحـــو والصـــرف بـــالهوى! ... وكـــم حرّفـــوا فـــي الشـــعر واللهجـــات!

وكـــم زوّروا فـــي النقـــد معنـــىً وهيئـــة! ... وكـــم أهـــدروا ميـــراث جيـــل نحـــاتي!

نفايـــات هـــودٍ فـــي الـــدروب كمـــا الـــدُمى ... وأعرابُنـــا ضـــاعوا بغيـــر نجـــاة

وهـــم ضـــيعوا الفصـــحى كمـــا ضـــيعوا الحمـــى ... ودكـــو المبـــانيَ بعـــد ذبـــح بَنـــاتي

وهـــم قبّلـــوا أيـــديْ النصـــارى تقربـــاً ... وكـــم أحـــدثوا مِـــن أشـــنع الســـقطات!

وهـــل يرفـــعُ المفعـــولَ إلا مُخـــرفٌ؟ وهـــل يَنصـــب المَخفـــوض غيـــرُ خـــواة؟

وهـــل يكســـرُ الأوزانَ فـــي الشـــعر عامـــداً يُخـــرّب شِـــعر العُـــرْب غيـــرُ عُتـــاة؟

ولـــو كـــان قـــومي ســـادة وأعـــزة لمَـــا هـــدّد الماســـونُ مَجـــدَ حيـــاتي

ولـــو كـــان أهلـــي كاليعـــارب نطقهـــم لمَـــا قـــد نعـــاني - للأنـــام - نعـــاتي

وبـــالرغم ســـال الـــدمعُ يكـــوي عزيمتـــي وحنجرتـــي أمســـتْ تـــؤز لهـــاتي

طعنـــتُ - بهنـــدي الأعـــادي - تشـــفياً وقـــوميَ لجّـــوا - بعـــدها - بسُـــبات

وعاشـــوا بألفـــاظٍ مِـــن الغـــرب لحنهـــا وصـــارت لهـــم - فـــي النـــاس - بعـــضُ لغـــات

عجبـــتُ لهـــم كيـــف استســـاغوا رطانـــة وكيـــف اســـتطابوا هـــذه النبـــرات؟

وكيـــف اســـتراحوا بعـــد وأدي وغيبتـــي؟ وكيـــف اســـتطاعوا حبكـــة لوفـــاتي؟

وكيـــف استعاضـــوا عـــن شـــروقي بظلمـــةٍ؟ ومِـــن هـــزلهم قـــد تـــاجروا برفـــاتي

أنـــا النـــورُ للـــدنيا ، ولفظـــي حياتهـــا فهـــلا اســـتقوْا منـــي مشـــاعلَ ذاتـــي؟

أنـــا العطـــرُ فـــي الأرجـــاء شـــادٍ أريجُـــهُ فهـــل أحضـــروا فـــي الملتقـــى الجؤنـــات؟

أنـــا البكـــرُ تســـتحيي ، فيخنقهـــا الحيـــا فهـــل أدرك الخطـــابُ فـــيم صِـــماتي؟

أنـــا الطيـــرُ فـــي جـــوّ الســـماء تزينـــتْ أغنـــي ، فهـــل طابـــت لهـــم نغمـــاتي؟

أنـــا الشـــمسُ فـــي جـــوف الفضـــاء تربعـــتْ إذا طلعـــتْ أرْدتْ دجـــى الظلمـــات

فهـــلا اســـتناروا بـــي ، ولـــم يتمـــردوا؟ أضـــاحِكُهم ، هـــل آنســـوا ضـــحكاتي؟

أنـــا الـــذهبُ الصـــافي لمـــن رام حِليـــة أزيّـــن - بـــين النـــاس - حُســـن بنـــاتي

فهـــلا أتـــوْني خـــاطبين بُنيـــة؟ وهـــل أعجبـــتْهم ، يـــا تـــرى ، فلـــذاتي؟

أنـــا النبـــعُ يـــروي كـــل قفـــر وواحـــةٍ ويُهـــدي حيـــاة العـــز كـــل نبـــات

فهـــل شـــربوا مـــاء فراتـــاً مُقطـــراً يُعـــافي مـــن الأســـقام والوعكـــات؟

أنـــا اللـــبَنُ الزاهـــي شـــراباً وطعمـــة وكـــم أشـــبعتْ مِـــن أمـــةٍ قطراتـــي!

فهــلا اســتزادوا مِــن مَعِينــي فيشــبعوا؟ ومهمــــا جَفــــوْني لـــــن أروّع آت!

أنــا المــاءُ يســقي مِــن ظِمــاءٍ وشــرقةٍ وسـلْ عــن جمــال الــرِّيِّ بعــضَ رُواتــي

فهــلا تملــى مِــن صَــفائي صَــحابتي؟ وهــل أشــبعتْ جيــلَ العِطــاش قنــاتي؟

أنــا الــزادُ ســمّنتُ الجيــاعَ ، وزدْتهــم فكانــت زكــاة القــوم بعــضُ فتــات

فهــل أكــل الأقــوام مِــن حُلــو زادهــم؟ وهــل أعجبــتْهم ، يــا تــرى ، ثمراتــي؟

أنــا الخيــرُ للــدنيا ، وإنْ هــيَ أعرضــتْ فبــي تزدهــي فــي التــو بعــد ممــات

وإنــي ســبيلُ الفــوز فــي كــل مَحفــل ولــي فــي بقــاع الأرض عــذبُ صِــفات

فكيــف رمــاني كــل خــاو ومفلــس؟ ألا قبّحــوا مِــن خُــوّم وقســاة!

وقــالوا بــأني لســتُ أقــوى علــى المَضــا وهــاجوا ، ومــاجوا فــي دُجــى النعــرات

وكــالوا - بظلــم - عشــرة بعــد عشــرةٍ ويعلــم ربــي جَــوْرَ ذي العَثــرات

فعِرضــي بــرئٌ مِــن أباطيــلَ ألصــقتْ وإنــي لأشــكو خــذل كــل حُمــاتي

ولــو كنــتُ أرضــى بالأحــاجي لــذِعتُها وأخرســتُ – بالتبيــان - قيــلَ نعــاتي

ولــو خِفــتُ أعــدائي لمَــا ذِعــتُ كيــدهم فلــيس يُهــمُّ الصِــيدَ نيــلُ جُفــاة

ومهمــا تحــداني الأعــادي فهمّتــي تفــوق الثريــا - فــي العُــلا - بثبــات

ملايــين ألفــاظي تفــوق كلامهــم ونحــوي وصــرفي - فــي النــزال - رُمــاتي

فبــي كــان قــرآنُ المليــك وشــرحُه! وبــي سُــطرتْ كــم مــن رؤىً وعِظــات!

وبــي دُونــتْ أقــوالُ (أحمــدَ) تزدهــي وبعــدُ اســتبانتْ كــم رؤىً لأبــاة!

وبــي أنــزل الفرقــانُ غضــاً مُكرّمــاً وبــي وُطــدتْ كــم مــن عُــرىً وصِــلات!

وفــي نضــرتي يــا كــم تغــزل شــاعرٌ! وفــي عِزتــي الفضــلى أسَــرتُ هُــواتي

وزادت علــى اللاعــدِّ ألفــاظ مُعجمــي وهــذا (ابــنُ منظــور) لــه قبلاتــي

فقــد جَمّــعَ الألفــاظ يطفــو أريجُهــا علــى ســطح ضــادِ العُــرب خيــرِ فــرات

و(تــاجُ العــروس) اليــوم فــي عــز عُرسِــهِ يُرصّــعُ ضــاد الشــمّ بالنفحــات

وهـــذا (ابـــنُ جنـــي) يُقـــنِنُ نحوهـــا ... بـــــبعض يواقيـــــتٍ وبعـــــض أنـــــاة

ولســـتُ التـــي تنســـى (الأمـــاليَّ) لحظـــة ... فقـــد بـــالغ (القـــاليُّ) فـــي القفشـــات

ولســـتُ التـــي تنســـى (الصّـــحاح) نقيـــة ... وقـــد ســـافر (الـــرازيّ) فـــي الكلمـــات

ولســـتُ التـــي تنســـى (المحـــيط) بمـــا حـــوى ... وقـــد جـــدّد (الفيـــروز) بعـــضَ سِـــمات

ولا أهجـــرُ (المصـــباح) نبعـــاً ومعجمـــاً ... وأكـــــرمْ بيُمنـــــى حبّـــــرتْ ودَواة!

ولازلـــتُ أعطـــي مَـــن يَـــرومُ تعلمـــي ... وأغـــدق فـــي الإكـــرام والصـــدقات

أنـــا الغـــادة الشـــقرا صَـــداقي مُكَلـــفٌ ... ولســـتُ أحـــب العـــيش بـــين مَـــوات

وأعشـــقُ مَـــن يحيـــا لـــدين مُعـــززاً ... ولا أرتضـــي كيـــداً بفعـــل حُـــواة

وأهـــوى حيـــاة الجـــد والســـعي للعُـــلا ... وأصـــبر إنْ طمـــتْ غمـــومُ شِـــمات

وأغشـــى ديـــار المجـــد إنْ ضـــاق بـــيْ الفضـــا ... وأســـمو ، وغيـــري فـــي عَمَـــى الســـكرات

ومـــا بـــي أراجيـــفٌ ، وســـاحِي ســـوية ... ولســـتَ تـــرى بـــي مـــن رُبَـــىً وإمـــات

تجمّلـــتُ حتـــى قيـــل: أنـــدى مَلِيكـــةٍ! ... وأعطيـــتُ حتـــى قيـــل: بيـــتُ زكـــاة!

ومـــا جَـــرُأ الأقـــزامُ أن يشـــجبوا اللـــوا ... ومـــا جـــرُأوا أن يَمحقـــوا حَســـناتي

لـــيَ الله إنـــي - فـــي ابتلائـــي - ضـــعيفة ... وقـــومي قلـــوْني ، واســـتباحوا أســـاتي

فيـــا رب أرجعْهـــم لضـــادٍ وشِـــرعةٍ ... عســـاهم - بهـــذا - أن يـــذوقوا ثبـــاتي!

يا فتاتي رجّعي الشعر الجلي! (معارضة لعبد السلام أمين)

(رحلتْ عني إلى مصر أمُ الأولاد مع أولادها جميعاً. وبقيتُ وحدي ألوكُ آلام الفراق وأعاني لواعج الشوق إليهم. وليس في كل سفر ووداع ورحيل تكون قصيدة ، فليس الأمر ميكانيكا أو أن الشعر لا يستعصي عليّ مرة أو مرات! إن الذي يتصور أن الشاعر يمكن له أن يكتب في كل وقت وحين هذا إنسان لا يفهم عن الشعر والشعراء الكثير من الذي ينبغي أن يعرف عنهم. بل القضية قضية انفعال يقود إلى عاطفة! وإذا تمخضت الفكرة عن قريض أمسكت الأنامل باليراع! وكانت القصيدة ترجمة لما عاش الإنسان من شعور. فالمسألة شعور قاد إلى شعر ، وليست أبداً شعر قاد إلى شعور! إن الشعر أسمى من ذلك مقاماً وأرفع قدراً وأعلى منزلة. وكنتُ قد كتبتُ قصيدة مماثلة في ديوان (نهاية الطريق) منذ خمس سنوات ، وكان عنوانها: (الياسمينة) ، وأيضا قصيدة مرارة الذكرى ، وأيضاً قصيدة: (لوعة الرحيل) التي تجاوزت الستمائة بيت عندما رحلت عني بأولادها! وهي أطول ثاني قصيدة! وأهديتها يومها لذات الإنسانة التي أكتب لها اليوم لها (يا فتاتي ، رجّعي الشعر الجلي!) لأم عبد الله – حفظها الله تعالى – أذكّرها بالأيام الخوالي التي عشناها في مصر من صفاء الحب وطيب العشرة! وكأني أريد أن أقول لها: رجّعي الشعر الجلي الذي تذاكرناه معاً في أول زواجنا ، واغمري قلبي بسالف الذكريات العذبة! وذكّرينا بقراءة القرآن ومُدارسة أحاديث النبي العدنان – عليه السلام -. وظللتُ أتخيلها أمامي وأطلب منها أن تعيد أطياف الأيام الحلوة التي قضيناها معا إبان زواجنا عام 1988م ، هناك في مصر في كنف الأهل والأصحاب والإخوة! وفي كل مرة أكتب القصيدة على فترات تشبه زخات المطر ، وأحياناً أكتبها جملة واحدة ، وهذه القصيدة من هذا النوع! وما ذاك إلا لفرط الحب في الله ، وتعتبر أم عبد الله المرأة الوحيدة التي أحببتها في الله وعلى نور منه – سبحانه وتعالى -! وتزوجتها على كتاب الله وسُنة رسوله – صلى الله عليه وسلم -. وأسأل الله أن تكون زوجي في جنات النعيم! وهذه القصيدة أعارض فيها الشاعر الغنائي الكبير الأستاذ عبد السلام أمين في رائعته: (أرجعي الأمس الخلي) وهو ينعى فيها أحوال أمة الإسلام ، ويقارن بين غابر حالها وحاضره!)

رجّعـــــي الشـــــعر الجلـــــي ... واغمـــــري القلـــــب الخلـــــي

بالأمـــــــــاني والصـــــــفا ... يـــــا فتـــــاتي ، واســـــألي

عـــــن حبيـــــب راحـــــل ... للمَعـــــــــــــــين الأول

هـــــدّ قلبـــــي بُعـــــدُهُ ... ورحيـــــلُ الأشـــــبُل

أيـــــن حـــــبٌ صـــــادقٌ ... وفـــــق قـــــرآن العلـــــي؟

أيـــــن نصـــــحٌ مخلـــــصٌ ... كـــــان عـــــذبَ المنهـــــل؟

أيـــــن ودٌ مُخبـــــتٌ ... مُغـــــدقٌ كالجـــــدول؟

أيـــــن نـــــورٌ مُشـــــرقٌ ... فـــــي العطـــــاء المِكْمَـــــل؟

أيـــــــن عِطـــــــرٌ فـــــــائحٌ ... مـــــــن ثنايـــــــا المخمـــــــل؟

أيـــــــن يـــــــاقوتُ المُنـــــــى ... فـــــــي أريـــــــج المَأمـــــــل؟

أيـــــــن قـــــــولٌ قـــــــاطعٌ ... كـــــــان عـــــــفّ المَحْمَـــــــل؟

ذكّرينـــــــــــا بالســـــــــنا ... وانفحينـــــــــا ، عجّلـــــــــي!

بلغِـــــــي (العِـــــــز) الـــــــذي ... فـــــــي الهشـــــــيم المُمْحِـــــــل

أننـــــــا اشـــــــتقنا لـــــــهُ ... ولأمـــــــن المَوئـــــــل!

وللقيـــــــــــاهُ هنـــــــــا ... ولمَـــــــــرآه الجَلـــــــــي

إنْ تلاشـــــــــى حُبنـــــــــا ... فعـــــــن الماضـــــــي ســـــــلي

منـــــــذ غابـــــــتْ (عزتـــــــي) ... والجـــــــوى قـــــــد عـــــــنّ لـــــــي

عكّـــــــر الصـــــــفوَ الـــــــذي ... كـــــــان غـــــــضَ المنـــــــزل

كانـــــــتِ الـــــــدنيا بـــــــه ... كـــــــالربيع الغيـــــــدل

كـــــم قرأنـــــا الـــــذكرَ فـــــي ... وعْـــــي قـــــوم كُمّـــــل!

ونســـــجنا الشـــــعر ثـــــوْ ... بـــــاً زهـــــا بـــــالمِغزل!

وتخِـــــــذنا الصـــــــبر در ... بـــــاً بعـــــزم مُخضِـــــل

وســـــــمَوْنا للـــــــذرى ... عنـــــد أســـــمى مَعقـــــل

ســـــلمي يـــــا غـــــادتي ... بـــــالقريض المُثكـــــل

واذكـــــري عـــــن حـــــالتي ... والعـــــذاب المُقصِـــــل

وصِـــــفيني عنـــــدها ... واصـــــدقي فـــــي المِقـــــول

لا تخـــــــافي لومَهـــــــا ... أو كـــــــلامَ العُـــــــذل

إنهـــــا اللطـــــفُ بـــــدا ... كـــــاحمرار الكَربـــــل

كـــــم بكيـــــتُ فقـــــدَها ... بـــــالعيون الهُمّـــــل!

ورحيـــــــــلُ الإلـــــــف يُغـــــــــ ـــــــــري قطيـــــــعَ المُيّـــــــل

يجعـــــــل الشـــــــمسَ دجـــــــىً فـــــــي النهـــــــار الأليـــــــل

رجعـــــــي الشـــــــعر الـــــــذي سُـــــــقته ، لـــــــم أبخـــــــل

لوعـــــــة فـــــــي خـــــــاطري عنـــــــه ذي لـــــــم ترحـــــــل

وفـــــــــــؤادي عبْرهـــــــــا يصـــــــطلي فـــــــي مِرجـــــــل

فـــــــارحمي القلـــــــبَ كفـــــــى وارفقـــــــي بـــــــالأعزل

واذكـــــــري مـــــــا قلتـــــــه عـــــــن غرامـــــــي الأمثـــــــل

وفـــــــق شـــــــرع طـــــــاهر لـــــــم يكُـــــــن بالمُبطـــــــل

صـــــــــغته (ترنيمـــــــــة) فـــــــي قريضـــــــي المُجْمَـــــــل

فاقبليهـــــــــا غضـــــــــة واقرئـــــــــي ، لا تخجلـــــــــي

إننـــــــــي حبرتهـــــــــا مثـــــــل شـــــــدو البلبـــــــل

رســـــــختْ فـــــــي (عَزتـــــــي) كرســـــــوخ الأجبُـــــــل

وصـــــــفتْ فـــــــي لفظهـــــــا كصـــــــفاء السلســـــــل

رجعـــــــي الشـــــــعر لهـــــــا أكرميهـــــــا ، وابـــــــذلي

أخبريهـــــــــا أنـــــــــه لـــــــم يصـــــــغه (الموصـــــــلي)!

وكـــــــذا (زريـــــــاب) مـــــــا خضـــــــب الألحـــــــان لـــــــي

إننـــــــي غنيتـــــــه لـــــــكِ بـــــــالرتم الجلـــــــي

ثـــــــم قـــــــدْ أهديتـــــــه لـــــــك – حُبـــــــي - فـــــــاقبلي

رحمن رحمن! (معارضة لعجلان ثابت)

(إنه لا أحد المِدحة والإطراء والثناء أحب إليه من الله – عز وجل -! وكم عجبتُ لشعراء قد عزفوا عن مدح الله تعالى وهو الذي يحب أن يُمدح ، بينما أسرفوا في مدح النبي – صلى الله عليه وسلم – ربما لدرجة الشرك بالله تعالى ، برغم أن النبي – صلى الله عليه وسلم - يحب ألا يُمدح. وهو القائل: (لا تُطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، وإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله!) ، وهو القائل: (احثوا في وجوه المدّاحين التراب!) والأمر على ما أورد الأستاذ محمد المنجد حيث قال ما نصه بتصرفٍ يسير: (روى البخاري (4634) ، ومسلم (2760) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللهِ ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ). والله - تعالى - غنيٌ عن العالمين وعن مدحهم وعن عملهم ، وهم جميعاً مهما أساءوا أو أحسنوا لا يبلغون ضر الله: فيضروه ، ولا يبلغون نفعه: فينفعوه ، فهو غني عنهم سبحانه وتعالى ، وهم الفقراء إليه ، كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ). ولكن الله تعالى يحب من عباده أن يطيعوه ، وأن يحسنوا الثناء عليه ، ويشكروه ولا يكفروه ، وذلك لحكم كثيرة ومعان جليلة ، نذكر بعضها : - أحب الله المدح والثناء الحسن فمدح نفسه وأمر عباده بمدحه والثناء عليه لأنه أهل ذلك ، فأحب من عباده أن يصفوه بما هو أهله ، فإنه حري بهم إن فعلوا ذلك ألا يسيئوا الثناء عليه بما هو بريء منه سبحانه. - ولأن في مدحه والثناء الحسن عليه بما هو أهله: قياماً للحق وعملاً به ، وبذلك يقوم القسطاس في السماوات والأرض ، بخلاف ما لو كفروه ولم يشكروه فإنه حريٌ بهم ألا يُقيموا العدل بينهم. - أن في مدحه والثناء عليه مصلحة للعباد في معاشهم ومعادهم ، قال النووي رحمه الله في شرحه للحديث المتقدم: "حَقِيقَةُ هَذَا مَصْلَحَةٍ لِلْعِبَادِ ، لِأَنَّهُمْ يُثْنُونَ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَيُثِيبُهُمْ فَيَنْتَفِعُونَ ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ، لَا يَنْفَعُهُ مَدْحُهُمْ ، وَلَا يَضُرُّهُ تَرْكُهُمْ ذَلِكَ". انتهى من "شرح النووي على مسلم" (17/ 77). وقال المباركفوري رحمه الله في "تحفة الأحوذي" (9/ 357): "أحب المدح لِيُثِيبَ عَلَى ذَلِكَ فَيَنْتَفِعَ الْمُكَلَّفُ ، لَا لِيَنْتَفِعَ هُوَ بِالْمَدْحِ ؛ وَنَحْنُ نُحِبُّ الْمَدْحَ لِنَنْتَفِعَ وَيَرْتَفِعَ قَدْرُنَا فِي قَوْمِنَا ؛ فَظَهَرَ مِنْ غَلَطِ الْعَامَّةِ قَوْلُهُمْ: إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْمَدْحَ ، فَكَيْفَ لَا نُحِبُّهُ نَحْنُ؟ "انتهى بمعناه. - ولأن في مدحه التعريف بحق قدره ، ولولا ما أمرنا به من ذلك ، وعرفنا عليه: لما أدركنا ما يليق بعظمته وجلاله ، من المدح والثناء الحسن ، ولما تعرفنا على ربنا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ، فإن معرفة ذلك هي أساس مدحه والثناء عليه ، وهو أساس معرفة العبد بربه. - أن مدحه سبحانه ينفي عن العبد صفات الكبر والتعالي والفخر ، فإن الذي لا ينسب الفضل لله ، فيحمده عليه: ينسبه لنفسه فيطغى ، ويتعالى على الخلق ، كما فعل قارون لما ذكّروه بالله وبنعمته عليه: (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي) ، فكان ذلك سبباً لتعاليه على الناس وفخره بنفسه ، فخسف الله به وبداره الأرض ثم قال تعالى: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ). - مدح الله جل جلاله ، والتعرف عليه بصفات كماله وجلاله وكماله: يفتح للعباد باب القيام حق عبوديته ، فإنهم لا يقدرون على ذلك ولا يتعرفون عليه إلا بعد معرفة موجبات حمده ، بمعرفة أسمائه وصفاته المقتضية مدحه وحمده والثناء عليه. - أن بمدحه والثناء عليه سبحانه بما هو أهله ، فتحاً لباب معرفة الإنسان بقدره ، من الضعف والقلة والذلة والمسكنة ، فينزل منازل العبودية ، قال ابن القيم رحمه الله: "الفقر فقران: فقر اضطراري ،

وهو فقر عام لا خروج لبرّ ولا فاجر عنه ، وهذا لا يقتضى مدحاً ولا ذماً ولا ثواباً ولا عقاباً ، بل هو بمنزلة كون المخلوق مخلوقاً ومصنوعاً. والفقر الثاني فقر اختياري ، هو نتيجة علمين شريفين: أَحدهما: معرفة العبد بربه ، والثاني: معرفته بنفسه. فمتى حصلت له هاتان المعرفتان ، أَنتجتا له فقراً هو عين غناه وعنوان فلاحه وسعادته" انتهى من "طريق الهجرتين" (ص 9). على أننا نقول: إن السؤال لا يحسن وروده من أصله ، لأنه يرفع المحنة ويدفع التكليف ، فلا مورد له شرعاً ولا عقلاً ، وإذا صح أن يقال: لماذا يمدح الله نفسه ويأمر خلقه بذلك ، مع أنه غني عنهم ، لصح أن يقال: لماذا يأمرهم بالصلاة والصيام والحج والذكر وتلاوة القرآن؟ أليس غنياً عنهم؟! وكما أنه سبحانه ليس بحاجة إلى مدح الناس ، فإنه أيضاً ليس بحاجة إلى صلاتهم ولا إلى صيامهم ولا إلى غير ذلك من طاعاتهم. فينبغي على العبد أن يصرف همته إلى الانشغال بطاعة الله ، وعبادته على أصل التسليم واليقين والرضا ، وقد قال الله تعالى في الحديث القدسي المشهور: (يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي ، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا) رواه مسلم (2577).هـ. وأشكر للأستاذ المنجد هذا التفصيل الجامع المانع الماتع الرائع! ومن هنا نعلم أن الله تعالى مدح نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه – صلى الله عليه وسلم -! وهو سبحانه يحب من العبد أن يمدحه! وقديماً تساءل علماؤنا علماء أهل السنة أيهما أحب إلى الله تعالى: دعاؤه أم الثناء عليه ومدحه؟ وبعد تفصيل طويل جميل لا سبيل إلى إيراده هنا أو ليس هذا مكانه ، توصلوا إلى أن المدح والثناء أحب إلى الله من الدعاء! وأورد الأستاذ خالد عبد المنعم الرفاعي تعليقاً جميلاً على محبة الله تعالى للمدح والإطراء فقال ما نصه: (إن عقيدة كل مؤمن أن الله تعالى هو الغنى الصمد الكامل في أسمائه وصفاته ، الذى حاجة كل أحدٍ إليه ، ولا حاجة به إلى أحد ، وقيام كل شيء به ، وليس قيامه بغيره ، فمهما أحسن العباد أحسنوا لأنفسهم ، وهو سبحانه مع غناه عن العالمين خلقهم وأرسل إليهم رسولاً يبين لهم ما يُسعدهم وما يُشقيهم ، وجميع ما ينالون به الخيرات من قواهم بفضله ، وهو سبحانه يحب من عباده أن يتقوه ويطيعوه ، كما أنه يكره منهم أن يعصوه ، ولهذا يفرح بتوبة التائبين ، مع غناه عن طاعات عباده وتوباتهم إليه ، وإنما يعود نفع ذلك إليهم دونه ، وهذا من كمال جوده وإحسانه إلى عباده ، ومحبته لنفعهم ، ودفع الضرر عنهم ، فهو يحب من عباده أن يعرفوه ويحبوه ويخافوه ويتقوه ويطيعوه ويتقربوا إليه ، ويحب أن يعلموا أنه لا يغفر الذنوب غيره ، ويحب من يسأله ويدعوه. قد دلت السنة المشرفة على حبه سبحانه لمن يُثني عليه ويحمده ويمدحه ؛ ففي الصحيحين عبد الله بن مسعود ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس أحد أحب إليه المدح من الله عز وجل ، من أجل ذلك مدح نفسه" ، وقال الأسود بن سريع لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إني حمدت ربي بمحامد فقال: "إن ربك يحب الحمد" ، وقال صلى الله عليه وسلم: "لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك" ، فأفضل خلقه لا يحصى ثناء عليه ، فهو المثني على نفسه ، فالله يحب حمد العباد ، وحمده لنفسه أعظم من حمدهم له ، وتعظيمه لنفسه كذلك ؛ لأنه سبحانه أعلم بنفسه من كل أحد ، والموصوف سبحانه بصفات الكمال التي لا تبلغها عقول الخلائق ، فالعظمة إزاره والكبرياء رداؤه ؛ وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} ، قال: "يقبض الله الأرض ويطوي السموات بيمينه ، ثم يهزهن ، ثم

يقول: "أنا الملك أنا القدوس أنا السلام أنا المؤمن أنا المهيمن ، أنا الذي بدأت الدنيا ولم تك شيئًا ، أنا الذي أعيدها" ، وفي رواية: "يمجد الرب نفسه سبحانه" ، فهو يحمد نفسه ويثني عليها ويمجد نفسه سبحانه وتعالى. ومن المعلوم بالبداهة العقلية أن الله لا ينفعه سبحانه من حمد عباده وثنائهم شيء ؛ لأنه الغني بنفسه ولا يحتاج إلى أحد غيره ، وجميع الخلق لن يبلغوا ضره فيضروه ، ولن يبلغوا نفعه فينفعوه ، بل كل ما سواه فقير إليه: { يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} ، وقال: {وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا} ، وقوله تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ* وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ} وقوله تعالى: {وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} ، وقوله تعالى: {إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ} ، وقوله تعالى: {وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ}. فإذا أحب سبحانه وتعالى مدح عباده وثنائهم ، وتقربهم إليه بالنوافل ، ورضي عن السابقين الأولين ونحو ذلك: فلحبه لنفع عباده المؤمنين ؛ لأن جزاء ذلك للعباد ، ولا يجوز أن يقال: هو مفتقر في ذلك إلى غيره ، ولا مستكمل بسواه ؛ فإنه هو الذي خلقهم وخلق أفعالهم ؛ كما قال تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} ، وهو الذي هداهم وأعانهم حتى فعلوا ما يحبه ويرضاه ويفرح به ، وهو المانّ بالعمل ؛ كما قال تعالى: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}! وقال تعالى: {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ}. فثناء العبد على الله لم يحصل إلا بعلمه وقدرته ومشيئته وخلقه سبحانه ، فله الملك لا شريك له ، وله الحمد في الأولى والآخرة ؛ وهذا من معاني اسمه الأول ؛ كما في الصحيح: "اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء". فلله نهاية الكمال والعزة ، ولم يفتقر إلى غيره ، ولم يخرج شيء عن مشيئته ، والعباد لا يقدرون أن يوصلوا إلى الله نفعًا ولا ضرًا ، وهو سبحانه وتعالى غني حميد في نفسه ، لا حاجة له بطاعات العباد وثنائهم ومدحهم ؛ كما في صحّ عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: "إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي ، فتنفعوني". "فليس هو فيما يحسن به إليهم من إجابة الدعوات ، وغفران الزلات ، بالمستعيض بذلك منهم جلب منفعة، أو دفع مضرة ، كما هي عادة المخلوق الذي يعطي غيره نفعًا ليكافئه عليه بنفع ، أو يدفع عنه ضررًا ليتقي بذلك ضرره فقال: "إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا ضري فتضروني" ، فلست إذا أخصكم بهداية المستهدي ، وكفاية المستكفي ، المستطعم والمستكسي بالذي أطلب أن تنفعوني ، ولا أنا إذا غفرت خطاياكم بالليل والنهار أتقي بذلك أن تضروني ؛ فإنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا ضري فتضروني ؛ إذ هم عاجزون عن ذلك ، بل ما يقدرون عليه من الفعل لا يقدرون عليه إلا بتقديره وتدبيره ، فكيف بما لا يقدرون عليه؟ فكيف بالغني الصمد الذي يمتنع عليه أن يستحق من غيره نفعًا أو ضرًا؟ فإن المخلوقين يبلغ بعضهم نفع بعض ، ومضرة بعض ، وكانوا في أمرهم ونهيهم قد يكونون كذلك ، والخالق سبحانه مقدس عن ذلك ، فبين تنزيهه عن لحوق نفعهم وضرهم في إحسانه إليهم ، بما يكون من أفعاله بهم وأوامره لهم ، قال قتادة: إن الله لم يأمر العباد بما أمرهم به لحاجته إليهم ، ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلا به عليهم ، ولكن أمرهم بما فيه صلاحهم ونهاهم عما فيه فسادهم.

وذكر أن برهم وفجورهم ، وطاعتهم ومعصيتهم ، لا تزيد ملكه ولا تنقص ، وأن ما يعطيهم غاية ما يسألونه نسبته إلي ما عنده أدنى نسبة ؛ فقال – سبحانه -: "يا عبادي لو أن أولكم وآخركم ، وجنكم وإنسكم ، على أفجر قلب رجل واحد ، ما زاد ذلك في ملكي شيئًا ، ولو أن أولكم وآخركم ، وجنكم وإنسكم ، كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا" ، إذ ملكه قدرته علي التصرف فلا تزيد ولا تنقص ، كما تزداد قدرة المِلك بكثرة المطيعين له ، وتنقص بقلة المطيعين ، وملكه سبحانه متعلق بنفسه ، وهو خالق كل شيء وربه ، يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء" ، قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" (192/18- 193). وأما حب الله للمدح فليس من جنس من حب المخلوقين للمدح ، وإنما أحب سبحانه وتعالى الطاعات ، ومن جملتها مدحه والثناء عليه ، ليثيب على ذلك فينتفع المكلف لا لينتفع الرب بالمدح ، بخلاف الإنسان فإنه يحب المدح ليرتفع قدره عند الناس. فهل يجوز أن يقال: لماذا أمر الله عباده بالصلاة والصيام والحج والذكر وتلاوة القرآن ، وغيرها من العبادات وهو الغني سبحانه! فكما أنه لا تنفعه طاعات عباده ، فكذلك لا يزيد في ملكه وعظمته مدح المخلوقين ، فتدبر! هذا ؛ والذي يظهر أن مروج تلك الشبهة يقيس الخالق القوي المتين سبحانه وتعالى على المخلوق الضعيف المهين ، ولا يخفى على من له أدنى بصيرة الفروق بين الرب تعالى ، وسائر العبيد! وننبه الأخ السائل إلى البعد عن مظان تلك الشبهات المتهافتة ، حتى يتعلم العقيدة الصحيحة في الله ، ويتعلم ما يدفع به فتن الشبهات عن نفسه ، وليحرص على ما ينفعه. ولتعلم أن الله تعالى لا يفعل شيئا إلا لحكمة ، ولا يأمر بأمر إلا لحكمة ، ولا يسأل عما يفعل سبحانه ؛ لكمال حكمته ، فله نهاية الحب مع نهاية الذل، والله أعلم)هـ. ولعلنا بهذا التفصيل الأخير ندرك تمام الإدراك أن مدح الله تعالى تعود منافعه وفوائده علينا ، وهذا أثبتناه من واقع النصوص الشرعية! وهو مشاهد ملموس من الناحية الواقعية ، فلقد وجدناه في القوم الذين شغلهمُ الله تعالى بذكره ومدحه والثناء عليه ، كما وجدناه في القوم الذين صرفهمُ الله عن ذكره وعن شكره فلم يوفقوا لحسن عبادته ، فنجدهم لا يذكرون الله ولا يمدحونه ولا يُثنون عليه! والفرق بينهما (من يمدحون الله ومن لا يمدحونه) يزيد على الفرق بين السماء والأرض! وتحت عنوان: (عبادة المدح) يقول أستاذنا الشيخ إبراهيم بن صالح العجلان ما نصه بتصرفٍ زهيد: (إن النفس البشرية بطبيعتها ميَّالةٌ إلى ثناء مَن أحسن إليها ، ومدْح من تفضَّل عليها ، فلا يُنكرُ فضْلَ من له الفضل ، إلا مَن عَشْعَشَ النُّكرانُ والجحود بين جنبيه ، فإذا كانت هذه الجِبلَّة موجودةً عند البشر تُجاهَ البشر ، فكيف يكون المدح والثناء لمَن أسدى للإنسان كلَّ النِّعم؟! كيف يكون ثناء الإنسان لرب الإنسان ، الذي خلقه من العدم ، وشفاه من السقم ، ورزقه من النعم؟! (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) ، فتعالَوا - إخوةَ الإيمان - إلى عبادة عظيمة ، إنَّها عبادة المدح ، نعم المدح لله الخالِق الرحيم ، الرزَّاق الكريم ، ذلك المدح الذي لا تزلُّف فيه ولا تملُّق ، ولا نفاق فيه ولا تصنع. تلك العبادة التي تَزيد العبدَ من ربِّه قربًا وحبًّا ، فما أجملَ الثناء لمن يستحق حقًّا وصدقًا للإطراء! وما أحسنَ التمجيد ، إذا كان في حق رب العبيد! ثبت في صحيح البخاري ، من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه -: أنَّ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: (لا أحدَ أغْيرُ من الله ؛ فلذلك حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا أحد أحبُّ إليه المِدحة من الله ؛ فلذلك مَدَحَ نفسه). وفي الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - أنَّ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: (لا أحد أحب إليه المدحة من الله ؛ ومن أجل ذلك وعد الله الجنة). إنَّ فعل ما يحبه الله ويرضاه من أجلِّ وأعظم العبادات الموصلة

لرضا رب البريَّات ، والمبلغة لجنة عرضها الأرض والسموات ، فهو ـ سبحانه ـ يحبُّ مَن يثني عليه ويحمده بما هو أهله ، ولذا أثْنى على نفسه في مواضعَ كثيرةٍ من كتابه ، ورغَّبنا أن نتقرَّب إليه بالمدح والتحميد ، والثناء والتمجيد. مهما عجَّتِ الألسن وكلَّت ، فلن تحصي ثناء على ربِّها ـ جل جلاله وتقدست أسماؤه ـ فهو ـ سبحانه ـ فوق ما يصفه الواصفون ، وأعْلى مما ينعته العارفون ، قد قال ذلك أعلمُ الخلق وأخشاهم وأتقاهم لله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ فقد كان يردِّد في سجوده: (لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيتَ على نفسك). هذه العبادة ـ عبادة المدح ـ عرَفها أعرفُ الخلق لرب الخلق ، فكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ كثيرَ الثناء لربه ، لهَّاجًا بالحمْد له ، حتى لكأنَّ أحواله كلها مع هذه العبادة المحبوبة المرغوبة. وكان إذا قام من اللَّيْل يتهجد ، استفتح صلاته بقوله: (اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ومن فيهنَّ). وكان يفتتح خُطبه ومواعظه بالحمد والثناء. وكان ثناؤه لربِّه معه في شدَّته ورخائه ، في سفره وحضره ، في طعامه ولباسه ، في عبادته وفراغه منها. ولم يكن ثناؤه لربِّه لصيقَه وشِعاره ودِثاره في دنياه فحسب ؛ بل حتى في أخراه ، يكون له مع هذه العبادة شأنٌ ـ وأيُّ شأن ـ ، في ذلك المَقام المَهول ، والكرب الطويل ، يفزع الخَلْق إلى أكرم الخلق ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لطلب الشفاعة عند الله للفصْل بين العباد ، فينطلق ـ عليه الصلاة والسلام ـ فيقع ساجدًا تحت عرش ربِّه ، فيفتح الله عليه من المحامد وحسن الثناء ، ما لم يفتحْه لأحدٍ قبله ، ثم يقول الله بعد ذلك: يا محمد ، ارفع رأسك ، وقلْ يُسمع ، وسَلْ تعطه ، واشفع تشفَّع ، فيحمده حينها أهلُ الموقف كلُّهم على هذه الوساطة عند ربِّ العالمين. إن سألتم عن فضل عبادة الثناء على الله ـ تعالى ـ فيكفيها فضلاً وشرفًا أن الله ـ تعالى ـ يذكر من أثنى عليه ومدحه ؛ قال ـ سبحانه ـ: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ). وقال ـ تعالى ـ في الحديث القدسي: (أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، فإنْ ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي ، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرتُه في ملأ خيرٍ منه). هذا ، ومن فضائل عباده الثناء: ـ أنها سبب من أسباب إجابة الدُّعاء ؛ سمع النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ رجلاً يدعو في الصلاة ، ولم يذكُر اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ ولم يُصلِّ على النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: (عَجِل هذا) ، ثم دعاه فقال له ولغيره: (إذا صلى أحدُكم ، فلْيبدأ بتحميد ربه ، والثناء عليه ، ثم ليصلِّ على النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ثم ليدعُ بما شاء) ؛ رواه الإمام أحمد. وفي لفظ عند الطبراني ، وصحَّحه الألباني: (فإنه أجدر أن ينجح). ومن فضائل عباده الثناء لله – تعالى ، والفضائلُ كثيرة ـ: أنها سبب لرفع العمل ، ها هو رجل مِن صحابة رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يأتي لصلاته مسرعًا ، وقد حَفَزَه النَّفَس ، فقال بعد أن كبَّر: الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ، فلما قضى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ صلاته قال: (أيُّكم المتكلم بالكلمات؟) ، فأرَمَّ القوم ـ أي: سكتوا ـ فقال: (أيكم المتكلِّم بها؟ فإنه لم يقل بأسًا) ، فقال الرجل: جئت وقد حفزني النَّفَس فقلتُها ، فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: (لقد رأيت اثني عشرَ ملَكًا يبتدرونها أيهم يرفعها) ؛ خرجه مسلم في صحيحه. وحين نتدبَّر الذِّكر الحكيم ، الذي هو شفاء ورحمة وهدى وخشية ، نجد الثناءَ العاطر والمدحَ الجليل من الله ـ تعالى ـ لذاته وأسمائه وصفاته ، فهل مدحٌ أعْلى وأشرف وأجلّ من قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)؟ وهل ثناء وتنزيهٌ يسمو ويعلو على وصْف

الحق ـ تبارك وتعالى ـ عن نفسه بقوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)؟ يأتي نفر من كفار قريش إلى النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فيقولون له: انسب لنا ربَّك ، فيأتي الجواب من الله ـ تعالى ـ في غاية المدح والبيان والاختصار: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ). ثم قلِّبْ نظرك ـ أخي المبارك ـ بين دفتَي كتابِ ربك ، تجدِ الثناء السامق ، الذي ليس فوقَه ثناء لأفعال الله وتقديرات الله ، ترَ الحيَّ القيوم العظيم قد أخبر عن نفسه أنه خلَقَ الإنسان وقوَّمه ، وبدأ الكون ونظَّمه ، وصور النبات وجمَّله ، وأوجد الحيوان وسخَّره ، أنشأ السماء وبناها: (رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا). أعطى ومنع ، رفع ووضع ، خلق فسوَّى ، وقدَّر فهدى ، أضحك وأبكى ، أمات وأحيا ، أسْعد وأشْقى ، بديع السموات والأرض ، مد الظل ولو شاء لجعله ساكنًا ، ما خاب من دعاه ، ما تعنَّى من رجاه ، كل ما يجري في الكون فبنِعمه ومن نعمه ؛ (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ). يُنعِم فيُعصَى ، يتفضَّل فيُنسى ، يُسبغ فما تُرفَع إليه الشكوى ، لا تُدركه الأفهام ، ولا تَبلُغُه الأوهام ، ولا يُشبه الأنام ، حيٌّ لا يموت ، قيوم لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، حجابُه النور ، لو كَشَفَه لأحرقتْ سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصرُه من خلقه. يعلم السرَّ والنجوى ؛ (سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ). يعلم ما في الأرحام ، وما تدري نفسٌ ماذا تكسب غدًا ، وما تدري نفس بأي أرضٍ تموت ، (إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا) ، يعلم ما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف سيكون. وَهْوَ الَّذِي يَرَى دَبِيبَ الذَّرِّ فِي الظُّلُمَاتِ فَوْقَ صُمِّ الصَّخْرِ ، وَسَامِعٌ لِلجَهْرِ وَالإِخْفَاتِ بِسَمْعِهِ الوَاسِعِ لِلأَصْوَاتِ ، عمَّ برُّه ، واتَّصل خيرُه ، وكمُل عطاؤه ، وتمَّت نوافله ، وعمَّت فواضله وعزَّ سلطانه ، وبَرَّ قَسَمُه ، وجلَّ ثناؤه ، وعظُم جاهه ، وتقدَّست أسماؤه ، فلا إله غيره. في السماء مُلْكُه ، وفي الأرض سلطانه ، وفي البحر عظمته ، وفي الجبال قوَّته ، وفي الكون والخَلْق قدرته ، وفي الشرائع حِكمته ، وفي الجنة رحمته ، وفي النار سطوته. سبحانك من إلهٍ رب عظيم ، رؤوف جواد كريم ، ألْسِنتُنا سبَّحت في علاك ، ورؤوسنا ما سجدتْ لأحد سواك ، أنت ترانا ولا نراك ، ولا نعبد إلا إيَّاك!).هـ. وعلى الرغم من هذا الأمر الذي أسهبت فيه وأطلت ، وذكرت الأدلة مشرّقة ومغربة ومختصرة ومسهبة ، نجد أن المدائح الإلهية الربانية قليلة جداً في أدبنا العربي قديمه وحديثه ، إذا ما قورنتْ بالمدائح النبوية! وكان الأولى هو العكس! لماذا؟ لأننا أجبنا على هذا السؤال في أول مقدمتنا ، من أن الله تعالى يحب المدح والإطراء والثناء ، بينما النبي – صلى الله عليه وسلم لا يحب المدح ولا الثناء ولا الإطراء! ولما أردتُ مدح الله تعالى بنص بسيطٍ متواضع يفهمه الصغير قبل الكبير ، ويعيه السقيم قبل المتبحر ، اخترتُ قصيدة الشاعر اليمني الكبير عجلان ثابت: رحمن رحمن! وجعلتها في شكل سباعيات شعرية!)

رحمـــــــنُ ، يـــــــا رحمـــــــنْ ... يـــــــا مُنْـــــــزلَ القـــــــرآنْ

يـــــــا خـــــــالقَ الإنســـــــان ... يـــــــا واهـــــــبَ التبيـــــــان

يـــــــا واضـــــــعَ الميـــــــزان ... يـــــــا واســـــــعَ الغفـــــــران

أودَى بنـــــــا العِصـــــــيان ... فـــــــي الســـــــر والإعـــــــلان

وأذلنـــــــا الطغيـــــــان ... والبغـــــــيُ والعُـــــــدوان

نـــــــــــدعوك باســـــــــــتيقان ... يـــــــا ربنـــــــا الـــــــرحمن

فليـــــــــــدركِ العُبـــــــــــدان ... مَـــــــــــولاهمُ الـــــــــــديان

****

اللهُ ، يـــــــــــــــــــــــــا اللهْ ... مـــــــا خـــــابَ مَـــــن ناجـــــاهْ

مُستعصـــــــــــماً بهُـــــــــداه ... مُتشـــــــــــوقاً للِقـــــــــاه

مُســـــــــــتفتِحاً بـــــــــدُعاه ... والقُـــــــربِ مِـــــن مـــــولاه

وفـــــــــــــــــــــؤادُه أوّاه ... مُتطلـــــــــــعٌ لرضـــــــــاه

تبكـــــــــي دَمـــــــاً عينـــــــاه ... والقـــــــولُ يَغمـــــــر فـــــاه

مَرفوعـــــــــــة كفـــــــــاه ... مُستصـــــــــــحِباً تقـــــــواه

يشـــــــكو المُنـــــــى وهـــــواه ... وعِداتَـــــــــــــــــــــــه لله

****

يـــــــدعوهُ فـــــــي البأســـــاءْ ... كـــــــي يَكشـــــفَ الضـــــراءْ

ويقـــــــولُ فـــــــي اســـــتحياء ... مُستشـــــــــفِعاً ببُكـــــــاء

رب ارفـــــــــــع البلـــــــــواء ... رب اصـــــــــــــــرف الأرزاء

عبـــــــدٌ أنـــــــا خطـــــــاء ... مِـــــن زلتـــــــي مُســـــتاء

لـــــي فـــــي الـــــدعاء رجـــــاء ... يـــــا واهـــــبَ النعمـــــاء

فاقبـــــــلْ أثيمـــــاً جـــــاء ... يُزجـــــي إليـــــك دُعـــــاء

فاجعلـــــــه فـــــي السُـــــعَداء ... كـــــي لا يـــــذوقَ شَـــــقاء

****

يـــــــا ربنـــــــا رُحمـــــــاكْ ... الطـــــفْ بمَـــــن ناجـــــاك

لـــــم يَلجَـــــأنْ لســـــواك ... مَـــــن ذا لـــــــــه إلاك؟!

يهفـــــــو إلـــــى نُعمـــــاك ... فـــــامنحْ جميـــــلَ عطـــــاك

مـــــــا شـــــــأنهُ لـــــــولاك؟! هـــــــو بالرجـــــــاء أتـــــــاك

ولـــــــئن غـــــــوى وعصـــــــاك ودهـــــــى قـــــــواه هـــــــلاك

فامنحْـــــــهُ بعـــــــض رضـــــــاك ليعـــــــيشَ وفـــــــق هُـــــــداك

وارزقـــــــهُ بعـــــــضَ تُقـــــــاك يـــــــا ربنـــــــا رُحمـــــــاك

****

يـــــــا بـــــــارئ الآنـــــــامْ اغفـــــــرْ لنـــــــا الآثـــــــامْ

نـــــــدعوك باســـــــترحام كـــــــي تشـــــــفيَ الأســـــــقام

ونُقِـــــــرُ دون سَـــــــوام بالـــــــذنب والإجـــــــرام

ونقـــــــولُ باستســـــــلام تُبنـــــــا إلـــــــى العـــــــلام

والعبـــــــدُ لـــــــيس يُـــــــلام إن جاهـــــــدَ الأوهـــــــام

وتســـــــنم الإقـــــــدام وســـــــعى بـــــــلا إحجـــــــام

لله ذي الإكـــــــرام والفضـــــــل والإنعـــــــام

****

يـــــــا رب يـــــــا تـــــــوابْ ســـــــامحْ عَصِـــــــياً تـــــــابْ

أودى بـــــــه الأصـــــــحاب حتـــــــى اســـــــتُذل وخـــــــاب

لـــــــم يطـــــــرق الأبـــــــواب كـــــــي يبلـــــــغ الأســـــــباب

طـــــــرح الهُـــــــدى وارتـــــــاب وحَـــــــلا لـــــــه التلعـــــــاب

وتنكـــــــبَ الآداب وقـــــــلا خطـــــــى الأحبـــــــاب

ثـــــــم اهتـــــــدى وأنـــــــاب يخشـــــــى ألـــــــيمَ عقـــــــاب

فارزقـــــــه خيـــــــرَ متـــــــاب يـــــــا رب يـــــــا وهـــــــاب!

سلام الحبيب (معارضة لأبي فراس الحمداني)

(وقبل أن ينصرم عام 2018م ، أردتُ أن أختمه بالسلام على أم أولادي أم عبد الله ، وقد سافرت مع بعض أولادها إلى دمياط وتُركتُ وحدي في دار غربتي! فرُحتُ أسلم شعراً عليها وعلى أولادنا وأحبابنا وأصدقائنا! وذلك لئلا يُقال احتفلتُ بعام 2019م على عادة الجاهليين! فكانت هذه القصيدة سلاماً على من أحب! وكأنني تأثرت بدالية أبي فراس الحمداني: (سلام رائح غادي على ساكنة الوادي)! ولي شرف المحاولة الذي أدندن حوله دائماً! وإلا فمن أنا كشاعر إن قارنت نفسي بأبي فراس الشاعر؟! وقصيدة أبي فراس في ديوانه لا تتجاوز الأبيات العشرة! وأعرف وزني وحجمي في الشعر ، وأعرف حجم ووزن أبي فراس!)

سـلامٌ عـاطرٌ شـادي ... يُـداعِبُ أمّ أولادي

إلـى (دِميـاطَ) أرسِـلهُ ... لـدِلتا النيـلِ والـوادي

أحيّـي مِـن قرابتنـا ... جميـعَ لطيـفِ أفـراد

مَـن اشـتاقوا لرؤيتنـا ... ومَـن هـم خيـرُ قصّـاد

ومَـن يتطلعـون إلـى ... تلاقينـا بمِرصـاد

ومَـن لـكِ جـاء مَعشـرُهم ... بـإكرام وإرغـاد

أحيّـيهم ، وأكْبِـرُهم ... كمـا حييـتُ أجـوادي

وأحبـابي الألـى ظفِـروا ... بـأرواح وأكبـاد

وأصـحابي الألـى رحلـوا ... وآبـائي وأجـدادي

وأخـتِ عـاميَ الحـالي ... بشِـعر مُطـرب حـادي

يُدنـدنُ فـي مسـامعهم ... صـدىً يُـزري بـأعواد!

وأسْـطرَهُ علـى عَجَـلٍ ... أعِيـدُ قـديمَ أمجـادي

وأتْحِـفُ مَـن أتيـهُ بهـا ... بترجيـع وإنشـاد

وأذكـرُ بعـضَ مـا ألقـى ... ببُرهـانٍ وإشـهاد

فسـيفُ البـين قسّـمني ... وقسّـم شـعريَ الشـادي

إلـى نصـفين قـد رُصِـدا ... ولـم يخلـدْ لإغمـاد!

ففـي (عجمـانَ) نصـفُ فتـىً ... يُعـالجُ طـولَ تسـهاد

ونصـــــفٌ بـــــات فـــــي (دِميـــــا ... ط) يـــــدفعُ سُـــــقم إجهـــــاد

هنـــــا قلـــــبٌ يُصـــــارعُه ... عـــــذابٌ رائـــــحٌ غـــــادي

وفـــــي (دميـــــاط) مُهجَتـــــه ... وهـــــذا غيـــــرُ مُعتـــــاد

وإنـــــي احتـــــرتُ بينهمـــــا ... ولـــــم يَـــــلِ حَيرتـــــي هـــــادي

يمـــــينَ الله ســـــربلني ... بـــــلاءٌ وخْـــــزه بـــــادي

هنـــــا رُوحٌ تُجنـــــدِلها ... عيـــــونُ عتـــــيّ حُسّـــــاد

فـــــلا تنفـــــكّ ترمُقهـــــا ... وتحْقِرهـــــا بإرصـــــاد

وأســـــألكِ الـــــدعاء لنـــــا ... بتعمـــــيم وإفـــــراد

وإلحـــــاح وتســـــريةٍ ... لتكْسَـــــر شـــــرّ أصـــــفاد

ولا تنسَـــــيْ مَودّتنـــــا ... وتســـــبيحاتِ عُبّـــــاد

وذِكْـــــراً كـــــان يَجْمعُنـــــا ... علـــــى حُـــــب وإســـــعاد

تمـــــرّ الـــــذكرياتُ بنـــــا ... وتتلـــــو عـــــذبَ أوراد

تحيـــــاتي لمـــــن رحلـــــتْ ... بـــــلا وعـــــدٍ ومِيعـــــاد

ألا عُـــــودي لضـــــيعتنا ... فـــــإن العَـــــودَ مـــــيلادي

لأن الشـــــوق ألهبنـــــا ... بســـــوطِ فراقِـــــكِ الســـــادي

فمـــــا بـــــي قـــــوة كفتـــــىً ... كعنتـــــرةَ بـــــنِ شَـــــدّاد!

لأقهـــــرَ مـــــا أكابـــــدُه ... بعـــــزم الصـــــائل العـــــادي

أنـــــا قلـــــبٌ وعاطفـــــة ... تضـــــيقُ بشـــــر أضـــــداد

إذا التاعـــــتْ مشـــــاعرُها ... تحـــــنّ لـــــزوْر عُـــــواد

و(عَـــــزة) عِتـــــرة وحِمـــــىً ... و(عَـــــزة) أمّ أولادي

شـــــفاها الله خالقهـــــا ... وألهمهـــــا الهُـــــدى الهـــــادي

رسالة إلى (سيف الإسلام) (معارضة لأبي تمام: السيف أصدق)

(إنه في يوم 3 / 5 / 2004م ، جاد الله علينا بسادس أولادنا الذي أسميته سيف الإسلام ، وذلك لحاجة إسلامنا الحبيب اليوم إلى سيوف. وأذكر أنني قلت لموظفة تسجيل المواليد بالمستشفى الكويتي هنا في عجمان وقد استغربت الاسم: أليس الإسلام محتاجاً إلى سيف؟! فقالت: بل سيوف! جعل الله تعالى ذلك الغلام سيفاً من سيوفه في الأرض. ألا إن السيف يُفيد في عِلل ليس ينفع فيها سواه. روى الترمذي عن جُندب موقوفاً أو مرفوعاً أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (حد الساحر ضربة بالسيف). وروى مسلم عن ثوبان – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (إن الله زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها. وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُويَ لي منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض. وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسَنَة بعامة ، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم. وإن ربي قال: يا محمد ، إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يُرّد ، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسَنَةٍ عامة ، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم ، فيستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليها مَن بأقطارها ، حتى يكون بعضهم يُهلك بعضاً ، ويَسبي بعضهم بعضاً). وروى البرقاني مثله في صحيحه ، وزاد: (وإنما أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون ، وإذا وقع عليهم السيف لم يُرفع إلى يوم القيامة. ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد أمتي الأوثان. وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون ، كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين ، لا نبي بعدي ، ولا تزال طائفة من أمتي ، على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى). وروى مسلم في صحيحه ، عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري قال: (سمعت أبي وهو بحضرة العدو يقول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف). فقام رجل رث الهيئة ، فقال: يا أبا موسى ، أنت سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم - يقول هذا؟ قال: نعم. فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام ، ثم كسر جفن سيفه فألقاه ، ثم مشى بسيفه إلى العدو ، فضرب به حتى قتل). وروى النسائي من حديث راشد بن سعد ، عن رجل من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – أن رجلاً قال: يا رسول الله ما بال المؤمنين يُفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: كفي ببارقة السيوف على رأسه فتنة. وروى الطبراني بإسناد حسن عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: إذا وقف العباد للحساب ، جاء قوم واضعي سيوفهم على رقابهم تقطر دماً ، فازدحموا على باب الجنة فقيل: من هؤلاء؟ قيل: الشهداء كانوا أحياء مرزوقين. وروى الإمام أحمد وابن حبان بإسناد صحيح عن عُتبة بن عبد الله السُّلمي – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (القتلى ثلاثة: رجل مؤمن جاهد بماله ونفسه في سبيل الله ، حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يقتل ، فذلك الشهيد الممتحن ، في جنة الله تحت عرشه ، لا يفضله النبيون إلا بفضل درجة النبوة. ورجل فرق على نفسه من الذنوب والخطايا ، جاهد بماله ونفسه في سبيل الله حتى لقي العدو ، قاتل حتى يقتل ، فتلك ممصمصة محت ذنوبه وخطاياه ، إن السيف محّاء للخطايا ، وأدخل من أي أبواب الجنة. وبعضها أفضل من بعض ، ورجل منافق جاهد بنفسه وماله ، حتى إذا لقي العدو ، قاتل في سبيل الله – عز وجل – حتى يقتل ، فذلك في النار ، إن السيف لا يمحو النفاق). وطبعاً بعد هذه الطائفة العطرة من أحاديثه – صلى الله عليه وسلم – ، يطيب لي أن أبشر ولدي ، بأن اسمه اسم مبارك حقاً ، ولعل الله ينفع به الإسلام والمسلمين ، فيكون سيفاً من سيوف الحق ، مسلولاً

على الكفر والكافرين. وآثرتُ هذه المرة أن تكون قصيدتي له معارضة لأبي تمام في بائيته الشهيرة الجهيرة في مدح المعتصم بالله العباسي. غير أني جعلت القافية مرفوعة بدلاً من خفض أبي تمام لها. وكما أقول في كل مرة: لي شرف محاولة المعارضة ، وإن لم أبلغ شأو أبي تمام الشاعر بعدُ. وأما عن المناسبة عندي فتسمية ابني السادس (سيف الإسلام) ، وأما عن المناسبة عند أبي تمام ، فملخصها أن إمبراطور الروم كان قد هاجم بلدتي (زبطرة) و(ملطية) ، فاحتلهما وأعمل فيهما القتل والسبي. ويُروى أن مسْلمة عربية أسيرة من السبايا صاحت مستغيثة: (وامعتصماه) ، فبلغ الخبرَ المعتصم ، فقال: لبيك يا أختاه. ثم هاجم المعتصم عمّورية ، واحتلها واستباحها هدماً وإحراقاً وقتلاً وسبياً ، بعدما أرسل إلى امبراطور الروم أن يطلق سراحها قائلاً في رسالته: (من المعتصم بالله أمير المؤمنين إلى كلب الروم ، أما بعد إذا جاءتك رسالتي ، فأطلق سراح المرأة المسلمة ، وإلا تفعل أرسلت لك جيشاً ، أوله عندك وآخره عندي! فأنشد أبو تمام قصيدته المشهورة في مدح المعتصم والتي مطلعها:

السيف أصدق إنباءً من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف في ... مُتونهن جلاءُ الشك والرِّيب

وغير خافٍ على الدارسين لقصيدة أبي تمام ، أن بعض الرواة كان قد ضبط (أنباءً) التي هي جمع نبأ وهو الخبر ، (إنباءً) أي إخباراً وتحدثاً. وكلا المعنيين صحيح ، وله بلاغته المعتبرة. وإنما كان التجديد مني في رفع القافية بدلاً من خفضها ، لوناً من ألوان التجديد لمَا ألفه القراء من أبي تمام ومن الذين عارضوه. فآثرت أن أعارض أبا تمام ولكن برفع القافية. وإلا فمَن مثلُ أبي تمام اليوم في بلاغته وفصاحته ومَلكته الشعرية؟! وها أنذا أهدي بائيتي إلى ولدي السادس سيف الإسلام ، وإنه لا يعي منها اليوم شيئاً ، فعسى الله تعالى أن يُدرك في مستقبل أيامه ما كنتُ أنوي من ورائها. ويذكر أباه يومها إن شاء الله بدعوة صالحة نافعة (أو ولدٍ صالح يدعو له) . كما وأرجو أن ينفع الله بالقصيدة إخوته وكل المسلمين. ولنتابع معارضتي التي أطلت الكلام عنها ، أقول فيها:).

السيفُ تحسُدُه - على المضا - الكتبُ ... إذ ليس - في حَدّه - هزلٌ ولا لعبُ

بيضُ الصفائح لا سُودَ الصحائف من ... تهويلهن تنـي الشكوكُ والريب

لم تُحْنِ هامتها الدنيا برُمّتها ... يوماً ، ولم تُثنها عن بأسها النّوب

فكم أقامتْ - على الآماد - ملحمة ... فار السعيرُ بها ، وكشّر اللهب!

وكم رؤوسٍ جنتْ في ساح خَندمةٍ! ... وكم دماءٍ أراقتْ بِيضُها الصُّيُب!

وكم دهاقنةٍ دكّتْ ، تُلقنُهم ... درس الإباء ، وما في حقهم يَجِب!

تُحق حقاً ، وترسي عز مَعدلة ... وتقمعُ الظلم ، تُعلي شأن مَن غَلبوا

كم من عُتل زنيم ليس يردعُه ... إلا الفوارسُ في أيديهم القُضُب!

تُبيد بالسيف جَوْراً زرْعُ باطله ... نما ، ونادى الذي بالسيف يَقتصب

سيفَ الحنيفة: خضّبْ كل قافيةٍ ... بطيّب المِسك ، أنت الفارسُ الضَّرب

وادرأ بسيف التحدي فتنة عظَمتْ ... فيها الدماءُ على الإسلام تنسكبُ

إني احتسبتك فيها رأس حربتها ... ولا يَخيب الذي في الله يحتسب

ألستَ تُبصر ما في الأرض من جنفٍ ... مِن هوله الحُر - رغم الأنف – ينتحب؟

ألا يروعك ما في الدار من محن؟ ... ألا يَهزك هذا الذلُّ والوَدَب؟

ألستَ تحزن للآهات ضارعة ... إلى المليك ، وفيها الدمعُ يَلتهب؟

ألست تُبصر بالأشلاء ضاق بها ... هذا الفضاءُ ، وقد ضجتْ بها التُّرب؟

ألست ترثي لحال المسلمين هنا ... وقد تجمعتِ الأعداءُ والعُصُب؟

ألست تبكي لما قد نال أمتنا ... من البلاء؟ وكم طمتْ بها الكُرب!

ألست تأسى لليلٍ في دجاه جثا ... ضاقت به الدارُ والأقوامُ والحِقَب؟

ألا ترى الأرض في أفواه أغربةٍ ... ومن على الأرض في أيديهمُ خُشُب؟

سيفَ الهداية ، فادحرْ كل كارثةٍ ... ولا يُخيفك تخذيلٌ ولا جلب

الذخر أنتَ لمَا أعداؤنا اجترحوا ... وأنت عُدتنا لكل ما نهبوا

تداعتِ الأممُ الرعناءُ ما رحِمتْ! ... وجندُها من حقوق الشُّم كم غصبوا!

تظاهروا ، وأديمُ الأرض يلعنهم ... وأشعلوا الحرب ما كلوا ، وما تعبوا

وأمطروا الخلق بالنيران مُوقدة ... وجيشُ كفرهمُ - فوق الثرى - لجب

دكّوا الحصون ضُحىً والناسُ أسفلها ... والدورُ دمّرها التتبيرُ والتَّبب

وروّعوا مَن على قيد الحياة بقِيْ! ... فكل قلب غدا من فعلهم يَجب

وبعدها سرقوا الخيراتِ أجمعَها ... والعز حِيزَ لهم ، كأنه السَّلبُ

واستبسلوا ، وقَوى أعوانهم جمعوا ... وأشعلوا الحربَ ، والكفارُ تكتتب

ومثـــلُ (بغـــداد) لا يُنبيـــك مـــن أحـــدٍ ... إذ لا يـــــزالُ هنـــــاك الكفـــــرُ يَحتـــــرب

بـــــالأمس كانـــــت منـــــاراً لا يُطاولـــــه ... شـــئٌ ، وعـــن مجـــدها كـــم خُطـــتِ الكتـــب!

(دار الســـــلام) ، فـــــلا دارٌ تضـــــارعها ... لأنهـــــا مـــــن سَـــــنا الجـــــوزاء تقتـــــرب

أرســـى (الرشـــيدُ) بهـــاءَ الحســـن يُتحفهـــا ... ودجلـــةَ الخيـــر فـــي أصـــقاعها صَـــبب

والنخـــلُ يُبهجهـــا فـــي كـــل باديـــةٍ ... والتـــينُ والمـــوزُ والرُّمـــانُ والعنـــب

كانـــت لهـــا هيبـــة يَرعـــى مخاطرَهـــا ... كـــل القياصـــر: مَـــن شـــطوا ومَـــن قربُـــوا

واســـأل عـــن البـــأس (نقفـــوراً) وجوقتـــه ... يـــوم اعتـــراه الهـــوى والحِنـــقُ والغضـــب

فـــأنقص الجِزيـــة المُثلـــى التـــي فَرضـــتْ ... وتـــابع الـــوزراء الأمـــر ، واعتصـــبوا

ثـــم البريـــدُ أتـــى (بغـــداد) مـــرتحلاً ... وأهلَـــه فتحـــوا الأكيـــاس ، واحتجبـــوا

وثـــار (هـــارون) مـــن صـــوت الكفـــور عـــلا! ... فقـــال: كلـــبٌ علـــى شـــرع الســـما كلِـــب

وأعلـــن الحـــربَ ، لـــم يرهـــبْ مَغبتهـــا ... لأن (هـــارون) - فـــي ســـاح الـــوغى - حـــرِب

ليـــثٌ يصـــول إذا نيلـــتْ شـــريعته ... لأنـــه لهُـــدى الإســـلام ينتســـب

لـــم تسْـــقه زمـــرُ الماســـون خمرتهـــا ... ولـــيس يـــأوي لمـــن فـــي كفـــرهم رَسَـــبوا

مـــن أجـــل ذلـــك كـــان الكفـــر يَرهبُـــه ... وإن تـــــذكرَهُ أودى بـــــه الرَّهـــــب

واليـــومَ (بغـــدادُ) لـــم ترعـــد كتائبهـــا ... حتـــى الفـــوارسُ للـــرحمن مـــا غضـــبوا

حتـــى أتـــى الكفـــرُ مختـــالاً بقوتـــه ... يقـــود حربـــاً لـــه فـــي أوجهـــا غَـــرب

وأهـــل (بغـــداد) فـــي بيـــدائهم قَتُلـــوا ... وبعضـــهم عـــن رُبـــا (بغـــداد) يَغتـــرب

والإنجليـــز دمـــاءَ الصـــيد كـــم ســـفكوا! ... وكـــم علـــى ألـــم الآهـــات كـــم طربـــوا!

توحّـــد الـــرومُ: كـــلٌ يشـــتهي طبقـــاً ... مـــن الفريســـة ، هـــذا مرتـــعٌ خصِـــب

تقاســـموا الـــدَوْر فـــي (بغـــداد) دون حيـــا ... وشـــارك الـــروم صـــدقاً جارُهـــا الجُنُـــب

عِصـــابةَ تحـــرق العِمـــران عامـــدة ... والنـــارُ فـــي يـــدها كأنهـــا الشُّـــهب

وجَوقـــةَ مكثـــتْ فـــي خيمـــةٍ خبُثـــتْ ... شُـــدتْ علـــى سِـــترها الأشـــطانُ والطنـــب

كـم خـرّب الـرومُ فـي (بغـداد) مـن مُـدنٍ! وكـــم علـــى بائـــد الأشـــلاء كـــم لعبـــوا!

هــذي (العــراقُ) -علــى التــدمير- شــاهدة وأهلهـــا كـــم - علـــى أحـــوالهم - نـــدبوا

و(أمُّ قصـــــر) لقصـــــفِ الكفـــــر نـــــاظرةٌ تشـــكو الهـــوانَ ، وجُنـــدُ البغـــي تســـتلب

لـــم يَسْـــلم الطفـــلُ ، كـــلا ، مـــن مـــدافعهم! ولا النســـــاء ، فمَـــنْ فـــرتْ ستُغتصـــب

أقـــلُّ ظلمـــاً تتـــارُ الأمـــس ، إذ نزلـــوا هـــذي الـــديار ، وإن دكّـــوا ، وإن ســـلبوا

فبعضُـــهم دخلـــوا فـــي ديننـــا ، فهـــمُ سِـــهامُ نصـــر علـــى أعـــدائنا صُـــيُب

أمـــا النصـــارى وهـــودُ اليـــوم مـــا دخلـــوا فـــي ديننـــا ، بـــل هـــمُ فـــي كفـــرهم رســـبوا

ســـيفَ الحنيفيـــة الســـمحاء ضـــاق بنـــا هـــذا العـــذابُ ، وســـاءَ - اليـــومَ – مُنقلـــب!

وانظـر إلـى القـدس غصـتْ فـي مُصـيبتها فمِـــن دماهـــا يهـــودُ الســـوء كـــم شـــربوا!

وكـــم أذلـــوا كِـــرام الخلـــق فـــي شَـــره! وجمعُهـــم بـــدماء الصِـــيد يَختضـــب

وكـم أبـادوا القُـرى ، والـدُّورَ كـم جرفـوا! وفـــي مـــؤامرة التطبيـــع كـــم صـــلبوا!

وكـــم أزالـــوا ســـنا مَســـرى محمـــدنا! حتـــى غـــدا المســـجدُ المأســـورُ يَرتعـــب

كـم ذبّحـوا الشـعب فـي سـر وفـي علـن! و(ديـرُ ياسـينَ) لـم تـذهبْ بهـا الحُجُـب

و(كفـــرُ قاســـمَ) لـــم تبـــرحْ ضـــمائرنا والقـــدسُ تشـــهد ، والأردنّ ، والنقـــب

و(خـــانُ يـــونُس) فـــي نيرانهـــا احترقـــتْ والشـــعبُ فـــوق ربـــا (جينـــين) يضـــطرب

أنـــى اتجهـــتَ إلـــى صُـــقع لَقيـــت لظـــىً يشـــوي الوجـــوه ، ونـــاراً بعضُـــها اللهـــب

ســـيفَ البطولـــة ، والأعـــرابُ مـــا ســـألوا كـــلا ، ولـــم يعبـــأوا يومـــاً ، ولا غضـــبوا

كـــأنهم لهـــوى أعـــدائهم ركنـــوا طَـــراً ، وبـــات لهـــم بالمُعتـــدي نســـب

قـــد اكتفـــوْا بعبـــاراتٍ منمقـــةٍ مـــن البيـــان ، ويَكفـــي أنهـــم شـــجبوا!

يســـتنكرون ، ومَـــن يعنـــو لمـــنطقهم؟ ويُنكـــرون ، وهـــم فـــي مقتـــل ضُـــربوا!

ويُشـــتمون العِـــدا ، وهـــم عســـاكرُهم ويلعنـــون العِـــدا ، وهـــم لهـــم رُقـــب

مـــا نفـــعُ ألـــف بيـــانٍ ، والعِـــدا فجـــروا؟ وهـــل ذليـــلٌ لـــهُ علـــى العِـــدا عَتـــب؟

وهـــل يُعيـــد لنـــا الإنكـــارُ عزتنـــا؟ وهـــل سـيُرجع مَـــن -بـــين الـــورى- اغتربـــوا؟

هـــذي المعـــامع هـــل تُصـــغي للهجتنـــا؟ وهـــل يكـــون لنـــا فـــي شـــجْبنا الغَلـــبَ؟

هـــذي الصـــورايخ هـــل تخشـــى شـــتائمنا؟ لا يســـتوي الجـــد - عنـــد الحـــرب – واللعـــب!

هـــذي القنابـــل هـــل تخـــاف مَـــن شـــجبوا؟ وهـــل تُعيـــرُ - إذن - أذنـــا لمـــن عَتبـــوا؟

أيـــن الغطـــاريف مـــن فرســـان أمتنـــا؟ وهـــل - مـــن الزحـــف- خيـــرُ الجُنـــد تنســـحب؟

أيـــن الأشـــاوس لا تطـــوي عـــزائمُهم؟ أيـــن الحُســـام؟ وأيـــن الـــرُّمحُ واليَلَـــب؟

أيـــن الأســـاطين ، والأجيـــادُ ضـــابحة تـــرد بالبـــأس مـــا أعـــداؤنا اغتصـــبوا؟

أيـــن الأماجـــد مـــن أمثـــال (خالـــدنا) ســـيف المليـــك وأجنـــادٌ لـــه نُجُـــب؟

وأيـــن منـــا (صـــلاحُ الـــدين) محتســـباً؟ أعظِـــمْ بـــه بطـــلاً! ونعـــم مُحتســـب!

أيـــن الحجافـــلُ فـــي أم لهـــا (قَطَـــزٌ) يُـــردي العِـــدا ، ولنصـــر الشُـــم يرتقـــب؟

أيـــن الكتائـــبُ قـــد صُـــفتْ ضـــراغِمها؟ تســـتقبلُ المـــوتَ ، لـــم يلعـــب بهـــا الهـــرب؟

أيـــن الجهـــادُ ، يصـــد المعتـــدين لكـــي تؤسَـــى الجـــراحُ ، وتمضـــي الآه والنُـــدُب؟

أيـــن الجهـــادُ ، يُـــداوي جُـــرحَ خيبتنـــا؟ أيـــن الجهـــادُ ، يُعيـــد اليـــوم مـــا ســـلبوا؟

ســـيفَ الرجولـــة ، يـــا نبـــراسَ صـــحوتِنا أنـــتَ الحســـامُ ، فـــلا تشـــغلك ذي اللّعـــب

أعـــدّ نفســـك للهيجـــاء ، كـــن أســـداً يغشـــى العَجـــاج ، فـــلا يَـــردّه اللجـــب

أبـــوك لـــيس يـــرى إلاكَ قائـــدَها أمـــا الجنـــودُ فللمِصـــاع قـــد وثبـــوا

النصـــلُ أنـــت ، فأوغـــل فـــي مُداعســـةٍ وخـــل غيـــركَ تشـــوي عزمَـــه الخُطـــب

شـــتان يـــا ســـيف بـــين المُديـــة انبجســـتْ والمشـــرفيّ بقـــان الـــدمّ يختضـــب!

ديارنـــا يـــا (أبـــا الأســـياف) كـــم شـــهدتْ مـــن الـــدغاول ، منهـــا القلـــبُ يكتئـــب!

وكـــم علـــى أرضـــها الرايـــاتُ باســـقة! لكنـــه الاســـمُ والشـــاراتُ واللقـــب

هـــل يســـتوي الصـــارمُ الهنـــديّ يُشـــهره عبـــدٌ لـــه - مـــن حـــديث المُصـــطفي - سَـــبب

وخـــائفٌ أعـــزلٌ فـــي جُبنـــه فـــرِقٌ؟ لا يســـتوي قائـــدُ الهيجـــا ومُنســـحِب!

صَمصـــامةَ الحـــق تُجْلـــي كـــل غاشـــيةٍ ولا يُهـــــدّدها التـــــدجيلُ والشَّـــــغب

أســـميتك الســـيف للإســـلام ، أقصـــدُها اســـمٌ هـــو الفخـــر والأمجـــاد والحَســـب

اســـمٌ تســـود بـــه فـــي عـــالم أســـنتْ فيـــــه المعـــــاييرُ والأوزانُ والنســـــب

اســـمٌ هـــو الشـــرفُ المـــذخورُ سُـــؤدَدُهُ فالبـــدرُ يحسُـــده ، والـــنجمُ والـــذهب

فالســـين سُـــؤدَدُنا إن عـــز مَحْتِـــدنا هـــو الخشـــيبُ بـــدتْ فـــي نصـــله الشُّـــطَب

واليـــاء يُســـر إذا صـــالت صـــوارمُنا علـــى الأعـــادي بجمـــع لـــيس يرتهـــب

والفـــاء فـــوزٌ بجنـــات المليـــك غـــداً ولا يَمَـــس الألـــى فـــازوا بهـــا نصـــب

أمـــا أبـــوك ، فحمْـــدُ الله خالقنـــا! لا يغلـــبُ الحمـــدَ إيـــلامٌ ولا وَصـــب

وأمـــك العِـــز فـــي إســـم لهـــا صـــفةً هـــو الشـــموخ سَـــما ، والجـــودُ واللبـــب

ســـيفَ الإبـــاء أعـــدْ ذكـــرى معاركِنـــا وحقّـــق اليـــوم أمجـــادَ الألـــى ذهبـــوا

إن الجهـــادَ سِـــنام الســـلم ، يـــا ولـــدي بـــالأمس قـــام بـــه أماجـــدٌ نُخـــب

شـــتان بـــين فتـــىً: حياتـــه قَـــرَبٌ وآخـــر مـــا لـــه فـــي عمـــره قَـــرب!

أبـــا ســـليمان: إن الســـاحة انتفضـــتْ حتـــى العَجـــاجُ طـــوتْ آفاقـــه السُّـــحُب

فخـذ مكانـك فـي صـدر الخمـيس ، وكُـنْ صـــلداً إذا حمـــيَ الـــوطيسُ والثَغـــب

واعلـــمْ بأنـــك مخلـــوقٌ لـــه أجـــلٌ فمُـــت كريمـــاً ، فـــذا للحُـــرّ يُطلـــب

والســـيفُ ســـيفٌ ، وإن ضـــنت جـــواهرهُ عـــن البريـــق ، وإن فاضـــتْ بـــه الشَّـــعب

روِّ الأديـــمَ بأشـــلاء الألـــى كفـــروا وأســـقهم كـــأس مـــا طَغـــاتُهم كســـبوا

واغمـــز جـــوادك كـــي يجتـــاح ملحمـــة لا يســـتوي الضَّـــبح -نحـــو الخُلـــد- والخبـــب!

اليـــوم حـــان جهـــادُ الكفـــر ، فـــاجرِ بـــهِ أم قـــد تعقبـــه الهُـــزال والحَـــدَب؟

أمســـى يحـــيصُ ، ولـــم يبـــرح محلتـــه فهـــل ألـــمّ بـــه - فـــي المحنـــة - الجَـــرب؟

سيفَ المكارم ، لا تحفلْ بمن رصدوا ... لك المصائب ، لا تعبث بك الرّيب

همُ السرابُ غفتْ فيهِ دجاجلةً ... لا يستوي الصدْعُ بالتصديق والعَكب!

همُ الزيوف إذا قالوا ، وإن فعلوا ... لا يستوي اللبَن الوسنان والصرب!

سيفَ المناقب: عُذراً منكَ مُلتمساً ... إذ القصيدة يشكو حزمَها الأدب

شط القريضُ ، فصيغتْ منه ملحمة ... كانت صوارمُها في الغِمد تكتئب

كم كنتُ آملُ أن اخط مرحمة ... من القريض ، وما في ظلها صَخب!

قصيدةً يَغبط الإحساسُ رونقها ... قصيدة صاغها من الفؤاد أب

قصيدة حِبرُها مِن نور عاطفتي ... فيها الجمالُ زها ، والفن والأرب

يراعة الشعر ما خطت مثيلتها ... وليس في لفظها لحنٌ ولا عِيَب

جلتْ عن الهزل ما زلتْ ولا انحدرتْ ... يَحارُ فيها النّهِيَ ، والحس والعَجَب

فاقت خيالاً أهازيجَ الذين مضوا ... إذا رأوْها فمن تصويرها عجبوا

في حُب سيف الهُدى لم تدخر ألقاً ... من حُسنها أظهرتْ ما كان يُحتجب

جديرةٌ باحترام الحِب يقرأها ... ونصلُ صارمِها قد زانه الحَبَب

أنقى من الشهد أبياتٌ تُعطرها ... يَغار من سَبكها في ضِرعه الحَلَب

يُحِس بالصدق في الأبيات مَن صدقوا ... ولا يتوقُ لها قط الألى كذبوا

سيفَ المحبة خذها من أبيكَ ، فقدْ ... أزكى ترائبها الإحساسُ والعَصَب

وهبتُك الحُبّ في أبياتها طرباً ... كالغيث يَغبطَه ـ على الثرى ـ السَّكب

وبُحتُ بالنصح ، لم أبخلْ بتجربتي ... والنصحُ أخلصُ ما أعطي وما أهب

وكنتُ أُشعلتُ مصباحَ البيان بها ... حتى أفيض على ألفاظها الصَّهب

والكاتبون إذا ما طالعوا ذهِلوا ... ويَحقرون إلى هاتيك ما كتبوا

فأنت أغلى من الأشعار ، أنسجها ... مكانك القلبُ ، والأشعارُ فالكتب

سيفَ القريض تقبّل بعض تهنئتي ... قصيدة زادُها الإخلاصُ والشَّبب

وقــاكَ ربــك مــا عِشــناه مــن مِحــن ... قِوامهــا الطــيشُ والتدشــينُ والخَــدب

وعــش عزيــزاً ، لــك العليــاءُ منزلــةً ... لا يســتوي الــرأسُ - فــي الأقــوام - والــذَنب

وخلــلِ القلــبَ بــالقرآن تســمُ بــه ... وإن قــلاه ، فقلــبٌ مُقــرفٌ خَــرب

وكــن أبيّــاً إذا مــا نلــت مرتبــة ... كــم مــن خلــوق سَــبَت أخلاقــه الرُّتــب!

واشــكرْ لربــك إن كانــت بُلهنيــة ... مــن الحيــاة ، وُجــدْ علــى الألَــى سَــغِبوا

وابــذلْ خُيــورك للمحتــاج محتســباً ... عنــد المليــك ثوابــاً ، حبــذا الحِســبُ

وعُــد لربــك إن قارفــت معصــية ... فــالفخرُ بالــذنب والســوآى هــو العَطَــب

واللهِ مــا اســتويا عَــفٌّ ومُــرتكسٌ! ... لا تســتوي عنــدنا الآســادُ والعُكُــب!

ســبيلُ ربــك يــا ســيفاه واحــدة ... ودربُ إبلــيسَ يــا ســيف الهُــدى شُــعَب

ضــدان مــا اجتمعــا تقــوى ومخبثــةً ... هــل تســتوي الحُفَــرُ الصَّــماء والقُلَــب؟

إمــا النجــاة وإمــا عيشــة لَعنــتْ! ... هــل يســتوي الحنظــلُ البَــرِّيُ والقُصُــب؟

واذكــر مفارقــة الــدنيا ومَــن جمعــتْ ... مَــن اســتراحوا بهــا ردحــاً ومَــن نصــبوا

الكــل عنهــا - بــرغم الأنــف - مرتحِــلٌ ... والفــائزُ الحــق مَــن للســوء يجتنــب

إنــي تمرســتُ فــي الــدنيا وجوقتهــا ... ومَــن علــى فوْتهــا تــراهمُ اكتــأبوا

وكــم رأيــتُ لهــا صــرعى مناوشــةٍ ... حتــى تغمّــدهم مــن أرضــها سَــرَب!

أيــن الأكــابرُ مَــن ســادوا ممــالكهم ... ومَــن إذا انطلقــوا للحــرب مــا هربــوا؟

أيــن الأكاســرُ مَــن دكّــوا شــعوبهمُ ... ومَــن علــى النــاس نــارَ الــرِّق كــم سكبوا؟

أيــن الفــراعين فــي الأمصــار إذ وقــدوا ... نــارَ التشــفي ، وفــي جمهــورهم خطبــوا؟

أيــن الشــعوبُ ، لمــاذا لا زئيــر لهــا؟ ... أيــن الألَــى لجنــود الباطــل اصــطحبوا؟

أيــن الشــعوبُ لهــا فــي الجــوع ملهبــة؟ ... أيــن الــذين - علــى الإســلام - قــد حُســبوا؟

كيــف اســتناختْ لمــن أودى بعزتهــا ... ومَــن علــى أظهُــر الأشــراف قــد ركبــوا؟

كيـــف اســـتبد بهـــم مَـــن دك سُـــؤدَدُهم ... وأعمـــلَ الســـيفَ حتـــى أهـــدرَ الشَّـــخب؟

كيـــف اســـتكانوا لـــه حتـــى أذلهـــمُ؟ ... والعِـــز مـــنهم - بـــرغم الأنـــف - ينســـلب؟

وكيـــف هـــم ركعـــوا ذلاً لمُهلكهـــم؟ ... وكيـــف تحملهـــم لـــذلك الرُّكـــب؟

يـــا ليـــت شـــعري ، فهـــل زالـــت كـــرامتُهم ... حتـــى - إلـــى مســـتوى البهـــائم - انقلبـــوا؟

هـــل المذلـــة تُحيـــي مَيْـــتَ عـــزتهم؟ ... هـــل اســـتوى عنـــدنا الكُـــراث والرُّطـــب؟

لـــم يَفرقـــوا بـــين عـــيش فيـــه مَحْتِـــدُهم ... والنـــاسُ إن وطئـــوا ديـــارهم رهبـــوا

هـــل القُشـــور تُســـاوي بعـــض مـــا حفظـــتْ؟ ... هـــل يســـتوي اللّـــبُّ يـــا ســـيفاه والشـــذب؟

سَفاسِـــفُ الأمـــر هـــل دكـــت عزائمـــه؟ ... هـــل الحديـــدُ اســـتوى يـــا ســـيفُ والخَشَـــب؟

فهـــل قـــلا أمتـــى معيـــارُ حكمتهـــا؟ ... هـــل الأسُـــود اســـتوتْ فـــي البـــأس والـــدَّبب؟

حتـــى متـــى ذِ لـــة تُـــردي ومَهلكـــة؟ ... حتـــى متـــى تحتـــوي أســـيافنا الجُـــرُب؟

يـــا ســـيفُ حقَّـــقْ لهـــا مـــا اســـطعتَ مِـــن أمـــلٍ ... ولـــيس يُـــرفض - عنـــد القـــادر - الطَلَـــب

كـــن مـــا اســـتطعتَ لأهـــل الســـلم خـــادمهم! ... وذاتَ بيـــــنهمُ أصـــــلحْ إذا احتربـــــوا

أخـــو العقيـــدة مَـــن أعلـــى شـــريعتنا ... ضـــمّته مكـــة أو بـــاريسُ أو حَلـــب

صـــحتْ عقيدتـــه فـــي الله مهتـــدياً ... مَعينـــه الـــوحيُ والقـــرآنُ والأدب

يـــدعو المليـــك ، وفـــي الحـــالين يعبـــده ... ولا يتـــوق لمـــن تـــؤويهم القِبَـــب

فـــاحرص عليـــه ، وقـــم دومـــاً بواجبـــه ... وإن تعبـــتَ فـــذا يحلـــو لـــه التعـــب

واستصـــفِ خِلـــك ، فـــالخلانُ أوديـــة ... وكـــل قـــوم إلـــى خِلانهـــم نُسِـــبوا

واحـرصْ علـى العلـم فـي مهـدٍ وفـي كبـر ... نُـوق هـي الكتْـب فـي أصـقاعنا حُلَـب

إن الكثيـــر مـــن العلـــوم مَفخـــرةٌ ... والبـــذلُ فيهـــا لمـــن قـــد آمنـــوا دَأَبُ

هـــل الألـــى علمـــوا يومـــاً كمـــن جهلـــوا؟ ... هـــل اســـتوى الســـيفُعند الطّعـــن والـــذرب؟

هـــذا الختـــام ، فكـــن بالنصـــح منتفعـــاً ... إن الأريـــبَ إلـــى النّصـــاح يَنجـــذب

واللهُ أعلـــم بالنيّـــات ، يـــا ولـــدي ... عســـى أكـــون بـــذلتُ – الآن - مـــا يجـــب

ودُمـــتَ قـــرة عـــينٍ للألـــى رشـــدوا ... ومَـــن معاصـــي المليـــك الخـــالق اجتنبـــوا

وعِشـــت ســـيفاً علـــى الأعـــداء منتبهـــاً ... لمَـــا يُحـــاك بنـــا ، تَـــرُد مـــا اقتضـــبوا

وسُـــدْت داعيـــة تَهـــدي الألـــى كفـــروا ... وتبـــذل الحـــق فـــيمن فيـــه قـــد رغبـــوا

مَـــن يرغـــب النـــور يبحـــثْ عـــن منابعـــه ... نعـــمَ المطالـــبُ والغايـــاتُ والرَّغـــب!

ولا تُطـــــوّعْ لطـــــاغوتٍ شـــــريعتنا ... وإن فعلـــتَ عليـــك الســـوءُ ينقلـــب

وأشـــهرِ الحـــق ســـيفاً لا اهتـــراءَ بـــه ... وبـــئس حـــقٌ علـــى الجُهـــال مُقتضـــب!

وأدْن كتْبـــك كـــي تمـــتص زُبـــدتها ... فيهـــا الحِـــلابُ ، فمـــن يســـعى ويَحتلـــب؟

وأدْن أذنـــك للأفـــذاذ مَـــن علمـــوا ... لا يســـتوي البُعـــدُ عـــنهم قـــطَ والكثـــب!

واعمـــدْ إلـــى أســـس العلـــوم تدرسُـــها ... لا يســـتوي الجـــذعُ فـــي النخيـــل والخُلـــب

ســـلامُ ربـــك منـــي دائمـــاً أبـــداً ... عليـــكَ مـــا رُفعـــتْ لربنـــا القُـــرب

وصـــلّ رب علـــى الرســـول مـــا بقيـــتْ ... نفـــسٌ لـــدينك - بـــين النـــاس - تنتســـب

وصـــلّ رب علـــى آل لـــه نجُـــب ... فـــآلُ (أحمـــدَ) - فـــي هـــذي الـــدنا - النّجـــب

وصـــلّ رب علـــى أزواجـــه أبـــداً ... هـــن الطهـــارة والإحســـانُ والأدب

وصـــلّ رب علـــى أنصـــاره الحُنفـــا ... مَـــن - بالصـــورام أعـــداءً لـــه - ضـــربوا

وصـــلّ رب علـــى مَـــن هـــاجروا معـــه ... مَـــن فـــارقوا الأهـــلَ والأمـــوالَ ، واغتربـــوا

وصـــلّ رب علـــى الأصـــحاب قاطبـــة ... مَـــن دينَـــه اتبعـــوا ، وشخصَـــهُ صَـــحِبوا

بعض معاني الكلمات غير المطروقة

هامتها: رأسها. • النوب: جمع نائبة وهي المصيبة العظيمة. • بيضها الصيب: أي السيوف الماضية الصائبة. • القضب: أي القضبان. • جور: ظلم. • يقتصب: يقتطع بالسيف. • الفارس الضرب: شديد الطعن للأعداء. • الودب: القحط والتضييق. • ضارعة: خاشعة. • الأشلاء: بقايا الجسم. • التُّرب: جمع تربة ، وهي القبر. • ترثي: تأسف وتحزن. • العصب: الجماعات. • الدجى: الظلام. • جلب: أي ضوضاء. • أديم الأرض: وجه الأرض الظاهر من الثرى. • جيش

لجب: ذو بأس شديد. • التبب: التدمير والهلاك. • السلب: الشئ المسلوب. • تكتتب: أي تساهم وتشارك. • يحترب: يقاتل. • تضارعها: تماثلها. • صبب: أي كثير الماء. • القياصر: جمع قيصر وهو لقب حاكم الروم. • الحنق: شدة الغضب. • اعتصبوا: اجتمعوا على أمر ما. • الكلْب الكِلب: أي المجنون العقور. • الوغى: الحرب. • زمر: جمع زمرة وهي الجماعة من الناس. • غرب: جمع غراب. • مرتع خصب: أي أنه خصيب غني بالمرعى. • الشهب: جمع شهاب. • الأشطان: الأحبال. • الطنب: أوتاد الخيمة التي تثبتها بالأرض. • يستلب: يُسلب. • رسبوا: سقطوا. • يرتعب: ينتفض ويرتعش. • الحجب: جمع حجاب. • النقب: صحراء في أرض فلسطين. • رُقب: رُقباء ، جمع رقيب. • عتب: عتاب ولوم. • المعامع: المعارك. • اليلب: الدرع. • خالدنا: أي خالد بن الوليد – رضى الله عنه -. • الندب: جمع ندبة وهي التوجع. • العجاج: غبار الحرب الثائر. • اللجب: صوت الحرب. • المُدية: السكين الصغيرة الماضية. • التدجيل: الدجل. • المعايير: جمع معيار وهو المقياس. • اللبب: الذكاء. • الشطب: السيف فيه الشطب كناية عن كونه حاداً ماضياً. • إيلام: ألم. • الوطيس: شدة القتال. •الشغب: الطعن الشديد في المعركة. • الخبب: ضرب من العدو مثل الرمل وهو تقارب الأقدام مع قصر الخطا. • الحدب: خروج الظهر ودخول البطن من شدة النحافة. • ملحمة: معركة. • العكب: هو عدم الإفصاح عياً أو قصداً. • الصرب: هو اللبن الحقين الحامض. • عيب: جمع عيب وهو الخلل في الشئ أو القول أو الفعل. • الحبب: تنضد أسنان ليكون ماضياً. • الصهب: الحمرة أو الشقرة في الشعر. • الشبب: ارتفاع الشئ. • الخدب: أي الهوج والتسرع بلا تخطيط أو روية. • الرتب: الوظائف التي يتقلدها المرء بين الناس. • بُلهينة: سعة العيش. • الحِسبَ: جمع حسبة وهي من الاحتساب أي ارتقاب الأجر والمثوبة عند الله تعالى. • العُكُب: العناكب ووحداتها عنكبوت. • القصب: هو قصب السكر المعروف. • القُلُب: جمع قليب وهو البئر. • السرب: الحُفيرة تحت الأرض. • الشخب: الدم السائل من الجرح. • الشذب: قشور لحاء الشجر. • الجُرب: جمع جراب. • القبب: القباب ووحداتها قبة. • حلب: نوق حلب أي هي كثيرات الحليب وغزيراته. • الذرب: إزميل الإسكافي. • الكثب: القرب. • الطاغوت: كل ما عبد من دون الله وهو راض بالعبادة. • الحِلاب: الحليب. • أسس العلوم: أي أصول وقواعد وضوابط هذه العلوم.

صليبية جديدة (معارضة للشاعر سالم النوبي)
(مرثية على لسان سراييفو)

(دافعنا عن فن المعارضة من قبل ونحن نقدم في هذا الديوان لقصيدتنا التي نعارض فيها حافظ إبراهيم ولا داعي للتكرار. واليوم نعارض الشاعر القدير / سالم محمد سالم النوبي. وما هذا إلا لأنه عندما قرأ معارضته لحافظ عليّ في بيته بعجمان في الإمارات وعدته أنني سأعارضه. فكانت هذه المعارضة الشعرية: مرثية جنائزية على لسان سراييفو والتي أعزفها على ألحان الانتصار للحنيفية السمحة من مجازر الصليبية الجديدة لأهل التوحيد ، أهديها بكل الحب لأستاذنا الشاعر الكبير / سالم محمد سالم النوبي وذلك لأعارض بها قصيدته: صليبية جديدة ، والتي مطلعها:

أشـــــعلوها عَـــــداوة ومَـــــرارا أيقظوهـــــا بليـــــة وسُـــــعارا

وإنه شرف المحاولة الذي يحدوني دائماً عندما أعارض الشعراء. وإن ذكرياتنا هنا في (عجمان) لا يمكن أن تنسى ما حييت وما كتبت وأنشدت من الشعر. فكم تجاذبنا أطراف الحديث حول الشعر والشعراء ، إلى أن أسمعني من شعره مرثية سراييفو ، فوجدتني أنشد من شعري هذه القصيدة التي تحمل في طياتها لواعج الحزن والأسى ، على سراييفو تللك المدينة المنكوبة الحزينة.)

أمطِرونـــــا بالعائـــــداتِ مِـــــرارا وتمـــادُوا فـــي حَـــيفكم يـــا سُـــكارى

وامكـــروا أهـــلَ الصـــليب ، وجـــدّوا واجعلـــوا الظلـــم جُنـــة وشِـــعارا

وانفخـــوا فـــي الجمـــر الســـعير طـــويلاً واســـتبدوا كـــي تمـــلأوه سُـــعارا

واغمـــروا الأرض بالمـــدامع تُـــردي مَـــن عليهـــا عمـــداً ، ودُكّـــوا الـــديارا

ثـــم روّوا الشـــر البغـــيض مليـــاً واجعلـــوا مـــن (حفـــظ الســـلام) سِـــتارا

واهتكـــوا الأعـــراض الشـــريفة ظلمـــاً فبنـــاتي - بعـــد التشـــفى - عـــذارى

واقتلـــوا الأطفـــال البريئـــة جهـــراً وانتقـــامُ الجبـــار يـــأتي جهـــارا

واجعلـــوا الليـــل بالقنابـــل يضـــوي وانتصـــار القهـــار يـــأتي نهـــارا

واحرقـــوا العمـــران الـــذي فـــي قرانـــا وازرعـــوا فـــي شـــتى الربـــوع البـــوارا

لـــن تُبيـــدوا الإســـلام فـــي فلـــذاتي فعلـــوُ الإســـلام أمســـى مَنـــارا

وشـــموخ الإيمـــان فـــوق تلالـــي جعـــل الغـــرب حـــائلاً يتمـــارى

تـــدّعون الإنصـــاف يـــا مـــن ظلمـــتهم ورحـــاكم فـــي الظلـــم لـــيس تُجـــارى

وحقـــوق الإنســـان فـــيكم أهينـــتْ كـــم شـــربتم مـــن الـــدماء بحـــارا!

ورفعتم سيف التحدي غروراً ... ونثرتم - فوق الأنام - الضِرارا

وصليبُ الأحقاد أشعل ناراً ... إنه في التدمير ليس يُبارى

واسألوا البلقان الكسيرة هذي ... إيه يا بلقانَ الشعوب الحيارى

صابري ، واللهُ القدير يراهم ... واصمدي للمستكبرين النصارى

وعِقاب الظلم المَرير سيأتي ... وسيضطروا للمنايا اضطرارا

سوف تَطوي الصربَ الذئابَ البلايا ... لن يُلاقوا عن الحِمام خِيارا

ليت شعري ، كيف استبدوا بشعبي؟ ... أسمعتم بالأرض تطفح نارا؟

هل سمعتم بالطفل يُشوي ويُرمي ... في مفازات الأرض ثم يُوارى؟

هل سمعتم بالدار تغدو ركاماً ... ولواها أمسى يعاني انهيارا؟

ثم تحت الأنقاض ماتت فئامٌ ... ما استطاعتْ - من الخراب - فرارا

وصبايا عند الأعادي سبايا ... كم سُقين - من الكلاب – المَرارا!

أسمعتم بالنفط ينسف عدْوا؟ ... والعصافيرُ أمست تعاني اندحارا

أيها الغرب المستهينُ ببأسي ... سوف أغدو لحداً يضم الكِفارا

وسراييفو في النزال جحيم ... بدماء الصلبان يَرْوي القِفارا

هل علمتم عزمي وشدة عِزي؟ ... بات قومي للصرب حقاً جدارا

لم يخافوا الأوغاد طرفة عين ... رَبّ زدنا نصراً ، وزدهم تبارا

غرّهم حِلمُ الربِّ حتى استبدوا ... رَبّ زدْهم هزيمة وخسارا

صياغة معاصرة لمعلقة عمرو بن كلثوم ألا لا يسألن

(ألا إن تأثر الشاعر بشعر الآخرين أمر وارد وطبيعي. فإن كان هؤلاء الآخرون ممن أبدعوا في الشعر! بل هم في الذروة من فحولة الشعراء ، فإن تأثر الشاعر بهم يكون أكبر وأعمق. وإعجابي بشعر الجاهلية كان مبكراً للغاية. ربما كان قد سبق كتابتي للشعر الجيد بسنوات. وإنني أجزم بأن هذا الإعجاب كان في عام 1978-1979م ، منذ كنت أدرس في الصف الأول الثانوي. وقررت الوزارة علينا في كتاب اللغة العربية ، وتحديداً في كتاب (النصوص الأدبية) أكثر من مقطوعة لأكثر من شاعر مثل زهير وعنترة والنابغة الذبياني وعمرو بن كلثوم والخنساء والسموأل وغيرهم. واعتدتُ أن أذهب إلى مكتبة المدرسة ، وهناك كان التعرف على القصائد كاملة وسير شعرائها. إلى أن تأثرتُ جداً بمعلقة عمرو بن كلثوم بن مالك التغلبي ، وكان لي ولع ولا يزال إلى يوم الناس هذا بشعر العرب في جاهليتهم ، حيث الجزالة والقوة من جهة وحسن السبك والتركيب من جهة أخرى. وكلما تذكرتُ سيرة عمرو بن كلثوم تأثرتُ أكثر. فلقد نشأ في قبيلة تغلب بالجزيرة الفراتية ، ونشأ ذكياً نابغاً نابهاً ، حيث إنه ساد قومه وعمره لم يتجاوز الخامسة عشرة ، وكان على قيادة الجيوش ، وكان عمرو بن هند ملك الحيرة قد أصلح بين قبيلة تغلب وبين قبيلة بكر بن وائل بسبب حرب البسوس ، وذات يوم أنشد شاعر بكر (الحارث بن حِلزة اليشكري) قصيدته المشهورة ، وما أن فرغ منها حتى ظهر لعمرو بن كلثوم أن هوى الملك عمرو بن هند ملك الحيرة مع قبيلة بكر ، فانصرف عمر بن كلثوم وفي نفسه من الألم الشيء الكثير. وزاد الأمر غيظاً وكمداً أن عَمْراً بن هند أراد أن يُذل عَمْراً بن كلثوم أكثر من ذلك ، فدعاه وأمه ليلى بنت مُهلهل ، ثم أغرى أمه أن تستخدمها في قضاء أمر ما ، فصاحت ليلى قائلة: واذلاه ، فثار بعمرو بن كلثوم الغضب ، فقتل عمراً بن هند في مجلسه ، ولم يعبأ بكونه ملكاً. ثم رحل في الحال إلى بلاده بالجزيرة الفراتية ، وأنشد معلقته النونية هذه المعروفة. فتذكرتُ نخوة العرب وإباءهم وأنفتهم ، وقارنت ذلك بحالنا اليوم ، وعارضتُ قصيدة عمرو بن كلثوم بصياغة جديدة تناسب الحال المُزري الذي يندى له الجبين! وإذن فهذا شرف المحاولة يحدوني ، فأنا وإن لم أبلغ شأو ابن كلثوم ، فأراني قد أعدت صياغة قصيدته صياغة معاصرة ليس في قالب الوصف ولا الفخر! بل من باب المحاكاة ومحاولة المقارنة بين الحالين والظرفين: حال العزة وحال الانكسار! وبالطبع لا نجيز القتل بالصورة التي فعل عمرو بن كلثوم! وإنما الذي استهواني في قصيدته أنه رسم صورة للإباء والعز كان عليها الأولون ، وانحرف عنها الآخرون! وذلك رغم أن الله أعز الآخرين بما يعزهم ، بالإسلام!)

ألا لا يســـــألنْ أحـــــدٌ علينـــــا ... فإنـــــا فـــــي انحـــــدار الجاهلينـــــا

تركنـــا الـــوحْيَ ـ خلـــف الظهـــر ـ عمـــداً ... وآذينـــــا الهُـــــداة المُهتـــــدينا

وحاربْنـــــا الهدايـــــة فـــــي مضـــــاءٍ ... وبتنـــــا للـــــدنايا معلنينـــــا

وغيّبنـــــا الشـــــريعة فـــــي قرانـــــا ... وضـــــيّعنا الحنيفـــــة والعرينـــــا

وبـــــدّدنا يواقيـــــت الأمـــــاني ... وحطمنـــــا ســـــيوف الفاتحينـــــا

ودمرنـــــا الحواضـــــر والبـــــوادي ... وأذهبنـــــا بـــــذا العـــــز المكينـــــا

(أبـــا هنـــدٍ فـــلا تعجـــلْ علينـــا وأنظرْنـــــا نخبـــــرْك اليقينـــــا)

بأنـــا نأكـــل الـــذل اختيـــاراً ونأكـــل بعـــده القهـــر الغبينـــا

وأنـــا نشـــرب المأســـاة جهـــراً وبتنـــا للمخـــازي شـــاربينا

وأنـــا نســـتبيح الحـــق صـــدقاً ونكبتـــه لكـــيلا يســـتبينا

وأنـــا نســـتبد بكـــل رأي ولســـنا ننشـــد الـــرأي اليقينـــا

وأنـــا نقمـــع الأحـــرار منـــا وأنـــا نخـــذل الأبـــرار فينـــا

وأنـــا نحـــرق الأرحـــاب ظلمـــاً وأصـــبحنا عُتـــاة ظالمينـــا

وأنـــا نســـحق الأركـــان سَـــحقاً ونطـــرب أن غـــدونا فاتكينـــا

وأنـــا نهـــدم البنيـــان صـــدقاً ويبنـــي غيرنـــا المجـــد الحصـــينا

وأنـــا نـــذبح اليـــاقوت حقـــاً ونحتـــرم الضـــلال المســـتبينا

وأنـــا نســـفك الـــدمَ ، لا نبـــالي ومـــن إخلاصـــنا نكـــوي الأنينـــا

وأنـــا نقتـــل المظلـــوم فعـــلاً ونـــردي - فـــوق حفرتـــه - الجبينـــا

وأنـــا قـــد ملأنـــا الأرض عـــدلاً نحـــاكم – داخـــل الـــبطن – الجنينـــا!

وأنـــا المـــانعون لكـــل خيـــر وأنـــا القـــانطون إذا ابتلينـــا

وأنـــا الآمـــرون بكـــل شـــر ويـــأمر غيرنـــا بالقســـط حينـــا

وأنـــا فـــوق هـــذي الأرض أســـرى ويحيـــا غيرنـــا متحررينـــا

وأنـــا المُهْـــدرون لكـــل حـــق وبـــات النـــور منهزمـــاً ســـجينا

وأنـــا المـــاحقون لكـــل نصـــر وبـــات البـــذل فينـــا مســـتكينا

وأنـــا الهـــازلون إذا نشـــطنا وينشـــط غيرنـــا حتـــى بُلينـــا

أبـــا هنـــدٍ ، فأبشـــرْ نحـــن صـــرعى نـــذوب – علـــى موائـــدنا - حنينـــا

ولمّـــا نفتكـــرْ فـــي هـــدي ربـــي فواعجبـــاً لقـــوم هازلينـــا!

(وقد علم القبائل من مَعَدٍ) بأنا قد ضللنا عابثينا

رسمنا صورة للزيف ثكلى وأمسى سُحقنا فينا كَنينا

وقدّمنا لعالمنا الرزايا وقدّمنا له الحال المَشينا

وآياتٌ لنا في الجور شتى وأمسى الزور - في دمنا - دفينا

شربنا - في الدغاول - كأس خِزي وبتنا – في الورى - متسكعينا

وشرّدنا الفضيلة في الفيافي ويذرف جيلنا الدمعَ السخينا

كأن الحيف مفروضٌ علينا وصار العيشُ مُسْوداً دجينا

نرقع بالضلال دجى هوانا ونؤثر أن نضِيع ، وإن نهينا

(إذا بلغ الرضيعُ لنا فِطاماً) نعلمه ضلال المارقينا

فلا يدري حلالاً من حرام ولا يدري سبيل المؤمنينا

وينشأ في دهاليز الخطايا فلا يدري منار المخلصينا

وعند شبابه يغدو سراباً ويحيا في تعلته رهينا

ويصبح - في ديار - القوم مَسخاً فلا يرقى لدرب الخالدينا

ولم يعرف لنور الخير درباً وعاش يردد اللحن الشجينا

ولم يشعر بآهات الثكالى ولم يحزن لحزن المسلمينا

كذاك حكى (ابن كلثوم) كلاماً تولى عهده في البائدينا

تحوّلت الديار إلى وهادٍ ترد الحق والهَدي المبينا

لها - في الهزل - ألسنة حِدادٌ وعند الجد نصبحُ صامتينا

ألا هل مبلغ عنها (زهيراً) بأن لسانها أمسى طعينا

لها في كل منتجع كلامٌ يفصّل عُجمة ، ويفيض طينا

ألا والموج منهمرٌ عليها ولا تدري السبيل أو السفينا

أبا هندٍ لقد شمت الأعادي وسار القوم خلف المفلسينا

وتســـــقط قيمـــــة ، وتمـــــوت أخـــــرى وتنتحـــــــر الفضـــــــائل أجمعينـــــــا

وأهـــل الضـــاد ســـادوا ، ثـــم ضـــاعوا وصـــــاروا فـــــي عِـــــداد البائـــــدينا

وهـــــذي ضـــــادهم تشـــــكو ركـــــوداً تنـــــام علـــــى لهـــــاث الأرذلينـــــا

ويرتـــــزق الغفـــــاة بهـــــا كثيـــــراً ويقمعهـــــا الجهـــــولُ فلـــــن تبينـــــا

ويطعنهـــــا الجفـــــاة بكـــــل كيـــــدٍ إلـــــى أن شـــــوّهوا الســـــمط الثمينـــــا

أبـــــا هنـــــدٍ وحـــــل السِـــــلمُ هـــــدياً وأكـــــرمْ بالرشـــــاد المحـــــض دينـــــا!

وعـــــمّ القـــــومَ خيـــــرٌ لا يُبـــــارى وبـــــــاتوا ســـــــادة مترفعينـــــــا

وفـــــي أيامنـــــا شـــــقيَ البرايـــــا وغـــــاب الســـــلم عـــــن دنيـــــا العمينـــــا

شـــــهامتكم أبـــــا هنـــــدٍ مَحَوْهـــــا وصـــــاغوا بعـــــدها مَســـــخاً مَشـــــينا

تفـــــرّق شـــــملهم فـــــي الأرض فعـــــلاً وبـــــــاؤوا بالمذلـــــــة خائبينـــــــا

رضـــــوا بتخلـــــفٍ عـــــن كـــــل خيـــــر ومـــــا عاشـــــوا بمجـــــد الســـــابقينا

ســـــواهم - فـــــي ذرى العليـــــاء - يشـــــدو وهـــــم - فـــــي الوحـــــل - بـــــاتوا راتعينـــــا

فواعجبـــــاً تخلـــــف ركـــــبُ قـــــومي وخـــــالف - فـــــي الـــــورى - الـــــوحي الأمينـــــا

وخـــــالف عـــــن تقاليـــــد وعُـــــرفٍ وضـــــيّع بالأباطيـــــل المعينـــــا

يمـــــينَ الله أنكـــــرتُ كثيـــــراً أبـــــا هنـــــدٍ فصـــــدّق ذا اليمينـــــا

ولـــــم يعمـــــل بمـــــا أفصـــــحتُ أهلـــــي وضـــــاع الأجـــــرُ أجـــــر العاملينـــــا

فأقصـــــرْ يـــــا ابـــــن كلثـــــوم ، شـــــبعنا فلســـــنا - فـــــي ســـــماعك - راغبينـــــا

وخفـــــف مـــــن علـــــو الصـــــوت هـــــذا فلســـــنا نشـــــتري مـــــن يفتـــــدينا

عزمنـــــا أن نمـــــوت بغيـــــر ذكـــــرى وفـــــي الهلكـــــى ترانـــــا الأولينـــــا

ألا لا تخبـــــرنْ أحـــــداً علينـــــا فلســـــنا فـــــي الهـــــوان الآخرينـــــا

ســـــبقنا الكـــــل فـــــي كـــــل انحطـــــاطٍ وســـــرنا فـــــي خِضـــــمّ المُعرضـــــينا

أبـــا هنـــدٍ لقـــد ذهبـــتْ (قـــريشٌ) و (تغلـــبُ) قـــد مضـــتْ فـــي الـــذاهبينا

وأعـــــرافُ اليعـــــارب زيفوهـــــا وعـــــاش القـــــوم كالمتغرّبينـــــا

فـــلا هُـــمْ مـــن (قـــريش) أو (غِفـــار) وليســـــوا بـــــالمهيمن مؤمنينـــــا

وليســـــوا مـــــن تقاليـــــدٍ نسَـــــوْها وليســـــوا مـــــن فريـــــق الصـــــالحينا

وقـــــد أحرجـــــتَ بالأشـــــعار قـــــومي بمـــــدح العُـــــرْب والمُســـــتعربينا

فتحـــــتَ البـــــاب بالشـــــعر افتخـــــاراً لأمـــــك قـــــد ثـــــأرتَ ، فكـــــن معينـــــا

دمَ البـــــاغي ســـــفكتَ ، ولـــــم تؤجـــــلْ محـــــوْتَ العـــــار مـــــن قلـــــب أهينـــــا

رفعـــــت اســـــم (تغلـــــبَ) فـــــي البرايـــــا ســـــحقتَ تعـــــاظم المســـــتكبرينا

فهـــــلا تنظـــــرنّ لـــــذل قـــــومي وقـــــد ســـــالت دمـــــاءُ المخبتينـــــا؟

تمهـــــلْ يـــــا ابـــــن كلثـــــوم علينـــــا ألا واكـــــبح زيـــــوف الزاعمينـــــا

فليســـوا – قـــط – منـــك ، ولســـت مـــنهم مَشـــيتم يَســـرة ، ومَشـــوْا يمينـــا

أعَـــدتُ صـــياغة الشـــعر احتســـاباً مُعلقـــة تشـــوق المُنصـــفينا

صرخة في ضمير الأمة (معارضة شوق ودماء لعدنان النحوي)

(سبق وأن التقينا سماحة الوالد الدكتور الشاعر عدنان النحوي – حفظه الله - في قصائد شعرية كان أولها (لا يطفئ النار الرماد) أو (برقية عزاء إليك يا عدنان) ، وكان اللقاء الثاني في القصيدة الرائية (أبلغت يا عدنان وأوجزت) ، وكان اللقاء الثالث في المعارضة الشعرية (لآلئ الشعر) ، ويحين اليوم اللقاء الرابع في قصيدتنا (صرخة في ضمير الأمة) ، وهي معارضة شعرية لقصيدة الدكتور عدنان: (شوق ودماء) والتي كتبها يبكي فيها على محنة البوسنة والهرسك. فجزا الله خيراً من بكى ، ونصر من بُكي عليهم من أهل الإيمان. وجدير بالذكر أنْ أشير إلى أن دموع الشعراء تختلف عن دموع الناس العاديين ، لأن دموع الشعراء يجب أن تكون شعراً يَقرع مسامع أهل الزمان إلى قيام الساعة! وأذكر أن تأثري بأحوال أمتنا يعود إلى الواقع المزري الذي نعيش وقد طمع فينا وتكالب علينا القردة والخنازير وعبد الطاغوت. وتأثرتُ بما أنشد أبو مازن منذ ما يزيد على سبعة عشر عاماً هي منتصف عمري اليوم تقريباً. فلقد أنشد من شعر البطولة يقول:-

لـــولا الرســـول وشـــرع الله مـــا بزغـــتْ ... شـــمسٌ لعُـــرب ، وصـــرحُ المجـــد لـــم يقـــم

الله أكبـــــــر قـــــــد دوتْ بكعبتنـــــــا ... يـــــا رايـــــة الله خفقـــــا فـــــي ســـــمائهم

عـــارٌ علـــى أمـــةٍ دان الوجـــود لهـــا ... أن يســـــتبيح حماهـــــا خـــــائنو الـــــذمم

كنـــــا أســـــاتذة الـــــدنيا وســـــادتها ... مـــا بالنـــا اليـــوم أصـــبحنا مـــن الخـــدم

لا ، لســـتُ أرضـــى مـــن التـــاريخ ملحمـــة ... إن كـــان فيهـــا مـــدادٌ مـــن زهيـــد دمـــي

يـــا موكـــب النـــور ، هـــل تخبـــو مواكبنـــا ... إنـــــي لألمحهـــــا مـــــوّارة الحمـــــم

هـــا ألمـــح الليـــل قـــد حانـــت نهايتـــه ... لا يشـــرق الفجـــر إلا فـــي دجـــى الألـــم

وظلتْ هذه الأبيات الجميلة في تشخيص الواقع الأليم لأمتنا تعمل أثرها في قلبي حتى كتبتُ (نهج نهج البردة) وكنت تحدثت فيها الشيء الكثير إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وتحدثتُ الشيء الكثير إلى هذه الأمة البائسة المنكوبة ، وتذكرت عز الإسلام وصولته بالأمس القريب ، وقارنتُ هذا بحالها اليوم ، فأدركتُ أنها مؤامرة على الإسلام. وأتحفني أبو مازن بقوله عن موكب النور:-

يـــا موكـــبَ النـــور بـــددْ حالـــك الظلـــم ... فأمـــــة الحـــــق لـــــم تهـــــدأ ولـــــم تـــــنم

هـــذي الزحـــوف أبـــو الزهـــراء قائـــدها ... صـــــرح الجهالـــــة باســـــم الله فانهـــــدم

قـــم يـــا بـــلال ، وأعلنهـــا مدويـــة ... أن الحقـــود عـــن الإيمـــان جـــد عمـــي

العـينُ بـالعين ، واصـفعْ كـل طاغيـةٍ واثـــأر لحقـــك ، لا بهتـــان ، وانـــتقم

دخلـــت مكـــة ، والرايـــاتُ خافقـــة لـــو شـــئت أسـلمتها للحـــرق والعـــدم

عفـــوت لمّـــا رأيـــت العـــين دامعـــة أخ كـــــريمٌ ، وأذرَوْا عبـــــرة النـــــدم

يـا منقـذ الكـون مـن جهـل أحـاط بـه لـــولا الهدايـــة مـــا ثرنـــا علـــى صـــنم

اليـــوم جئـــتُ إلـــى التـــاريخ أســـأله مـــا كـــان منـــه حـــديثاً أو بـــذي قـــدم

فمـــا وجـــدتُ لكـــم يـــا ســـيدي شَـــبَهاً هـــم فـــي الســـفوح وأنـــتم فـــي ذرى القمـــم

هـــذي مبـــادئهم فـــي شـــرعنا عـــدمٌ شـــتان شـــتان بـــين النـــور والظلـــم!

وأذكر جيداً أنني كنتُ أتغنى بهذه الأبيات منذ سبع عشرة سنة تقريباً ، فأسعد بها أيما سعادة. إلى أن طالعتُ القصيدة الماسية اللؤلؤية (شوق ودماء) تلك المعلقة النحوية للدكتور عدنان ، وذلك في مجلة (الأدب الإسلامي) فسعدتُ بها سعادة غامرة! وكلما طالعتها دمع القلب قبل العين والضمير. وخاصة مطلعها البهيج المشرق الحاني الذي يُلخص ويُمحور ويُصور آلام الأمة:-

يـــا لهفـــة الشـــوق دوى مـــن معاقلـــهِ شـــــوقاً ترجّعـــــه الآفـــــاقُ والعُصُـــــرُ

وأسأل الله تعالى أن يبارك في الدكتور عدنان وفي قلمه وشعره وأدبه ودعوته ، وأن يرزقنا وإياه حسن الخاتمة ، وأن يدخلنا وإياه الجنة. وأنا إذ أعارض الدكتور عدنان فلي وزني وحجمي الذي لا يقارَن بوزن الرجل وحجمه ، ولكنه شرف المحاولة يحدوني دائماً! وشرفٌ لي أن أقتدي بعبقري كالدكتور عدنان من أن أقتدي بصعلوك من صعاليك العلمانية والتغريب! وقريباً جداً أرسل بهذه المعارضة للدكتور عدنان ليُتحفني برأيه فيها! ولكن ليس بعد أن تستقر عندي سنة أنقحها وأحققها وأضيف إليها وأحذف منها ، حتى إذا ما عُرضت على الدكتور عدنان بعد أن يحملها البريدُ إليه ، تكون في المستوى اللائق به وبها وبي وبشعري!)

يـــا أمـــة الحـــق ، إن الحـــق يســـتعرُ والجيـــلُ يدهمُـــه التـــدميرُ والخطـــرُ

حتـــى متـــى – فـــي اللظـــى – نجتـــرّ حســـرتنا حزنـــاً ، ويقمعنـــا – فـــي المحنـــة – الكـــدر؟

حتـــى متـــى لجـــجُ البأســـاء تســـحقنا ويســـتبيح دمانـــا الجوقـــة الفجُـــر؟

حتـــى متـــى ألـــمٌ يُـــودي بفرحتنـــا؟ حتـــى متـــى الـــدمعُ فـــي الأحـــداق منهمـــر؟

حتـــى متـــى تأكـــلُ الـــزلات عزمتنـــا ويســـتبد - بنـــا - الإفـــلاسُ والخـــوَر؟

حتـــى متـــى تـــذهب الطاقـــاتُ ثاويـــة فـــي الـــوهم ، والأمـــلُ المنشـــود ينـــدثر؟

حتـــى متـــى يُطفـــئ الأعـــداءُ جـــذوتنا ... والجيـــلُ – مـــن خمـــرة الأعـــداء – مغتمـــر؟

حتـــى متـــى يقتـــل البـــاغون عزتنـــا ... ويُصـــبح الأمـــر مـــا أعـــداؤنا أمـــروا؟

حتـــى متـــى أرضـــنا تغتـــال مُعلنـــة ... فينـــا الضـــياعَ ، وفيهـــا الكفـــرُ يتجـــر؟

حتـــى متـــى الـــدار فـــي أوحـــال خيبتهـــا ... تهـــذي ويصـــدح - فـــي أصـــقاعها - الغجـــر؟

حتـــى متـــى يحصـــد العـــادون هِمتنـــا ... وجُرحُنـــا مـــن أســـى تخميشـــهم بثـــر؟

حتـــى متـــى نشـــرب المأســـاة فـــي شـــرهٍ ... وبعـــدُ - بـــالخِزي والتغريـــر - نفتخـــر؟

حتـــى متـــى نقتـــدي بـــالكفر فـــي عمـــهٍ ... وفـــي دروب الخنـــا يحلـــو لنـــا الســـفر؟

حتـــى متـــى نجعـــل الضـــلاّل أســـوتنا ... وفـــي زرائـــبهم يحلـــو لنـــا الســـمر؟

حتـــى متـــى خفـــرُ الطـــاغين ترقبُنـــا؟ ... ومـــن عيـــونهمُ تقطـــرَ الشـــرر!

حتـــى متـــى القيـــدُ ، والأغـــلالُ جاثمـــة؟ ... وكـــم أذل الـــورى الطـــاغوتُ والخفـــر!

حتـــى متـــى الـــدمعُ فـــي الأكبـــاد مُحتـــبسٌ؟ ... متـــى يجـــف؟ متـــى تعنـــو لـــه البُشُـــر؟

حتـــى متـــى النـــوحُ يفـــري بأسَـــنا بطـــراً؟ ... هـــذا النشـــيجُ متـــى يُـــزوى ، وينجـــذر؟

حتـــى متـــى الآهـــة الثكلـــى تُجَرّعنـــا ... كـــأسَ الهـــوان؟ وهـــل فـــي ذاك مزدجـــر؟

حتـــى متـــى لوعـــة الأشـــجان تقهرُنـــا؟ ... هـــذا النحيـــبُ متـــى يُطـــوى ، وينـــدثر؟

حتـــى متـــى البـــؤسُ يســـري فـــي ترائبنـــا؟ ... وفـــي الترائـــب مـــاءُ العـــيش ينصـــهر

حتـــى متـــى المـــوتُ يســـعى خلفنـــا قـــدُماً ... كـــيلا يكـــون - لنـــا فـــي دارنـــا - أثـــر؟

حتـــى متـــى زمَـــرُ البـــاغين تحكُمنـــا ... كأننـــا – عنـــد هـــذي الطغمـــة – الحُمُـــر؟

حتـــى متـــى الضـــيمُ يستشـــري ، فيخنقنـــا ... ونحـــن - فـــي قضـــمِه بـــين الـــورى - صُـــبُر؟

يـــا أمّـــة الحـــق ، بـــات الحـــق منجـــذلاً ... وإن قلبـــي لمَـــا عانيـــتِ ينفطـــر

آســـى علـــى الـــدار باتـــت فـــي انتكاســـتها ... وقومُنـــا - فـــي عيـــون المُعتـــدي - صـــغروا

أبكـــي علـــى سُـــؤدَدٍ - بـــالطين - مُلتصـــق ... وأهلـــه – فـــي دجـــى أهـــوائهم - زمَـــروا

أيـــن الممالـــك: مـــن ريـــفٍ ومـــن حضـــر؟ واليـــوم سُـــلمَ ريـــفُ الـــدار ، والحضـــر!

وأيـــن (قرطبـــة) ، والعلـــمُ رائـــدها؟ وكســـرُها – اليـــوم - لا ألقـــاه ينجبـــر

وأيـــن (بغـــدادُ) ، والمنصـــورُ يحكمهـــا؟ ومـــدّها نشـــط ، ولـــيس ينحســـر

وأيـــن ولـــت - بـــلا عَـــوْدٍ – (طليطلـــة)؟ وكـــان - مـــن حُســـنها - الجمـــالُ ينبهـــر!

وأيـــن - فـــي جوهـــا الحـــاني – (بلنســـية) يزجـــي الأريـــجَ بهـــا الزيتـــونُ والشـــجر؟

وأيـــن (جيّـــانُ) ، زانَ العلـــمُ زائرَهـــا؟ فتلـــك بـــالعلم والتعلـــيم تشـــتهر

وأيـــن (مَرسِـــيّة) فـــي أوْج زينتهـــا يفـــوحُ منهـــا الصِـــبا والنـــور والعُطـــر؟

وأيـــن (قرطـــاجُ) لـــم تصـــدحْ مآذنهـــا بـــواعظ الحـــق ، فـــي تـــذكيره الثمـــر؟

و(إشـــبلية) أيـــن – اليـــوم - رونقهـــا يُهـــدي الحيـــاة لمـــن - فـــي قلبـــه - بصـــر؟!

و(القيـــروانُ) خبـــا نجـــمٌ ينوّرهـــا واليـــوم عربـــد فيهـــا العَيـــرُ والتتـــر

فكيـــف غابـــت - عـــن الأنظـــار - وحـــدتنا؟ وهـــل يُعيـــد العُـــرى والأرضَ مـــؤتمر؟

وكيـــف حطمنـــا أهـــلُ الصـــليب ضـــحىً حتـــى غـــدَوْنا - إلـــى الحضـــيض - ننحـــدر؟

ثـــم انطلقنـــا - مـــن الأعمـــاق - نشـــكرهم ووجُهنـــا - مـــن لظـــى الإطـــراء - منضـــمر

لـــذاك ماتـــت - لمـــا نـــأتي - ضـــمائرُنا ولا يحالفنـــا - فـــي عيشـــنا - الظفـــر

لـــم نمتثـــلُ أمـــر قـــرآن ، فيرشـــدَنا حتـــى ترهلـــتِ الآمـــالُ والأصُـــر

ومالنـــا - لمعاصـــي الله - مـــدخرٌ ولـــيس - فـــي طاعـــة الـــرحمن - يـــدخر!

وخيرُنـــا - لكـــلاب الأرض - مرتصـــدٌ ولـــيس - للصِـــيد أهـــل الحـــق - يُحتكـــر

ودُورُنـــا - لنصـــارى الأرض - منتجـــعٌ وهْـــي الســـجونُ لمـــن – للـــدين - ينتصـــر!

تقاســـموا أرضـــنا فـــي كـــل خندمـــةٍ ونحـــن - عـــن حـــربهم - ننـــأى ، ونعتـــذر!

ولـــم نحـــاول ، لأن الفـــن ثبّطنـــا وكيـــف يـــنهض مـــن أودى – بـــه - العَهـــر؟

ومـــا تبقـــى - مـــن التفكيـــر - زلزلـــهُ فينـــا التهتـــكُ ، والأفـــلامُ ، والســـكَر

ومـــا تبقـــى - مـــن الأخـــلاق - خردلـــة إذ المجـــونُ لهـــا الأرمـــاسَ يفتحـــر!

إنـــي لأعجـــبُ كيـــف الأمـــة انحـــدرتْ؟ وكيـــف باتـــت - مـــن الآلام - تحتضَـــر؟

وهـــل ســـبيلٌ إلـــى عِـــز يُقرّبهـــا مـــن المليـــك ، فتحيـــا ثـــم تزدهـــر؟

وهـــل يعـــود لهـــا مـــا كـــان يرفعهـــا فـــوق البرايـــا؟ فـــنعم المأمـــلُ العطـــر!

وهـــل ستمضـــي ذئـــابٌ أهـــدرتْ غـــدها مـــن الـــذين – علـــى تـــدميرها – سَـــهروا؟

وهـــل ســـتدحَرُ غـــاراتٍ تنـــوء بهـــا؟ وهـــل تحاســـبُ مَـــن مِـــن دينهـــا ســـخروا؟

وهـــل تعاقـــب مـــن بـــاعوا شـــهامتها مـــن الـــذين – لهـــا الأجـــداث – كـــم حفـــروا؟!

وهـــل تـــؤدب مـــن صـــدوا كتائبهـــا عـــن الجهـــاد ، وبـــالخيرات كـــم ظفـــروا؟

وهـــل تحاســـبُ مـــن دكّـــوا كرامتهـــا مـــن الأســـافل مَـــن فـــي عَظمهـــا نخـــروا؟

وهـــل تحـــاكم – بـــالقرآن – مـــن فســـقوا ومـــن علـــى بأســـها المغـــوار كـــم حجـــروا؟

وهـــل تجاهـــد باســـم الله مـــن ظلمـــوا ومـــن بـــرب الـــورى فـــي الأرض قـــد كفـــروا؟

وهـــل ســـتوقف ســـيلاً فـــي حواضـــرها مـــن الجحـــيم أتـــى ، كأنـــه السُـــعُر؟

ســـيلاً يُحَـــرّق سُـــكناها ويابســـها فهـــل ســـيوقظها – فـــي المحنـــة – الضـــرر؟

ســـيلاً أراذلُ أهـــل الفـــن قادتـــه مـــن الـــذين - إلـــى قعـــر الخنـــا - انحـــدروا

فهـــل ســـتقمع مـــن شـــادوا هزائمهـــا مـــن الـــذين - بـــدين الأمـــة - اتجـــروا؟

وهـــل ســـتعلن - فـــي الـــدنيا - براءتهـــا مـــن الـــذين عليهـــا النـــارَ كـــم نثـــروا؟

وهـــل ســـتخرجُ مـــن أدغـــال محنتهـــا يومـــاً ، لتوقـــف مَـــن عـــاثوا ومـــن فجـــروا؟

وهـــل ســـتعزل مَـــن – بـــالكفر - قـــد حكمـــوا ومـــن بقـــانونهم – علـــى المَـــلا – جهـــروا؟

وهـــل ســـترجع – مـــن أعـــدائها - مُـــذُناً شـــب الضـــياعُ بهـــا ، والـــذلُ والقتـــر؟

وهـــل تعـــود لهـــدي الله مُعلنـــة توبـــاً إليـــه جميـــعُ الخلـــق تفتقـــر؟

وهـــل تطبّـــق شـــرع الله راضـــية؟ ولا تبـــالي بمـــن ضـــلوا ومـــن عهـــروا؟

وهـــل تعطـــر بـــالتقوى صـــنائعها لكـــي تُخللهـــا الخيـــراتُ واليُسُـــر؟

وهـــل ستشـــنق (شـــايلوك) الـــذي انـــدلعتْ ... نـــارُ الربـــا مـــن جنـــى كفيـــه تفتحـــر؟

وهـــل ســـتعدم (مـــارلينَ) التـــي ســـقطتْ ... وبعـــدُ تعـــدم مَـــن مِـــن أجلهـــا سَـــكِروا؟

وهـــل ستســـحق (فرعـــونَ) الـــذي شـــقيتْ ... بـــــه الممالـــــكُ والأصـــــقاعُ والبَشَـــــر؟

وهـــل ســـتذبحُ (قـــارونَ) الـــذي خســـفتْ ... بـــه الـــبلادُ ، وعـــمّ الخســـفُ مـــن بطِـــروا؟

وهـــل ســـتمحو الربـــا مـــن كـــل حاضـــرةٍ ... مهمـــا توعّـــدها – بـــالفقر – مـــن قهـــروا؟

وهـــل تبيـــدُ الزنـــا ، تنْجـــي رعيتهـــا ... مـــن الهـــلاكِ؟ أمـــا عنّـــتْ لهـــا النـــذر؟

إنـــي أســـائلُ تـــاريخ الألـــى ســـبقوا ... مـــن الـــذين - بكـــل الخيـــر - كـــم ظفـــروا!

كنـــا أســـوداً يخـــاف الخلـــق صـــولتنا ... والأرضُ تشـــهد ، والتـــاريخ ، والعُصُـــر

كنـــا الميـــامينَ فـــي سِـــلم وملحمـــةٍ ... لـــم يلـــو همتنـــا جُـــبنٌ ، ولا ختَـــر

كنـــا المغـــاويرَ لا تُطـــوى عزائمنـــا ... ودوننـــا النـــاسُ - فـــي أنـــاتهم - عثـــروا!

كنـــا الأســـاطينَ فـــي طـــب ، وفـــي فلـــكٍ ... والعلـــمُ - فـــي دارنـــا - يزهـــو ، وينتشـــر

كنـــا جهابـــذة فـــي كـــل معتـــركٍ ... كنـــا نظِـــل الـــورى ، إن طفـــتِ الهُجُـــر

كنـــا عبـــاقرة الـــدنيا وصـــفوتها ... ونحـــن فيهـــا الشـــذى ، والخيـــرُ ، والمطـــر

كنـــا المصـــابيحَ ، إن عـــم الـــدجى بلـــداً ... نجلـــو الظـــلام ، ومـــن يبغـــي هـــو الأشـــر!

كنـــا غِيـــاث الـــورى مـــن بعـــد خـــالقهم ... نقـــتص ممـــن طغـــى ، فـــالظلمُ منقعـــر

كنـــا الكِـــرامَ إذا أضـــيافنا نزلـــوا ... فنبـــذل الخيـــر إن أضـــيافنا حضـــروا

واليـــوم بؤنـــا بأوجـــاع تُشـــتتنا ... فيهـــا تنوعـــتِ الأدواءُ والصـــور

نحـــن الليـــوث علـــى إخواننـــا ، وعلـــى ... أعـــداء ملتنـــا – يـــا ويلنـــا - هِـــرر

نقلـــد الغـــربَ حتـــى صـــار قِبلتنـــا ... كأننـــا إذ نحـــاكي هزلـــه بقـــر!

يـــا أمـــة الحـــق: خـــافي الله ، وامتثلـــي ... أمـــر النبـــي ، فعُقبـــى المفتـــري ســـقر

إنـــي أعيـــذكِ – بـــالرحمن - أمتنـــا ... نحـــن الضـــعافُ ، وربُ الخلـــق مقتـــدر

وأصـــرخ – اليـــوم – فـــي تقـــوى ضـــمائرنا ... والشـــعرُ غيـــثٌ – علـــى أفيائنـــا - جـــوَر

وأجعـل – اليـوم – مـن (عـدنان) لـي مـثلاً ... مَـن لـم يعقـه – عـن التفعيلـة - الكِبَـر

ومَـن تعقـب ذؤبانـاً تحـيط بنـا ... لهـا المخالـبُ والأنيـابُ والظفُـر

وأشـهر السـيف لمّـا يكتـرثْ بهـمُ ... هـو الوحيـدُ ، وهـم فـي السـاح قـد كثـروا!

ولـم يُبـال بمـا صـاغوه مـن قـرفٍ ... أبـئسْ بمـا كتبـوا ، وبـئس ذي الزمـر!

وقـاد (عـدنان) بالأشـعار ملحمـة ... لـه جـوادٌ بهـا – علـى العـدا ضـبر

(عـدنانُ) ينشُـد (عـدْناً) عنـد خالقـه! ... وإن ذلـك أمـرٌ شـائكٌ وعِـر

يُجاهـد – الآن – بالأشـعار يُخرسـهم ... لكـي يُفيـق – مِـن العـدوان – مَـن سَـكِروا

فمـرة يكشـف (النحـويّ) عَـورتهم ... ومـرة يفضـح (النحـويّ) مَـن غـدروا

ومـرة يُهـدر (النحـويّ) بـاطلهم ... ومـرة - بعصـا التبيـان - ينتهـر

ومـرة يحـرق (النحـوي) جـوقتهم ... وبوركـت – فـي البرايـا – هـذه المِـرر

هـمُ الرمـادُ و(عـدنانٌ) مبعثـرهُ ... وذات يـوم سـيُطوى العـارضُ الغبِـر

وبـارك الله فـي (عـدنان) مـا كتبـتْ ... يمينـه مـا الـذي – فـي القلـب - يعتـور

قصـائدُ الشـعر نمّـتْ عـن مؤلفهـا ... وفـي مباسـمها الأنغـامُ والـذكَر

وسـوف تـنفخ فـي الأجيـال روحَ هـدى ... وسـوف تـذكُرها الأيـامُ والعُصُـر

لأن (عـدنان) فيهـا شـدّ مئـزرهُ ... فـلانَ للعـدن شـعرٌ جلمـدٌ عَسِـر

يـا ذي القصـائد أنـتِ اليـوم صـحوتنا ... إنـي لأشـهد أن (العـدن) مبتكـر

هـزي إليـك بجـذع الشـعر ، وارتقبـي ... تسـاقط الشـعر – فـوق الجيـل - ينهمـر

إنـي أعـارض (عـدناناً) ، أؤيـدهُ ... أطيـلُ شـعر الوفـا ، كأنـه الغمَـر

وأسـكبُ الصـدق فـي القرطـاس مـا نقشـتْ ... يراعـة الشـعر ، حتـى يعلـم البشـر

أنـي أدُل - علـى المعـروف - أمتنـا ... أريـدها – بهُـدى الإسـلام - تفتخـر

وأسـتبينُ الـذي كتبـتُ مُقتفيـاً ... آثـار مَـن - فـي لظـى أشـعارنا - انصـهروا

وأبـــذر الشـــعر فـــي صـــحراء أزمتنـــا ... ولـــيس يصـــرفني - عـــن بـــذره - الحـــذر

وأسْـــطرُ الآن – للتـــاريخ - سِـــيرتنا ... لـــو كـــان تنفعنـــا يـــا أمتـــي السِـــير!

ديـــوانيَ (الأمـــلُ الفـــوّاحُ) يشـــهد لـــي ... وشِـــعره – فـــي ديـــاجي أمتـــي - قمـــر

وإن قـــرأتِ (عزيـــز الـــنفس) فـــادّكِري ... فشـــعرُه مـــن لظـــى الآلام يعتصـــر

إنـــي رســـمتُ (نهايـــات الطريـــق) ، ولـــي ... بعـــضُ اجتهـــادٍ ورأيٌ فيـــك معتبـــر

وفـــوق قارعـــة الأحـــزان (قـــوقعتي) ... أدمـــى عواطفهـــا – فـــي ليلـــكِ - الســـهر

لأن مثلـــي عفيـــفُ الشـــعر فـــي زمـــن ... بـــالمؤمن العـــف كـــل الظلـــم يـــأتمر

واستشـــهدي مـــن (ســـويعات الغـــروب) ســـنا ... مـــن عـــاطر الشـــعر فيـــه النـــورُ والعِبَـــر

وبعـــدُ (ترنيمـــة للحـــب) قـــد نقشـــتْ ... فيهـــا اليواقيـــتُ والغايـــاتُ والفِكَـــر

ومـــن معـــين (ظـــلال الـــذكريات) بـــدتْ ... بشـــائر النصـــر منهـــا الشـــر ينـــدحر

وقـــد كتبـــتُ عـــن (الحســـان) شـــاعرنا ... جـــواهراً لمعـــتْ كأنهـــا الـــدُرر

وقـــد قـــرأتُ شـــذىً فـــي (شـــعر عنتـــرةٍ) ... مـــآثرٌ شـــمختْ ، كأنهـــا الغـــرر

هـــذي الـــدواوين أهـــديها لأمتنـــا ... وقـــد يكـــون لهـــا – فـــي جُعبتـــي - أخـــر

أذكّـــر الأمـــة الفضـــلى رســـالتها ... لعلهـــا تُبصِـــر الماضـــيْ وتفتكـــر

لعلهـــا تـــذكر الأســـلافَ مَـــن ســـبقوا ... ومَـــن رقـــابَ العِـــدا فـــي دارهـــم نحـــروا

مَـــن أدبـــوا الكفـــر لـــم يخشَـــوْا ضـــراوته ... ولـــم يكـــنْ بأســـهم – فـــي الحـــرب - يُقتصـــر

ومـــن إذا ذكـــروا دفـــتْ مطامحُنـــا ... وتســـتريحُ نفـــوسُ الصِـــيد إن ذكـــروا

كـــانوا إذا خرجـــوا صـــفوا جحـــافلهم ... حتـــى إذا أثخنـــوا عـــادُوا ، وقـــد ظهـــروا

وإن عفـــوْا بـــالغوا - فـــي العفـــو - تكرمـــة ... وإن أسِـــئ لهـــم ، فالـــذنبَ قـــد غفـــروا

ومـــن إذا فتحـــوا الـــبلاد مـــا نهبـــوا ... خيـــر العِبـــاد ، ومـــا مـــن أهلهـــا ثـــأروا

ومـــن إذا ملكـــوا عفّـــوا ، فمـــا رتعـــوا ... ومـــا اســـتبدوا بـــأموال ، ولا احتكـــروا

ومـــن إذا وضـــعوا أغلالهـــم بيـــدٍ ... كانـــت قيـــودهمُ ســـلوى لمـــن أســـروا

ومـــــن إذا غصِـــبتْ أصـــقاعُهم ركبـــوا ... خيـل الحتـوف ، وفـي نـار الـوغى نفـروا

ومـــــن إذا غلِبـــوا قامـــت قيـــامتهم ... فـــي الحـــق ، ثـــم إذا مـــا زلزلـــوا زأروا

ومـــــن إذا قهـــروا اختـــاروا مصـــارعَهم ... فـــالموتُ أفضـــلُ كـــيلا تكبـــر الغِيَـــر

وكـــم وصـــفتُ غطاريفـــاً أتيـــه بهـــم ... رأيـــتهم قممـــاً – بالـــدين - تبتشـــر!

هـــمُ الصـــناديدُ مـــن (تـــيم) و(خثعمـــةٍ) ... وتلـــك (دوسٌ) ، وذي فـــي عزهـــا (مُضَـــر)

هـــمُ العبـــاقرة الأفـــذاذ ســـادتنا ... ومَـن بـذور التقـى فـي النـاس قـد بـذروا

ومـــن نبـــاهي بهـــم فـــي الأرض عامرَهـــا ... لأنهـــم خيـــرُ مـــن ســـادوا ، ومـــن عمـــروا

وخيـــر مـــن أســـلموا – لله - واتبعـــوا ... نبيـــه ، ولـــذا هـــم خيـــرُ مـــن أجـــروا

وخيـــرُ مـــن أخلصـــوا لله ديـــنهمُ ... ومـــن يَـــزينهمُ الإيمـــانُ والأزر

وخيـــر مـــن وقـــروا – فـــي النـــاس - كعبتـــه ... وخيـــر مـــن طوّفـــوا بالبيـــت ، واعتمـــروا

وخيـــر مـــا كانـــت الأشـــعار راويَهـــم ... وكـــل شـــعر سِـــوى أشـــعارهم هـــذر

هـــمُ البلاغـــة إن قـــالوا ، وإن صـــمتوا ... وإن تحـــدَوْا فمـــا - فـــي قِـــيلهم - وطـــر

هـــمُ الفصـــاحة ، فالتبيـــانُ يغـــبطهم ... وشـــعرُهم - فـــي ســـنا الـــديوان - منســـجر

كأنـــه الشـــمسُ فـــي دنيـــا الـــورى طلعـــتْ ... يفـــوحُ منهـــا الضِـــيا والعِطـــر والـــوَهَر

كأنـــه النـــورُ ، إن ســـاد الـــدجى وطغـــى! ... شـــعرٌ بضـــاعته القـــرآن والأثـــر

شـــعرٌ يُســـجّل أمجـــاداً لهـــم كثـــرتْ ... شـــعرٌ يطيـــر لـــه التـــاريخ والخبـــر

شـــعرٌ يُحيّـــر مـــن – فـــي فلكـــه - ركبـــوا ... وقـــد تنـــوء بـــه الرُكبـــان والدُســـر

فـــي الســـلم كـــان ارتجـــالُ الشـــعر رائـــدهم ... وفـــي الحـــروب قـــريضٌ بعـــده الـــوتَر

وفـــي الحـــديث لهـــم فهـــمٌ وتبصـــرة ... وفـــي مُجاهـــدة الســـوآى لهـــم نظـــر

أســـلافنا عزفـــوا عـــن كـــل منقصـــةٍ ... ومـــن مصـــارع أهـــل الباطـــل ازدجـــروا

هـــمُ الأماجـــدُ - فـــي الإســـلام - قـــد رغبـــوا ... فعمّهـــم خيـــرُه المســـتكثرُ النضِـــر

يـــا أمـــة الخيـــر أحيـــي مجـــدهم ، وثقـــي! فـــالله ناصـــر مَـــن ديـــنَ الهُـــدى نصـــروا

وجففـــــي عَبـــــرة أدمـــــتْ مـــــدامعنا وحققـــــي النصـــــر ، إن القلـــــبَ يســـــتعر

وطبّقـــــي الشـــــرع ، هـــــذا لـــــيس نافلـــــة بـــــل واجـــــبٌ حـــــدّه القـــــرآنُ والأثـــــر

وشـــــرط صِـــــحة إســـــلام نـــــدينُ بـــــه وللحنيفـــــة توحيـــــدٌ لـــــه أسَـــــر

فاستمســـــكي بعُـــــرى التقـــــوى ، ولا تهنـــــي ولا يغرنْـــــكِ - فـــــي دنيـــــا الـــــورى - الهَـــــدَر

يـــا قـــوم كُفـــوا عـــن التخـــذيل ، وارتفعـــوا عـــن الـــدنايا ، وفعـــلَ المنكـــرات ذرُوا

إنـــــي أناشـــــد مـــــن فـــــي قلبـــــه ورعٌ مِـــن الـــذين - بمـــا أدعـــو لـــه - شـــعروا

أن ننشـــــد السِـــــلم ، لا نبغـــــي بـــــه بـــــدلاً فـــــلا يكـــــونُ لنـــــا - عـــــن نصـــــره - وَزَر

وأن تكـــــون فِـــــدا القـــــرآن أنفســـــنا لأن نصـــــرته – رغـــــم العِـــــدا - قـــــدر

وأن نؤســـــلم عيشـــــاً نحـــــن عُدتـــــهُ مـــــا أجمـــــل الـــــدينَ ، إذ تحيـــــا بـــــه الفِطـــــر!

وأن نجـــــدّ لقبـــــر ســـــوف نســـــكنه ومِـــــن تـــــذكّره اللبيـــــبُ يزدجـــــر

يســـــعى الفتـــــى ، وظـــــلالُ المـــــوت تلحقـــــه وكـــــل فـــــذٍ - بـــــذكر المـــــوت - ينزجـــــر

يومـــــاً يمـــــوتُ ، ويلقـــــى اللهَ خالقـــــه هـــل مثـــلُ ذلـــك أمـــرٌ – فـــي الـــورى – عسِـــر؟

مـــــن أجـــــل ذلـــــك فلـــــيُخلصْ ســـــريرته ولا يُعرقلـــــه - إمـــــا ســـــعي - الحَصَـــــر

وبعـــــد ذلـــــك فليُصـــــلحْ مســـــيرته إن اللبيـــــب الـــــذي يســـــعى ، ويبتـــــدر

شـــــتان بـــــين كســـــول ســـــعيُه كســـــلٌ وإن يُـــــذكّرْ فـــــلا تلقـــــاه يعتبـــــر

وبـــــين آخـــــرَ فـــــلّ الســـــعيُ قدرتـــــه فصـــــار صـــــلباً – علـــــى الأهـــــوال – يقتـــــدر!

شـــــتان بـــــين ســـــليم القلـــــب طيبـــــه وبـــــين فـــــظٍ ســـــقيم قلبُـــــه حجـــــر!

لـــــن يســـــتجيب لنصـــــحي غيـــــرُ مشـــــترع بشِـــــرعة الحـــــق ، نعـــــم المُخبـــــتُ النضِـــــر!

يهـــــيم فـــــي جنـــــة المـــــأوى ، وينشـــــدها وغيـــــرُه منتهـــــى آمالـــــه الحُفَـــــر

لـــــذاك يعمـــــل أعمـــــالاً تقرِّبـــــه وغيـــــره ســـــعيُه – فـــــي الخلـــــق - يُحتقـــــر

هـــــل يســـــتوي مَـــــن رضـــــاء الله غايتـــــه ومَـــــن عبادتـــــه الجلبـــــابُ والغتـــــر؟

لا يستوي مؤمنٌ يحيا لشرعته ... وفاسقٌ غارقٌ في فسقه دَعِر!

لا يستوي مسلمٌ حقٌ ، ومجترمٌ ... وحبلُ طاعته لله منـدجر!

لا يستوي صابرٌ والحِلمُ طابعُه ... ومَن ذخيرته التهويلُ والضجر!

وكل قلب له بلوى تكشّفه ... ولا يغورُ به سِرٌ ، فيستتر

يا أمة الحق شِعري جُلّه ألمٌ ... على مصابك ، حتى كاد ينفطر

هذي الدواوينُ أولادي وعائلتي ... تسقيكِ شعر الوفا ، كأنها النهَر!

نفحْتها - بدمي المُلتاع - تجربتي ... حتى رأيتُ دموع الشعر تنعفر

ثم استعرتُ لها من كل قافيةٍ ... حتى تنوعتِ الأوزان والفِقَر

وكم عرضتُ على القرآن ما نقشتْ ... يراعة الشعر حتى سُرتِ السور!

وكم قصدتُ لهذا الشعر جمهرة ... من الأساطين مَن تنوره سجروا!

وكم عمدتُ إلى من فيه قد برعوا ... من العماليق مَن أغواره سبروا!

وكم تلظيتُ في نيرانه فرحاً! ... وكم وقفتُ – على الأبواب – أنتظر!

ليخرج الشعرُ مزهوّاً بقوته ... كأنه أسدٌ – في غابتي – زئِر!

في كل بيتٍ نجومُ الليل ثاقبة ... وكل لفظٍ عليه الورد والزهر

حن القريضُ ، فكانت روضة سمقتْ ... فيها النخيلُ ضحىً ، والدومُ والسِدَر

وحرّك الشعرُ أشجاناً بذاكرتي ... فأصبحتْ حُمماً تغلي وتنفجر

وهيّجَ الشعرُ آفاقي ، وحلق بي ... في عالم الطهر ، نعمَ العالمُ الخضِر!

وجنّد اللهُ أعواناً تؤيده ... وتستجيبُ له ، فنعم ذا النفر!

ثم ابتليتُ بمَن أردى نضارته ... من الذين إذا عنوا له ضجروا

قالوا: (ضعيفٌ) ، فلم أحفلْ بفِريتهم ... وليس يُوهنُ مثلي الكيدُ والسخر

قالوا: (يُسَكّن) عمداً كل قافيةٍ ... وفوق هامة شعري انهالتِ الدِرر!

وأهـــدروا قيمـــة الأشـــعار ، وامتشـــقوا ... ســـيف العـــداء ، ألا خـــابوا! ألا خســـروا!

وآخـــرين علـــى مـــا قلتـــه حقـــدوا ... وآخـــرين بمـــا أنشـــدته زَفَـــروا

وآخـــرين عيـــونَ الشـــعر كـــم فقـــأوا! ... ونصّـــبوا مَـــن لـــه الأحـــداثَ يحتجـــر

وآخـــرين لهـــم وخـــزٌ ومحرقـــة ... مثـــل الثعـــابين فـــي أفواههـــا الإبـــر

تكـــوي وتلـــدغ مَـــن يجتـــث خـــدعتها ... وقـــد تثـــور ، فتفـــري كيـــدها الثـــؤر

يـــا أمـــة الحـــق أنشـــدتُ القـــريض ، ولـــم ... أعبـــأ بمـــن حقـــدوا ، فحقـــدُهم بَعَـــر

وقـــد غـــدتْ صـــفحة الـــديوان راويتـــي ... أمســـت معاطفهـــا بالشـــعر تعتجـــر

أهـــديتها مِـــن معينـــي كـــل أمنيتـــي ... بـــأن أرى أمتـــي بـــالخير تبتشـــر

وأن تعـــود لهـــا الأمجـــادُ باســـمة ... وأن يُغنيهـــا الشـــحرورُ ، والقُبَـــر!

وأن تعـــود لهـــا آفـــاق هيبتهـــا ... وأن يلازمهـــا التوفيـــقُ واليســـر

معاني الكلمات غير المطروقة

التتر: أي التتار. ثور: ثوَران أو هيَجان. غيث جوْر: أي غزير منهمر. أسُر: جمع إسار وهو الرباط. يحتجر: أي يحفر. ينجذر: ينقطع. أصُر: روابط. الحصر: أي ضيق الصدر. جرحٌ بِئر: فيه بثور. حبل مندجر: أي أنه رخو. الدسُر: السفن. دعِر: مفسود الخلق منحل. شَعر منسجر: أي مسترسل. البعر: رجيع الخف. السخَر: السخرية. السدَر: جمع سدر. هُجُر: جمع هجير. الهَدَر: الباطل. هِرر: أي قطط ، جمع هرّة. اليَسَر: هو اللين واليسر والانقياد. دِرَر: جمع دِرة وهي العصا. يُسُر: جمع يُسر. بُشُر: جمع بشرى. الختر: هو الخدر يحصل عند شراء الدواء أو المسْكر أو السم. زمَروا: غنوا. زجروا: أي زفروا. سجروا التنور: أحموْه. عُصُر: جمع عصر. عدْن: أي جنات عدن. ذِكَر: جمع ذكرى. غبِر: أي مغبّر.(نهاية الطريق – عزيز النفس – القوقعة الدامية – سويعات الغروب – ترنيمة على جدار الحب – الأمل الفواح – من وحي الذكريات): هي أسماء دواويني الشعرية حتى كتابة هذه القصيدة ، وكلها صدرتْ في الإمارات بأرقام إيداع وإفراجات بالتداول وأرقام إفساحات إعلامية ، في الفترة من 1993م وحتى 1998م. (قراءة أسلوبية في شعر حسان بن ثابت الأنصاري – قراءة أسلوبية في شعر عنترة بن شداد العبسي): هما كتابان في النقد الأدبي الأسلوبي التحليلي ، كتبتهما على شكل حلقات يومية في جريدة الوحدة الصادرة في أبو ظبي بدولة الإمارات العربية المتحدة ، ثم جمعت الحلقات من الجريدة ونقحتها وحققتها وأصدرتها كتابين عن حسان وعن عنترة بناء عن طلب رئيس تحرير الجريدة الأستاذ عبد الرزاق والأستاذ حبيب الرضا مدير عام ديوان وزارة الثقافة والإعلام بدبي والإمارات الشمالية. الوتر: ذراع القوس حالة يرمي السهم به. سكَر: هو السكْر أي لعب الخمر بالعقل. السنر: شراسة الخلق. فرس ضبر: أي وثاب الخطا. وجه منضمر: أي ذهب حياؤه. ينعفر: يتعفر بالتراب. الأمر الغسِر: هو الأمر الملتبس. الغمر: هو الماء الكثير. رجل مغتمر: سكران مخمور. يفتحر الكلام: يتخذ فيه منهجا لا يتابعه عليه أحد. فِطر: جمع فِطرة. قوم فجُر: فجرة. قُبر: أحد الطيور وهو ذكر القبّرة. مِرر: جمع مرة أي مرات. الوهر: وهج الشمس. قتر: متكبر. تعتجر: تتوشح مأخوذة من العِجار الذي تعتجر به المرأة المسلمة ، لتغطي وجهها عن الأجانب من غير محارمها.

عاشقٌ عزيز النفس (معارضة شعرية لنزار: يا من هواه)

(وهذه مُساجلة شِعرية لقصيدة الشاعر نزار قباني: (يا من هواه!) وأسجّلها لأول مرةٍ مُغيراً فيها قافية نزار النونية إلى لاميةٍ مشفوعةٍ بالهاء! وأقلبُ دَفة القصيدة رَأساً على عَقب , حيث تناول نزار تصوير العاشق ذليل النفس منكسر الفؤاد خائر القوى أمام الحب ومُلهمته! وذلك عندما انبطحَ أمامها مُقراً بهزيمته وذله بين يديها! ومُعترفاً بجَبروتها وقوَّتها وقدرتها الخارقة على إذلاله ، لدرجة أنه سيقعدُ على الطريق شاكياً العشيقة لسلطان الهوى مرة ، ولرب العالمين تبارك وتعالى مرة أخرى! ويُصورُ لنا كيف جلب ذلك العاشقُ الولهانُ الذلة لنفسه والعزة لعشيقته! حيث كان عِشقها له وتولهه بها سبيلاً إلى إذلاله وعِزتها من أول لحظةٍ في حبها ، ومن أول بيتٍ في قصيدته! وعُموماً المساجلة الشعرية فنٌ من فنون الشعر العربي ، وهو معروفٌ من عهد امرئ القيس إلى يومنا هذا وإلى يوم القيامة! فلستُ أول من يُساجل شاعراً آخر ، ولن أكون الأخير! والشعر رحمٌ بين الشعراء! ونزار قباني وإن اختلفنا في المادة الشعرية وموضوعها وفحواها وجوهرها ، سيبقى للرجل كونه شاعراً عملاقاً تمكن من الشعر وتمكن الشعرُ منه! وديوانه بين أيدينا يشهدُ بذلك! وقصيدته: (يا من هواه) عشرة أبياتٍ لا تزيد ، طارت في الآفاق وغناها من غناها في القديم والحديث! وبها خطآن لغويان – وأنا متأكد أن نزاراً لم يقصدْهما ، ولكنْ وقع ذلك منه سَهواً لا عَمداً ، والله تعالى أعلى وأعلم وأجل وأبر وأكرم! والخطآن هما قوله: (ولأشكينك) وقوله: (ولأدعين) والتصويب: (ولأشكونك – ولأدعون). ومُساجلتي الي قوامُها ثلاثون بيتاً على ذات البحر مع تغيير القافية! والحكمُ على النصين متروكٌ للنقاد وللجمهور وللتاريخ! وكنتُ قد صورتُ كيف أصابَ العشيقة التواله ـ وهو الحب والتعلق بالمحبوب لدرجة الجُنون – أصابَها بالعتَهِ وألحق بها الذل والهوان! ولقد كان الداعي إلى هذا السجال الشعري أن سبقني إليه الشاعر السعودي الكبير الأستاذ محمد الغبَر عندما ساجل نزاراً هو الآخر بعشرة أبيات! فأدليتُ بدَلوي على تخوفٍ من الفشل! ووالله تعالى لقد تأثرتُ جداً بأبيات الشاعر السعودي محمد الغبر أكثر من نزار لأنه يميل إلى عزة العشق لا ذله! ويبقى لنزار قباني أن له السبق ولا شك! وكما قلتُ وأسلفت وأكرر أن نزار القباني يبقى شاعراً كبيراً من حيث كونه شاعراً! وإن اختلفنا معه كما يختلف معه كثيرون في المحتوى والمادة والموضوع! فالشاعر الهندي الكبير (طاغور) الحائز على جائزة نوبل ، يبقى شاعراً كبيراً فذاً وإن اختلفنا في المحتوى والموضوع! ولا ينبغي أن نظلم الناس فنجعل اختلافنا معهم سبيلاً إلى انتقاصهم! بل نتمثل قول الله تعالى: (وإذا قلتم فاعدلوا) وقول نبيه – صلى الله عليه وسلم ـ: (أنزلوا الناس منازلهم)! ويبقى لي شرفُ المحاولة!)

يـــا مـــن هـــواهُ أعزنـــي وأذلـــهُ ... وفـــؤادُه بمحبتـــي مُتوالـــهُ

بـــذل الكثيـــر لكـــي يُعلقنـــي بـــه ... كشـــفتْه لـــي أخلاقـــه وفِعالـــه

كـــم قـــال عنـــي فـــي المجـــالس صـــادقاً ... إن المُحـــب تُبِينـــه أقوالـــه

كـــم صـــد عنـــي مـــن وشـــاية حاقـــدٍ ... حتـــى أقـــول: جميلـــة أعمالـــه!

ولكـــم تعمـــد أن يُســـامرَ خـــاطري ... بالـــذكريات تزينهـــا أطلالـــه

ولكـــم تكلـــفَ كـــي يُهِـــيجَ مشـــاعري ... وأراه تجـــــرحُ همتـــــي أفضـــــاله

ضـــحّى بمـــا ملكـــتْ يـــداه ليجتنـــي ... زهـــــر المحبـــــة بـــــالوداد ينالـــــه

عـــانى وقاســـى فـــي مكابـــدة الهـــوى ... حتـــى نـــأتْ – عـــن رُشـــدها - أحوالـــه

وأنـــــا أجرّعُـــــه الصـــــدود تـــــدللاً ... وبـــرغم مـــا يُضـــفي عليـــه دَلالـــه

وأنـــا الـــذي أحببتـــه الحـــب الـــذي ... صـــادت فـــؤادي والحجـــا أغلالـــه!

وأعـــيش بـــدراً فـــي ســـماء تـــولهي ... وهـــو الـــذي مـــا هـــلَّ بعـــدُ هلالـــه!

متعففـــــاً أحيـــــا ، وأقمـــــعُ صـــــبوتي ... كـــــي لا يكلفنـــــي الكثيـــــرَ وصـــــاله!

أنـــا لســـتُ عبـــداً للـــذي أهـــوى ، ولا ... أنـــــا أســـــتفز بمـــــا يُعَـــــز نوالـــــه

أنـــا عبـــدُ مـــن خلـــق العـــوالمَ والســـما ... والأرضَ ، ربِ النـــــاس جـــــل جلالـــــه

لـــم يُنسِـــني حبـــي لرضـــوى أننـــي ... أحببـــــتُ ربـــــاً يســـــتحيلُ مثالـــــه

فلـــئنْ أذلـــكِ حُـــبُ مثلـــي ، فـــاعلمي ... أنـــــي إذا أذللـــــتُ زالَ جمالـــــه!

ورأيـــــتُ فيـــــكِ حبيبـــــة لا ترعـــــوي ... للعـــــز فـــــي حُـــــب خبـــــتْ آمالـــــه

شـــرعَ المليـــكُ الحـــب يغمـــرُ عيشـــنا ... نـــــوراً بعـــــيش يعتريـــــه زوالـــــه

حـــبٌ يُعَـــز نســـاؤه وفـــقَ الهُـــدى ... ويُعَـــز رغـــم لظـــى الغـــرام رجالـــه

مـــا الحـــبُ إنْ بـــذل الحبيـــبُ إبـــاءهُ؟! ... تعســـاً لحـــب كالســـعير نكالـــه!

أنـــا لســـتُ أشـــكو الحـــب ، لكـــن أشـــتكي ... مـــن أســـرفتْ فيـــهِ ، فـــزاد وَبالـــه

أنـــا مـــا ظلمتُـــك يـــا حبيبـــة ، إنمـــا ... أشـــقاكِ حبـــك إذ دهتْـــكِ نِبالـــه

فلأقعـــدن علـــى الطريـــق مُحـــذراً ... مَـــن حبُهـــا ذبـــح العفـــافَ ضـــلاله!

فتوهمـــــتْ أنْ لا حيـــــاة بدونـــــه ... فطغـــى علـــى القلـــب الكســـير خَبالـــه

فأحالهـــــا أمـــــة تملكهـــــا الهـــــوى ... فحرامـــــه منهاجُهـــــا ، وحلالـــــه

أحْبـــبْن مـــن شـــئتُن يـــا غِيـــدَ الحِمـــى ... لكـــــن بشـــــرع الله جـــــلّ جلالـــــه

وعلـــى هُـــدى سَـــنن النبـــي (محمـــدٍ) طـــاب النبـــي! وعُظمـــتْ أفعالـــه!

صـــلى عليـــه الله مادامـــت ســـما فـــوق الـــدنا ، بـــأبي النبـــيُ وألـــه!

وصـــحابُه مـــن هـــاجروا أو ناصـــروا بُشـــرى لهـــم ، ونســـاؤه وعِيالـــه!

يـــا رب صـــل علـــيهمُ مـــا أشـــرقتْ شـــمسٌ ، وضـــاء قمَيـــرٌ وهلالـــه!

(عجبتُ من قدرة الله تعالى)! (معارضة لشاعر مجهول)

(كلما أنشدتُ شيئاً من الشعر أمام قوم ، ظن بعضهم لجهله بي وبشعري وبالشعر وبسماعه وبالشعراء ومنهجيتهم ، أو لسوء نيته فيّ خصوصاً وفي الناس عموماً ، أو لكل هذه الاحتمالات مجتمعة ، أنني يجب أن لا أنشد إلا من الذي كتبته فقط. والأصل أن الحكمة ضالة المؤمن التقطها أنى وجدها. ومنذ كان في الأرض شعرٌ وشعراء ، والناس يأخذ بعضهم من بعض ، ويتمثل كثيرون منهم أشعار بعضهم البعض. فتارة يؤيدون ، وأخري يعارضون ، وثالثة يتمثلون ، ورابعة يستحسنون ، وخامسة يستهجنون ، وسادسة يعدّلون ، وسابعة ينقصون ، وثامنة يضيفون ، وتاسعة يظلمون ، وعاشرة يعدلون. ولستُ بدعاً من الناس فضلاً عن أكون بدعاً من الشعراء! فما يسع الناس اليوم يسعني مثلهم! وما وسع الشعراء بالأمس يجب أن يسعني الآن. فإنما أنا واحد منهم. والحقيقة أنني كنتُ أجالس أحدهم فأنشدتُ بناء عن طلبه لاستشعاره السآمة والملالة ، بعض أبيات قصيدةٍ كنتُ طالعتها في مجلة (منار الإسلام) وأنا في المرحلة الثانوية في سبعينات القرن المنصرم. ولم أكن أعرف اسم شاعرها ، ولكنني أذكر جيداً أنني استظهرتُ أبياتها الاثني عشر بسرعة مذهلة ، وكأنها من محفوظات الكتاب المدرسي آنذاك! وما ذلك إلا لعذوبتها وجمالها وسهولة ألفاظها! إذ لو كانت غير ذلك ، لما كان من اليسير على طفل في ذلك العهد ، أن يستظهرها بذلك اليُسر ، ولا أن تجري كلماتها على لسانه بهذه السهولة! وأنشدتها اليوم على صاحبي ظاناً أنني سأمتع صاحبي:

عجبتُ لـــلأرض تـــؤتي الخيـــر أهليهـــا ... والشـــركُ يرجمُهـــا ، والكفـــرُ يؤذيهـــا!

عجبت للشـمس مَـن فـي الصـبح يُظهرهـا؟ ... ومَـن وراء الـدجى - فـي الليـل - يُخفيهـا؟

عجبـت للطيـر فـي الأرجـاء سـابحة ... تسـعى بجـدٍ ، ورزقُ اليـوم يكفيهـا!

عجبـت للـوردة الفيحـاء نقطفهـا ... مَـن ذا الـذي أودع العطـرَ الـذي فيهـا؟

عجبـت للحبـة الصـماء نبـذرُها ... فـي الأرض تـؤتي ثمـاراً ، ثـم نجنيهـا!

عجبـت للحيـة الرقطـاء مسـكنها ... فـي الصـخر ، لا مـاء بـين الصـخر يرويهـا!

عجبـت لـلأمّ تـؤتى الـدّرّ إن ولـدتْ ... وإن تكـن عـاقراً لا دَرّ يأتيهـا!

عجبـت للشـهد أم الشـهد تصـنعُه! ... مَـن ذا الـذي لجميـل الصـنع يهـديها؟

عجبـت للـروح ، أيـن الـروحُ فـي جسـدي؟ ... مَـن عنـده علمهـا؟ سـبحان باريهـا!

عجبـتُ لا تنتهـي إن جـد قائلهـا ... لـم يـؤت عِلمـاً عـن الأشـياء يُحصـيها

فـالعلم لله ، كـل الأرض قبضـته ... إن شـاء يَقبضـها ، أو شـاء يُبقيهـا

سـبحانه مـن إلـه واحـدٍ أحـدٍ! ... يُبلـي العِظـامَ ، وأنـى شـاء ينشـيها!

وبعد أن أنشدتها على صاحبي انهال عليّ بالاتهامات معترضاً أنها ليست لي! والسر أنه كان يتصفح الإنترنت ، فكان أن دوّن مَطلعها ، وطلب من مُحرك البحث (جوجال) أن يبحث! بينما هو راح يكيلُ الاتهاماتِ تلو الاتهامات! زاعماً أنني عندما أتمثل أشعار الآخرين أنسبها لنفسي – معاذ الله -! الأمر الذي لم أفعله وأنا ابن خمسة عشر عاماً ، فكيف بي أفعله وأنا اليوم ابن خمسة وأربعين ربيعاً؟! وكان يكفي سؤالي: هل هذا من شِعرك؟ وذلك ليتبين له من جوابي ما إذا كنتُ منتحلاً لأشعار الآخرين أم لا! ولكن – والله أعلم – أن الأمر كان هكذا لفضح سريرته ولكشف نيّته! ومن هنا تحدّيته وعزمتُ أن أنظِم مائة وعشرين بيتاً إضافة إلى عدد أبياتها (120+12=132بيتاً) ، متناولاً قدرة الله في الكون من حولي! ومركزاً على توحيد العبادة والأسماء والصفات! الأمر الذي لم تتناوله قصيدة المنار ، إذ ركز شاعرها على الربوبية فقط! وذلك في محاولةٍ مني لأثبت لهذا الزميل (والذي للأسف هو معلم لغة عربية) ولمن كان على شاكلته ، أنني قادرٌ على تأليف أكثر منها في عدد الأبيات بإذن الله تعالى! وإن كان صاحبها بأبياته الاثني عشر أراه أفضل مني لأن له السبق ، ولي شرف محاولة معارضته! ولقد تكون أبياته الاثني عشر قد فازت بالقبول عند الله ، فأسأل الله قبول كل ما أكتب من الحق ، وجعله في ميزان حسناتي! وكم انتحل لي من أشعار يوم كنتُ أعلق بعضها على أسوار كلية الآداب بالمنصورة ، أو وأنا أبعث بها إلى المجلات والدوريات والجرائد هنا وهناك! لقد كان للنبي – صلى الله عليه وسلم - وأصحابه أبياتٌ شعرية يتمثلونها ويقرؤونها وهي لشعراء آخرين! وبناءً على ذلك تناولتُ القلم وبدأتُ عقيب صلاة فجر يوم الجمعة ، وحتى قبيل أذان الجمعة بقليل كان الفراغ منها. فقلتُ منشداً من شِعري على ذات البحر والوزن والقافية:)

أحـــارُ فـــي قـــدرة المـــولى ، فأطريهـــا! وبـــــالفؤاد ذهـــــولٌ ينثنـــــي تِيهـــــا!

وكـــم عجبـــتُ مِـــن الإعجـــاز ألمسُـــه فـــي كـــل شـــيءٍ ، وفـــي الـــدنيا ومـــا فيهـــا!

وكـــم تســـاءلتُ فـــي سِـــر وفـــي عَلـــن عـــن معجـــزات أرانـــي لســـتُ أحصـــيها!

وكـــم تملكنـــي الخشـــوعُ ، فـــانهمرتْ دمـــوعُ عـــين – مـــن الإبـــداع – يُبكيهـــا!

وكـــم تفكّـــرْتُ فـــي صُـــنع المُهـــيمن فـــي دنيـــا تـــدُلّ علـــى الـــديّان مُنشـــيها!

وكـــم نظـــرتُ إلـــى كـــون غرائبُـــه تزيـــدُني - لمليـــك النـــاس - تأليهـــا!

وكـــم تأملـــتُ مـــا حـــولي صـــباحَ مَســـا لأودِعَ القلـــــبَ إرشـــــاداً وتنبيهـــــا!

وكـــم تبصّـــرْتُ فـــي أحـــوال مَـــن رشـــدوا إذ لـــم يكـــن رُشْـــدهم فـــي النـــاس تمويهـــا!

وكـــم تـــدبّرتُ أعمـــال الألـــى فســـقوا مَـــن شـــوهوا الـــدينَ بـــين النـــاس تشـــويها!

وكـــم تفرّســـتُ - فـــي الأمـــور - أرقبهـــا حتـــى سَـــبَرتُ خبايـــا لســـتُ أدريهـــا!

وكـــم عجبـــتُ إلـــى أن ضـــاق بـــي عجبـــي فـــذِعتُ أســـرارَ نفـــس عشـــتُ أخفيهـــا!

عجبتُ لـلأرض أعطتْ كـل مجتهـدٍ ... مُوَحّـدٍ ، أو كفـور الـنفس طاغيهـا!

لـم تـدخرْ - عـن جميـع الخلـق - نِعمتهـا ... ولـم تـؤخرْ خيـوراً أودِعـتْ فيهـا

بـل أغـدقت خيرَهـا – واللهِ - مُكرَهـة ... وتلـك سُـنة رب النـاس يُجريهـا

عجبتُ للسـبع فـوق الأرض قـد رُفعـتْ ... بـدون أعمـدةٍ ، سـبحان باريهـا!

وكـم رأيـت السـما الـدنيا وحَبكتهـا! ... وحيّـرت خـاطري الآيـاتُ تحويهـا

وبالكواكـب قـد زِينـتْ لناظرهـا ... وترسـلُ الغيـثَ - للأرضـين - يُشـجيها

ولـيس تسـقط ، إن الله مُمْسـكها ... إنـي أنـوّهُ للآيـات تنويهـا!

عجبتُ للشـمس فـي السـماء سـابحة! ... لمُسـتقر لهـا ، الـرحمنُ يُجريهـا

تجـودُ بالـدفء والأنـوار طائعـة ... وذات يـوم يُكَوّرُهـا ويُفنيهـا

عجبـتُ للقمـر المنيـر طلعتُـه ... فـي الليـل تبتلـعُ العَتمـاتِ ، تُرديهـا

والله قـدّره منـازلاً عُلِمـتْ ... يُعيـدها الله أيامـاً ، ويُبـديها

ومـا اسـتوى البـدرُ والمُحـاقُ فـي نظـري! ... لكـنْ أشـبّهُ - بـين اثنـين - تشـبيها

عجبـتُ للـنجُم الزهـراء سـاطعة ... وإن سـرت سُـحُبٌ سـودا تُغطيهـا

هـي العلامـاتُ ، إذ كـم يُسـتدل بهـا ... مـن يـا تُـرى - لصـحيح الـدرب - يهـديها؟

عجبـتُ للمطـر الثجّـاج يُنزلـه ... ربُ الأنـام علـى الصـحرا ، فيُحْييهـا

عجبـتُ للـزرع – فـي الحقـول - منتشـراً ... بطيّـب العِطـر والفحـوى يُحَليهـا

مـا بـين مُـر ، وحلـوٍ طـاب مأكلـه ... ومـالح ينهـرُ الأفـواهَ يكويهـا

مَـن أودع المُـر – يـا قـومي – مرارتـه؟ ... طعـم يُشَـفي بألسـنةٍ ، ويؤذيهـا

عجبـتُ للطيـر فـي الآفـاق شـادية ... تسُـرّ آذانَ مَـن يُصـغي ، وتغريهـا

تغـدو خماصـاً ، بـلا كَـلٍ ولا مَلـلٍ ... بحثـاً عـن الـرزق ، مـا خابـت مساعيها!

تعطـي الصـغارَ الـذي جـادَ الإلـهُ بـه ... تُعنـى بأفراخهـا دومـاً ، وتُؤويهـا

عجبتُ مِن شامخ الأجبال راسخة ... تُثبّتُ الأرضَ ، تُوْثِقها ، تُقويها

عجبتُ مِن منظر الأسماكِ عِيشتها ... في البحر طيبة ، والرزقُ يَكفيها

عجبتُ مِن مشهد الحِيتان مُشْرعة ... مثلَ البوارج ، إن حطتْ مَراسيها

عجبتُ مِن نجدة الدُلفين يَبذلها ... في لجّة المَوج ، إن شطتْ غواشيها!

كي ينقذ الغارقين البحرُ جندَلهم ... هذي الشهامة في أبهى معانيها

فمن هداه لمعروفٍ يجودُ به ... إن الدلافين أعيتْ مُستمِيحيها!

عجبتُ للقِرْش مُختالاً بصولته! ... أسرابُ طير طفت زهواً خوافيها

عجبتُ مِن سَكن الجنين في رحِمٍ ... والأمّ ترتقبُ المولودَ يُشجيها

عجبتُ للإبل الصبورة انطلقتْ ... بدون ماءٍ – خلال السّفر - يرويها

عجبتُ للنحل يَحيا في بُلهنيةٍ ... فمَن - على عيشه الجميل - يُضفيها؟

يُلقي علينا من الأعسال صافية ... فاسألْ معي الناسَ مَن جُوداً يُصَفيها؟

عجبتُ للبحر ، والأمواجُ تغمرُه ... والمَدّ يدفعُها ، والجزرُ يُزْكِيها!

عجبتُ للصبح مُذ وافى تنفسَه ... في رحلةٍ هدآتُ الليل تُغشيها!

عجبتُ لليل يحدُونا بظلمته ... والفجرُ يبعثُ عذبَ النور يُجْليها

عجبتُ للزهر باقاتٍ مزركشة ... على مباسمه الأفراحُ تُبديها

عجبتُ للورد فاحت منه رائحة ... مِن العذوبة تستهوي مُريديها

عجبتُ للناس من عُرْب ومن عَجَم! ... هذي اللغاتُ عليهم من يُلقيها؟

واللهُ يسمعُ كلاً وفق لهجته ... حتى يوجّههم - للخير - توجيها

عجبتُ للظالم الطاغوت طال به ... ظلمُ البرية - بالتنكيل – يُشْقِيها!

فقتّل البعضَ رغم الأنف في شُبهٍ ... وفي أكاذيبَ – جهراً – ظل يَحكيها

وقطعَ البعضَ بالأسياف تشفية ... وأوقدَ النارَ - للأجسام - يَشويها

وهجّرَ البعضَ - في الأصقاع - منتقماً ... وإن تعدْ فئة منهم يُصَفيها

وأودعَ الـــبعضَ ســـجناً دون مَرحمـــةٍ ... لـــو أنـــه مســـلمٌ لكـــان يُزجيهـــا

ولفـــق الـــتهمَ المفضـــوحة التصـــقتْ ... بالنـــاس ظلمـــاً - علـــى البلـــوى - يغطيهـــا

إذ غـــرّه حِلـــم جبّـــار الســـماء ضـــحىً ... فباغـــت القـــومَ بالأوجـــاع يَنويهـــا

عجبـــتُ للحـــائر المظلـــوم ســـربله ... جَـــورُ الطغـــاة بـــأحوال يُعانيهـــا!

فبـــات يجتـــرّ آلامـــاً تصـــارعُه ... فأبدلتـــــه عـــــذاباتٍ يُقاســـــيها

ولـــم يـــزلْ بـــدعاء الله مشـــتغلاً ... مؤدّبـــاً نفـــس مَكلـــوم ، يُنقيهـــا

يـــدعو ، ويُـــوقِنُ أن الله ناصـــرُه ... وكاشـــفٌ عنـــه أســـقاماً يُهاجيهـــا

فتلـــك دعـــوة مظلـــومٍ تُقاســـمُه ... مَعيشـــة بطـــرتْ – جهـــراً - مَســـاويها

يقـــول ربـــك: يومـــاً ســـوف أنصـــرُها ... لـــو بعـــد حـــين ، بتقـــديري أواليهـــا

عجبـــتُ للخيـــل - فـــي الهيجـــاء - ضـــابحة ... تُخلـــص الـــدارَ مِـــن بلـــوى أعاديهـــا!

تمـــورُ قـــدحاً ، فيهتـــاجُ العَجـــاجُ بهـــا ... والعِيـــرُ ترجُـــفُ قاصـــيها ودانيهـــا

تُغِيـــرُ صُـــبحاً ، وأعـــداءُ الهُـــدى رَقـــدوا ... حتـــى تُفـــاجئهم ، فمـــن يُضـــاهيها؟

عجبـــتُ للأسْـــد - فـــي الغابـــات - رابضـــة ... فـــي عِـــزة الـــنفس مَـــن منـــا يُحاكيهـــا؟!

لا تســـتكينُ لأعـــداءٍ بهـــا ظفـــرتْ ... وتســـتبدّ بحُمْـــر فـــي مراعيهـــا!

عجبـــت للنخـــل – فـــي الأمصـــار - باســـقة ... توشـــوش السُـــحْب ، مـــا أحلـــى تســـاميها!

وتُســـقِط الرطـــبَ الـــذي يُحاكمنـــا ... أن الجميـــع - بصـــخر الأرض - يرميهـــا!

فمَـــن يـــردّ حقـــوقَ النخـــل إذ هُضـــمتْ؟ ... أمّـــنْ علـــى جودهـــا – حقـــاً – يُكافيهـــا؟

عجبـــتُ للسُـــحْب فـــي الجـــوزاء هائمـــة ... تهمـــي غيوثـــاً رطيبـــاتٌ مصـــافيها!

عجبـــتُ للسُـــفن الشـــمّاء مـــاخرة ... عُبـــابَ مـــاءٍ بـــلا يـــأس يُناغيهـــا

واســـتقبلتْ أمرهـــا - فـــي البحـــر - جاهـــدة ... جـــلّ المهـــيمنُ مُرسِـــيها ومُجريهـــا!

عجبـــتُ للطـــائرات اليـــوم نشـــهدُها ... فـــوق الغمـــائم ، بـــل أعلـــى أقاصـــيها!

فمَـــن يُوَصّـــلها - إلـــى المطـــار - إذن؟ ومَـــن تـــراه مِـــن الســـقوط يحميهـــا؟

عجبـــتُ للناطحـــات الســـحْب تُخجلنـــا بمـــا ابتنينـــا مِـــن الصـــروح تُزريهـــا!

كيـــف ابتناهـــا أنـــاسٌ فـــي ديـــارهِمُ؟ فمـــا ابتنينـــا بنايـــات تُماهيهـــا!

عجبـــتُ للسُـــور سُـــور الصـــين صَـــنعته سَـمَتْ عـن الوصـف هـل شـعري سـيطريها؟

عجبـــتُ مِـــن أهرمـــات الجيـــزة اســـتلبتْ ألبـــابَ مَـــن نظـــروا إلـــى مراميهـــا!

أجـــداث فرعـــونَ والآل الـــذين طغـــوْا وقِصـــة كتـــبُ التـــاريخ ترويهـــا

عجبـــتُ مِـــن كُتـــب صِـــينتْ بمكتبـــة الإ ســـكندرية تُخفيهـــا ، وتُبـــديها!

عجبـــتُ مِـــن (تـــاجْ محَـــل) فـــي عِمارتهـــا وفـــي النقـــود التـــي قـــد بُـــدّدَتْ فيهـــا!

قبـــر الحليلـــة (ممتـــاز) التـــي هلكـــتْ و(شـــاه جهـــان) بمـــا بنـــى يُواســـيها

عجبـــتُ مِـــن بـــرج (بيـــزا) مـــال منحـــدراً نحـــو البســـيطة ، هـــل أمســـى يُناجيهـــا؟

عجبـــتُ فـــي (بابـــل) مِـــن الحـــدائق لـــم أجـــد مثـــيلاً لهـــا ، سُـــقيا لمُنشـــيها!

عجبـــت مِـــن بـــرج (إيفيـــل) ورفعتـــه وسُـــمعة أســـنتْ ، أراه ينفيهـــا!

وللفرنســـيس بـــالأبراج خِبـــرتهم وللأمـــاديح أقـــوامٌ تُغنيهـــا

عجبـــتُ مـــن زمـــن فاحـــت حضـــارته مِســـكاً يُعطـــر دنيانـــا ، يُســـليها

فـــي كـــل شـــبر رمـــوز العِلـــم ماثلـــة تُســـهّل العِيشـــة الشـــجوى ، تُهنيهـــا

عجبـــتُ للقـــاطرات الهُـــوج تحسِـــبُها تُســـابقُ الـــريحَ إن ســـارت ، وتفريهـــا!

عجبـــتُ للكهربـــا غـــزتْ مَعايشـــنا تُزلـــل الصـــعبَ ، والـــدنيا تُحييهـــا!

علـــى الجمائـــل لا حصـــر ، ولا عـــددٌ ومنكـــرُ الفضـــل للفضـــلى يُجافيهـــا

تبـــارك اللهُ فـــي دنيـــايَ أوجـــدَها تفضـــلاً منـــه - بـــالخيرات - يعطيهـــا

عجبـــتُ للـــنِعم الكُبـــرى تُجمّلنـــي وأولُ الـــنعم التقـــوى تُســـاويها

وبعـــدها العقـــلُ ، والتكليـــفُ عُمدتُـــه فهـــل هنالـــك مِـــن نعمـــى تُســـاميها؟!

واســـأل عـــن العقـــل مـــن غِيلـــت عقـــولهَُمُ فأصـــبحوا بعـــدها فينـــا مَعاتيهـــا

ونعمـــة البصـــر الحديـــدِ مـــا فتئـــتْ ... تُبـــدي الحقـــائقَ: خافيْهـــا وباديْهـــا

ونعمـــة الـــروح: مـــا فحـــوى حقيقتهـــا؟ ... مَـــن حـــاز قصّـــتها – صـــدقاً - فيُفشـــيها

مِـــن أمْـــر ربـــي ، ولـــم يخبـــرْ بهـــا أحـــداً ... وإن تُفـــارقْ جُســـومَ النـــاس تُرديهـــا

(عجبـــتُ) لـــيس لهـــا مـــدىً يُحـــدّدها ... لـــم نـــدر - مـــن حولنـــا - الأشـــياءَ نحصِـــيها

فـــــالعلمُ لله مَولانـــــا ومَوجـــــدنا ... بـــرا البريـــة مِـــن طـــين ، ويُفنيهـــا

حاولـــتُ بالشـــعر وصـــفَ القـــدرة انتظمـــتْ ... كـــل الخلائـــق فـــي الأمـــور تمْضِـــيها

وللقصـــــيدة مَغزاهـــــا ورَونقهـــــا ... وشـــاهدي - فـــي ســـنا الفحـــوى - قوافيهـــا

أوردتُ كـــل جمـــال أســـتعينُ بـــه ... ومَـــن يُطـــالعْ يجـــدْ سَـــجعاً وتشـــبيها

والاســـتعاراتُ بـــالنوْعين تـــدمغها ... وللبـــديع أمـــاراتٌ تُزكّيهـــا

أنشـــدتُها - فـــي اقتـــدار الله - مُحتســـباً ... عســـى المُهـــيمن يَجزينـــي ، ويَجزيهـــا!

وبـــارك اللهُ فـــيمن خـــط زبـــدتها ... والســـامعينَ لهـــا ومَـــن ســـيرويها!

إن الـــذي خلـــق الوجـــود مـــن عـــدم ... قـــد اســـتحق - مـــن الأنـــام - تنزيهـــا

ويخلصـــون - لمـــولاهم - عبـــادتهم ... عبـــادة غمـــرتْ حبـــاً وتأليهـــا

إذ لـــيس يُعبـــد غيـــر الله خـــالقهم ... لـــذا أســـفه أهـــل الشـــرك تســـفيها

تعســـاً لمـــن عبـــدوا القبـــور أجمعهـــم ... ومـــن يؤلـــه مَـــن فيهـــا ، ويُطريهـــا

إنـــي رأيـــت الألـــى القبـــورَ قـــد عبـــدوا ... علـــى طرائـــق ، والأهـــواءُ تُجريهـــا

لا يُستســـاغ الـــذي أتـــوه مِـــن ضـــلل ... وفتنـــةٍ أحرقـــتْ أشـــقى مُريـــديها

وهـــل يُطـــاع طواغيـــتٌ إذا شـــرعوا؟ ... هـــذا يشـــوه مـــن أتـــوْه تشـــويها

وهـــل علـــى الشـــركا أوزار مـــن عبـــدوا ... إذ شـــبهوا الله بـــالمخلوق تشـــبيها؟

لا يغفـــر الله شـــركاً أكبـــراً أبـــداً ... وفـــي الكتـــاب نصـــوص فـــاز تاليهـــا

إلا إذا تـــاب منـــه العبـــد متبعـــاً ... هَـــديَ الرســـول بعزمـــاتٍ يُزكّيهـــا

ويغفـــــــر الله ذلاتٍ ولـــــــو ملئـــــــتْ ... بهـــا الصـــحائفُ ، كـــان العبـــد يُخفيهـــا

حتـــى الكبـــائر فضـــلاً منـــه يغفرهـــا ... وإن يكـــن فاعـــلُ الـــزلاتِ يُبـــديها

وإن أتـــى بقـــراب الأرض معصـــية ... تفضـــل الله - بـــالغفران - يطويهـــا

فـــلا يكـــونُ لهـــا فيمـــا أتـــى أثـــرٌ ... فعفـــو رب الـــورى - فـــي التـــو - يُرديهـــا

لكـــنْ بتوحيـــد رب لا يُخالطـــه ... شـــركٌ يؤلـــه غيـــرَ الله تأليهـــا

توحيـــدُ رب الـــورى لا شـــيء يعدلـــه ... يُزكـــي الصـــحائف أعمـــالاً ويُرْبيهـــا

أراه أفـــرض مـــا الـــديانُ أوجبـــه ... يُحْيـــي النفـــوس ، وبـــين النـــاس يُعْليهـــا

الخلـــق والأمـــر للـــرحمن ســـيدنا ... هـــذي الحقيقـــة تُزْكِـــي الـــروح ، تُحْييهـــا

تبـــارك الله مـــن – للخيـــر - أرشـــدنا ... وأرســـل الرسْـــلَ - للآنـــام - تهـــديها

مبشـــرين بجنـــاتٍ لمـــن عبـــدوا ... مـــن اســـتمى عـــن صـــفات الـــنقص تنزيهـــا

ومنـــذرين بنيـــران لمـــن كفـــروا ... فـــلا تكـــنْ حُجـــة يَحـــتجُ آتيهـــا!

عقوق عواقبه وخيمة (معارضة لأمية بن أبي الصلت: غذوتك)

(كان التقائي بأبيات أمية بن أبي الصلت هناك عام 1981م ، وتحديداً في سنتي الأولى الجامعية. واستمعت إلى هذه الأبيات العشرة سُنتها من الأستاذ / أحمد القطان ، جزاه الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء. وهذه الأبيات من عيون شعر العرب ولا شك. وما منع أمية بن أبي الصلت من أن يُسْلم ، إلا غيرته من النبي محمد - صلى الله عليه وسلم – وحقده عليه. ولله في خلقه شؤون. وفي ذلك التاريخ لم أستطع معارضتها لعدم وجود المؤهلات التي تمكنني من ذلك. وأذكر أبيات أمية لابنه أولاً ، ثم نطالع معاً معارضتي له على ذات بحره ووزنه وقافيته ورويه:

غـــذوتك مولـــوداً وعُلتـــك يافعـــاً ... تعُـــل بمـــا أدنِـــي إليـــك وتنهـــلُ

إذا ليلـــة نابتـــك بالشـــكو لـــم أبـــتْ ... لشـكـــواك إلا ســاهـــــراً أتـمـلمـــل

كـــأني أنـــا المطـــروقُ دونـــك بالـــذي ... طرقـــتَ بـــه دونـــي ، وعينـــيَ تهمِـــل

تخـــافُ الـــردى نفـــسي عليـــكَ وإنهـــا ... لـتـعـــلم أن المـــوت حـتـــمٌ مـؤجـــل

فلمـــا بلغـــت الســـنّ والغايـــة التـــي ... إليهـــا مـــدى مـــا كنـــت فيـــك أؤمـــل

جعلـــت جزائـــي غلطـــة وفظاظـــة ... كأنـــك أنـــت المنعـــمُ المتفضـــل

فليتـــك إذ لـــم تـــرع حـــق أبوتـــي ... فعلـــتَ كمـــا الجـــار المجـــاور يفعـــل

فـــأوليتني حـــق الجـــوار ، ولـــم تكـــن ... علـــيّ بمـــال دون مالـــك تبخـــل

وسـمّـيتنـــي باســـم المـفنـــد رأيـــه ... وفـــي رأيـــك التفنيـــدُ لـــو كنـــت تعقـــل

تـــراه مـعـــداً للخـــلاف كـأنـــه ... بـــردٍ علـــى أهـــل الصـــواب موكـــل

وكم هي أبيات رائعة في التنديد بالعقوق والعاقين من الأبناء ، ويرددها الناس والخطباء والأدباء كثيراً! ورغبة مني في إثراء الشعر العربي الأصيل ، وإحساساً مني بهذه القصيدة القصيرة ، وانطلاقاً من إحياء فن المعارضة الشعرية ، قمتُ بمعارضتها اليوم لأسجل هذه المحاولة ، التي وإن لم تكن تبلغ مستوى أمية بن أبي الصلت في القوة والجزالة ، ولكنْ يبقى لي شرف المحاولة ذلك الشرف الذي دائماً أصدر به أي معارضة شعرية لأي شاعر في القديم أو الحديث. بالإضافة إلى فرق العقيدة بين الشاعرين فإن أمية بن أبي الصلت منعه حقده من اتباع النبي - محمد – صلى الله عليه وسلم – ولم يدخل في الإسلام ، حيث كان يرى أنه أولى بالنبوة منه. وأنا متبع للنبي - صلى الله عليه وسلم -. أقول ذلك إحقاقاً للحق وإقراراً بالحقيقة!
روى الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: {إنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ وَوَأْدَ الْبَنَاتِ وَمَنْعًا وَهَاتِ وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ : وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ}. وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: {أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلَاثًا؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ:

الْإِشْرَاكُ بِاَللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ ، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ}. وروى اَلْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:{الْكَبَائِرُ الْإِشْرَاكُ بِاَللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَقَتْلُ النَّفْسِ وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ}. وروى اَلْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: {ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْكَبَائِرَ فَقَالَ: الشِّرْكُ بِاَللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ} الْحَدِيثَ. {وَفِي كِتَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الَّذِي كَتَبَهُ إلَى أَهْلِ الْيَمَنِ وَبَعَثَ بِهِ مَعَ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ وَأَنَّ أَكْبَرَ الْكَبَائِرِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْإِشْرَاكُ بِاَللَّهِ وَقَتْلُ النَّفْسِ الْمُؤْمِنَةِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَالْفِرَارُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَرَمْيُ الْمُحْصَنَةِ ، وَتَعَلُّمُ السِّحْرِ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ}. الْحَدِيثُ رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ. وَأَخْرَجَ النَّسَائِيُّ وَالْبَزَّارُ وَاللَّفْظُ لَهُ بِإِسْنَادَيْنِ جَيِّدَيْنِ وَالْحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: {ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ وَمُدْمِنُ الْخَمْرِ وَالْمَنَّانُ عَطَاءَهُ. وَثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ وَالدَّيُّوثُ وَالرَّجِلَةُ مِنْ النِّسَاءِ}. وَرَوَى ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ شَطْرَهُ الْأَوَّلَ. قَالَ الْحَافِظُ الْمُنْذِرِيُّ: الدَّيُّوثُ بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ هُوَ الَّذِي يُقِرُّ أَهْلَهُ عَلَى الزِّنَا مَعَ عِلْمِهِ بِهِمْ. وَالرَّجِلَةُ بِفَتْحِ الرَّاءِ وَكَسْرِ الْجِيمِ هِيَ الْمُتَرَجِّلَةُ الْمُتَشَبِّهَةُ بِالرِّجَالِ. والآن لنطالع معارضتنا الشعرية لقصيدة أمية بن أبي الصلت!)

بـــذلتُ لـــكَ الخيـــرات ، لـــم أكُ أبخـــلُ ... وجُـــدتُ بمـــالي يـــومَ لـــم تـــكُ تعقـــلُ

وأجهـــدتُ نفســـي مُرْخِصـــاً كـــل مـــا غـــلا ... ويشـــهدُ لـــي مـــا كنـــتُ أعطـــي وأبـــذل

وكافحـــتُ فـــي العـــيش الـــذي كـــان قاســـياً ... فلـــم أكُ أشـــكو لحظـــة ، أو أولـــول

وناضـــلتُ فـــي الميـــدان ، هـــذي رســـالتي ... فـــإني علـــى رب الـــورى أتوكـــل

وصـــارعتُ هاتيـــك الحيـــاة بعزمتـــي ... ومثلـــي علـــى الأصـــحاب لا يتطفـــل

ولـــم أعشـــقِ الآمـــالَ دون انطلاقـــةٍ ... ولـــم أكُ فـــي أنســـامها أتغـــزل

عســـيرٌ علـــيَّ النـــومُ إن جـــاءني الـــبلا! ... ولســـتُ الـــذي فـــي كربـــه يتزلـــزل

وعـــاتٍ علـــى نفســـي احتجـــاجي بقيمـــةٍ ... بهـــا فـــي جميـــع النـــاس لـــم أكُ أعمـــل

تُصـــدّقُ أعمـــالي مقـــالاتُ صـــادق ... وفيمـــا يقـــول المُفتـــري لســـتُ أســـأل

وعشـــتُ أرى فيـــك الكرامـــة والإبـــا ... وكـــل الـــذي فـــي الـــنفس كنـــتُ أؤمـــل

وقلـــتُ: ســـيبني المجـــد فـــذاً مفـــاخراً ... فقلـــبُ الفتـــى بـــالعز والمجـــد مُثقـــل

ويملأنـــي فخـــراً بمـــا حقـــق الفتـــى ... فمـــا مثلـــه يومـــاً يَخيـــب ويَفشـــل

ويغمرُنـــي بالفضـــل مهمـــا نهرتـــه ... ونصـــحي لـــه مستســـلماً يتقبـــل

وقلتُ: سيعلو - في البهاليل - شأنه ... ويوماً - على إخوانه - يتفضل

ويحترمُ الأهلين ، يرعى حقوقهم ... ومنهاجُه في العيش أسنى وأمثل

ولا يرفع السوآى شعاراً ومَذهباً ... وأقواله صِدقٌ ، فلا يتقول

يعيش لرب الناس عبْداً موحّداً ... ومما احتوى القرآنُ يغذو وينهل

وفي سُنة (العدنان) يحلو اجتهاده ... وعن منهج الوحيين لا يتحول

وقلتُ: سيعطيني إذا احتجتُ عن رضىً ... وعني همومَ النفس يوماً سيحمل

فما كان لي إلا عذاباً وصدمة ... وليلي بقربي منه داج وأليل

وأذكر - في حزن - جميلاً بذلته ... وما عشت مِن هذا الفتى أتحمل

إذا زاره السقمُ اليسيرُ وجدتني ... عليَّ من الأحزان والكرب أجْبُل

أعاني ، وآسى للذي قد أصابه ... ولله بالأعمال قد أتوسل

وأنفق من مالي لأذهِب سُقمه ... وأسعدُ إذ ألقى الذي كنتُ آمل

وأبقى طوال الليل أبكي وأشتكي ... لربي مصابي ضارعاً ، وأحوقل

وأحرقُ أعصابي من الوجد ثاوياً ... عليكَ ، وأبقى في الشقا أتبتل

كأني مصابٌ ، والجراحُ مريرة ... وما طاب لي شرابٌ ، ولا طاب مأكل

وأمضغ آلامي ، وأقتاتُ بالأسى ... إذا ما أصاب الجسمَ جسمَك دُمَّل

وأسهرُ ليلي في العذابات بائساً ... رهينَ الشقا من حُرقةٍ أتململ

كأني بآهاتي وفيض مدامعي ... مريضٌ له عينٌ تذوب وتهمِل

فلما رأتْكَ العينُ شاباً تفاءلتْ ... وقالت: ظهيرٌ في النزال ، وموئل

وفخرٌ وعز في الحياة وسُؤدَدٌ ... ورُشدٌ يزكّينا ، به ليس مَعدِل

ولكنْ خبا ضوءُ العيون ، فأخفقتْ ... وأخطأتِ التقدير ، فالشبلُ أرذل

يسبّ أباه ، والكسيرة أمّه! ... ليَسعدْ عدوٌ بالسفيه وعُذل

يظـــن ذكـــاء المـــرء فـــي الســـب والجفـــا ... وإنّ سِـــــباب النـــــاس للعـــــز مُمْجِـــــل

ويحمـــلُ ســـيف الـــبغض ـ للحـــق ـ عامـــداً ... ودومـــــاً يُعـــينُ النـــــذلَ نـــــوكى ومُيَّـــــل

ويظلـــــم ، لا يهـــــوى العدالـــــة مُطلقـــــاً ... ويَهـــــــرفُ بالبُهتـــــــان ، لا يتعقـــــــل

تـــــردّى إلـــــى حـــــدٍ عميـــــق قـــــرارُه ... حضـــيضٌ مـــن الأقـــذار أخـــزى وأســـفل

ســـــفيهٌ ، ولا يســـــتحي ممـــــا يقولـــــه ... وهـــل يتســـامى بـــالحق والخيـــر مُبْطـــل؟

يـــــردّ جميـــــلَ الوالـــــدين صـــــفاقة ... وإنّ الـــــذي يأتيـــــه صـــــدقاً لمُخجـــــل

يُقابـــــل إحســـــاناً بـــــأنكى إســـــاءةٍ ... وينكـــــر معروفـــــاً ، ويطغـــــى ، ويختـــــل

ويُـــــزري بمـــــا أســـــدتْه أمّ تحبّـــــه ... وعاشـــــت تُسَـــــلي طفلهـــــا ، وتُـــــدلل

وكـــم أطعمـــتْ أشـــهى وأغـــذى طعامهـــا! ... وتحنـــــو وتقســـــو مَـــــرة ، وتقبِّـــــل

فلمـــــا اســـــتوى أمســـــى يُسَـــــفه رأيهـــــا ... وفـــــي النيـــــل منهـــــا يســـــتطيل ، ويوغـــــل

رؤوسٌ تســـاوتْ ، تلـــك لا فـــرق بينهـــا! ... وهـــل فضـــلُ أم الفتـــى يُطـــوى ويُجهـــل؟

تأمّـــلْ تجـــدْها فـــي المشـــيب تهـــدلتْ ... وأنـــــت الـــــذي خيبـــــتَ مـــــا تتأمـــــل

وأنـــت الـــذي أغرقـــتَ بالـــدمع وجههـــا ... إلـــى أن ثـــوت فـــي وهـــدة الشـــيب عُطبُـــل

وأمـــــا أبـــــوك المســـــتكينُ فـــــؤادُه ... فقـــد غـــاب عـــن ذكـــراه مـــا كـــان يَعقـــل

وأنـــت الـــذي أعملـــتَ ســـيفك فيهمـــا ... تُســـفه حينـــاً ، ثـــم حينـــاً تُضَـــلل

فلـــم تلتـــزمْ شـــرعاً يريـــدك حانيـــاً ... فـــلا تفتـــري إثمـــاً ، ولا تتبـــذل

ولـــم تحتـــرمْ عُرفـــاً عليـــه شـــبابنا ... فعـــذْبْتنا لمّـــا قـــلاك التجمـــل

فليتـــك لـــم تظلـــم ، ولـــم تُشْـــمِت العِـــدا ... وليتـــك فيمـــا بيننـــا كنـــت تعـــدل

أبوتنـــــا لمّـــــا نـــــذِقكَ مَرارَهـــــا ... وفـــــي ظلهـــــا عـــــاش الفتـــــى يتـــــدلل

وهبنـــاك مـــن ريـــع الشـــباب أريجَـــه ... وأنـــت ـ بمـــا خولـــتَ ـ يـــا نـــذل تبخـــل

منحنـــاك مـــن أعصـــابنا ودمائنـــا ... وكـــدتَ ـ مِـــن الإحســـان والجـــود ـ تـــذهل

فيـــا ليتنـــا كُنـــا انتصـــحْنا ، فلـــم نكـــنْ ... نجاريـــك فيمـــا تـــدّعي يـــا مغفـــل

شـــقينا ليرتـــاح الـــذي قـــد أهمّنـــا وبتنـــا يُـــدَمّينا الأســـى ، فنحســـبل

وقلنـــا ســـيرثي للـــذي قـــد أذلنـــا وهـــذا فتـــى الفتيـــان أســـخى وأنبـــل

ســـيُكْبِرنا دومـــاً ، ويُعْظـــم شـــأننا ومِـــن كـــل أهلينـــا أحـــن وأرجَـــل

ســـيرحم ضـــعفاً قـــد ألان قناتنـــا ويشـــدو فيشـــجينا إذ النجـــل بُلبـــل

سنســـعد فـــي الـــدنيا بصـــحبة ذا الفتـــى ويســـعد قـــومٌ كـــان فـــيهم ومَنـــزل

ســـيملؤنا فخـــراً يُســـلي حياتنـــا بـــه يســـهل الأمـــر العســـيرُ المُعَضّـــل

فخـــاب الرجـــا ، والأمنيـــاتُ تبعثـــرتْ وسُـــربلتِ الآمـــالُ ، كـــم ضـــاع مَأمـــل!

ويومـــاً تـــذوق الـــذل قدمتـــه لنـــا وشـــيبُك بالثـــارات يومـــاً ســـيَحفل

ألا إنـــه دَيْـــنٌ يُـــوَفى ، ونقمـــة وإن جَنـــاب الله كهـــفٌ ومَعقـــل

دَعَونـــا عليـــك الـــرب مـــن فـــرط ذلنـــا وربـــك - عمّـــا نلتـــه - لـــيس يغفـــل

ولا يظلـــم اللهُ العبـــادَ لحيظـــة وربـــك للطـــاغين يُملـــي ، ويُمهـــل

ولكـــنّ أخـــذ الله لا أخـــذ مثلـــه ولـــن ينفـــعَ البـــاغين - يومـــاً - توســـل

فهرست القصائد & مسرد موسيقي – (معارضاتي الشعرية لبعض الشعراء 1)

مسلسل	عنوان القصيدة	البحر	القافية	الصفحة
1	ابتسم (معارضة لإيلياء أبو ماضي)	الكامل	والحِمى	7
2	مناظرة مع أبي ذؤيب (معارضة لأبي ذؤيب الهُذلي)	الكامل	مُوجَعُ	10
3	أحب الصالحين! (محاكاة للشافعي)	الوافر	شُعاعَهْ	12
4	أخرْتُ عمّنْ هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)	الكامل	لكلامي	17
5	ارجعْ إليا! (معارضة لنزار قباني)	البسيط	ومن فيها	22
6	أسماءُ الله الحسنى (معارضة لمليجي علي غانم)	البسيط	قبل دمي	25
7	أصابَكَ عشقٌ أم رُميتَ بأسهمِ؟! (معارضة ليزيد)	الطويل	مُغرمِ	31
8	أغداً ألقاك؟! (معارضة للشاعر الهادي آدم!)	مجزوء الرمل	قافية منوعة	40
9	أغرقت جفني الدموع (معارضة للعباس بن الأحنف)	الكامل	ولا تحتارُ	43
10	أكتب الشعر حتى يسود الحق (معارضة للشحي)	الكامل	أشغفُ	45
11	الأطـلالُ اليمنيــة 1 (معارضة لإبراهيم ناجي بك)	الرمَل	قافية منوعة	46
12	الأطلالُ اليمنية 2 (معارضة لإبراهيم ناجي بك!)	الرمل	قافية منوعة	48
13	نهج نهج البردة 1425هـ 1 (معارضة للبوصيري)	البسيط	وعن أممِ	53
14	الحنيفية السمحة حياة العروبة (معارضة لحمد بو شهاب)	البسيط	ويُطلبُ	67
15	الخلق والعلم معاً (معارضة لشوقي)	الكامل	دون علومِ	72
16	الزوجة الثانية نعمة لا نقمة (معارضة للأعرابي المجهول)	الوافر	زوجُ اثنتينِ	82
17	الطبع يغلب التطبع (معارضة بقرت شُويهتي)	الوافر	تستريبُ	96
18	العيد يجيب على السؤال (معارضة للمتنبي عيد بأية حال)	البسيط	معقودُ	99
19	القصيدة الزينبية 2 (معارضة لزينبية ابن عبد القدوس)	البسيط	ويَعتِبُ	104
20	القصيدة المحمدية (معارضة لمحمدية البوصيري)	البسيط	ذي النعمِ	118
21	المودع الكريم (معارضة لمحمود حسن إسماعيل)	مخلع البسيط	والتهاني	122
22	أنا يا أخا الأوطان – معارضة لعلي هاشم رشيد	مجزوء الكامل	والعز المَهيبْ	125
23	بُردة أبي بكر الصديق (معارضة للجنابي: الثاني اثنين)	البسيط	وأنتصِفُ	130
24	بُردة عائشة! (معارضة لقصيدة عائض القرني)	البسيط	بالنغمِ	145
25	حملٌ بين الذؤبان (الأستاذ كريم) (معارضة لقم للمعلم)	الكامل	التطبيلا	165
26	تصويب (معارضة للشابي: إذا الشعبُ يوماً!)	المتقارب	المقتدرْ	171
27	جنة الفردوس (معارضة لنص: أن تدخلني ربي الجنة)	المتدارك	الجنة	172
28	رسالة إلى جيل التوحيد (معارضة للرافعي)	المتقارب	ولم تستجبْ	175

29	حبيبتي أقبلتْ! (معارضة لابن الخطيب – جاءتْ مُعذبتي)	البسيط	الحِدَقِ	178
30	حَنيـنٌ بقلبـــــي! (معارضة للعشماوي: حَنينٌ بقلبي)	المتقارب	قافية منوعة	180
31	حييِّ المعلم ، جازه التبجيلا! (معارضة لشوقي)	الكامل	رسولا	182
32	خانكَ الغيث! (معارضة لابن الخطيب: جادكَ الغيث)	الرمَل	قافية منوعة	202
33	دعنا نضعك في الصورة! (معارضة لحمد بو شهاب)	الطويل	مُكَرّمُ	205
34	وجاء دور الارتجال (معارضة لأبي تمام: رأيت الحُر!)	الوافر	الدعاءُ	211
35	رباعيات الخيام اليمنية! (معارضة لرباعيات عمر الخيام)	الخفيف	قافية منوعة	214
36	أنين الجوى (في رثاء الحاجة فاطمة) (معارضة لشوقي خلقنا للحياة)	الوافر	ثباتي	216
37	رثاء الشربيني أبو طالب (معارضة لشوقي: في الموت ما أعيا)	الكامل	عُجّابهِ	220
38	في رثاء اللغة العربية (معارضة لحافظ إبراهيم)	الطويل	لذاتي	226
39	يا فتاتي رجّعي الشعر الجلي! (معارضة لعبد السلام أمين)	مجزوء الرمَل	القلب الخلي	232
40	رحمن رحمن! (معارضة لعجلان ثابت)	مشطور الرجز	قافية منوعة	235
41	سلام الحبيب (معارضة لأبي فراس الحمداني)	مجزوء الوافر	أم أولادي	243
42	رسالة إلى (سيف الإسلام) (معارضة لأبي تمام: السيف)	البسيط	ولا لعِبُ	245
43	صليبية جديدة (معارضة لسالم النوبي: سراييفو)	الخفيف	يا سُكارى	257
44	صياغة معاصرة لمعلقة عمرو بن كلثوم ألا لا يسألن	الوافر	الجاهلينا	259
45	صرخة في ضمير الأمة (معارضة شوق ودماء للنحوي)	البسيط	والخطرُ	264
46	عاشقٌ عزيز النفس (معارضة شعرية لنزار: يا من هواه)	الكامل	متوالهُ	276
47	(عجبتُ من قدرة الله تعالى)! (معارضة لشاعر مجهول)	البسيط	تِيها	279
48	عقوق عواقبه وخيمة (معارضة لابن أبي الصلت: غذوتك)	الطويل	تعقّلُ	287
الــــــف	ـــــــــــــــــــــــهـــــــــــــــــــــــ	ــــــــــــــــ	ــــــــــــرس	294

تم بحمد الله وتوفيقه وعنايته ورعايته إتمام (معارضاتي الشعرية لبعض الشعراء 1)

نبذة عن أحمد على سليمان عبد الرحيم

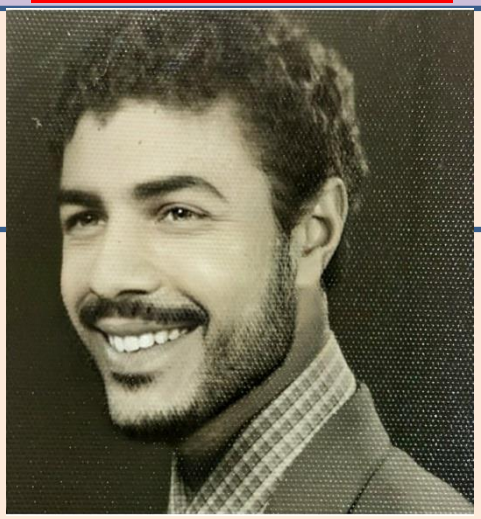

(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية ـ محافظة بورسعيد ـ تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية ـ جامعة المنصورة ـ مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صَعيديٌ قح أباً وجداً وأعماماً من بيت خليفة ـ الكولة ـ مركز أخميم ـ محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية ـ لم يُقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بالحسنى ـ بتوفيق الله – سبحانه وتعالى ـ!

ويمكننا إجمال الدواوين والقصائد والمجموعات الشعرية والكتب في هذه القائمة:

أولاً: الدواوين الشعرية

1 – نهاية الطريق: (ديوان شعر).
2 – عزيز النفس: (ديوان شعر).
3 ـ سويعات الغروب: (ديوان شعر).
4 – القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
5 ـ ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
6 – الأمل الفواح: (ديوان شعر).
7 – من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
8 – الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
9 – ذل الجمال: (ديوان شعر).
10 – ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
11 – دموع التصبر: (ديوان شعر).
12 – عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
13 – فأعِضُّوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
14 – الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
15 – غادة اليمن: (ديوان شعر).
16 – عزة الخير: (ديوان شعر).
17 – منار الخير: (ديوان شعر).
18 – غربة وخَربة وكُربة: (ديوان شعر).
19 – الطبيبتان: (ديوان شعر).
20 – عجبتُ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
21 – أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
22 – كالقابض على الجمر: (ديوان شعر).
23 – من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
24 – خانك الغيث: (ديوان شعر).
25 – الشعر رحمٌ بين أهله: (ديوان شعر).
26 – وداعاً أيها القريض! (ديوان شعر).
27 – يا شعرُ كن لي شاهداً! (ديوان شعر)

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

1 ـ قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
2 – قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية وشعرائها: عنترة بن شداد العبسي.
3 ـ السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
4 ـ ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
5 – ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم ـ!
6 – إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرتُ بها في حياتي العملية والعلمية)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

1 – الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!
2 – القاتل البطيء (التدخين)
3 – بين شوقي وحافظ!
4 – ثاني اثنين إذ هما في الغار
5 – عُمَير بن وهب الجمحي – رضي الله عنه -.
6 – لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
7 – من أجل زوجي!
8 – هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
9 – فرانك كابريو (القاضي الأمريكي الرحيم)
10 – يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
11 - يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
12 – رباعيات الخيام اليمنية (معارضة لعمر الخيام)
13 – ابتسم! (معارضة لإيلياء أبو ماضي)
14 – إبراهيم مصطفى صديقاً وصهراً
15 – أبو غياث المكي – رحمه الله –
16 – أتيناكم! أتيناكم!
17 – أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحوياً وناقداً
18 – أستاذي قال لي! (عريف الكُتاب – رحمه الله -)
19 – قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
20 – أسماء الله الحسنى
21 – الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
22 – التلون أخو النفاق من الرضاعة
23 – موقع (الديوان) منتجع الشعراء
24 – (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
25 – أبجديات شعرية
26 – الشعر رحِمٌ بين أهله
27 – الله يرحمُ مُزنة
28 – رسالة شعرية إلى أم يوسف
29 – امتَهنوا فما امتُهنوا! (علماء السلف رحمهمُ الله)
30 – تراني عندما أرى لحيتك!
31 – لا فضّ فوك يا دكتور بدر العتيبي!
32 – بُردة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –
33 – بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –
34 – بردة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –
35 – بردة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –
36 – بردة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –
37 – بردة فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها –
38 - بكائية إسماعيل علي سليم (فقيد التربية والتعليم)
39 – نعم الميّت ، ونعمت المِيتة! (رثاء فقيد الأزهر الشريف)

40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
42 – تغير الحال أم الخال؟!
43 – تلميذي البار شكراً!
44 – تيس يرث نعجة! (جيء به محللاً فورثها)
45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
46 – جاز المعلم وفه التبجيلا! (معارضة لشوقي)
47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
48 – حبيبتي أقبلتْ! (معارضة لجاءت معذبتي لابن الخطيب)
49 – حرامية الشعر!
50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
51 – حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
52 – خانك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
53 – رثاء الدكتور الشربيني أبو طالب (معارضة لشوقي)
54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد)
55 – رسالة إلى دائنة!
56 – رضيعة الحاوية (رماها أبوها رضيعة فنفعته في كبره)
57 – رفقاً بنفسكِ يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
58 – رفيدة بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –
59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها –
61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
62 – ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
63 – طبت حياً وميتاً يا أبتاه!
64 – طبت حياً وميتاً يا رسول الله!
65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
67 – عاشقٌ عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
69 – عجبتُ للنذل
70 – عجبت من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبتُ لا تنتهي)
71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
72 – وربما حار الدليل!
73 – يا جارة الوادي اليمنية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
74 – لصوص القريض
75 – لقاؤنا في المحكمة
76 - لوعة الرحيل
77 - مسألة كرامة (تحويل (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى)
78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهمُ الله -)

80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
84 – الأطلال اليمنية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
85 – الكائنات الفضائية!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

1 – الغربة سلبيات وإيجابيات
2 – إلى هؤلاء أتكلم!
3 - آمال وأحوال
4 – أمتي الغائبة الحاضرة
5 – أنات محموم وآهات مكلوم
6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)
7 – تحية شعرية والرد عليها
8 – رمضان شهر الخير والبركة
9 – عندما لا نجد إلا الصمت
10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!
11 – بيني وبينك!
12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء
13 – دموع الرثاء وبكاء الحُداء (1 & 2)
14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان
15 – رسائل سليمانية شعرية
16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
17 – شرخ في جدار الحضارة
18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2&3)
20 – عندما يُثمر العِتاب
21 – فمثله كمثل الكلب!
22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)
23 – كل شعر صديق شاعره
24 – مساجلات سليمانية عشماوية
25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –
27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
29 – الصبر تِرياق العلل والداءات
30 – الصعيد مهد المجد والسعد
31 – الضاد بين عدو وصديق
32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى
33 – الغربة دُربة على الطريق

34 – الغيرة غير القاتلة
35 - القصيدة ابنتي
36 – اللغة العربية وصراع اللغات
37 – اللقيط بريءٌ لا ذنب له!
38 – المال والجمال والمآل
39 – المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
40 – المعلم صانع الأجيال
41 – الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
42 – اليُتْم غنمٌ لا غرم
43 – أمومة وأمومة
44 – أهازيج بين الشعر والشاعر
45 – أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 – أهكذا يُعامَل الشقيقُ يا هؤلاء؟!
47 – بين الفتنة والفطنة!
48 – بين هندٍ وزيد!
49 – جيران وجيران!
50 – رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 – عزة الخير (أم عبد الله)
52 – فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
54 – مدائح إلهية شعرية
55 – اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 – البُردات الشعرية السليمانية
57 – عيون الدواوين السليمانية
58 – معارضات سليمانية شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 – المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء) (1&2&3)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 – من أزاهير الكتب
62 – من الأجوبة المُسكتة المُفحمة
63 – من أناشيد الأفراح
64 – نحويات شعرية
65 – نساء صَقلتهن العقيدة
66 – نساءٌ لعب بهن الشيطان
67 – وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 – أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 – النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 – الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 – الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 – الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
75 – العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان

76 – المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 – علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 – رسائل شعرية لمن يهمه الأمر
80 – ماذا قال لي شعري؟ وبم أجبته؟
81 – مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 – المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 – التوبة في شعر أحمد علي سليمان
84 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
85 – أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 – نصيب طلابي من شعري
87 – حضارة البِطنة لا الفِطنة
88 – إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 – لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!
90 – الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 – دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 – المرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 – القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 – وترجون من الله ما لا يرجون
95 – قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 – الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 – الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 – صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (1&2&3)
99 – الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 – لماذا؟
101 – (لا) كلمة لها وقتها!
102 – هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
103 - أخرْتُ عمّنْ هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
106 – أين؟!
107 – الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 – القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 – أيومة إلى الأبد!
112 – شتان بين البر والعقوق
113 – الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد
115 – الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان

118 – الأميرات الثلاث!
119 – عندما!
120 - تحايا شعرية سليمانية (1&2&3)
121 – القصيدة الزينبية 2
122 – شمس العرب تسطع على الغرب!
123 – تحيتي لموقع الشعر والشعراء!
124 - الخلق والعلم معاً - الأستاذ محمد الكيلاني!
125 - الشعر حنينٌ ورنينٌ وأنين!
126 - امرأتان من صعيد مصر! (هاجر&مارية)
127 - إنها تذكرة!
128 - زواجٌ بالإكراه!
129 - شِعرٌ يؤبّنُ صاحبَه!
130 - وهل من مات يعود إلى الدنيا؟!
131 - محاكاة لامية ابن الوردي!
132 - امرأة تزوجتْ رجلين!
133 - تحية للأستاذ مهدي سعد زغلول (معلم اللغة العربية بمدرسة كفر سعد الثانوية)
134 - أصابَكَ عشقٌ أم رُميتَ بأسهم؟ (محاكاة ليزيد بن معاوية)
135 – مروءة ولى زمانها!
136 – مكافأة لا قِصاص! (عمر بن عبد العزيز)
137 - أحب الصالحين! (محاكاة للشافعي وأحمد)
138 – زلزال تركيا المدمر!
139 - المقابر تتكلم 2 – (نصيحة لزائري القبور)
140 - المقابر تتكلم 3 – (وصية أصحاب القبور)
141 – المقابر تتكلم 4 – (حوار بين ميتٍ وقبره!)
142 – دمه وماله وعِرضه!
143 – سعة علم أبي يزيد البسطامي!
144 – رمضان أشرقْ!
145 – يا شعرُ كن ليَ شاهداً!
146 – المقابر تتكلم 6 (العفو عند المقبرة)

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانية في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة مختلفة الموضوعات ومتنوعة في الكم والكيف!

سادساً: الكتب المحققة والمخرّجة

الحب بين المشروعية والضلال كتبه الأستاذ حمدي محمد سعد ماضي (المحامي) وحققه وخرجه أحمد سليمان

سابعاً: الكتب الإنجليزية

1. Proofreading Drills (1-12)

2. Reading Drills (1-50)

3. Reading Quizzes (1-111)

4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

6 - Conversation Skills

7 - Correction Exercise (1-100)

8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

9 - Grammar Tasks (1-77)

10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

12. Punctuation Tasks (1-56)

13. Reorder Quizzes (1-34)

14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

15. Writing Practices (1-76)

16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

18. Raymond’s Run – Toni Bambara

19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages!

Teaching English - Arabic and Religion only to the foreign students

Academic Rank	Teacher - Coordinator – English - Programmer – Poet - Writer
Degrees	Bachelor of Arts .Department of English and its Literature , Mansoura University – Egypt , May 1985.
Research field	Teaching English as a first language. Teaching social studies. Teaching Arabic using Arabic or English. Teaching French. Teaching Social Studies to Non-Arabs .Teaching Literature
Publications	1. The Basics of Education. (Criticism) New Education Magazine 2. Education Yesterday, Today and Tomorrow. Forum 3. Modern technology and Education. Usual Reader 4. The Best Qualities of a good teacher. Forum 5. How to teach Vocabulary. (Criticism) Forum 6. How to teach a song. Forum 7. How to teach a short story. Usual Reader 8. How to study English with your son. Usual Reader 9. How to present general information. Usual Reader 10. Skimming Reading and Scanning Reading Skills. 11. William Hazlet as a critic. 12. Aldous Huskily as a critic.

	13. Styles of translation. 14. How to teach Grammar. 15. Writing Operation Skills. 16. The Listening Lesson. 17. Glorious Classroom Management. 18 – How to prepare your exam paper.
Courses taught **(last 3 years)**	1. Straight Planning (European System) 2. Strategic Planning (American System) 3. Poor Students Evaluation. 4. Education Theories. 5. Scientific Research Results. 6. The Successful Education. 7. Advantages of Culture and disadvantages of it. 8. Roles of Computers in Educational Operation. 9. English away from Classroom. 10. How to test your students.

Employment	* English Teacher from 1986- 1990 in Egypt (Secondary Stage) * English Teacher since 1996 in Ajman (Primary Stage) * English Teacher since 2008 in UAQ (Preparatory Stage) * English Teacher since 2009 in RAK (Preparatory Stage) * English Teacher and English Coordinator since 2010 till today in the (American English) in the American Department. For the upper grades from 7 , 8 , 9 American.

Honors and Awards	1. Appreciation Certificate from faculty of Arts 1985 in Translation. 2. Appreciation Certificate from Secondary Institute in 1986. 3. Appreciation Certificate from Al-Rashidiah School in 1993 4. Appreciation Certificate in 1998. 5. Appreciation Certificate in 2008. 6. Appreciation Certificate from Modern School in 2009. 7. Appreciation Certificate from National School in 2010. 8. Arabic Protection Community 2004.
Volumes of Poetry	1 – The End of the Road 2 – The Confident Man 3 – The Hours of the Sunset 4 – The Bloody Snail 5 – A Tone on the Love's Wall 6 – The Perfume Aspiration 7 – The Tendency of Memories (Part One) 8 – The Upper-Egyptians had arrived! 9 – The Surrendering of the Beauty 10 – The Shoes Woman-Cleaner 11 – Patience Tears 12 – Blaming and Complaint 13 – Say frankly without Simulation 14 – Poetry is my Rosary

	15 - Yemeni Young Girl 16 – Azzah, the Lady of Goodness 17 – The Beacon of Goodness 18 – Estrangement, Bayonet and Sadness 19 – The Two Women –doctors 20 – I wander of the Ability of Allah, The Al-Mighty 21 - The Gentlemen of the Sacred Land 22 – Like the One who catches Fire! 23 - The Tendency of Memories (Part Two) 24 – The Rain betrays you! 25 – Poetry is a Merciful Mother among Poets! 26 – Bye Bye , My Poetry!
Other Literary Books	1 – Stylish Reading in the Poetry of Hassan Bin Thabit Al-Ansari – May Allah Be Pleased with Him -. 2 - Stylish Reading in the Poetry of Antara Bin Shaddad Al-Absi. 3 – The Story life and the Self-Road 4 – Ahmad Solaiman's Life